IJA # 3585

الKGB والتضليل السوفيتي

Al-KGB wa al-Taḍlīl al-Sūfītī

Bittman, Ladislav

Iraq

KGB

لادسلاف بت

المقدمة بقلم ر

صادر عن مؤ

للم

طبعة الاولى بشتمان

...ر عظيم

...KGوالتج

...سلاف

...ان هذا ال... التضا

...ة نضلي

كيف أن ...

التجسس ال... والعكس ب

الشخصية ... الحقيقي ...

وعمليات التد... التي ...

وبواسطة ...

يقوم العميل ...

البرنامج الصحي ...

الاعلامية ...

كانت بعيدة ...

ويعاد ...

...ريكية

...ترجمة

...ذابف

لاسلاف بنصان

ر مخلص

KGوالتض

سلاف

ان هذا الـ الرائع لنا التضليل

كيف أن لعـ ضليل السو

التجسس العـ عدوانية واعني

الشخصية مع التحليل الحذر للاحدا

وعمليات التضليل التي تمار ها .

وبواسطة العمل المباشر وم

يقوم الجيل الجدد من خبراء

البيانات الصحفية لخلق

الاعلامية وتحليل للنشر

كانت بعيدة . فلم هذه الد

ويعاد نشرها وكأنها مع

سمومياً لزعزعة ثقة الاف

وبالذ KGB فا

طالما

الطبق

وفي هذا

عماء

صحاة

ر

سيز

ريكية

الحكوم

له

ة نخلص

ترجمة : عبد اللطيف محمد الفدعم

وجهة نظر مختلفة

السلاف

ان هذا الكتاب الرائع لنائب مدير قسم التضليل التشيكي السابق يكشف كيف ان لعبة التضليل السوفيتية تمارس عالمياً من قبل اكثر منظمات التجسس العالمية عدوانيةً واعني بها الـ KGB . ويوظف الكاتب تجاربه الشخصية مع التحليل الحذر للاحداث الاخيرة للكشف عن الـ KGB وعمليات التضليل التي تمارسها .

وبواسطة العمل المباشر ومن خلال الوكالات والمنظمات الدائرة في فلكها ، يقوم الجيل الجدد من خبراء الدعاية في المديرية الاولى في الـ KGB بتزوير البيانات الصحفية باطلاق تأليف رسائل تضخ بشكل حذر في القنوات الاعلامية وحالما يقبل للنشر في أية صحيفة محلية او كتاب او مجلة ، مهما كانت بعيدة ، فان هذه المواد تستوعب فيما بعد ببراءة من قبل الاعلام العالمي ويعاد نشرها وكأنها معلومات حقيقية . وطريقة الـ KGB هذه تستخدم الان سموماً لزعزعة ثقة الافراد المعادين للشيوعية وكذلك المنظمات والحكومات . وبالنسبة الى الـ KGB فان مصداقية الصحافة لاتشكل اية مشكلة أو إهتمام طالما تنشر [illegible] بان «الاخلاقية تخضع كلياً لمصالح الحرب الطبقية».

وفي هذا الكتاب غير العادي ، كشف الكاتب عن كيفية ولماذا وأين تضرر عماء [illegible] وربيون وزعماء وطنيون آخرون وبدون قصد من قبل ممثلي صحافة [illegible] الحرة المعروفة والذين تم تضليلهم بذكاء . وقد اعطى [illegible] تمان بثقة أسماء كما يصفها عندما اعادت صحافة العالم نشر المخولة» والتي أحتوت على رسائل شخصية وأضابير سرية مثل

الوثائق السرية الوطنية للبنتاغون والكتيبات العملية للجيش الامريكي - والتي تم تزويرها بعناية من قبل الـ KGB . وقد وصف أيضاً الهجمات التضليلية الناجحة للـ KGB على الناتو ووكالة المخابرات المركزية ووكالات المخابرات الامريكية ووكالة الامن القومي وبعض المنظمات الحكومية المشابهة في الدول غير الشيوعية . وقد نجحت الـ KGB بشكل خاص ضد «العدو الرئيسي» ، الولايات المتحدة من خلال نشر معلومات كاذبة بواسطة الصحافة غير المشكوك فيهم في البلدان العميلة والمحايدة .

وكلما أصبحت الـ KGB عملاقاً للتضليل ، فان متآمريها المدربين لايهتمون لأي تلميح للاعتدال في عملياتهم . وبخلاف اسلافهم ، فان اختصاصيي التضليل في الـ KGB لايكافحون في هذه الايام من أجل اهداف إيديولوجية بل من اجل السلطة والمرتبة والرواتب . وهم اذكياء ومتطورون ومغامرون ومنافسون ، يتبعون أية طريقة لاختراق الاعلام والتي تؤهلهم كقادة مديريات . وباستخدام المنظمات الجبهوية والاتحادات في المجتمعات الاكاديمية والعلمية والاقتصادية ، فان عملاء التضليل في الـ KGB يُدخلون المعلومات في كل حلقات المجتمع الدولي . ولاترفض اية طريقة للتضليل . فالاكراه والرشاوي والابتزاز هي المتبعة كأدوات حرفية وعندما تكون هناك حاجة اليها . ويوظف الوكلاء والمهاجرون والسواح والاجانب في الخارج والمسافرون السوفيت كمصادر للمعلومات وممونين للتضليل .

وقد توقع الاعلام العالمي الحر ولفترة طويلة ان إجراءات الـ KGB التضليلية قد تتكون من الاعيب وتلفيقات سهلة الكشف . وهذا الكتاب المشوق والجدير بالاعتماد يكشف بان مديات الاجراءات الـ KGB اوسع وعملياته اكثر مهارة وصعبة الكشف واكثر خطورة - يتوقعها العالم الغربي .

المحتويات

المقدمة بقلم روي غودسون
تمهيد
الفصل الاول : مذكرات عميل سابق
الفصل الثاني : عملاق الجاسوسية
الفصل الثالث : مصانع التضليل
الفصل الرابع : الساعي
الفصل الخامس : فن التلفيق
الفصل السادس : أزمة الرهائن الايرانية : العلاقة السوفيتية
الفصل السابع : اللعب بالحرب
الفصل الثامن : وطن المهاجرين
الفصل التاسع : الصلة الغرامية بالارهاب
الفصل العاشر : الهدف : وكالة المخابرات المركزية
الفصل الحادي عشر : المشاريع الصناعية والعلم والتكنلوجيا
خاتمة
نبذة عن حياة المؤلف .

المقدمـــة

في السنوات الأخيرة تعلم الغرب الكثير عن استخدام الكتلة السوفيتية لما
الآن بـ «الاجراءات الفعالة» . وكجزء من ستراتيجيتها السياسية
كرية ، تستخدم موسكو وحلفاؤها مختلف الوسائل العلنية والسرية
على المفاهيم الغربية وعلى عملية صنع قراراتنا حول الدفاع والشؤون
ية .

ان اعظم مصدر مفيد للمعلومات حول الاجراءات السوفيتية الفعالة
الخبراء الممارسون السابقون الذين التجأوا الى الغرب . وقد زودونا
جوانب رئيسية في المبدأ السوفيتي والمؤسسات والمصادر والتقنيات . وقد
يسأل البعض عن مصداقية المعلومات المعطاة من قبل المرتدين ، وخاصة
أولئك الذين مارسوا التضليل وتقنيات الاجراءات الفعالة الاخرى . وفي
ان الشكوكية الصحية تكون دائماً مطلوبة ، وخاصة في العالم المعتم
الذي يتسم بالنشاطات السرية . ومع ذلك ، فالدارسون المحترسون الذين
يحصون المعلومات المتوفرة من قبل المرتدين والتأكد من صحتها بالمقارنة مع
شهادات ومذكرات رجال الدولة والدبلوماسيين والصحفيين والمعلومات من
الارشيفات التاريخية والوثائق المصادرة ومحاكمات الوكلاء السريين والمتهمين
ومصادر اخرى ، لايمكن ان يفشلوا في تعميق فهمهم للستراتيجية السوفيتية

المعلومات والتحليلات حول الاجراءات الفعالة التي اعطيت من قبل
لاف بتمان (Ladislav Bittman) منذ ارتداده عن جهاز الامن
والمخابرات التشيكية عام ١٩٦٨ هي معلومات مفيدة جداً . وان كتابه (لعبة
التضليل The Deception Game) في عام ١٩٧٢ وهو أول كتاب من نوعه
صادر من قبل اخصائي سابق في الاجراءات الفعالة والتضليل التشيكو
سلوفاكي ، كان مؤثراً للعديد سواء داخل أو خارج الحكومة .

والآن يعطي في كتابه «الـ KGB والتضليل السوفيتي : رأي مطّلع» أسماء معينة وتواريخ وأماكن لوثائق اخرى حول العمليات التشيكية والسوفيتية المكرسة للتأثير على السلوك الغربي . بالاضافة الى ذلك ، واعتماداً على تجربته وفهمه لمزاجات الاجراءات الفعالة للكتلة السوفيتية ، فقد حاول ان يصف ويوضح العمليات السوفيتية منذ إرتداده . كما ان سرده للتطورات الاخيرة في مختلف ارجاء العالم هو سرد رائع . ولتأكيد تحليل بتمان للنشاطات السو ة المعاصرة ، فاننا بحاجة الى معلومات إضافية من مرتدين جدد ومصادر تو اخرى . واذا إعتبرنا التجربة الاخيرة كدليل ، فان المعلومات الاضافية لا ان يستغرق مجيئها وقتاً طويلاً . وقد ساعدنا لادسلاف بتمان في فهم أحد الابعاد المهمة في السلوك السوفيتي . والان وبعد أن ادركنا هذا العنصر المهم ، فان الدليل يؤكد اكثر فاكثر افكاره الرئيسية .

روي غودسون
استاذ العلوم السياسية في جامعة جورج تاون
مدير المركز القومي للمعلومات الستراتيجية
في واشنطن

تمهيـــد

لماذا يجب ان نكون معنيين

ر الالاعيب الهادفة التي تتسم بالمكر والتي تمارس في واشنطن لاستغلال السياسيين والموظفين الحكوميين والصحافة تشتمل على عدة مشاركين : معارضين الداخليين للادارة الحالية والخصوم الاجانب والاصدقاء والاعداء وخبراء الرأي العام ورجال الاعمال والمحامين والصحفيين ورجال المخابرات السوفيتية الذين يعملون ضمن المشاركين وبتمرس تحت قناع الحريات المدنية الامريكية .

وبينما صممت السياسة الخارجية الامريكية ازاء الاتحاد السوفيتي في السنوات الخمس عشرة الاخيرة في الاساس لحماية العالم الغربي ومنع التوسع السوفيتي ، فان السوفيت قد صعدوا من هجومهم المستمر في العمل السري . وهم معروفون بحبهم للسرية ومكرهم السياسي كما انهم سادة التضليل . حتى ان رجال وكالة المخابرات المركزية يعانون من جنون الأرتياب بمعنى إنهم ينظرون لكل حملة تضليل سوفيتية كجزء من مؤامرة شريرة اكبر واكثر .

لقد أمضيت أربعة عشر عاماً في المخابرات الشيوعية ، بضمنها سنتان كمكتب لمسؤول قسم التضليل التشيكو سلوفاكي . وخلال هذه الفترة شاركتُ في العديد من العمليات ضد مايدعى بالاعداء الخارجيين للاشتراكية . وبعد عدة ايام من الغزو السوفيتي لتشيكو سلوفاكيا في عام ١٩٦٨ ، إرتديت وطلبت حق اللجوء السياسي من الحكومة الاميركية . وبعد وصولي الى الولايات المتحدة أردت ان انسى الماضي المتناقض واعيش حياة جديدة ، لكن بسبب كوني طالب مخلص للعلاقات الدولية ومدمن على الصحافة ، وجدت ان هذا الهدف صعب التحقيق . وكانت الاشارات حول استمرار العمل السري السوفيتي تشب الي من صفحات الصحف وتذكرني بالماضي . وبعد فترة

قصيرة من نشر كتاب «لعبة التضليل» في عام ١٩٧٢ والذي يصف تجاربي الشخصية في النشاطات التضليلية المنفذة من قبل الكتلة السوفيتية ضد الغرب ، بدأت بجمع المعلومات والبيانات لتحليل شامل جديد للاجراءات الفعالة المتخذة من قبل الأتحاد السوفيتي ضد الولايات المتحدة في فترة الانفراج .

ان السوفيت ينفذون نوعين من النشاطات الاستخبارية ـ الاول ، يصنف على انه «غير فعال» او دور جمع المعلومات ، والذي يهتم بجمع نطاق واسع من المعلومات المصنفة حول قوة وضعف العدو بالاضافة الى خططه ونواياه . ويتضمن النوع الثاني عمليات سرية تعرف في اللغة الشيوعية بـ «الاجراءات الفعالة» وهذه الاجراءات هي العنصر الاساسي للسياسة الخارجية السوفيتية .

وقد أنتجت مراكز البحوث الامريكية عدداً كبيراً من الدراسات النظرية المهتمة بصفة ودور الدعاية ، لكنها أهملت كثيراً تقنيات وتأثير التضليل السوفيتي والاجراءات الفعالة . وتلعب الصحافة في النظام الديمقراطي الامريكي دوراً مهماً ليس كقنوات اتصال فحسب بل ايضاً كقوة سياسية نشطة ، وهي إذن هدف دائمي لمختلف حملات الدعاية العالمية والاعيب التضليل التي تحاول التأثير على الصحفيين المحترفين وبالتالي الرأي العام الامريكي وتضليلهم .

وليس هدف هذا المؤلف الاشارة الى ان المشكلة الوحيدة التي تواجه العالم المتحضر هو تهديد التآمر السوفيتي المحسوب والمنظم والموجه من قبل متطرفي الكرملين . فالتضليل هو لعبة سهلة نسبياً وخاصة لاي شخص لديه استعداد للتضليل . وهدف هذا الكتاب هو وصف طرق وتقنيات التضليل المستخدم من قبل الكتلة السوفيتية ولتقدير تأثير هذه المعلومات على الولايات المتحدة في العقد الأخير . والاهداف الرئيسية هي توضيح كيف ان الدول الشيوعية تُسيء استخدام أنظمة الاتصالات الديمقراطية ، وكذلك تأكيد استخدام اجراءات وادوات اكثر فاعليةً لحماية الحريات المضمونة بقانون التعديل الاول للدستور الامريكي .

الفصـــل الأول
مذكـرات عميـل سابـق

بعد الحرب العالمية الثانية ، برزت في العالم ثلاث قوى عظمى ذات أجهزة دعائية منظمة جداً هي الولايات المتحدة وجمهورية الصين الشعبية والاتحاد السوفيتي . وقد امتلكت هذه الاجهزة تقنية متقدمة وذات مدى واسع لزيادة هيبتها في الداخل وتحجيم قوى ومعنويات المعارضة . وقد تأثر بدعايتها مئات الملايين من البشر في مختلف ارجاء العالم .

وفي أواخر الخمسينيات والستينيات ، إحتفل الصينيون بانتصارات دعائية كبيرة في البلدان النامية وفي اليسار المتطرف في الدول الصناعية . لكن اضطرابات الثورة الثقافية وقوى المعارضة التي حدثت داخل الحزب الشيوعي الصيني والخلاف العميق مع الاتحاد السوفيتي دفعت الصينيين الى اعادة تقييم الاسبقيات . فبدلاً من الترويج لافكار ماو إضطروا الى معالجة المشاكل الايديولوجية والسياسية داخل الحزب والمشاكل الاقتصادية المتنامية والتهديد العسكري السوفيتي .

وخلال الفترة نفسها ، طورت الولايات المتحدة جهازاً كبيراً لنشر الدعاية العلنية والسرية ، لكنها ، ولعدة اسباب ، فشلت في التفوق في فن الاقناع والتضليل . اولاً ، ان التقاليد الامريكية تعزو للدعاية صفة سلبية واضحة حجمت تخطيط رجال الدعاية الامريكان ، وثانياً ، التفوق الكبير للتكنلوجيا الغربية والذي قلل من صفة الوقع العاطفي لكل حملة مؤثرة ، وأخيراً فان تحقيقات الكونغرس المكثفة مع وكالة المخابرات المركزية في اواسط السبعينيات والكشف الاعلامي قد أضعفت من فرص نجاح العديد من العمليات من خلال كشف اهدافها وستراتيجيتها ووسائلها للرأي العام .

إن أجهزة الدعاية والتضليل السوفيتية هي بلا شك الاكبر والاعظم تأثيراً في العالم . وقد قام الاتحاد السوفيتي حتى نهاية الخمسينات بتنظيم حملات دعائية ضد منافسه الرئيسي ، الولايات المتحدة ، ومن خلال القنوات الحكومية والحزبية ، لكنها لم تكن مصممة أو موجهة بمهارة وكان نجاحها محدوداً الى حد ما . وفي عام ١٩٥٩ أسس الاتحاد السوفيتي داخل الـ KGB (أو لجنة أمن الدولة) وحدة خاصة أُطلق عليها قسم الاجراءات الفعالة والتي كانت متخصصة بالدعاية السوداء والتضليل . ومابين العامين ١٩٦١ و ١٩٦٤ أسست جميع بلدان الكتلة السوفيتية أقساماً مشابهة قامت بتنفيذ حملات دعائية مكثفة ضد الامريكان وفي مختلف أرجاء العالم . وفي نهاية الستينات أصبح وضع ودور قسم الاجراءات الفعالة بقيادة الجنرال إيفان آي اغايا نتس (Ivan I . Agayants) اكثر تطوراً وعرف بالجهاز (A) . وشهدت فترة السبعينات تكثيفاً للعمليات السرية ونوعيات متطورة من حيث التصميم .

وفي الواقع ، ان الزيادة في عدد عملاء الـ KGB الذين ارسلوا الى الولايات المتحدة والتي لم يسبق لها مثيل في نهاية السبعينات ، ادهشت حتى قدماء مكتب التحقيقات الفيدرالي . حيث جندت الـ KGB والبلدان السائرة في فلكها أفراداً في جميع القطاعات الاجتماعية والسياسية من رجال اعمال وباحثين وموظفين من واشنطن وحتى رجال وكالة المخابرات المركزية الامريكية «CIA» .

وشهد المجتمع الامريكي خلال هذا العقد سلسلة من الازمات تركت الكثير

من الناس في تخبط وخوف . وقد اصبح الاحساس بالذنب للتدخل الامريكي في فيتنام والاقتناع المتنامي بانه لايوجد اي سبب او حدث عالمي يستحق التضحية والتدخل العسكري ، اصبح منتشراً وخاصةً ضمن افراد الجيل الجديد . لقد توسعت الهوّة بين الحكومة الامريكية والشعب نتيجة لافتضاح قضية ووترگيت (Watergate) والتحقيقات اللاحقة من قبل وكالة المخابرات المركزية ومكتب التحقيقات الفيدرالي وفتحت قنوات جديدة للدعاية والتضليل السوفيتي . وبمساعدة البلدان الدائرة في الفلك السوفيتي ، فقد تمكنت الـ KGB من تنفيذ مئات العمليات المكرسة لخلق الالتباس وعدم الثقة بين الولايات المتحدة ودول حلف الناتو (NATO) الاخرى من خلال تزوير الوثائق والعملاء ذوي التأثير والتلاعب البارع في وسائل الاعلام .

وبالرغم من ان الهدف الرئيسي للدعاية الرسمية في الخارج هو تحسين صورة الاتحاد السوفيتي ، فان «الاجراءات الفعالة» الموجهة بواسطة الـ KGB إستهدفت ايضاً إضعاف المعنويات وتعرية السلطة في الدول المستهدفة . واذا ما أخذنا رجال التضليل السوفيتي في الحسبان فان أية عملية سرية ، مهما كانت مصممة بدقة ، لاتستطيع تغيير موازين القوى بين الحلفاء الغربيين والكتلة الشيوعية . ولكنهم يعتقدون بان الدعاية والتضليل المكثف ولعدة عقود من الزمن سيكون لهما تأثير متميز . ويبدو بان هذه الستراتيجية قابلة للتحقيق .

سنـــوات التعلـم

ان رغبتي في العمليات السرية الخاصة الموجهة من قبل الاتحاد السوفيتي تعكس اكثر من مجرد الفضول الاكاديمي . وكما ذكرت سابقاً ، فقد أنتميت الى اجهزة المخابرات السوفيتية لاربعة عشر عاماً كمسؤول في دائرة المخابرات التشيكية ، بضمنها سنتين عملت خلالهما نائباً لمسؤول قسم الاجراءات الفعالة . وقد بدأت هذا العمل في براغ عندما طلبت مني سكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الجيكو سلوفاكي الحضور الى المقر العام وقبل

تخرجي من كلية العلاقات الدولية في جامعة تشارلس بوقت قصير . وفي غرفة كبيرة مزينة بصورة لـ (لينين) ومؤثثة كغرفة محكمة ، وجه لي ثلاثة مسؤولين حزبيين اسئلة تخص عائلتي وحياتي الخاصة وولائي للشيوعية . وقد أدهشني القرار . فقد قرر الحزب الشيوعي بأن اكون رجل مباحث في المخابرات السياسية بعد تخرجي . وكان ذلك منتهى الشرف لي خاصة وأنا شاب منتمي حديثاً للشيوعية .

وفي شباط ١٩٥٥ ، وبعد ستة اشهر من دراسة الطرق الفنية في المخابرات ، أصبحت محللاً في شعبة المانيا التابعة لقسم البحوث والتقييم في المديرية الاولى لوزارة الداخلية . وبالاضافة الى عملي الروتيني التحليلي ، غالباً ما كنت أُخطط واكتب التلفيقات القوية المضادة للامريكان والالمان الغربيين . وكانت تلك الفترة بمثابة مرحلة تجريبية واختبار .

ونظراً للتجربة او الخبرة البسيطة لرجال المخابرات التشيكية في العمليات السرية فان معظم جهودنا كانت عبارة عن الاعيب ساذجة بسيطة وذات تأثير محدود . مثلاً في ١٩٥٥ ، وقبل عدة ايام فقط من التجمع الجماهيري الذي نظم من قبل المنظمة الالمانية الغربية المحافظة والشديدة المعاداة للشيوعية «Die Sudetendeutsehe Landsmannschaft» ، بعثنا من نيويورك رسالة معنونة الى زعيمها الدكتور لوغمان فون اوين وموقعة من قبل رجل الدين الكاثوليكي الامريكي فرانسيس كاردينال سبيلمان «Francis Cardirnal Spellman» . وقد إمتدح التلفيق لوغمان لموقفه الثابت والمعادي للشيوعية وهاجم معارضيه من الديمقراطيين الاشتراكيين كونهم قوة مساندة للشيوعية . وكما كان متوقعاً ، فان الدكتور لوغمان لم يتأكد من صحة الرسالة وسلمها للصحافة وأصبحت عناوين رئيسية للاخبار حتى قامت المخابرات التشيكية بتوضيحها على إنها تلفيق . وقد أُتهم الدكتور لوغمان فون اوين بالعمالة الامر الذي عرض مصداقية المنظمة للاذى . وكانت الاجراءات الفعالة الاخرى اكثر تطوراً من رسالة سبيلمان ولكن معظمها لم يتعد التزيين والتبهرج السياسي .

وقد طرأت على أجهزة مخابرات دول الكتلة السوفيتية تغييرات جذرية في

تركيبها من ناحية الحجم والنوعية . حيث إنضمت اليها عناصر إستخبارية جديدة معظمهم من خريجي الجامعات ذوي خلفيات تعليمية في التاريخ والعلوم السياسية والعلاقات الدولية وقد ساعد ذلك وبشكل ملحوظ على تغيير نوعية واتقان عدة عمليات . ويُفضل المتمرسون القدماء عدم اشراك هؤلاء في الاعيب التضليل لانهم يعتبرون هذه العمليات معقدة وتتسم بالمجازفة . لكن الطاقة الاستخبارية للاجيال الجديدة ساعدت كثيراً على تغيير النظرة التقليدية والمعايير البسيطة للعمليات . وتبعاً لذلك ، فان زيادة عدد العناصر لم تستعمل فقط كمصدر لجمع المعلومات لكنها كانت عناصر مؤثرة .

وقد أصبحت رجل مباحث في قسم المانيا في عام ١٩٥٨ وقُدمت كضابط قضية للعديد من الوكلاء ومنهم الفريد فرينزيل (Alfred Frenzel) ، وهو أحد المهاجرين من تشيكو سلوفاكيا ومن الوكلاء الشيوعيين المهمين في المانيا الغربية في ذلك الوقت . وحتى القاء القبض عليه عام ١٩٦٠ ، كان فرينزل أحد اعضاء البرلمان وعضواً في عدة لجان برلمانية ومنها لجنة الدفاع . وقد غادر تشيكو سلوفاكيا عام ١٩٤٦ مع موجات الالمان المبعدين واستقر في بافاريا (Bavaria) . وبعد ارتباطه بالحزب الديمقراطي الاشتراكي (Social Democratic Party) أصبح عضواً في الـ (Landestag) أو (المؤتمر الوطني) في بافاريا عام ١٩٥٠ ، وبعد ثلاث سنوات أُنتخب في البرلمان الاتحادي (Federal Parliament) في بون .

وبعد عدة سنوات من البحث المكثف في ارشيف أمن الدولة ، قامت المخابرات التشيكية/ قسم المقاطعات الالمانية بارسال احد وكلائه الى كلوستر لشفيلد (Kloster Lechfeld) في عام ١٩٥٦ للتباحث مع الفريد فرينزل . وبعد عدة أشهر ، أُجبر فرينزل على توقيع تعهد الوكيل السري للعمل من أجل «السلم والاشتراكية» . ولكن تجنيده لم يكن صعباً لسبب واحد ، هو إن إبنتهُ الزا (Elsa) كانت تعيش في براغ ، وانه كان يخشى من الاساءة الى وجودها هناك اذا مارفض التعاون . والاهم من ذلك هو ان فضح العديد من النقاط السوداء حول حياته في تشيكوسلوفاكيا للعامة سوف يسبب الانهيار المفاجئ لحياته السياسية .

ولأكثر من عشر سنوات كان فرنزيل أحد أعضاء الحزب الشيوعي التشيكي حتى عام ١٩٣٣ . وخلال الحرب العالمية الثانية خدم كجندي في الجيش التشيكي في بريطانيا وعمل لحساب الاستخبارات العسكرية التشيكية ضمن مجموعة اللاجئين الالمان الجنوبيين والذين اعتبروا هتلر مجرم حرب إلا إنهم رفضوا حمل السلاح ضد وطنهم الاصلي . ومنذ تجنيده كوكيل سري وحتى اعتقاله من قبل المدعي العام الالماني الغربي في عام ١٩٦٠ ، قام فرنزيل بتزويد المخابرات التشيكية بالعديد من الوثائق العسكرية المهمة جداً والتي حصل عليها من خلال عضويته في لجنة الدفاع البرلمانية .

وقد ساعدت معرفة فرنزيل الصميمية بالعديد من السياسيين والشخصيات البارزة ، ساعدت المخابرات الشيوعية على تجنيد وكلاء إضافيين وخاصة ضمن المنفيين الالمان الجنوبيين . وغالباً ماكان فرنزيل يستلم توجيهات محددة حول كيفية الرد في المناقشات العامة لبعض القضايا المطروحة والتي توليها موسكو أهمية معينة . وقد حكم على معظم العناصر الشيوعية التي اعتقلت في المانيا الغربية باحكام معتدلة باستثناء فرينزل ، حيث حكمت عليه المحكمة في ٢٨ نيسان ١٩٦١ بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً مع الاشغال الشاقة . وقد اطلق سراحه بعد سبع سنوات وعاد الى تشيكو سلوفاكيا وتوفي قبل عدة أيام من الغزو السوفيتي في آب ١٩٦٨ .

وبينما كانت الصحافة واجهزة الامن الالمانية الغربية مهتمة بالتأثيرات السياسية والعسكرية لخيانة الفريد فرنزيل ، فان المخابرات التشيكية حاولت بصعوبة أن تعوض عن الخسارة . ومن بين المجندين الجدد كان الدكتور كارل وتغ (Carl Wittigg) المعروف باسمه الحركي «Vtip» . ولم يكن وتغ جديداً على التجسس العالمي . فقد عمل على الاقل خمس مرات في وكالات المخابرات واشترك في عمليات تضليل عالمية ذات أهمية تاريخية .

شهادة ضد الدكتور جون

أُرسلتْ من قبل براغ في صيف عام ١٩٦١ الى برلين للعمل كرجل مخابرات تحت غطاء دبلوماسي للاشراف على عدة وكلاء بضمنهم الدكتور وتغ . وكباقي

الوكلاء التشيكيين في المانيا الغربية ، فان وتغ كان صحفياً يشرف على نشرة أخبارية أسبوعية لعدة مئات من القراء الراغبين في مزيج من الاخبار الخفيفة والاشاعات والثرثرة السياسية . وكان رجلاً يقارب الستين من العمر وقد واجه العديد من الاشكالات مع القانون قبل الحرب العالمية الثانية ، لكننا لم نكن متأكدين فيما إذا كانت إنتهاكاته سياسية أو جُرمية .

لقد ادعى الدكتور وتغ ، بالطبع ، بانه كان أحد ضحايا اوربا العديدين الذين إضطهدوا سياسياً من قبل النازية . وكنا نعرف بانه قضى فترة في السجون ومعسكرات الاعتقال النازية وقد وصم بالاجرام لكنه عزا ذلك الى تأثير احد اصدقائه القضاة . والهدف من ذلك كان واضحاً ، ففي عام ١٩٣٩ كان من الافضل أن ننعت الشخص بالمجرم بدلاً من السجين السياسي . وكقاعدة ، فان أجهزة المخابرات الشيوعية كانت ترفض التعامل مع الافراد أو الاشخاص الذين يعرضون خدماتهم كوكلاء سريين بشكل طوعي لانهم عادة مايكونون مثيرين للشكوك . وقد قبل عرض الدكتور وتغ لانه كان ضمن قائمة الوكلاء السريين التشيكيين في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية ولم نتلق أية اشارة على أنه كان يعمل لأجهزة المخابرات الالمانية الغربية .

وبهذا أصبح وتغ مرة ثانية عضو شبكة المخابرات التشيكية في عام ١٩٦٠ لكن علاقتي المهنية معه إنقطعت في عام ١٩٦١ عندما اكتشفنا إنه كان يعمل مع مخابرات المانيا الشرقية . كما ان التبادل الروتيني للتقارير السرية بين مخابرات برلين الشرقية وبراغ في تشرين الاول ١٩٦١ إحتوى على نسخة محرفة لأفادة وتغ التي كان قد اعطاني اياها قبل شهر . وقد كشف التحقيق اللاحق من قبل براغ وبرلين الشرقية بانه عمل ايضاً لوكالة المخابرات المركزية الامريكية ومكافحة الجاسوسية الالمانية الغربية . وبعد التشاور مع موسكو وبراغ ، اعتقل (وتغ) من قبل المانيا الشرقية بعد فترة قصيرة .

وقد لعب الدكتور وتغ دوراً مهماً في عام ١٩٥٦ كعميل مؤثر في المحاكمة الحساسة للدكتور اوتوجون (Otto John) وهو أول مدير لـ (Amt Fur Verfassungschutz) وهو جهاز مشابه لمكتب التحقيقات الفيدرالي . والدليل الذي يؤكد إرتداد الدكتور جون وخيانته قد تم حبكه في برلين الشرقية وقدم في

المحكمة كشهادة من قبل الدكتور وتغ الذي كان يعمل في ذلك الوقت عميلاً سرياً لمخابرات المانيا الشرقية .

وقصة حياة الدكتور جون كانت مرتبطة مباشرة بقضية إنقسام اوربا وما رافقها من مآسي سياسية وبشرية بعد الحرب العالمية الثانية . وكأحد معارضي النازية ، فقد شارك د . جون في التآمر ضد هتلر في عام ١٩٤٤ وعندما فشل هرب الى اسبانيا ثم الى بريطانيا وهناك عُين في إذاعة (Soldantensender Calais) ـ وهو صوت الدعاية البريطانية التي إستهدفت المناورة والتأثير على الستراتيجيين النازيين . وبعد نهاية الحرب ، بقي د . جون مع البريطانيين وخدم في وزارة الحرب لاستجواب القادة النازيين الذين قُبض عليهم واعداد الادلة لمحاكمات نورمبرغ (Nuremberg) .وقد كانت تلك المحاكمات القشة التي قصمت ظهر العديد من الالمان . وعند رجوعه الى بلده وجد جون نفسه بدون أصدقاء .

وقد قاد أعداؤه بزعامة رينهارد غيلين (Reinhard Gehlen) ، الرئيس القوي لمنظمة التجسس الالمانية الجديدة ، قادوا حملة قوية مناهضة لتعيين الدكتور جون في اي منصب ذي أهمية سياسية . لكن الحلفاء كانوا اسياداً لالمانيا المجزأة في ذلك الوقت وإن مؤيديه في بريطانيا أثبتوا على إنهم اكثر تأثيراً من غيلين . وبعد تردد روتيني ، قام المستشار كونارد ادنوار في كانون الاول ١٩٥١ بتعيين الدكتور جون رئيساً لمكافحة التجسس السياسي وهو واحد من المناصب ذات الاهمية والحساسية السياسية في المانيا الغربية . وقد وصل الدكتور جون الى القمة لكنه بقي في الذروة لفترة أقل من ثلاث سنوات . وفي ٢٠ تموز ١٩٥٤ ، وهي الذكرى العاشرة للانقلاب المشؤوم ضد هتلر ، نظمت مجموعة مناهضة للفاشستية في برلين الغربية إحتفالاً تذكارياً لأفراد المقاومة الذين اعدمتهم النازية . ويتذكر شهود عيان بان الدكتور جون الذي كان يبدو منهمكاً وعصبياً قد حضر الاحتفال ، وشوهد وهو يتكلم مع صديقه القديم ، الدكتور وولفغانغ فولغموث وغادرا فيما بعد سوية بسيارة وولفغانغ .

وكانت الشرطة الالمانية تشك في الدكتور فولغموث لادامته الاتصال مع مخابرات المانيا الشرقية ، ولكن رغم تحذيراتها ، فان الدكتور جون إعتبر هذه

المعلومات غير موثوق بها وبعد كل هذا فان مهارة الدكتور فولغموث المهنية في الجراحة قد أنقذت حياة شقيق الدكتور جون في عام ١٩٤٢ . وقد إختفت السيارة التي أقلت الدكتور فولغموث والدكتور جون في برلين الشرقية بعد مرورها في نقطة التفتيش . وقد أثار إختفاء الدكتور جون عدة تكهنات منها الشك بانه قد ارتد الى الشرق . وبعد اربعة ايام تأكد الشك بعد سماع صوت الدكتور جون في برامج دعائية من راديو المانيا الشرقية اذ قال «لقد اعاق وزير الداخلية الفيدرالي عملي ..... وان النازية تظهر في كل مكان في الحياة العامة والسياسية في المانيا الغربية . وفي المناقشات الاخيرة مع اشخاص ذوي تجربة سياسية ، توصلت الى ان سياسات المانيا الغربية قد وصلت الى نهاية ميتة» . وقد أدان الدكتور جون سياسة ادينوار (Adenaur) الموالية للامريكان واعادة تسليح المانيا الغربية والانبعاث الجديد للحركة النازية .

وقد هدأت العاصفة بعد بضعة اشهر عندما منح الدكتور جون حق اللجوء السياسي وبيت مريح في المانيا الشرقية . وكغيره من المنفيين البارزين ، فقد كتب مذكراته واعد برامج دعائية مضادة للغرب . وقد قاد ذلك الى الاعتقاد بان قضية الدكتور اوتو جون قد اغلقت ، لكن ذلك كان هدوءاً مؤقتاً دام سبعة عشر شهراً . وفي زيارته الى جامعة هامبولت (Humbolt) في برلين الشرقية ، ترك جون حُراسهِ خارج الجامعة وتجول بين الابنية ثم دخل من باب جانبي حيث إستقل سيارة الصحفي الدنماركي هندريك بوند هندركسن وخلال دقائق مر من بوابة براندنبيرج (Brandenberg) ووصل الارض الحرة في برلين الغربية . وقد اعتقل خلال فترة وجيزة واتهم بالخيانة .

وطوال ثمانية اشهر من الاستجواب ظل مصمماً على انه خطف وخدّر ثم أخذ الى الاراضي الشيوعية ، لكن المحققين إحتفظوا بشكوكهم وأجبر جون على المثول امام محكمة كارلسروهه الاتحادية (Karlsruhe) . وكان الشاهد الرئيسي ضده هو العميل السري الالماني الشرقي الدكتور كارل وتغ والذي شهد بانه التقى بالدكتور جون بشكل سري خلال مهرجان شلر في المانيا الشرقية . وعلى اساس شهادة وتغ ، إعترف جون بارتداده وانه لم يكن مختطفاً . وقد حاول محامي الدفاع إظهار وتغ كمحتال ذي تاريخ طويل من التجسس المريب .

ولكن المحكمة لم تتأثر وحكمت في كانون الاول ١٩٥٦ على جون بالسجن لمدة أربع سنوات بتهمة التآمر والخيانة وبعد مضي سنة على هروبه الى برلين الغربية .

وقد كتب الدكتور أتو جون في مذكراته التي نشرها عام ١٩٦٩ بعنوان «عدت مرتين» ، يقول : «بعد اطلاق سراحي من السجن عثرت على برهان بان وتغ كان يعمل عميلاً سرياً للشيوعية لعدة سنوات . ولهذا فقد ظهر على منصة الشهادة في محاكمتي وأقسم يميناً كاذبة . وعندما فتحت السلطات تحقيقاً مع وتغ كان الاخير قد إختفى في برلين الشرقية» وكان الدكتور جون محقاً الى حد ما . فقد عمل وتغ كعميل للشيوعية لعدة سنين ، وقد إختفى فعلاً في برلين الشرقية في كانون الاول ١٩٦١ ولكن ليس كجاسوس صادق . فقد قبض عليه كمحتال وعميل مزدوج للغرب* .

وكان الدكتور كارل وتغ ولسنوات عميلاً للرايخ الثالث وعميلاً لتشيكو سلوفاكيا قبل الحرب ، وعميلاً للولايات المتحدة ، وعميلاً لالمانيا الغربية ولتشيكو سلوفاكيا الشيوعية والمانيا الشرقية ، وعاش متطفلاً على العداء بين

---

* بعد عدة اسابيع من القاء القبض على وتغ ، ابلغت امن الدولة في المانيا الشرقية براغ بان وتغ اعترف ليس بتعاونه مع تشيكو سلوفاكيا قبل الحرب العالمية ، والمخابرات النازية فحسب ، بل ايضاً بتورطه الشخصي في قضية تاكاشيفزكي (Tukhachevesky) وهو زعيم سوفيتي مشهور وافضل مخطط عسكري في الجيش الاحمر . حيث سقط تاكاشيفزكي ضحية للتآمر النازي وجنون الاضطهاد الستاليني . وقد وصف تاكاشيفزكي بالعميل الامبريالي وأعدم في حزيران ١٩٣٧ . وطبقاً لتقرير المانيا الشرقية فان خطة تحجيم تاكاشيفزكي ومستشاريه المقربين كانت قد وضعت من قبل المخابرات النازية والتي حاكت العديد من التلفيقات التي تحمل اسمه ، والتي تثبت خيانته . حيث كان من المفروض أن يستخدم وتغ كاحد المراسلين . وحالما وصلت المعلومات المضللة بشأن خيانة كبار ضباط الجيش الاحمر الى براغ ، قام الرئيس بينز (Benes) بتحويلها الى ستالين بدون الشك فيها على انها مؤامرة نازية . ان إعتراف وتغ بدوره في قضية تاكاشيفزكي خلال إستجوابه في احد سجون المانيا الشرقية لايمكن الاعتماد عليه كدليل وبالطبع كان الاستجواب اقل من أن يتسم باللطف . والمسكين وتغ المحجوز في السجن قد يكون قد أجبر على توقيع اي شيء تحت الاكراه . ومع ذلك ، فان رد فعل المستشارين السوفيت في براغ ومقر الـ KGB في موسكو كان مدهشاً . فلم يظهروا مطلقاً اية رغبة في توضيح هذا المسلسل المأساوي في تاريخ السوفيت الحديث .

الشرق والغرب ، حيث كان يغير ولائه بين فترة واخرى من أجل الاستفادة من المكافآت المادية المؤقتة . وفي عام ١٩٦٢ ، حكم عليه بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً في برلين الشرقية . وقد اطلق سراحه وارسل الى وطنه عندما عرضت بون على المانيا الشرقية مبلغ ٨٠,٠٠٠ مارك الماني مقابل الافراج عنه .

تمنيات الجنرال اغايانتس

في شباط ١٩٦٤ ، عُيّنت من قبل الكولونيل جوزيف هوسكا (Josef Houska) ، مدير جهاز المخابرات التشيكي ، معاوناً لرئيس قسم الاجراءات الفعالة الجديد ، وقد أسس وفق النموذج السوفيتي وعهد اليه بوضع عمليات التضليل والدعاية السوداء ضد الولايات المتحدة وحلفائها والاشراف عليها . وقد أصبح القسم وبسرعة مفضلاً لدى المستشارين السوفيت . وقد نجح التشيكيون الاخصائيون في التضليل في بث عدم الثقة بالساسة الالمان الغربيين والممثلين الامريكان وخداع الزعماء غير المحنكين في الدول النامية . وقد أصبحت العمليات السرية اكثر رسوخاً واحسن تنسيقاً وأكثر تنوعاً .

لقد تم في ربيع عام ١٩٦٤ وضع عملية تحمل الاسم السري نبتون (Neptune) نفذت بالتعاون مع الـ KGB وأصبحت عملية إختبار لتصور ومهارات عمليات القسم الجديد . ففي احدى ليالي الاسبوع الاخير من مايس ١٩٦٤ غطست في البحيرة السوداء في بوهيميا (Bohemia) ووضعت في قعرها أربع حقائب كبيرة مغلفة بالاسفلت . وقد اكتشفت الحقائب بعد عدة اسابيع من قبل فريق التلفزيون التشيكي الذي كان يصور فلماً وثائقياً عن اسطورة تتعلق بالبحيرة . وقد عرض الاكتشاف على الجمهور كمجموعة مهمة من ارشيف النازية . وكانت هذه العملية مؤشراً لبداية تضليل مكثف ضد المانيا الغربية وتم تقييمها في موسكو كواحدة من اكثر العمليات نجاحاً في تلك الفترة .

وقد عرضت الوثائق النازية الاصلية الموجودة في الارشيف السوفيتي والتشيكي للصحافة كوثائق عثر عليها في البحيرة السوداء . وقد استغلت في ايطاليا وفرنسا والنمسا والمانيا الغربية لتشويه سمعة بعض الاشخاص

وتشويه الانطباع العام عن المانيا الغربية . وعلى الرغم من إن العملية لم تقنع الرأي العام في اوربا الغربية بان نظام الحكم الحالي في المانيا الغربية كان عملياً وايديولوجياً ثمرة من ثمار المانيا النازية ، فانها ساهمت في إتخاذ حكومة المانيا الغربية لقرار يتم بموجبه تمديد قانون قيود محكمة مجرمي الحرب .

وتحت الاشراف المباشر للسوفيت ، فقد وضع قسم التضليل التشيكي خلال السنوات اللاحقة مئات الألاعيب ضد الولايات المتحدة وقد حسّن من عمليات التجسس القديمة وطوّر عمليات اخرى جديدة . وعندما زار رئيس قسم التضليل السوفيتي اغايانتس براغ في عام ١٩٦٥ هنأ رجال المخابرات التشيك على نجاحاتهم واكد على الحاجة لتقوية التعاون ضمن مخابرات حلف وارشو . وقد احرزت معظم الانتصارات في الدول النامية التي تتسم بمشاكل البطالة العالمية ومشاكل اقتصادية وقبلية ولغوية واجتماعية معقدة ، والروح القومية العدوانية وتأثير القادة العسكريين على الاحداث السياسية والسذاجة الواضحة للقادة السياسيين . وكانت امريكا اللاتينية المعروفة بشعورها المعادي لامريكا ، كانت ، وبشكل خاص ، خصبة ومستجيبة لتحريض اوربا الشرقية . وقد إتخذت المكسيك وارغواي كقواعد عمليات لباقي دول القارة ، وركزت المخابرات التشيكية اهتمامها الرئيسي على البرازيل والارجنتين وشيلي بالاضافة الى المكسيك وارغواي .

وفي شباط ١٩٦٥ ، ارسلني الجهاز الى عدة دول في امريكا اللاتينية ومن ضمنها البرازيل والارجنتين لعمل تقييم شخصي للاجواء السياسية هناك والبحث عن افكار لعمليات جديدة . وكان للمخابرات التشيكية في ذلك الوقت عدد من الصحفيين في امريكا اللاتينية . وقد أثرت على العديد من الصحف ايديولوجياً ومادياً في المكسيك وارغواي ، حتى انني امتلكت احدى الصحف السياسية البرازيلية حتى نيسان ١٩٦٤ . لكن التضليل كان مرتبطاً تقليدياً باجراءات كبيرة من تكنلوجيا التحريف .

وكانت عملية توماس مان (Thomas Mann) تقترب من نهايتها عند وصولي الى البرازيل . وكان هدف العملية هو إثبات ان السياسة الامريكية الخارجية في امريكا اللاتينية طرأت عليها تحولات واعادة تقييم اساسي منذ وفاة الرئيس

جون ف . كندي (John F . Kennedy) . وقد اردنا كشف سياسة الولايات المتحدة في الاستغلال الاقتصادي والتدخل في الامور الداخلية لدول امريكا اللاتينية . وطبقاً للنظرية الملفقة ، فقد أردنا أن يكون مساعد وزير الخارجية توماس مان (Thomas Mann) هو المنسق والمخطط للسياسة الجديدة . وقد اردنا خلق إنطباع بان الولايات المتحدة كانت تمارس ضغوطاً إقتصادية غير عادلة على الامريكان الجنوبيين ذوي السياسات التي كانت غير موافقة على الاستثمارات الامريكية الخاصة . وكذلك اردنا ان يسود الانطباع بان الولايات المتحدة كانت تدفع منظمة الولايات الامريكية (OAS) لاتخاذ مواقف اكثر فعالية ضد الشيوعية في حين ان وكالة المخابرات المركزية الامريكية كانت تخطط لانقلابات ضد أنظمة الحكم في تشيلي وارغواي والبرازيل والمكسيك وكوبا . وقد صممت العملية لتحذير عامة الامريكان الجنوبيين ضد السياسة الامريكية الجديدة المتصلبة وخلق إضطرابات مضادة للامريكان ووصف وكالة المخابرات المركزية الامريكية بانها معروفة ومشهورة بارتكاب الجرائم والتآمر ضد الديمقراطية .

إعتمدت العملية على قنوات مجهولة لاشاعة الاكاذيب . وكان التلفيق الاول عبارة عن مطبوعات مزورة باسم وكالة المعلومات الامريكية نشرت في ريودي جانيرو واحتوت على المبادئ الاساسية «للسياسة الامريكية الجديدة» وكان التلفيق الثاني عبارة عن سلسلة من الدوريات باسم منظمة مزورة تعرف باسم «لجنة الكفاح ضد الامبريالية اليانكية» . وكان الهدف المعلن لهذه المنظمة عديمة الوجود هو تحذير العامة في امريكا اللاتينية من مئات العملاء من وكالة المخابرات المركزية ووزارة الدفاع ومكتب التحقيقات الفيدرالي المتسترين بغطاء دبلوماسي . وكان التلفيق الثالث عبارة عن رسالة كتبت تحت إسم جي ادغار هوفر (J . Edgar Hoover) ، مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي ومرسلة الى توماس أي بريدي (Thomas A . Brady) ، أحد رجال المكتب . وقد عزت الرسالة الى مكتب التحقيقات الفيدرالي ووكالة المخابرات المركزية نجاحهما في قمع الانقلاب البرازيلي في مايس ١٩٦٤ .

وقد إستنسخ البيان الصحفي الصادر عن وكالة المعلومات الأمريكية

(USIA) في ريودي جانيرو ووزع في منتصف شباط ١٩٦٤ في ظروف بريدية مزورة تحمل إسم (USIA) الى الصحافة البرازيلية وبعض السياسيين البرازيليين المنتخبين . وقد أرفقت مع المطبوع رسالة مكتوبة من قبل أحد العاملين في الـ (USIA) أكدت بان رئيس البعثة الامريكية حاول التغطية على الوثيقة لانها كانت صريحة جداً . وأوضح بانه نجح في الاحتفاظ بعدة نسخ واعطاها للصحافة البرازيلية لانه كان مقتنعاً باطلاع العامة على الحقيقة . وفي النهاية أوضح الكاتب المجهول بانه لايستطيع الافصاح عن إسمه خوفاً من فقدانه لعمله .

وقد ظهر تلفيق في ٢٧ شباط ١٩٦٤ في صحيفة (سيماناريو) البرازيلية تحت عنوان بارز «مان يثبت تشدد الولايات المتحدة : اننا لسنا بائعين متجولين لكي يتم التساوم معنا على هذا الاساس» ، وقد تضمن المنشور هجوماً واسعاً على الولايات المتحدة مع النص المزور ، وبعد عدة ايام وفي ٢ آذار ١٩٦٤ ، القى عضو حزب العمال البرازيلي غاريرو راموس (Guerrerio Ramos) كلمة علق فيها على السياسة الجديدة لتوماس مان وخلص الى القول بان الولايات المتحدة قد عادت وبوضوح الى سياسة جون فوستر دلاس (John Foster Dulles) المتشددة بعد وفاة كندي (وقد إعترف بخطأه فيما بعد وأوضح بان كلمته بخصوص مان (Mann) كانت مبنية على اساس وثائق مزورة) . وفي ٣ آذار ١٩٦٤ ، أعلم السفير الامريكي في ريودي جانيرو المسؤولين البرازيليين بان مان لم يقترح مثل هذه السياسات ولم تصدر السفارة مثل هذا البيان الصحفي .

وفي الاشهر اللاحقة ، استخدمت صحافة امريكا اللاتينية اليسارية إسم توماس مان كرمز حي للامبريالية الامريكية . فقد نشرت الصحيفة المكسيكية الموالية للشيوعية سايمبرو (Siempre) الاسبوعية في ٢٩ نيسان ١٩٦٤ مقالاً اشارت فيه الى مايدعى بخطة توماس مان ضد امريكا اللاتينية وقالت بان الخطة استهدفت قلب حكومات شيلي والبرازيل وارغواي وكوبا وعزل المكسيك في عام ١٩٦٤ . وقد كررت مجلة ايبوكا (Epoca) الصادرة في إورغواي الاتهام في العشرين من مايس . وبعد اسبوعين القى السكرتير الأول للحزب الشيوعي

في اورغواي كلمة في البرلمان في سياق مناقشته للصادرات الأميركية وإتهم توماس مان بانه «مولع بالانقلابات» . وعندما نشرت السفارة الامريكية في مونتفيديو (Montevideo) مذكرة أوضحت فيها بان مايدعى بخطة توماس مان كانت مجرد تلفيق ، ردت الصحيفة الناطقة باسم الحزب الشيوعي (El Popular) في ٥ حزيران ١٩٦٤ ، بمقالة بليغة بعنوان «سيد مان : خطة عصابات لجميع دول امريكا اللاتينية» . وحتى بعد السادس عشر من حزيران ١٩٦٥ ، فان صحيفة الدايا (EL Dia) المكسيكية اليسارية نشرت بياناً بربع صفحة باسم «لجنة التنسيق الوطني لمساندة الثورة الكوبية» . وقد اكدت المقالة بانه في عام ١٩٦٤ قام مان بقيادة عملية سُميت بـ «Operation Isolation» كرست لاضعاف موقع كوبا في قيادة الكفاح ضد الامبريالية في امريكا اللاتينية .

وكما ذكر سابقاً ، فقد استعملت طريقة فنية ثانية في دعاية التضليل كانت تتألف من مجموعة دوريات واعلانات وزعت باسم منظمة مزعومة تعرف بالكفاح ضد الامبريالية اليانكية وتطلق أغلب هذه الوثائق على الممثلين الامريكان في امريكا اللاتينية صفة الجواسيس ، ويشمل ذلك الدبلوماسيين ورجال الاعمال والصحفيين . وكان إنتخاب المرشحين بسيطاً نسبياً حيث ان اكثر المنشورات الامريكية كانت تحتوي عادة على معلومات قيمة عن سيرة حياة الدبلوماسيين الامريكان العاملين في مختلف المنظمات الرسمية والخاصة خارج امريكا . وكان من السهل إنتخاب مرشحين ذوي سيرة ذاتية مترابطة أو متوافقة مع هدف التضليل . وكانت الاتهامات مقبولة في معظم الحالات كمعلومات موثوق بها .

وفي تموز عام ١٩٦٤ ، إطلع العامة في امريكا اللاتينية على إثبات آخر على النشاطات التخريبية للامريكان وذلك على شكل رسالتين مزورتين وموقعتين من قبل جي ادغار هوفر . وكلتا الرسالتين كانتا معنونتين الى توماس بريدي (Thomas Brady) وهو أحد موظفي الـ (FBI) . وكانت الاولى مؤرخة في كانون الثاني ١٩٦١ وهي رسالة تهنئة بمناسبة مرور عشرين سنة على عمل بريدي (Brady) مع مكتب التحقيقات الفيدرالي . وكان هدفها هو توثيق رسالة

ثانية مؤرخة في ١٥ نيسان ١٩٦٤ معنونة الى نفس الشخص وقد جاء فيها :

شخصي

واشنطن ، دي . سي
١٥ نيسان ١٩٦٤

عزيزي السيد بريدي :

أود ان أغتنم هذه الفرصة لأعبر عن امتناني الشخصي لكل عميل يعمل في البرازيل لخدماتهم في تنفيذ عملية الـ «Overhaul» .

إن إعجابي بالطريقة الديناميكية والكفوءة التي أنجزت بها هذه العملية في أرض اجنبية وفي ظل ظروف صعبة ، شجعني لان أعبر عن امتناني . فقد قام منتسبو الـ (CIA) بواجبهم وانجزوا شيئاً عظيماً . وفي كل الاحوال فان جهود عناصرنا كانت قيمة وبشكل عظيم . وانا سعيد بصورة خاصة بمشاركتنا في المهمة وبشكل سري ولهذا لم يكن على الادارة ان تنفي اي شيء . وانا أعلم تماماً بان عناصرنا يقدمون تضحيات شخصية لانجاز واجباتهم . فقد لاتكون الظروف المعيشية في البرازيل هي الاحسن لكن من المشجع ان تعلموا في الحقيقة إنكم تساهمون بجزء حيوي إن لم تكن خدمة مشرفة لوطنكم من خلال التصاقكم بعملكم . إن هذه الروح هي التي تمكن مكتبنا من القيام بمسؤولياته بنجاح .

المخلص لكم
جي . أي . هوفر
J . E . Hoover

وكما هو موضح في النص ، فان القصد من التلفيق كان لاثبات التدخل الامريكي المباشر في الاطاحة بحكومة خواغولارت (Joao Goulart) البرازيلية . وكانت المخابرات التشيكية تفضل وضع كل اللوم على وكالة المخابرات المركزية ولكن سبب اقحام مكتب التحقيقات الفيدرالي في التآمر الامريكي كان عادياً . فلم يكن لدى المخابرات التشيكية أي نموذج من قرطاسية الـ CIA في ذلك الوقت . وقد ظهر التلفيق واحدى الدوريات التي ذكرت سابقاً لاول مرة في المجلة الارجنتينية بروبوساتيز (Propsites) في ٢٣ تموز ثم تلتها سلسلة من ردود الفعل في صحافة امريكا اللاتينية واخذت المجلات الفردية الاخرى دورها في نشر «موجة النشاطات الامريكية الهدامة» .

الربيـــع السياســـي

إن مهمتي كخبير في الاعمال السرية في قسم الاجراءات الفعالة التشيكي إنتهت في كانون الاول ١٩٦٦ عندما وصلت الى فينا (النمسا) تحت غطاء دبلوماسي كملحق صحفي لدى البعثة التشيكية . وكان الاشراف على نشاطات العملاء البارزين جزءاً من واجبي . وكانت مسؤوليتي الرئيسية هي التعرف على المرشحين الجدد للتجسس ضمن الساسة النمساويين البارزين والصحفيين والممثلين الاجانب المتواجدين هناك . وبعد سنة ، تحرك الحزب الشيوعي التشيكي بقيادة الكسندر دوبتشك (Alexander Dubcˇek) نحو ماكان يسمى بـ «الوجه الانساني للاشتراكية» وهي سلسلة الاجراءات التي كان يتوقع منها إعادة أحياء الاشتراكية في تشيكو سلوفاكيا واعطائها صورة ديمقراطية ، لكن ربيع براغ السياسي عام ١٩٦٨ لم يكن ضد الاشتراكية او الشيوعية . وقد إشترك عدة اعضاء من الحزب في العملية التي اعتبرت آخر فرصة للشيوعية في تشيكو سلوفاكيا ، وكان دافعهم الأول هو إنقاذ الشيوعية واعطاؤها حياة جديدة واعادة ثقة الناس بالحزب . وقد اعتقدوا إن إحياء الشيوعية كان ممكناً اذا ماقبل الحزب الشيوعي اخطاءه بانفتاح ومعاقبة كل شخص مسؤول عن جرائم النظام القديم ووضع نوع جديد من الادارة السياسية والاقتصادية تعتمد على المبادئ الديمقراطية .

وفي نهاية شباط ١٩٦٨ ، ارسلت الى براغ مذكرة تبين الاهداف والابعاد لجهاز مخابرات تشيكي جديد يخضع لسيطرة صارمة من قبل البرلمان والحكومة . وكانت الفكرة التي قادت لهذه المذكرة بسيطة مثلما كانت ملهبة للمشاعر . حيث ان معظم مكاتب الامن التشيكية إعتبرت عمليات التحول الديمقراطي خطراً مميتاً . فقد اطلق وزير الدفاع ، الجنرال فلاديمير جانكو (Vladimir Janko) الرصاص على نفسه في سيارته الحكومية في ١٤ آذار ، واختفى جوزيف برزتانسكي (Josef Brestansky) ، نائب رئيس المحكمة العليا تحت ظروف غامضة ووجد بعدها مشنوقاً في الغابات القريبة من براغ في الثاني من نيسان وإنتحر اللفتننت كولونيل جيري بوسپيكي (Jiri Pocepiky) رئيس قسم الامن العام في براغ في الخامس والعشرين من نيسان .

وحتى جهاز المخابرات كان قد أصيب بالخوف . فقد شهدت مقرات مكاتب الجهاز المليئة بالدخان نقاشاً اكثر من العمل . والكثير من عناصر مكافحة التجسس كانوا قد بدأوا عملهم كمنظمين للتحريضات المرتبة ضد مايدعى بالاعداء المحليين . والآن أصبح الماضي بمثابة تهديد لايرحم ، وتوقعات المستقبل الديمقراطي أوصلت رجال المخابرات الى نفس الاستنتاج : وهو أن أفضل ماكانوا يتوقعونه هو فقدانهم للعمل والمرتبات العالية ومستوى المعيشة الذي إعتادوا عليه .

ولطالما فكرت بحالتي الشخصية خلال هذه الفترة . هل كنت أحسن حالاً من معظم الستالينيين لمجرد إنني قدمت مقترحاً شجاعاً لتعريف نفسي أو إظهارها كعنصر ليبرالي بينما كان الآخرون في الانتظار ؟ وقد كنت أعترف بأنني كنت محظوظاً في فترة اوائل الخمسينات ـ وهي اسوأ سنوات تشيكو سلوفاكيا بعد الحرب ـ لأنني كنت وقتها طالباً جامعياً بدلاً من تعقب وقتل مايدعى بالعناصر المضادة للثورة . ولو كنت اكبر عمراً ببضع سنوات لأصبحت قاتلاً كبعض زملائي بسبب إتباعي الاعمى لاوامر اصدقائي ورفاقي الاعزاء !

لكن النموذج الاشتراكي الجديد حكم عليه بالموت قبل ان يسمح له بالنمو والنضوج . فالشقيق السوفيتي الاكبر لم يوافق على المفاهيم الديمقراطية وبادر بسلسلة من التحركات لسحق التجربة . وكانت آخر سخرية لتجربتي في العمل السري هي ملاحظة عملاء الـ KGB في براغ وهم يطبقون الطرق الفنية والدعاية السوداء والابتزاز السياسي ضد تشيكوسلوفاكيا . وفي مايس وحزيران ١٩٦٨ ظهرت من حين لآخر منشورات مجهولة ورسائل تهديد على ابواب البيوت واعمدة واكشاك الهاتف وهي تحمل العبارات التالية وماشابهها من عبارات مفعمة بالمناشدة الدقيقة :

«نحن العمال الشيوعيون ، نهيب بكم اداء مسؤولياتكم المدنية لدولة الاشتراكية ! نحن نحذركم من مجموعة المنشقين التي تغلغلت في الحزب وادوات الدولة والتي اضعفت معنويات الشعب بمساعدة الصحافة والراديو والتلفزيون

والمقالات . وتقف هذه المجموعة فكرياً ضد قيادة العمال وتبحث عن وضع نهاية لقيادة العمال ، وانهاء الحزب برمته وتوجيه ضربة مميتة لانجازات التشيك والسلوفاك الاشتراكية . ضعوا نهاية للنقاش بلا قيود واسحقوا العابثين والمحترفين ! »

ولم يكن هناك توقيع ، بل فقط التماس يقول «لاتضيعوا الوقت قبل فوات الاوان !» وقد استلم الصحفيون والكتاب الليبراليون الذين اعتبرتهم موسكو العقل المؤتمن لحركة الديمقراطية إستلموا عدة رسائل تهديد مجهولة . ومن ضمن هؤلاء ، إدوارد غولد ستوكر (Eduard Goldstucker) ، اول مبعوث تشيكي لدى اسرائيل وأحد ضحايا الحركة الهستيرية المضادة لليهود في الخمسينات ورئيس اتحاد الكتاب التشيك في عام ١٩٦٨ . وقد عمد السوفيت والمتعاونون معهم في وزارة الداخلية الى ارهاب وتخويف الليبراليين وخلق الانطباع بانتشار المعارضة ضمن «الكادر الحزبي السليم» .

وعندما إحتاجت موسكو الى دليل على التآمر الامبريالي وخطر الثورة المضادة في تشيكو سلوفاكيا ، فان الـ KGB هي التي اعدت هذا الدليل . ففي الثاني عشر من تموز ١٩٦٨ ، على سبيل المثال ، وقبل يومين من إجتماع دول حلف وارشو ، أبلغ موظفو قسم الامن التشيكي في سوكولوفسكو (Sokolovsko) وبشكل مجهول عن وجود مخبأ للسلاح تم اخفاؤه تحت جسر فوق قناة بين مدينتي مايتنا وآرندلوف . وقد عثر مسؤولو الامن ، في الواقع ، على مخزن للسلاح في المكان المحدد يشتمل على ٢٠ بندقية نوع طومسون و ٣٥ خزان بندقية يحتوي الواحد منها على ٢١ خرطوشة و ٧٥٦ اطلاقة بندقية رشاشة في صناديق حديدية و ٣٠ مسدس نوع (وولتر) . وقد وضعت هذه الترسانة الصغيرة في خمس حقائب ظهر كتبت عليها باللغة الانكليزية عبارة : «NORD WEST - ORAIL - PACK» ، وسنة ١٩٦٨ وهي سنة الانتاج كانت مختومة بالابيض . وقد ترك المنفذون السوفيت علامات واضحة للاشارة بان الشحنة قد ارسلت من الغرب .

وكانت الصحافة البلغارية أول من هاجمت في تقاريرها وقالت بان القوى الرجعية في تشيكو سلوفاكيا تكشف من نشاطاتها المضادة للثورة . فالاسلحة

المخفية قد اكتشفت باستمرار وبلا تحفظ في انحاء تشيكو سلوفاكيا وبدأت موجات من السياح تتوافد على البلاد أشبه بما حصل في تشيكو سلوفاكيا في عشية إتفاقية ميونخ والتي سبقت الاحتلال النازي للبلاد . وقد هاجمت صحيفة رابوتينجيسكو ديلو (Rabotnichesko Delo) اليومية البلغارية الحكومة التشيكية والمسؤولين الحزبيين لمواقفهم غير الفعالة ضد المنشقين . وفي ٢٢ تموز ١٩٦٨ نشرت صحيفة الحزب الشيوعي التشيكي رود براڤو (Rude Pravo) تصريحاً لوزير الداخلية الليبرالي الجديد حيث أوضح الوزير بان اسلحة قد تم العثور عليها في سوكولوفسكو ، ولكن الاجماع العام يؤكد بان «الاسلحة كانت نوعاً من التحريض للمبالغة في الوضع التشيكي» . وقد نوقش الدليل الكاذب الممثل بالاسلحة فيما بعد في عدة مقالات وتعليقات وكلمات في خمس دول من حلف وارشو والتي شاركت في الغزو .

ولم يكن الامبرياليون الامريكان والعسكريون في المانيا الغربية أكباش الفداء الوحيدون المتهمون بادارة وتنفيذ ماحصل وراء الكواليس . فقد كان لليهودية العالمية نفس الدور . ولتوضيح ارتباط اليهود التشيك واعداء الاشتراكية بالخارج ، فقد اعدت رسالة ملفقة باسم سايمون فيزنثال (Simon Wiesenthal) ، رئيس مركز التوثيق اليهودي في فينا ، بلغة المانية ركيكة وارسلت الى عدة مئات من الافراد في تشيكو سلوفاكيا . وتحوي الوثيقة المؤرخة في ٢١ مايس ١٩٦٨ على حث فيزنثال لليهود التشيك بدعم عمليات التحول الديمقراطي طالما انها سوف تؤدي الى تحسين العلاقة مع اسرائيل وجمهورية المانيا الاتحادية وكذلك الطلب من اليهود جمع المعلومات عن معاداة السامية في الدول الشيوعية ومنها تشيكو سلوفاكيا . وعندما اعلم فيزنثال بهذا صرح بان الوثيقة ملفقة والدليل على ذلك كان بسيطاً ، حيث ان فيزنثال لم يستعمل عنوان الرسالة الموجود على الوثيقة الملفقة منذ سنوات . ولهذا فان منفذي العملية لم يحسنوا القيام بواجبهم البيتي بالشكل الصحيح .

وبعد معرفتي بالغزو العسكري السوفيتي لتشيكو سلوفاكيا في الساعات الاولى من صباح ٢١ آب ١٩٦٨ ، إتخذت قراراً بالهروب . وبعد عدة أيام ، قطعت الحدود النمساوية ـ الالمانية الغربية ، وطلبت من السلطات الامريكية

حق اللجوء السياسي وبعد شهرين وصلت الى الولايات المتحدة . وحتى عام ١٩٦٨ كان جهاز المخابرات التشيكي الاحسن والاكثر إبداعاً في دول كتلة الاتحاد السوفيتي . وكان رجاله يعتمد عليهم بشكل اكبر من رجال المخابرات في الـ KGB . وبعد الاحتلال ، فان سلسلة من اعمال الهروب التي لانهاية لها قد عكست تدهور معنويات الجهاز والذي كان في يوم ما عموداً للامبراطورية السوفيتية .

الفصل الثاني
عملاق الجاسوسية

التقيت خلال وجودي لاربعة عشر عاماً في جهاز المخابرات التشيكي بالعديد من رجال المخابرات السوفيت ، والجميع كانوا رجالاً ذوي نقاط قوة وضعف بشرية . وبعضهم كان جاهلاً وذا نظرة شوفينية عمياء من الناحية السياسية ، وبالنسبة لهم كان كل شيء يتم في روسيا هو الاحسن والاعظم قيمةً . وكان للبعض افكار مبهمة حول تعقيدات ومشاكل العمل الاسخباري وانهم حاولوا إخفاء جهلهم وراء ابتسامات المسؤولية والمواقع . وكان الآخرون محترفين ماهرين يتمتعون بطبيعة المغامرة والفوائد المادية وكانوا يبدون القليل من الاهتمام لستالين وبريجينيف او العقيدة الماركسية ـ اللينينية .

كان رجال المخابرات الذين إنضموا الى الجهاز مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية في اغلب الاحيان دوغمائيين وغير مهتمين بالثقافات الاجنبية ، لكن الجيل الجديد لضباط الـ KGB عادةً مايكون مهذباً ومتطوراً ويتقن العديد من اللغات الاجنبية . وقد تم اختيارهم لولائهم ومظهرهم وارتباط عوائلهم

بمسؤولي الحزب والاجهزة الرسمية . واغلب الجيل الجديد لمرشحي الـ KGB هم من خريجي الجامعات والمعاهد السوفيتية وخاصة معهد الدراسات الدولية المرموق في موسكو . وبالاضافة الى الدروس التي تهتم بالعقيدة الماركسية ـ اللينينية ، فانهم يدرسون التاريخ الاجنبي والحضارة واللغات والطرق الفنية في الدبلوماسية الرسمية . وبعد التحاقهم بجهاز الـ KGB ، فانهم يدخلون دورات دراسية مكثفة في الطرق والتقنيات المتبعة في أجهزة المخابرات . وعندما يُنهي ضابط الـ KGB تدريبه في السياسة الاجنبية والطرق الفنية السرية ويبدأ العمل في ساحة أجنبية ، فانه يعكس ثقة اكثر بالنفس وشخصية أقوى من الدبلوماسيين الآخرين الذين ليس لديهم ارتباط بجهاز الـ KGB . ان الدبلوماسيين الروس المحليين والمثيرين للضجر ليسوا عادةً اعضاء في الـ KGB . فضباط الـ KGB يرتدون ملابس أنيقة ويسلون أنفسهم بحرية اكثر ويظهرون او يتصرفون بانفرادية حتى عندما يناقشون مواضيع حساسة في السياسة الاجنبية والسياسة السوفيتية .

وينتمي الكسندر بوغومولوف (Alexander Bogomolov) الى الجيل الجديد . فقد إلتقيته عام ١٩٦١ في رحلة صيد نظمتها للدبلوماسيين وزارة الشؤون الخارجية الالمانية الشرقية . وقد إنتهت صداقتي معه بعد سنتين عندما قام جهاز المخابرات التشيكي بنقلي الى براغ . ومع ذلك ، فان الملحق الصحفي الصغير الجسم والنحيف في السفارة السوفيتية في برلين كان استثناء ضمن جماعته . حيث إنه كان يتكلم الالمانية بطلاقة ولايختلف عن الالمان الاصليين ويستعمل اكثر اللهجات الدارجة صعوبة وبدون أي أثر للكنة الاجنبية .

وكان والد بوغومولوف دبلوماسياً سوفيتياً في المانيا قبل الحرب العالمية الثانية وكان قد ارسل إبنه الى المدارس الالمانية بدلاً من الروسية . وقد اعتبر هذا العمل الفريد خرقاً رئيساً لسياسة المسؤولين السوفيت المتشددين من الناحيتين السياسية والامنية . وكغيره من الذين إتهموا بالخيانة في اواخر الثلاثينيات ، فقد القي القبض عليه واعدم كأحد ضحايا جنون الشك الستاليني بالخيانة . وكان متسلحاً بثقافة متميزة في العلاقات الدولية والتاريخ

العالمي وعلى اطلاع باخر التطورات العالمية . وكان الكسندر بوغومولوف اكثر واقعية في آرائه السياسية وسلوكه من جماعته لكنه كان يشبههم عندما يعبر بصراحة عن شعوره ازاء الالمان . وقد تركت تجربته في الجيش الاحمر خلال الحرب العالمية الثانية ندب قبيحة على بطنه وحقداً طبيعياً أعمى على الالمان .

وقد أمضينا معاً عدة إمسيات وعطل إسبوعية إستمتعنا خلالها بالموسيقى والاحاديث السياسية وصيد الاسماك والغطس لكننا لم نناقش موضوع الجاسوسية . فمخالفة القاعدة الاساسية للسرية المهنية بدت غير مهنية بالنسبة لكل منا . لكني لاحظت أداءه في عدة لقاءات دبلوماسية وحفلات خاصة حضرناها سويةً من اجل البحث عن ضحايا جدد . وكمتحدث لبق كان بوغومولوف يختلط بسهولة مع الساسة الغربيين والصحفيين او الفنانين وكان يلفت انتباههم بسبب ملاحظاته البارعة والذكية لابسبب موقفه الرسمي كممثل للسوفيت . وقد أصبح واضحاً تواجد رجال مخابرات من طراز بوغومولوف في السفارات السوفيتية في الستينيات وانهم استمروا باشغال مناصب الـ KGB فيما بعد . وبالمقارنة مع نظائرهم الامريكان ، فان ضباط الـ KGB كانوا أحسن تدريباً في التقاليد والعادات الثقافية للدول المضيفة وكانوا يديمون مدى واسعاً من الاتصال بسبب مهارتهم اللغوية .

وفي مقالة حول التجسس السوفيتي في منطقة سان فرانسيسكو ، اشارت صحيفة سان فرانسيسكو كرونكل (San Fracisco Chronicle) في أيار ١٩٧٨ بان موظفي القنصلية السوفيتية هم جزء من جيل جديد من الجواسيس المدربين بدقة ومن الشباب الجذابين ، فهم ينقلون الطرائف عن وطنهم بشيء من السخرية والانتقاص وبلغة انكليزية طليقة ويبدأون اتصالاتهم بصداقة ثابتة تبدو غير مؤذية ولطيفة . لقد حدد مكتب التحقيقات الفيدرالي (FBI) وبصورة لاتقبل الشك بان ١٤ شخصاً من مجموع ٤٢ شخص من موظفي القنصلية هم من رجال الـ KGB ، من بينهم نائب القنصل فاسلي خلوبيانوف (Vasili Khlopyanov) ونائب الملحق التجاري فلادمير الكسندروف (Vladimir Alexandrov) .

ويعتبر ديمتري أي ياكوشكين (Dimitri I . Yakushkin) مسؤول محطة

الـ KGB في واشنطن من أذار ١٩٧٥ الى كانون الثاني ١٩٨٢ واحداً من الامثلة على الجيل الجديد لرجال المخابرات السوفيت . وقد أكسبته خدمته السابقة لست سنوات كمسؤول للـ KGB في الامم المتحدة في نيويورك وخدمته قبل ذلك لأثني عشرة سنة ، اكسبته اوليات ومعلومات عن خصومه الامريكان . ولشهادته العلمية في علم الاقتصاد ورتبته كلواء فان ياكوشكين يمتلك طلاقة باللغة وهو واحد من أفضل المخططين في المخابرات السوفيتية . وكان الدبلوماسيون الامريكان ينظرون اليه كأحد المعتدلين السياسيين ومن المهتمين بحقوق الانسان[1] . وان صورة الشيوعي المعتدل ذي الوجه الانساني هي أحد التكتيكات الاساسية المتبعة من قبل رجال المخابرات السوفيت .

أجهزة المخابرات السوفيتية

ان الـ KGB (او لجنة أمن الدولة) هي آخر تسمية لمنظمة أسست في ٢٠ كانون الاول ١٩١٧ بأمر من مجلس مفوضي الشعب ، كوكالة تحقيق تحت إسم تشيكا (CHEKA) أو (All - Russian Extraordinary Commission For Combatting Counterevolution , Speculation and Sabotage) . وكما يتضح من العنوان ، فان التشيكا Checka كلفت اساساً بمهمة الاستخبارات الدفاعية الموجهة للأشراف على الحركات المضادة للشيوعية في الوطن وخارجه واختراقها . وبسرعة أصبحت قوة سياسية كبيرة استهدفت تدمير وسحق المعارضين المحليين للنظام السوفيتي وتخريب أو تدمير العالم غير الشيوعي . إن فيلكس ديرجنسكي (Felix Derzhinski) وهو أول رئيس للتشيكا والذي اعتبر في اوربا الشرقية على انه أحد الثوريين المتصلبين وعديمي الضمير ، قال في عام ١٩١٨ : «ان التشيكا ليست محكمة ، إنها مجبرة على الدفاع عن الثورة وسحق اعدائها حتى ولو وقع سيفها بالصدفة على رؤوس الابرياء»[2] . وبالرغم من معارضة مسؤولي الحزب بان التشيكا كانت تجند العديد من السادية والمجرمين والمنحطين خلقياً ، فان كلاً من لينين وتروتسكي كانا يوافقان على طرق دبرجنسكي الارهابية .

وقد أُعيد تسمية التشيكا عدة مرات على مر السنين فقد عرفت بـ «(GPU)

و (OG PU) و (NKVD) و (NKGB) و (MGB) واخيراً KGB» . وتتبع الـ KGB رسمياً لمجلس الوزراء ولكن قادة الحزب الشيوعي هم المسيطرين عليها . وهي وكالة مخابرات ودائرة لمكافحة التجسس وقوة أمن سياسية داخلية بفروعها العسكرية الموحدة . وبوجود مكاتبها الادارية في كل مدينة وعناصرها الذين يحتلون مناصب في الشرطة النظامية والجيش والحكومة والمصانع والجامعات ووسائل الاعلام ، فانها تسيطر وبفعالية على كل تركيبة الاتحاد السوفيتي .

وطبقاً لتقديرات منظمات المخابرات الامريكية والاوربية الغربية ، فان الـ KGB تضم حوالي خمسمائة ألف (٥٠٠,٠٠٠) شخص ، منهم ٩٠,٠٠٠ يعملون في المخابرات ومكافحة التجسس[٣] . ومعظم أعضاء الـ KGB يديرون السجون ومعسكرات العمل وحراسة الحدود السوفيتية ويؤمنون الحماية الشخصية لقيادة الحكومة السوفيتية . وقد أزدادت وبشكل ثابت ميزانية الـ KGB الى حوالي (١٠) بليون دولار في عام ١٩٧٧ مقارنةً بـ (٧) بليون دولار أنفقتها الولايات المتحدة خلال نفس السنة على الـ CIA ووكالة الامن القومي (NSA) وبقية وكالات المخابرات[٤] .

وبينما تتوزع المخابرات الخارجية الامريكية ومكافحة التجسس الداخلية على عدة وكالات لمنع تراكم القوة الخطرة ، فان الـ KGB تجمع بين الاثنين . وهي موزعة على عدة مديريات تتغير ارقامها وعملياتها من وقت لآخر . وتتكون المديرية الاولى من حوالي (٢٠,٠٠٠) ضابط وهي مسؤولة عن المخابرات الخارجية والفعاليات السرية ويرأسها الجنرال العسكري الكسندر م . سخاروفسكي (Alexander M . Sakharovsky) وقد ترأس الجنرال يوري فلاديميروفتش اندروبوف (Yuri Vladimirovich Andropov) كل أجهزة الـ KGB من عام ١٩٦٧ والى عام ١٩٨٢ والذي أصبح عضواً كاملاً في المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي في عام ١٩٧٣ . وفي السنة التالية مُنح جائزة لينين لخدماته التي أسداها للثورة . وكرجل مليء بالتناقضات ، فان اندروبوف كان الاكثر خبرة والاحسن في معرفته بالعالم الغربي من أي عضو آخر في المكتب السياسي . وقد ترك رئاسة الـ KGB في أيار ١٩٨٢ بعد تعيينه

واحداً عن الاعضاء العشرة في سكرتارية الحزب الشيوعي والتي تدير الشؤون اليومية للحزب . وقد تبع ذلك عدة تغييرات مهمة . فقد عُين فيتالي فيدورجك (Vitaly Fedorchuk) رئيساً جديداً للـ KGB لكنه بقي في الوظيفة لمدة سبعة أشهر فقط . وبعد فترة وجيزة من وفاة ليونيد بريجنيف في تشرين الثاني ١٩٨٢ أصبح يوري اندروبوف خليفة لبريجنيف كسكرتير عام للحزب الشيوعي وعُين فيدورجك وزيراً للداخلية . وقد أصبح فيكتور شبريكوف (Viktor chebrikov) أحد معاوني رئاسة الـ KGB والمؤيد القوي لاندروبوف ، أصبح رئيساً جديداً للـ KGB[٥] .

ان المديرية الرئيسية الاولى في الـ KGB ليست المنظمة السرية الوحيدة التي تجمع معلومات سرية في الخارج . ان الاستخبارات العسكرية المعروفة بأسم GRU ـ إدارة المخابرات الرئيسية ـ هو جهاز محترف الى حد ما ومؤثر ويتبع مباشرة للاركان العامة . وقد إحتفظت الـ GRU بعد تأسيسها في عام ١٩١٨ ولعقدين من الزمن باستقلالية واضحة ضد توسع الـ KGB والتي اكتسبت الاسبقية في ١٩٣٧ على حساب الـ GRU . وتعتبر الـ GRU أصغر من المديرية الرئيسية الاولى في الـ KGB برجالها البالغ عددهم ١٠,٠٠٠ ضابط . ويتكون أعضاؤها بشكل اساسي من ضباط من الجيش والبحرية والقوة الجوية والذين اكملوا تدريبهم العالي في الاكاديمية الدبلوماسية العسكرية في موسكو .

إن إنتقال ضباط الـ KGB المجربين بين حين وآخر الى الـ GRU قد ساعد على تعزيز الخبرة وأضفىٰ نوعاً من السيطرة الاساسية للـ KGB على منافستها الداخلية . وكمثال فان رئيس الـ GRU من عام ١٩٥٩ والى عام ١٩٦٣ هو الجنرال إيفان سيروف (Ivan Serov) وهو الرئيس السابق للـ KGB . وكباقي اجهزة الاستخبارات القومية العسكرية ، فان الـ GRU تجمع وتقيم بشكل اساسي المعلومات العسكرية لكن مجال عملياتها هو اكثر شمولاً . وهي تبحث ايضاً عن الاكتشافات العلمية والتكنلوجية ذات الطابع العسكري والتطورات الاقتصادية والسياسية التي يمكن أن تؤثر على القرارات والمفاهيم العسكرية الاجنبية . ومن الطبيعي ان تكون هناك

ازدواجية مع الـ KGB والتي ربما تنفذ ثلاثة ارباع عمليات المخابرات السوفيتية الخارجية* .

وعندما تتحدث الصحافة الغربية عن عمليات سرية سوفيتية فانها عادة تجمع بين عمليات الـ GRU والـ KGB وبالرغم من ان هناك نطاق كبير من المعلومات العامة المتوفرة عن عمليات الـ GRU . ان بعض شبكات الـ GRU المعروفة كانت تدار في الولايات المتحدة من قبل بوريس بايكوف (Boris Bykov) في الثلاثينات ، وفي كندا كانت تحت اشراف الكولونيل نيكولاي زابوتين (Nikolai Zabotin) في منتصف الاربعينيات ، وفي اوربا الغربية كانت تحت اشراف روت كابيل (Rote Kapelle) خلال الحرب العالمية الثانية ، وفي شنغهاي كانت تحت اشراف ريتشارد سورجي (Richard Sorge) في الثلاثينات والاربعينات . وكان فوشس (Fuchs) وبونتكرفو (Pontecorvo) ، وروزينبيرجز (Rosenbergs) في امريكا وبريطانيا والكولونيل ستغ ونرستروم (Stig Wennerstrom) الذي اعتقل في السويد عام ١٩٦٣ من بين عناصر الـ GRU العاملين في التجسس الذري .

وما عدا السنوات القليلة التي تلت الثورة ، عملت المخابرات السوفيتية الخارجية خلف جدار من السرية الرسمية ، حتى ان القادة السوفيت رفضوا القبول بوجودها . وفي اواخر عام ١٩٦٢ ، دعا نيكتيا خروشوف بأن الجاسوسية ضرورية للذين يحضرون للعدوان . فالاتحاد السوفيتي مهتم بقضية السلام ولاينوي مهاجمة اي شخص ولهذا فانه ليس للاتحاد السوفيتي اي توجه نحو الجاسوسية[١] . وعلى اية حال ، ففي بداية ١٩٦٤ ،

* تذكر الادبيات التي ألفها المرتدون السوفيت ايضاً بان مخابرات البحرية السوفيتية هي فرع متخصص ، ولكن لايُعرف شيء عن نشاطاتها ومن المحتمل إنها اصبحت فرعاً منفصلاً منذ عدة سنوات مضت . ونفس الشيء بالنسبة الى مخابرات حرس الحدود التي تم حلها عام ١٩٦٥ كفرع متخصص في تشيكو سلوفاكيا . وقد اتخذت هذه الخطوة بعد أن إتخذت الـ KGB نفس الاجراء ، وحتى ذلك الوقت فان مخابرات حرس الحدود كانت تعمل فوق شريط من الاراضي على طول الحدود بين المانيا الغربية وتشيكو سلوفاكيا وكانت تركز اساساً على نوعية حماية حدود الجانب الآخر ولم يُعهد لأي من الفرعين من المخابرات بأي نشاطات فعالة أو عمليات تضليل .

اعلن السوفيت عن حالات تجسس حدثت قبل واثناء وبعد الحرب العالمية الثانية لتحسين صورة الـ KGB . فمغامرات ريتشارد سورجي في اليابان ، ومهمة الكولونيل إبيل (Abel) في الولايات المتحدة الامريكية ، وخدمات كيم فلبي (Kim Philby) كجاسوس سوفيتي في بريطانيا كانت بمثابة امثلة ملحوظة . وعندما أتهم ايفان اودالتسوف (Ivan Udaltsov) السفير السوفيتي لدى اليونان بتزويد الحزب الشيوعي اليوناني بمبلغ ٢٥ مليون دولار عام ١٩٧٦ ، فانه دعا الى مؤتمر صحفي وقال من بين اشياء اخرى «لم اكن منزعجاً للتقارير الصحفية التي تهتم بعلاقة الـ KGB . ان الـ KGB هي منظمة محترمة جداً اسست من قبل لينين لحماية الثورة الاشتراكية والدولة السوفيتية»[٢] .

الوكـــلاء AGENTS

مثلما تحتاج الحرب الحديثة الى الجندي ، فأن الجاسوسية تعتمد على الوكيل . وبالرغم من الامراض المستعصية كالبيروقراطية المفرطة والشعور بقلق السرية والتجزئة الصارمة واعمال التطهير السياسي واستمرار الارتداد فأن الاتحاد السوفيتي يمتلك نطاقاً استخبارياً اكبر واكثر كفاءة في العالم . فقد تم اكتشاف العديد من العملاء السوفيت في الولايات المتحدة واوربا الغربية واليابان وبلدان العالم الثالث مابين الفترة ١٩٥٠ و ١٩٨٢ ، لكن من المنطقي الافتراض بانهم لايمثلون الا جزءاً من عدد كبير من العملاء الذين لايزالون يعملون .

وقضية برغس - ماكلين - فلبي - بلانت هي احد الامثلة الكلاسيكية للاختراق الشيوعي الناجح في بريطانيا العظمى والتي ساعدها رفض وزارة الخارجية البريطانية الاعتراف بأن اي من اعضائها ممكن ان يخون ويبيع وطنه وكان دونالد ماكلين (Donald Maclean) وغاي بيرغس (Burgess) دبلوماسيين بريطانيين تجسسا لحساب الـ KGB وهربا الى موسكو في أيار ١٩٥١ بعد معرفتهما بأنهما مطلوبان من قبل مكافحة التجسس البريطانية .

اما كيم فلبي (Kim Philby) وهو الرجل الذي حذر ماكلين وبرغس فانه

كان ضابط مخابرات بريطاني ، عمل مؤخراً كمراسل للصحافة البريطانية في الشرق الأوسط وهرب الى موسكو عام ١٩٦٣ . والرجل الرابع هو انطوني بلانت (Anthony Blunt) مستشار الملكة للتصوير واحد الاعضاء البارزين في المجتمع البريطاني ، كان قد كشف النقاب عنه في تشرين الثاني ١٩٧٩ بعد نشر كتاب اندرو بويل (Andrew Boyle) «مناخ الخيانة» . وقد قام بلانت (Blunt) بدور المستطلع الموهوب للـ KGB قبل الحرب العالمية الثانية . وارسل معلومات استخبارية منتظمة الى الروس مابين ١٩٤٠ و ١٩٤٥ عندما كان عضواً في المخابرات البريطانية* .

وقد اختفى برونو بونتيكورفو (Bruno Pontecorvo) ، عالم الذرة الايطالي والشيوعي القديم الذي ساعد على تطوير المفاعل النووي والقنبلة الذرية الامريكية ، في اوربا الشرقية مع بعض علماء دول الحلف في ايلول ١٩٥٠ . وبالرغم من انه لم يحكم عليه في اية محكمة امريكية بالتجسس الا انه لم يكن هناك شك بانه كان مذنباً . وهناك عميل آخر ساعد الروس في قنبلتهم الذرية هو الفيزيائي الذري البريطاني كلاوس فوشس (Klaus Fuchs) الذي حكم عليه في عام ١٩٥٠ بالسجن لاربعة عشر عام واطلق سراحه في ١٩٥٩ ثم طار الى المانيا الشرقية ليصبح نائب المدير والمدير فيما بعد لمعهد الابحاث الذرية في روز ندورف (Rosendorf) .

لقد احتل هاينس فلفة (Heinz Felfe) مركزاً مرموقاً في جهاز المخابرات الالماني الغربي (Bundesnachrichtendienst) والذي يماثل وكالة المخابرات المركزية . وطيلة عشر سنوات ، زود الروس بحوالي ١٥ الف اطار من وثائق المايكرو فلم التي تضمنت اسماء عملاء مخابرات المانية الغربية في الشرق وبشيفرات وقنوات الجواسيس ونسخ منتظمة من القرارات الاسبوعية الصادرة عن الجهاز وتقارير شهرية عن العملاء الشيوعيين في المانيا الغربية .

* اندرو بويل هو الكاتب البريطاني الذى عرى انطوني بلانت في كتابة «مناخ الخيانة» والذي يقول بأن بلانت كان فقط طرف الجبل الجليدي ويدعي بانه لايزال يعمل في بريطانيا ٢٥ جاسوس سوفيتي على الاقل وعدد لابأس به ينطلقون بحرية . بعضهم قضى نحبه وبعضهم لايزال يعمل بحرية .

وقد افشل بشكل كامل تقريباً جميع عمليات المخابرات الالمانية الغربية في الاتحاد السوفيتي وقد اعتقل فيلفة في عام ١٩٦١ وحكم عليه بالسجن لمدة اربعة عشر عاماً .

لقد جُند ضابط المخابرات البريطاني والهولندي الولادة جورج بليك (George Blake) في عام ١٩٥٢ . وقد اعترف بعد اعتقاله بانه زود الروس بالعديد من الوثائق السرية جداً حول الجهاز البريطاني السري . وقد قضى وقتاً قصيراً في السجن واستطاع الهروب في عام ١٩٦٦ الى اوربا الشرقية بمساعدة احد السجناء والـ KGB ولايزال يعيش هناك . لقد اكتشفت السويد في عام ١٩٦٣ بأن سنغ ارك وينرستروم (Stig Eric Wenerstrom) وهو ضابط برتبة كولونيل في القوة الجوية ، قد زود السوفيت بالعديد من الاسرار حول نظام الدفاع السويدي وعندما كان يعمل ملحقاً في واشنطن زودهم ببيانات حول الاسلحة الامريكية المتطورة وقد حكمت عليه السويد بالسجن مدى الحياة . وقد انتحر هيرمان لودكة (Herman Ludke) اللواء البحري في الاسطول البحري الالماني الغربي ومساعد رئيس التموين في قيادة حلف الناتو في عام ١٩٦٨ عندما تأكد انكشافه كعميل شيوعي . وبعد ارتداد ضابط الـ KGB اوليغ ليالين (Oleg Lyalin) والذي عمل في لندن تحت غطاء الملحق التجاري ، اضطرت الحكومة البريطانية في عام ١٩٧١ الى طرد ١٠٥ من الدبلوماسيين السوفيت ومسؤولي العلاقات التجارية وبعض الممثلين الآخرين الذي ساهموا في التجسس .

اما سامي شرف رئيس امانة السر والمستشار الاستخباري للرئيس المصري ناصر ، فقد جند كعميل شيوعي في ذروة العلاقات المصرية السوفيتية وخدم حتى اعتقاله من قبل الرئيس السادات عام ١٩٧١ . ومن خلال شرف سيطرت الـ KGB على المعلومات الاستخبارية المقدمة للرئيس المصري فيما يتعلق بأغلب قراراته في السياسة الوطنية والدولية .

وكان العميد جين لوي جينمير (Jean - louis Jeanmaire) القائد المتقاعد لقوات الدفاع المدني السويسري قد حكم عليه في عام ١٩٧٧ بالسجن لمدة ١٨ عاماً لتزويده السوفيت بمعلومات غاية في السرية تخص المليشيا السويسرية

البالغ عددهم ٦٨٠,٠٠٠ فرد . وبالرغم من الاعتقاد بانه كان من المعادين للشيوعية ، فقد طور جينمير (Jeanmairi) علاقة وطيدة مع الملحقية العسكرية السوفيتية في سويسرا . وقد جند كجاسوس سوفيتي لمدة ١٣ سنة .

كان ستانسلاف اي ليفشنكو (Stanislav A . levchenko) وهو أحد عناصر الـ (KGB) يعمل في اليابان تحت غطاء صحفي هو مراسل لمجلة الازمنة الحديثة (Novoe Vremya) حتى ارتداده الى الولايات المتحدة في عام ١٩٧٩ . وقد حدد بالاسم عدة سياسيين يابانيين بارزين لمصدر معلوماته منهم السياسي الاشتراكي شغروا اتيو (Shigero Ito) ووزير العمل السابق هيرو هايد اي شيدا (Hirohide Ishida) وتاكوجي ياماني (Takujy Tamane) رئيس تحرير الجريدة اليومية سانكاي (Sankei) وقد وصف ليفشنكو اليابان بأنها «فردوس التجسس» . وقد اعتقل اللواء ياكو هيسا مياناغا (Yukihisa Miyanaga) احد ضباط المخابرات اليابانية في عام ١٩٧٢ واثنين من شركائه في وكالة الدفاع اليابانية بتهمة التجسس للسوفيت في كانون الثاني ١٩٨٠* .

في كانون الثاني ١٩٨٣ اعتقلت شرطة جنوب افريقيا العميد البحري ديتر فلكس جيرهارت آمر القاعدة البحرية الرئيسية في سايمون تاون (Simon town) ـ بالقرب من كيبتاون (Cape town) وزوجته السويسرية الولادة روت (Ruth) وكان قد نقل اسرار جيش جنوب افريقيا الى السوفيت من عام ١٩٦٢ الى ١٩٨٣ وبمساعدة زوجته ككاتبة طابعة وساعية .

وقد حكم عليه مؤخراً بالسجن مدى الحياة وحكم على زوجته بالسجن لمدة عشر سنوات . ويحتل العملاء السائرون في ركب الاتحاد السوفيتي مواقع صنع القرارات في عدة اقطار ويتنامى تأثيرهم ولايوجد هناك قطر منيع . فحتى الولايات المتحدة بأستخباراتها المضادة وتقنيتها الحديثة والسريعة لاتعتبر حصينة .

* منذ الحرب العالمية الثانية لم تكن في اليابان اية قوانين تخص السرية الرسمية وقد وفرت حرية الصحافة للسوفيت معلومات سياسية وعسكرية واقتصادية مهمة . وكان هدف التجسس الرئيسي ببساطة هو تأكيد او اكمال ما يمكن الحصول عليه علنياً . ومنذ عام ١٩٤٥ وحتى عام ١٩٧٨ لم تنظر اليابان سوى الى ٤٨ قضية تجسس بضمنها ستة سوفيت .

العـــدو الرئيســي

كانت الولايات المتحدة ولاتزال الهدف المهم للمخابرات السوفيتية منذ عام ١٩١٧ لكنها اصبحت العدو الرئيس منذ الحرب العالمية الثانية . وقد اعتمد السوفيت في الفترة الاولى على عملاء من اعضاء الحزب الشيوعي والسياسيين المتعاطفين معهم . وفي العقود الثلاثة الاخيرة اصبح المصدر الرئيسي لمعلوماتهم السرية المرتزقة وضحايا الابتزاز التهديدي .

وعندما وصل رجال المخابرات السوفيت الى الولايات المتحدة في بداية العشرينات واجهوا مشكلة لم تكن موجودة في بقية الدول الغربية وكان اغلب اعضاء الحزب الشيوعي الامريكي من المهاجرين وغير المثقفين والذين ليس لديهم اية قنوات للمعلومات المنظمة والاتصالات المؤثرة مع الطبقة العاملة الامريكية . وبحلول عام ١٩٢٥ ، لم يكن للحزب سوى ١٦,٣٢٥ عضواً[٨] . وبالرغم من ان الممثلين السوفيت والمهاجرين الى الولايات المتحدة بذلوا جهداً كبيراً في تجنيد العملاء وانهم لم يحصلوا الا على نتائج طفيفة وعلى حجم محدود من المعلومات ، لكن الحالة تغيرت عندما اعترفت الولايات المتحدة رسمياً بالاتحاد السوفيتي في عام ١٩٣٤ واعطت لموسكو فرصة استخدام الغطاء الدبلوماسي لعملياتها وقد ساعد تنامي خطر النازية الالمانية والحملات الدعائية العالمية من قبل الشيوعية الدولية من اجل جبهة موحدة ضد الفاشية ، ساعد على فتح الابواب بشكل اكبر للمخابرات السوفيتية .

وقد اوضح هارولد كيم فلبي (Harold Kim Philby) البريطاني المولد للمجلة السوفيتية الاسبوعية نيدليا (Nedelya) الصادرة في آب ١٩٨٠ لماذا اصبح جاسوساً سوفيتياً . وفي تذكره لاجابته الاولى كطالب قال فلبي بأنه وجد نفسه قبل الحرب في اوربا المجهدة من البطالة واضطهاد الطبقات العاملة والتي شهدت ولادة الفاشية «لقد بحثت بشغف عن الطرق التي يمكن ان اكون فيها مفيداً للحركة العظيمة التي كان اسمها الشيوعية»[٩] وقد اصبح عميلاً سوفيتياً عام ١٩٣٤ والتحق بالمخابرات البريطانية في ١٩٤٠ وتمت ترقيته الى رئيس قسم الاتحاد السوفيتي في وقت كان يعتقد انه قد يقود كل جهاز المخابرات البريطاني . وقد وجدت الحملات السوفيتية المضادة للنازية

والفاشية العديد من المؤيدين الامريكان . فالطالب الامريكي مايكل وتني ستريت (Michael Whitney Straight) الذي اصبح بعد سنوات محرراً وناشراً في مجلة (New Republic) كان قد جند علنياً كعميل للسوفيت في جامعة كامبرج وعاد الى الولايات المتحدة للعمل سراً لصالح السوفيت لكونه عضواً في حركة اليساريين المناهضة والمعروفة باسم الحواريون (Apostles) . وطبقاً لاعترافه فانه قابل احد رجال المخابرات السوفيت في واشنطن حوالي عشر مرات مابين عام ١٩٣٨ وعام ١٩٤٢ وسلم نسخاً من عدة وثائق وتقارير كان قد كتبها عندما كان مسؤولاً في وزارة الخارجية ووزارة الداخلية فيما بعد . وفقد الامل بالسياسة السوفيتية والشيوعية بعد الحرب لكنه انتظر حتى عام ١٩٦٣ للادلاء بقصته الى مكتب التحقيقات الفيدرالي . وقد قال في كانون الثاني ١٩٨٣ بأن بامكانه ان يحدد بالاسم مابين ٨ ـ ١٠ اشخاص في مجلس اللوردات ومجلس العموم بانهم اعضاء في الحزب الشيوعي . وقد قدر وجود «١٥٠ عميل سري واجهوا مصيرهم بهدوء» في انكلترا(١٠) .

وكان من ضمن المتعاطفين مع الاتحاد السوفيتي في الولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الثانية العديد من الذين احتلوا مواقع متوسطة لدى حكومة الولايات المتحدة . ومن بين هؤلاء ناثان وت (Nathan Witt) في وزارة الزراعة والجر هيس (Alger Hiss) من وزارة العدل ووزارة الخارجية فيما بعد وفكتور بيرلو (Victor Perlo) من وزارة المالية . وقصة الجرهيس الذي وصل الى موقع عال في التسلسل الهرمي لوزارة الخارجية بينما كان يعمل جاسوساً للسوفيت ، هي مثال على محاولات السوفيت في ذلك الوقت لاستخدام عضوية الحزب الشيوعي الامريكي كقاعدة للتجنيد . وكان نويل فيلد (Noel Field) متعاطفاً شيوعياً آخر وجاسوساً للسوفيت ضمن مراتب وزارة الخارجية . فقد تم القاء القبض عليه اثناء حملة التطهير السياسي في اوربا الشرقية بعد الحرب العالمية الثانية وقضى فيلد عدة سنوات في السجون الهنغارية كمشتبه به في التجسس لصالح (CIA) وقد اطلق سراحه خلال الثورة الهنغارية عام ١٩٥٦ . وفي بداية الستينات عمل ثانية للمخابرات الهنغارية وبشكل رئيسي كمترجم ومحرر للتلفيقات المضادة للامريكان . وفي عام ١٩٥١ حكم على

جوليوس واثيل روز نبيرج بالاعدام بعد سنتين كجواسيس للسوفيت لتزويدهما موسكو باسرار القنبلة الذرية . وفي الحقيقة كان جوليوس روز نبيرج الشيوعي المخلص قد تطوع بخدماته* .

وقد كانت آخر مجموعة تجسس رئيسية تكونت من اعضاء في الحزب الشيوعي الامريكي هي حلقة جاك سوبل (Jack Soble) . ان سوبل الذي كان في الاصل معجباً بتروتسكي ومؤيداً له قد تم تجنيده عام ١٩٣١ وصدرت اليه الاوامر باختراق حلقة تروتسكي الداخلية وعندما اخذت الشكوك تراود تروتسكي جاء سوبل الى الولايات المتحدة في عام ١٩٤١ واسس حلقة تجسس كانت تتلقى مختلف الواجبات التي تتراوح بين سرقة وثائق الحكومة الامريكية المهمة الى اختراق المنظمات الصهيونية والتروتسكية . وعند القاء القبض عليه اعترف سوبل بجرمه وحكم عليه بالسجن سبع سنوات وادين اخوه روبرت سوبل (Robert Soble) بنفس التهمة في عام ١٩٦١ وقد حذر السوفيت العديد من حلقة سوبل الذين تمكنوا من الهرب الى اوربا .

وبعد فضح العديد من العملاء البارزين في بداية الخمسينات ، ادرك السوفيت بأن عملية الاستمرار في تجنيد اعضاء من الحزب الشيوعي الامريكي كانت محفوفة بالمخاطر . ورفضوا المزيد من التعاون وقد تلقت اجهزة المخابرات في دول الكتلة السوفيتية توجيهات توصي بعدم استخدام الاعضاء المحليين للاحزاب الشيوعية الا في الظروف الاستثنائية . وقد اجبر هذا التوجيه الـ KGB على الاعتماد بشكل رئيسي على الابتزاز لمرشحين جدد او بالشراء المباشر لخدماتهم .

ثمة نجاح سوفيتي رئيسي تمثل في اختراق وكالة المخابرات الامريكية المفرطة في السرية الا وهي وكالة الامن القومي (NSA) ـ المسؤولة عن

---

* بالرغم من ان محاكمة روز نبرج (Rosenberg) وزوجته كانت قد جوبهت من قبل اللجنة الامريكية لتامين العدالة في قضية روز نبرج من قبل العديد من الصحفيين والمحامين واولاد روز نبرج ، فان احداً منهم لم يستطع ان يوفر دليل جديد لاثبات براءة روز نبرج وطبقاً للافادة العامة لروبرت جي لانفير (Robert J . Lanphere) والذي كان مع الـ FBI من عام ١٩٤١ والى عام ١٩٥٥ فان الـ FBI عرفت تورط روز نبرج مع السوفيت من خلال حل شيفرات رسائل الـ KGB .

التصنت وحل شيفرات اتصالات الحكومات الاجنبية . وبالرغم من اجراءات الامن الشديدة فأن الـ KGB استطاعت تجنيد بعض ضباط (NSA) ومنهم بيرنون م . ميشيل (Bernon M . Mitchell) ووليم اج . مارتن (William H . Martin) وكلاهما استطاع الهروب الى موسكو في عام ١٩٦٠ وانضم اليهما فيكتور نورس (Victor Norris) في تموز ١٩٦٣ بعد تهديده بالقاء القبض عليه في هذا البلد . وقد زود هؤلاء الرجال الـ KGB بمعلومات مهمة عن المخابرات الالكترونية الامريكية وقابليتها الفنية بضمنها مواقعها واجهزة التجسس السرية جداً والمستخدمة ضد الاتحاد السوفيتي .

وقد جند نائب الضابط السابق جوزيف جورج هيلمش (Joseph George Helmich) في عام ١٩٦٣ عندما كان مشرفاً على حل شيفرات المحطة المعتمدة للاتصالات لفيلق المخابرة في باريس . وقد زود السوفيت ببيانات تكنلوجية عالية الدقة حول النظام الجفري (KL - 7) وهي آلة تجفير عالية السرية ، واستلم مبلغ مقداره ١٣١,٠٠٠ دولار ثمناً لهذه المعلومات وقد استمر تجسسه اكثر من ١٧ عاماً وسبب اضراراً بالغة لامن الولايات المتحدة . وقد حكم على هيلمش بالسجن مدى الحياة في تشرين الاول ١٩٨١[١١] .

لقد تغلغلت المسألة الفيتنامية في الحرم الجامعي ومكاتب الكونغرس ومكتب التحقيقات الفيدرالي ووكالة المخابرات المركزية الامريكية وان قضية ووترغيت والتحقيقات التي تلتها من قبل وكالات الامن الامريكي اربكت واضعفت من معنويات البيروقراطية في واشنطن وساعدت على التغلغل السوفيتي . ورغم ان السوفيت كثفوا محاولات التغلغل في الكونغرس منذ عام ١٩٧٥ ، فأنهم لايعتمدون على المساعدة المباشرة من اعضاء مجلس الشيوخ او رجال الكونغرس . ومن وجهة النظر العملية فانه من السهل التقرب من موظفي الكونغرس لانهم عادة يعرفون بقدر مايعرفه اعضاء الكونغرس وان مثل هذه الهيئات المختارة كلجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ تستلم نسخاً من النشرة اليومية التي تصدرها وكالة المخابرات المركزية (National Intelligence Daily) والتي تهيأ للرئيس . وان اسرار السياسة الامريكية لاتزال مطلوبة ، لكنها ليست على رأس الاولويات . كما ان جمع معلومات

عسكرية وعلمية وتكنلوجية هي الامور المطلوبة بشكل رئيسي . وباسعار منخفضة نسبياً يشتري رجال الـ (KGB) معلومات علمية قد تكلف الحكومة السوفيتية مئات الملايين من الدولارات لتطويرها في مراكز بحوثها . وتجمع البيانات العلمية والتكنلوجية بانتظام من قبل العلماء السوفيت والمهندسين والطلاب ومعضمهم متخصصون في العلوم الطبيعية .

في عام ١٩٧٧ اخترقت الـ KGB بنجاح مجموعة TRW للدفاع وانظمة الفضاء وهي شركة مقاولات في الامور الدفاعية مقرها في كاليفورنيا وحصلت على اسرار عمليات الاتصالات الامريكية . وقد اتهم كريستوفر جون بويس (Christopher John Boyce) الموظف السابق في الـ TRW ومساعده اندرو دولتون لي (Andrew Daulton Lee) ببيع معلومات فنية للعملاء السوفيت في مدينة مكسيكو مقابل ٧٠,٠٠٠ دولار . وفي محاولة تجسس اخرى حصلت بعد سنة ، حصلت الـ KGB على كتيب نظام مراقبة الاقمار الصناعية الامريكية من وليم بي كابنايلز (William B Kanpiles) (٢٣ سنة) وهو كاتب سابق في الـ (CIA) والذي ترك الوكالة عندما وجد نفسه غير قادر على ان يصبح «جاسوساً حقيقياً» .

لقد اصبحت الاستخبارات الالكترونية مصدراً مهماً للمعلومات خلال العقدين الماضيين بالنسبة لاجهزة المخابرات السوفيتية والامريكية . فالولايات المتحدة ، على سبيل المثال ، طورت هذه الامكانية قبل بضع سنوات خلت للتنصت ، من خلال قمر صناعي موجه على موسكو ، على محادثات القادة السوفيت عبر الهواتف اللاسلكية الموضوعة في سياراتهم . وبمساعدة التكنولوجيا الامريكية ، بدأ السوفيت عمليات مشابهة في واشنطن ونيويورك . وقد ادرك موظفو وكالة الامن القومي والتي تتولى ايضاً مسؤولية حماية امن الاتصالات المحلية ، عام ١٩٧٤ بأن السوفيت يتنصتون ويسجلون المحادثات الهاتفية في الولايات المتحدة بين المسؤولين الرسميين الحكوميين والقادة العسكريين وحتى المواطنين العاديين . وبعد تفكير مترو وافق الرئيس كارتر على برنامج باهض التكاليف في تشرين الثاني ١٩٧٧ لارسال كافة الرسائل التلفونية الحكومية عبر قابلوات تحت الارض بدلاً من ابراج المايكروويف الاقل

امناً ، وقد اكتشف خبراء مكتب التحقيقات الفيدرالي بأن الـ KGB تستخدم اجهزة المايكروويف في سان فرانسيسكو للتجسس على شركات النفط العالمية والاجتماعات العلمية التي تتم في المدينة والصناعات والمجمعات الالكترونية ومنشآت الحاسبات الالكترونية . وتستطيع الهوائيات الكفوءة على سطح القنصلية السوفيتية في سان فرانسيسكو ان تلتقط حركة المايكروويف حتى ولو كانت اجهزة البث موجودة على بعد اكثر من مائة ميل .

وعلى حد تعبير هيو توفار (Hugh Tovar) ، الرئيس السابق للعمليات السرية في الـ (CIA) فأن السوفيت مسموح لهم بالعمل على نطاق واسع داخل الولايات المتحدة وبطريقة لاتمكنهم فقط من جمع كميات هائلة من الاستخبارات فحسب بل انها تشكل خرقاً لخصوصيات الافراد الامريكان»[١٢] وقد اشار رجال الـ FBI الى ان عمليات التجسس الشيوعية واسعة النطاق في السبعينات كانت «ظاهرة جديدة تماماً» . وقد عبر كلارنس م . كيلي (Clarence M . Kelly) ، مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي في عهد ادارة فورد (Ford) في عام ١٩٧٧ بقوله :

> ان حجم الممثلين الدبلوماسيين السوفيت والدول السائرة في ركابهم ورجال الاعمال والتواجد الثقافي في هذا الوطن قد توسع بشكل كبير خلال السنوات الاخيرة . وفي السنوات الاربع الماضية ، ازداد عدد الموظفين في الكتلة الشيوعية وحدها الى ٥٠٪ وتضاعف عدد الزوار بضمنهم المشاركون في التبادل الثقافي منذ عام ١٩٧٢ . وهذه الزيادة في التواجد تعني بوضوح زيادة في طاقة عمليات التجسس»[١٣] .

وفي كلمة القاها امام مجلس الشؤون العالمية في لوس انجلس في كانون الاول ١٩٨١ ، اعترف المدعي العام وليم فرينتش سميث (William French Smith) بان الاتحاد السوفيتي كان يرسل اعداداً متزايدة من الجواسيس الى الولايات المتحدة تحت اغطية مختلفة كدبلوماسيين وممثلي شركات تجارية وطلاب وعلماء وباحثين ومراسلين ومهاجرين وحتى لاجئين :

> وخلال الاعوام الاثني عشر الاخيرة ، ازداد عدد الممثلين الرسميين الحكوميين ذوي النشاطات الاستخبارية في بلادنا الى ٤٠٠٪ ..... وبالرغم من ان المهاجرين السوفيت لم يكونوا موجودين بشكل فعلي قبل عام ١٩٧٣ فأن عددهم ازداد هنا الى ١٥٠,٠٠٠ . ومؤخراً دخلت اعداد كبيرة من اللاجئين الكوبيين الذين تجاوز عددهم في السنة الماضية ١٠٠,٠٠٠ لاجئ . ونعتقد بأن نسبة قليلة لكنها مهمة من هؤلاء المهاجرين كانوا عملاء للمخابرات السوفيتية والكوبية[١٤] .

وفي كانون الثاني ١٩٨٢ ، اكد مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي وليم بستر بأن هناك زيادة مكثفة في عدد الاشخاص المدربين استخبارياً ومعظمهم تحت غطاء دبلوماسي ومنذ سنوات ظل مكتب التحقيقات قادراً على مجاراة الجواسيس المشتبه بهم على اساس واحد مقابل واحد لكن في الجزء الاول من الثمانينيات ازداد عدد رجال مخابرات الكتلة السوفيتية الى درجة ان رجال الاستخبارات المضادة في الـ (FBI) كانوا اقل عدداً[١٥] .

وكان لبقية دول اوربا الغربية مشكلة او تجربة مشابهة . ففرنسا التي كانت مرهقة بالتوسع الكبير في شبكة التجسس السوفيتية (من ٢٠٠ ـ ٧٠٠ شخص خلال عشر سنوات) قامت في اوائل نيسان ١٩٨٣ بطرد ٤٧ ضابط من الـ KGB عملوا تحت غطاء دبلوماسيين وصحفيين وممثلين تجاريين . وكان هذا الحدث مماثلاً لقيام بريطانيا بطرد مائة وخمسة جاسوس سوفيتي في عام ١٩٧١ . وقد قال الفرنسيون بأن السوفيت كانوا متهمين في عمليات بحث منظمة عن معلومات تكنلوجية وعلمية وخاصة في المجال العسكري[١٦] .

ومن الواضح تماماً ان قدرة الـ KGB في الغرب قد فاقت القدرات السرية للولايات المتحدة وحلفائها في الاتحاد السوفيتي . وقد تحسنت قابلية الـ KGB بالضباط والعملاء من منظمات التجسس للبلدان السائرة في فلكها . وكان للاتحاد السوفيتي وحلفائه في عام ١٩٧٠ اقل من ١٠٠٠ ممثل دبلوماسي وتجاري وصحفي في الولايات المتحدة . لكن هذا العدد ازداد الى مايقارب الى ١٧٠٠ شخص في عام ١٩٧٥ ووصل في ١٩٧٩ الى ١٩٠٠ شخص[١٧] .

وبشكل لايقبل الشك فقد عرف منهم ٥٠٠ ضابط مخابرات* ومع الاخذ بنظر الاعتبار حقيقة ان الولايات المتحدة هي البلد المستهدف الاول ، فأن نسبة الممثلين بواجبات سرية فيها تصل على الاقل الى ٥٠٪** وبالاضافة الى الاشخاص المتواجدين فعلياً في الولايات المتحدة ، فأن المخابرات السوفيتية تستخدم المكسيك وكندا كقواعد للتجسس .

ان عدد افراد الـ KGB الذي لم يسبق له مثيل ، والذين يستخدمون هذا النوع من الغطاء هو فقط جزء من الصورة . قد اعترف مسؤولو الـ FBI بانهم لايستطيعون السيطرة على نشاطات رعايا الكتلة السوفيتية الذين يصلون البلاد كل سنة . فقد زار الولايات المتحدة في عام ١٩٧٨ اكثر من ٣٠,٠٠٠ عالم وزائر رسمي ، منهم ٦٠ ـ ٧٠٪ انيطت بهم بعض الواجبات الاستخبارية وقد ازداد العاملين في مكاتب تاس (TASS) في الخارج لتوفير الحماية لرجال الـ KGB . فقد اعترف ضابط الـ KGB السابق ايليا جيركفيلوف (Ilya Dzhirkvlov) وهو مراسل لوكالة تاس سابقاً والذي ارتد الى بريطانيا في نيسان ١٩٨٠ ، اعترف بأن كل المراسلين السوفيت في الخارج هم عملاء للـ KGB بشكل او آخر ، فقد قال في معرض اعترافه :

> ان الصحفيين السوفيت هم بالتحديد عملاء ذوي تاثير سياسي سواء عملوا بشكل مباشر او غير مباشر للـ KGB ..... وبعض المراسلين هم صحفيون حقيقيون في حين ان القسم الآخر هم ببساطة عملاء للـ KGB يستخدمون الصحافة كغطاء . والصحفيون الحقيقيون يرسلون معلوماتهم الى وكالة تاس بينما تكون لصحفيي الـ KGB قنوات خاصة وفي المحصلة النهائية فأن كليهما ينجزون نفس العمل والواجب : وكل المراسلين هم عملاء للـ KGB الى حد ما والجميع يرسل تقارير عن محادثاته مع الغربيين[١٨] .

---

* لايشمل العدد افراد العائلة ، فمن مجموع ٣٥٠٠ شخص من بلدان الكتلة السوفيتية عام ١٩٧٥ كان ١٧٠٠ شخص فقط مسؤولين رسمياً و ١٨٠٠ هم افراد عوائلهم .

** بالرغم من ان نسبة رجال المخابرات السوفيت الذين يتخذون غطاءً دبلوماسياً يصل الى ٥٠٪ من نسبة الافراد فأنها يمكن ان تزداد . ففي عام ١٩٦٨ ، على سبيل المثال ، شغل رجال المخابرات التشيكيين ٨٠٪ من المواقع الدبلوماسية في الممثلية التشيكية في فينا .

كما ان الوكالات او المنظمات العالمية وبضمنها الامم المتحدة هي ايضاً غطاء مفضل للـ KGB . واستناداً الى اركادي ن . شيفجنكو (Arkady N. Shevchenko) وهو كبير الممثلين الدبلوماسيين السوفيت لدى الامم المتحدة والذي ارتد الى الولايات المتحدة في عام ١٩٧٨ ، فان نصف البعثة الروسية لدى الامم المتحدة والتي يبلغ عدد اعضائها مائة عضو هم جواسيس . ويقدر خبراء المخابرات في اوربا الغربية بأن حوالي ١٣٠ عميل للـ KGB يعملون في مكاتب الامم المتحدة في اوربا الغربية[١٩] . وكمثال على ذلك فأن منصب مدير الافراد الحساس في المقر الرئيسي الاوربي للامم المتحدة في جنيف قد شغل منذ عام ١٩٧٨ من قبل رجل مخابرات الـ KGB غلي دنيبروفسكي (Geli Denprovsky) . وهذا الموقع يُعطي للمخابرات السوفيتية الوصول مباشرة للاضابير الخصوصية لاكثر من (٣٠٠٠) موظف في الامم المتحدة .

ان كل اجهزة المخابرات ، وخاصة الشيوعية ، تتأثر بنوع النظام السياسي الذي تخدمه . وفي البلدان الشيوعية فأن اجهزة المخابرات ترتبط ايديولوجياً بأكثر عناصر الحزب والحكومة تحفظاً طالما ان هؤلاء يوفرون مظلة الحماية ومع ذلك عادة مايعبر ضباط الـ KGB خلال تعاملهم مع الغربيين الذين يحتكون بهم عن افكار ذات وجهات نظر متحررة اكثر من الدبلوماسيين السوفيت . لكن هذه التكتيكات تستخدم بشكل رئيسي لكسب ثقة امن الشخص المستهدف وليس للتعبير عن اي انحراف عن العقيدة الماركسية اللينينية . وعادة مايكون رجال الـ KGB محترفين وباقتدار لهذا العمل وكما قال دونالد جيمسون (Donald Jameson) وهو اختصاصي سابق في العمليات السرية في (CIA) فأنه ، «يجب ملاحظة الفرق بينهم وبين اجدادهم المحترفين عملاء الكومنترن (Comintern) فالشباب لايعتقدون بما يعتقده الاجداد فهم رجال مخابرات محترفون للاتحاد السوفيتي واقوياء . ومعظم اجدادهم كانوا يظنون انهم يخدمون الانسانية»[٢٠] . وهناك عامل واحد يدفع رجال مخابرات الـ KGB اكثر من حتى الماركسية اللينية الا وهو القومية الروسية . فالفخر بالقومية الروسية والشعور بالمساهمة في رخاء ونمو روسيا الام يثبت قوة رجال الـ KGB ويبسط من تماثل سياستهم بسياسة الكرملين الخارجية التوسعية .

فالرتب العسكرية والرواتب العالية وحرية الحصول على العملات الاجنبية والتقاعد المبكر كلها امتيازات للـ KGB لاينالها الا القلة من المحترفين في الاتحاد السوفيتي .

خدمة الاخ الكبير

تشير مجلات اناقة واشنطن الى رجولة واناقة ملبس تيوفايلو اكوستا (Teofilo Acosta) «المسلي جداً» والاجتماعي الذي يحب حياة الحفلات وفيه شيء قليل من صفات زير النساء والذي حتى يتذكر يوم ميلاد طفلك . وتقول وثائق المخابرات الامريكية وفي اكثر من مكان بانه ضابط في المديرية العامة للمخابرات ويعمل في الولايات المتحدة تحت غطاء دبلوماسي في السكرتارية الاولى لقسم المصالح الكوبية في واشنطن ، وكان عضواً في البعثة الكوبية لدى الامم المتحدة حتى عام ١٩٧٧ . وقد طور ومنذ وصوله الى الولايات المتحدة في عام ١٩٧٠ حلقة علاقات واتصالات واسعة بين السياسيين ورجال الاعمال والمبعوثين والصحفيين بيد ان معظمهم غير مهتم بمهمته الاستخبارية «اذا كانت مهمته عمل اصدقاء لكوبا فأنه عمل الكثير» ، هذا ماقاله فرانك مانكيوز (Frank Mankiewicz) رئيس الاذاعة الوطنية العامة (National Public Radio) ، وأضاف بانه لايعتبر اكوستا (Acosta) جاسوساً «وانني افترض ان اي دبلوماسي لديه ولاءات وطنية»[٢١] . وان الكوبي اللطيف الذي يصف نفسه بانه «كوبي وشيوعي وانسان في ذلك التسلسل» ، هو احد رجال المخابرات البارزين في الكتلة السوفيتية .

وغالبا مايكون لرجال المخابرات من الدول السائرة في فلك الاتحاد السوفيتي فرص أكثر للحصول على معلومات حساسة في واشنطن من زملائهم الروس . وان اعضاء مجلس الكونغرس الذين لايتناولون الغداء مع أي فرد من السفارة الروسية غالبا ما يتحدثون مع الدبلوماسيين الهنغاريين او البولنديين . ويعتبر العديد من الامريكان اليساريين الماركسية اللينينية مبدءاً مملاً ولايعيرون أهمية للاتحاد السوفيتي لكنهم مخدوعون بكوبا وبعضهم زار كوبا بصفة أعضاء فيما يدعى بلواء ڤينسير موس (Venceremos Brigade)

لقطع قصب السكر . وبعد تقييم حذر للمشاركين ، تختار المخابرات الكوبية بعض المرشحين الملائمين الذين قد يحتلون في يوم ما مواقع مهمة في حكومة الولايات المتحدة او قد يخدمون في مجالات المخابرات ، ويحاولون تجنيدهم اما خلال مكوثهم في كوبا او بعد عودتهم الى الولايات المتحدة .

وفي اوربا الغربية وكندا والولايات المتحدة على وجه الخصوص يحتفظ العديد من مواطني اوربا الشرقية او من ذوي الاصل الكوبي بصلات وثيقة مع وطن الاجداد . وعند تجنيد مواطني المانيا الغربية ، على سبيل المثال ، فأن جهاز المانيا الشرقية يعتمد على الشعور بأن هؤلاء الاشخاص سوف يعملون «لألمانيا اخرى» بدلاً من الاتحاد السوفيتي . وتعتبر الاقليات البولندية والسلوفاكية والهنغارية الكبيرة في الولايات المتحدة وسائط مهمة لاختراق الكونغرس وباقي الدوائر الفيدرالية مثل وزارة الخارجية والدفاع ومكتب التحقيقات الفيدرالي ووكالة المخابرات المركزية الامريكية . ويوافق بعض الضحايا المنتخبين على العمل كجواسيس اذا ما تم ابتزازهم بالتهديد والانتقام من اقربائهم في البلدان الشيوعية .

ان التواجد السري للـ (KGB) في بعض الدول النامية يعززه ايضا افراد من منظمات المخابرات الموالية في اوربا الشرقية وكوبا . وتنظر دول العالم الثالث الى الدبلوماسيين والفنيين والمستشارين في المانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا على انهم ممثلين لبلدان اشتراكية صغيرة بدلاً من كونهم ادوات سوفيتية . وهذا يصح بشكل خاص على الكوبيين . وبالرغم من ان بعض الثوريين في العالم الثالث والمتطرفين المتعلمين في اوربا الغربية والولايات المتحدة لايتعاطفون مع الطريق الاشتراكي للسوفيت ، إلّا انهم يحتفظون بالاتصالات مع المخابرات الكوبية ويعتقدون بسذاجة بأنهم مستقلون عن التأثير السوفيتي . وقد استلم رجال المراقبة الامريكان على سبيل المثال تعليمات منتظمة عن المخابرات الكوبية في اوائل السبعينات من خلال احد ضباطها الملحق بالبعثة الكوبية لدى الامم المتحدة . وكانت الممثلية الكوبية لبعض الوقت نقطة الاتصال لبعض اعضاء رجال المراقبة[٢٢] .

وتميل الصحافة الغربية الى التقليل من شأن أجهزة المخابرات الموالية

للسوفيت وتركز أحيانا على الـ (KGB) لكنها تهمل وبشكل كبير أجهزة المانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا وبولندا وهنغاريا وبلغاريا وكوبا ، رغم انها ادخلت تحسينات مهمة في طرقها الفنية وعملياتها . وأجهزة المخابرات الموالية هي بالاساس تخضع لحكوماتها لكنها في الحقيقة توجه وتستثمر من قبل الـ (KGB) حيث تبلغ المخابرات السوفيتية بكل الجوانب المهمة في نشاطاتها ويشارك المستشارون السوفيت (الذين يطلق عليهم اسم ضباط ارتباط) في تخطيط العمليات الرئيسية وتقييم نتائجها ولايوضع او يتخذ أي قرار بدونهم .

وترتبط كل أجهزة مخابرات الدول التابعة للسوفيت بسلسلة مركبة من ثلاث حلقات من القيادة وكل جهاز يتبع رسميا لوزارة الداخلية (او أمن الدولة) ولرئيس الوزراء في ذلك البلد . والخط الثاني من المرؤوسية يمر مباشرة من جهاز المخابرات الى الامانة العامة للحزب الشيوعي ، اما الخط الثالث والاهم فيقود الى مقر الـ (KGB) في موسكو كما ان تطبيق النظرة البروليتارية العالمية للعلاقات بين السوفيت وأجهزة المخابرات التابعة لهم مبني على مفهوم «المصالح القومية» و «المسؤوليات الاممية» لكل جهاز . وتحت شعار الواجبات الاممية يكمن احترام الاوامر المطلقة وتنفيذ الاهداف والاوامر الصادرة من موسكو .

وتمرر التوجيهات طويلة الأمد والصادرة من موسكو عادة الى ضباط القيادة في الممثليات الرسمية او من خلال التشاور المنتظم بين الـ (KGB) وممثلي المخابرات التابعة لهم ويشارك المستشارون السوفيت في الاشراف اليومي . وحتى منتصف الستينات اشرفوا على تخطيط وتنفيذ كل عملية في الخارج وكانت تعليماتهم لاتناقش . وقد اختزل عددهم بعد ذلك بالتدريج وانهم ركزوا فقط على العمليات الرئيسية . ويتعرض المشرفون للسخرية بشكل سري من قبل ضباط واجهزة المخابرات التابعة لهم لكن قابليتهم المهنية عادة ماتكون عالية جدا . وقد امضى معظمهم عدة سنوات في الخارج كضباط قضايا او مسؤولي محطات وقد احتفظوا بعلاقات صميمية لكنها رسمية مع ضباط المخابرات التابعة لهم ويعيشون حياة شخصية خاصة ومعزولة نوعا ما عن السكان المحليين .

وتمثل مدرسة المخابرات السوفيتية في موسكو شكلاً آخر من السيطرة . فمنذ بداية الخمسينات يرسل المرشحون للوظائف في دوائر التجسس التابعة للانضمام في دورة أمدها سنتين (ومؤخراً سنة واحدة) لتلقي دروس تدريب في هذا المركز المتخصص بعلوم التجسس . وبدلاً من وجود مدرسة واحدة لكل المخابرات التابعة ، اتبعت الـ (KGB) قوانين صارمة للمشاركين ووضعت الطلاب في عدة معسكرات تدريب منفصلة وحسب جنسياتهم . وتدفع كلفة التدريس بضمنها رواتب المدرسين وافراد الحماية وأجور السكن من قبل الحكومات التابعة . وتعطي المدرسة تعليما متوسطا في احتراف مبادئ تكنولوجيا التجسس وتعطي جرعات ثقيلة لتلقينهم افكار الحزب الايديولوجية . ومن جهة اخرى فهي تؤمن للسوفيت فرصة فريدة في اطلاعه على نخبة أجهزة المخابرات التابعة لهم ، حيث يحللون قدراتهم وضعفهم ، وفوق كل ذلك مقياس ولائهم السياسي . وقد برهنت هذه المعلومات على اهميتها في هنغاريا في عام ١٩٥٦ وفي تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ .

لقد حللت مقالة نشرت في مجلة التايم (Time) في ٦ شباط ١٩٧٨ بالمقارنة بين نقاط قوة وضعف عمليات المخابرات السوفيتية والامريكية وأدرجت الـ (KGB) والمنظمتين التشيكية والبولندية ضمن افضل عشرة أجهزة في العالم . ولكن الكاتب اغفل جهاز المانيا الشرقية على الرغم من انه يحتل المرتبة الثانية بعد الـ (KGB) في أوربا الشرقية . وخلال العقد الاول بعد تأسيسه عام ١٩٤٩ ، عمل الجهاز الالماني الشرقي بشكل رئيسي ضد جمهورية المانيا الاتحادية وقوات الاحتلال الغربي . وقد ساعد تنامي الاعتراف الدبلوماسي بجمهورية المانيا الديمقراطية في بداية الستينات على تقوية وتأثير مخابرات المانيا الشرقية في هذه البلدان . ولبضع سنوات ، لعبت المانيا الديمقراطية دوراً كبيراً مع الاتحاد السوفيتي وكوبا في توفير المساعدات العسكرية لبعض البلدان الافريقية والمساعدة في أمنها الداخلي ودعم حركات التحرر السوداء .

ومع ذلك فأن جمهورية المانيا الاتحادية بقيت الهدف الاكثر تعرضا للهجوم . فاللغة المشتركة والتأريخ والعادات والعلاقات العائلية بين الافراد الذين يعيشون في شرق وغرب المانيا ومواد التشهير عن العهد النازي اعطى

برلين الشرقية فائدة مميزة على الـ (KGB) في المانيا الغربية . واستغلت المانيا الشرقية الوثائق النازية لتجنيد عملاء من بين العديد من المسؤولين النازيين اللاجئين في امركيا اللاتينية من خلال اعطائهم الضمان بأنهم سوف لايواجهون المحاكمة بسبب جرائمهم في زمن الحرب .

وطبقا لـ (Bundesamt Fur Verfassungschutz) الالماني الغربي وهو مكتب مشابه لمكتب التحقيقات الفيدرالي فأن حوالي ٣٠٠٠ ـ ٤٠٠٠ جاسوس الماني شرقي يعملون في أراضي المانيا الغربية . ان منظمة التجسس الالمانية الشرقية التي تعتبر الان واحدة من كبرى وكالات التجسس العالمية قد خضعت لمدة ثلاثين عاما لقيادة الجنرال ماركوس وولف (Markus Wolf) (Mischa) . وبينما كان الجهاز معروفا في الخمسينات بارتداداته وحالات تسرب المعلومات العديدة ، فأن الجيل الجديد من الضباط هو جيل مدرب تدريبا جيدا ومنضبط وان استمرار عدم ثقة ضباط الـ (KGB) والضباط التشيك والبولنديين بالجهاز ناشئ من الشعور بالكره السلافي التقليدي للالمان وليس من التقييم الواقعي لضعفه . وفي الحقيقة ان رجال المخابرات الالمان الشرقيين هم من الناحية السياسية اكثر اعتمادا من نظائرهم البولنديين والتشيك وحتى الروس .

وحتى آب ١٩٦٨ فأن جهاز المخابرات التشيكي عمل كعنصر منتج ويعتمد عليه جدا ضمن شبكة الكتلة السوفيتية في اكثر من ٥٠ بلدا . وكان ضمن العملاء التشيك صحفيون غربيون بارزون وممثلو برلمانات وحتى ضباط من الاستخبارات المضادة والخارجية . وكانت الاجهزة السوفيتية والالمانية الشرقية والبولندية والهنغارية تعاني من عدة ارتدادات لكن الجهاز التشيكي كان منيعا من هذا المرض الشيوعي الخطير حتى الغزو السوفيتي لتشيكوسلوفاكيا . وبعد الاحتلال العسكري للبلاد ، ارتد العديد من كبار الضباط الى الغرب وساعد ذلك على اصابة الجهاز بالجمود . وفي بداية الثمانينات دخل جهاز المخابرات التشيكي مرحلة جديدة من التطور واستخدم حوالي ٢٠٠٠ عميل سري . ويتقاعد الضباط القساة والمخلصون الذين ساعدوا الحزب الشيوعي على تسلم مقاليد الحكم والاحتفاظ بالسلطة لما يقارب

الـ ٤٠ عاما . ومما لاشك فيه ان الجيل الجديد يمتلك تعليما مهنيا وعاما افضل لكنهم لايمتلكون الايديولوجية الثورية والاخلاص للاجيال السابقة .

ويعتمد جهاز المخابرات البولوني على اتصالات البلد الدبلوماسية والتجارية والثقافية والعلمية المكثفة مع العالم الخارجي وله حوالي ٢٠٠٠ ضابط يتمركز في داخل وخارج البلاد ويصنف ضمن اكبر عشر مؤسسات تجسس في العالم . ويؤمن الاسطول التجاري البولندي والاقليات العرقية في الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا العظمى وفرنسا فرصا اكثر للجهاز البولندي . وتتيح العلاقات الثقافية التقليدية مع فرنسا بصورة خاصة ظروفا ملائمة لعملياته في ذلك البلد . وقد استهدفت الانتفاضة المضادة للسوفيت في بولندا عام ١٩٥٦ عزل الجهاز البولندي عن بقية اعضاء الكتلة السوفيتية . وبالرغم من استقرار العلاقات نوعما في بداية الستينات ، إلّا انها لم تصل الى مستوى الكثافة والانفتاح التي تتسم بها أجهزة المخابرات الشيوعية الاخرى . كما ان الاضطرابات السياسية التي سببتها النقابة البولندية المستقلة «التضامن» في بداية الثمانينات قد خلقت حاجزا جديدا من عدم الثقة بين الجهازين السوفيتي والبولوني .

لقد اوقفت ثورة عام ١٩٥٦ تطور الجهاز الهنغاري واصبح من الضروري اعادة بناءه بشكل كامل داخل وخارج البلاد . ولعدة سنوات بعد الثورة ، احتفظت بلدان الكتلة السوفيتية ماعدا بولندا ، برجال مخبرين في الاراضي الهنغارية وجندت عملاء نظاميين هناك وجمعت بشكل سري المعلومات ونفذت عدة عمليات تأثير وتضليل لمساعدة النظام الجديد على سحق المعارضة . ويبدو ان مجال النشاطات المنفذة اليوم من قبل اجهزة المخابرات الهنغارية اضيق بكثير بالمقارنة مع نظيراتها الالمانية الشرقية والتشيكية ، واعتماداتها المالية اكثر تحديدا . ومن ضمن البلدان المستهدفة الولايات المتحدة والمانيا الغربية والنمسا وايطاليا والفاتيكان . وطبقا لعدة اشارات ، فأن الهنغاريين اخترقوا بنجاح مقاطعة الفاتيكان ، ومصدر قوتهم الآخر يتمثل باللاجئين الهنغاريين الذين غادروا بَعد ثورة ١٩٥٦ واستقروا في اوربا الغربية وكندا والولايات المتحدة .

ويعاب على المخابرات البلغارية بأنها كانت بدائية وغير مؤثرة ضمن التآلف الشيوعي في الستينات ، لكن بعد عشر سنوات أصبحت جهازاً قوياً ومتصلباً ضمن بلدان الكتلة السوفيتية . وقد استخدمه السوفيت في العديد من العمليات السياسية السرية والحساسة كأرسال الاسلحة الى المتمردين اليساريين في جنوب افريقيا وانغولا وتهريب الاسلحة الى لبنان والمخدرات الى المانيا الغربية ، واغتيال السياسيين البارزين من بين الالمان الشرقيين المنفيين في الغرب . وتولي المخابرات البلغارية التي يبلغ عدد اعضائها حوالي (١٠٠٠) ضابط معروفين بولائهم واحترامهم لموسكو ، تولي اهتماماً خاصاً لجارتها اليونان وتركيا وايطاليا والاقطار العربية . ان محاولة اغتيال البابا يوحنا بولص الثاني ربما كانت الحدث الاكثر وضوحاً الذي اتهم فيه البلغار .

وتبقى رومانيا عضواً رسمياً في نظام الكتلة السوفيتية ، لكن في اوائل الستينات تدهورت تدريجياً العلاقات بين الرومانيين وباقي اجهزة المخابرات داخل الكتلة السوفيتية ووصلت الى الاتصالات الرسمية غير المثمرة فقط . والتقارير القليلة التي نادراً ما كانت ترسل من بوخارست الى موسكو هي لاثبات ان الرومانيين كانوا لايزالون يعتبرون انفسهم جزءاً من مجموعة بلدان اوربا الشرقية . لكن ذلك كان مجرد اشارة دفاعية فقط . ولاتعرف الـ (KGB) حتى هوية العملاء الرومانيين وان المواد المتعلقة بالسياسة الرومانية الخارجية غير العقائدية ظلت محفوظة في بوخارست .

لقد تأسس جهاز المخابرات الكوبي بفترة قصيرة بعد الثورة وبمساعدة المستشارين التشيك وليس السوفيت . ان هذا الجهاز الذي يوصف بأسم DGI (Direccion General de Inteligencia) احتفظ باستقلالية نسبية حتى عام ١٩٦٨ عندما اجبرت موسكو فيدل كاسترو على اخضاع الجهاز الكوبي وبشكل كامل لمصالح ورغبات السوفيت الخارجية واقامة نظام ثابت موالي للسوفيت .

وحاول السوفيت في البداية ازاحة فيدل كاسترو في عام ١٩٦٢ لانهم كانوا يعتبرونه غير منضبط جداً ومتهور وصعب المراس . وقد فشلت الخطة ، ومع

ذلك فأن كاسترو شجب المتآمرين ووصفهم بأنهم متمردون محليون فككوا وحدة الحزب السياسية وقام بنفي بعض الشيوعيين القدماء وطرد عدداً من الدبلوماسيين السوفيت وضباط الـ (KGB) . وجاءت المحاولة الثانية للسوفيت بعد أربع سنوات واعتمدت على مساعدة عملاء الـ (KGB) في وسائل الاعلام الكوبية واللجنة المركزية للحزب ووزارة القوات الثورية المسلحة ووزارة الداخلية وعدداً آخر من المؤسسات المركزية . وكان الهدف من هذه المؤامرات هو تقريب كوبا أكثر فأكثر الى الاتحاد السوفيتي لكن المؤامرة كشفت ثم طرد عدد من ضباط الـ (KGB) والصحفيين السوفيت ومسؤولين آخرين لادامتهم الاتصال بالمنشقين على كاسترو[٢٣] . وقللت موسكو بشكل كبير دعمها الاقتصادي خلال الاشهر اللاحقة بسبب برود العلاقات بين البلدين واوصلت كوبا الى حافة الانهيار الاقتصادي . وقد أثبت الضغط بأنه اكثر تأثيراً من الـ (KGB) . ومقابل زيادة امدادات المواد الخام والمكائن والنفط ، طلب السوفيت وقف دائمي لكل الانتقادات الموجهة للسياسات السوفيتية والاشراف على الاقتصاد الكوبي بالاضافة الى أمن الدولة . وقد حققوا هذا الهدف ، وفي آب من عام ١٩٦٨ كان فيدل كاسترو واحداً من القادة الشيوعيين الاجانب الذين دافعوا علناً عن الغزو السوفيتي لتشيكوسلوفاكيا .

وقد نجح الكوبيون بشكل خاص في افريقيا واميركا اللاتينية ، حيث مارسوا لعبة الصورة الثورية التي اصبحت غير مستساغة من قبل اعضاء الكتلة السوفيتية . وقد استخدمت الـ (DGI) مجموعات الكوبيين المنفيين والاقليات الناطقة بالاسبانية في انحاء الولايات المتحدة كوسائل لاختراق اراضي «العدو الرئيسي» .

ولعدة سنوات بقي التعاون والاتصال في تنفيذ العمليات بين أجهزة مخابرات الدول التابعة للسوفيت محدودة في استشارات قليلة وبسيطة على اعلى المستويات وتبادل المعلومات التي تعتبر ذات اهمية حيوية مشتركة . لكن في عام ١٩٦٥ ، أدخلت موسكو تغييرات بنيوية مهمة تتيح الاتصال المباشر المنتظم بين الدول التابعة لها وعلى مستوى الاقسام لكنها احتفظت بالدور السوفيتي في ادارة التنسيق . وشملت هذه السياسة الجديدة كلاً من المانيا

الشرقية وبولندا وهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا . وفي ذلك الوقت كان الجهاز الكوبي ينظر اليه على انه جهاز حديث وغير منضبط وليس لديه الكثير مما يعرفه كما ان استقلالية بوخارست في السياسة الخارجية نحو الغرب وعلاقات الصداقة مع جمهورية الصين الشعبية قد عزلت الجهاز الروماني عملياً عن بقية أجهزة الكتلة السوفيتية .

وتعتبر اوربا الشرقية بعيدة عن الانسجام الشيوعي وان الاختلافات الفرعية في مختلف القضايا تسبب مشاكل مهمة بين الاتحاد السوفيتي والدول التابعة له لكن الطلب السوفيتي المبدئي للتعاون الوثيق في قضايا الأمن بقي ثابتاً . وتعلم البلدان التابعة للسوفيت بأن تقديم خدمة أجهزة امنها الى الـ (KGB) يعتبر في موسكو اقوى دليل على اخلاصها .

الجدول (٢ ـ ١) تقدير الطاقة البشرية لأجهزة المخابرات التابعة للاتحاد السوفيتي في كانون الاول ١٩٨٠

المانيا الشرقية	٣,٠٠٠
بولندا	٢,٠٠٠
تشيكوسلوفاكيا	٢,٠٠٠
هنغاريا	١,٥٠٠
كوبـا	١,٠٠٠
رومانيـا	٨٠٠
بلغاريـا	١,٠٠٠

الفصل الثالث
مصانع التضليل

التقاليد الشيوعيـة

ان السياسيين والصحفيين والمتخصصين الغربيين درسوا وحللوا التهديد السوفيتي للعالم غير الشيوعي منذ الثورة الروسية في عام ١٩١٧ وقد اعطى احتلال افغانستان في كانون الاول عام ١٩٧٩ دوافع جديدة للمناقشة . هل ان التهديد السوفيتي هو تهديد حقيقي ؟ لقد علق جورج اف . كينان (George F . FKenan) ، السفير الامريكي السابق لدى الاتحاد السوفيتي وأحد المتخصصين البارزين في الشؤون السوفيتية بعد فترة قصيرة من احتلال افغانستان قائلاً :

«عموما رأيت القيادة السوفيتية في السنوات الاخيرة مشغولة بشكل اكثر بمشاكل تواجهها بدلاً من الخطط الرامية الى شل حركتنا . وفي ظل الظروف الحالية (في افغانستان) فانني اعتقد ان الهدف كان دفاعيا بالدرجة الاولى وانني لا أرى افغانستان ... كموقع ستراتيجي مهم للقيام بهجوم على بلدان اخرى»[1] .

ولسنوات مضت كان لكينان تأثير على قرارات السياسة الامريكية الخارجية . وقد أثار الكاتب السوفيتي المبدع الكسندر سولجينتسن (Alexander Solzhenitsyn) بأن جورج اف كينان هو «واحد من أكثر المخططين المثابرين لاسطورة المعتدلين في المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي من حقيقة انه ليس هناك معتدلون بأستطاعتهم الكشف عن انفسهم حتى لمجرد تلميح»[٢] .

ولايزال يعتقد طلاب وصحفيي مدرسة كينان بأن السياسة الخارجية السوفيتية هي بالاساس سياسة دفاعية لاخلال توازن الاعداء وجعل العالم آمنا للشيوعية ويعرف ممارسو الاعيب التضليل العالمي ، بغض النظر عن ولائهم ، بأنه من السهل ممارسة التضليل ضد أي فرد يرغب في ان يكون مضللاً .

لقد بدأ العشق السوفيتي لعمليات التضليل والاجراءات الفعالة بفترة طويلة قبل ثورة عام ١٩١٧ على الرغم من ان العمليات لم تكن معروفة في هذا الاطار وقد أكد فلاديمير ايلتش لينين على اهمية الطرق الفنية للاختراق غير الرسمي والدعاية والتحريض والخداع السياسي كأدوات مكملة لستراتيجية الحزب الشيوعية . وفي كتابه ماينبغي عمله (What is do be done) ناقش لينين القوة الكامنة لمجموعات الثوار المنظمة وتكتيكات الاختراق والسيطرة لتقوية المنظمات الثورية ، والستراتيجية المطلوبة للعمل على المستويات الشرعية او غير الشرعية في آن واحد وقراءة الكتيب كانت مطلوبة لاجيال الثوار الماركسيين .

وبعد فترة وجيزة من ثورة عام ١٩١٧ دخل عصر الخداع العالمي والاختراقات غير الرسمية مرحلة جديدة وكانت الخطوة الاولى في الخطة الستراتيجية السوفيتية هي تجنيد اعداد كبيرة من العملاء المنظمين والمتفانين لثورة البروليتاريا واختراق المجتمع الرأسمالي . وقد أقر المؤتمر الثاني للأممية الشيوعية في عام ١٩٢٠ توجيها أشار الى انه «يجب ان يتركز المبدأ الاساسي في العمل التنظيمي للحزب الشيوعي او الافراد الشيوعيين على تكوين نواة للشيوعية في اي مكان يتواجد فيه عمال حتى ولو باعداد صغيرة»[٣] ويشجب

جوزيف ستالين «Joseph Stalin» علانية نظرية تروتسكي «Trotsky» للثورة المستمرة غير المنقطعة في عام ١٩٢٣ وقد وصف البوليس السري مؤيدي تروتسكي بأنهم اعداء الاتحاد السوفيتي والماركسية اللينينية . وبالرغم من الميزة الموروثة فأن نظرية الثورة الدائمية استمرت مع بعض التحويرات واصبحت جزءاً مكملاً للستراتيجية السوفيتية .

وقد اشتملت النشاطات الثورية على الاستخدام المحسوب للتضليل وضربات الفدائيين في العصب الحيوي للمجتمع الرأسمالي وبعض النشاطات السرية السياسية . فالتشيكا (CHEKA) وفروعها اصبحت متورطة بشكل مباشر في برامج العمل السري كالعملية المعروفة بـ (ترست) (Operation Trust) بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٢٧ والتي كانت خليطاً من الخداع السياسي والستراتيجي والاستخبارات المضادة والاستفزاز الذي قهر عدة حكومات غربية ، وأجهزة الامن ومراكز المهاجرين . وقد اختلقت التشيكا خلال فترة خمس سنوات عدة روايات في الصحافة الغربية حول منظمة معادية كانت تعمل في الاراضي السوفيتية وأغرت العديد من المهاجرين بالعودة الى روسيا ومن ثم تولت اعدامهم .

وقد شهدت فترة الثلاثينيات عمليات تطهير دموي في الاتحاد السوفيتي والحركة الشيوعية العالمية حيث وجهت عدة اجراءات فعالة ضد المنظمات الروسية المنفية وزعمائها ، وخاصة في اوربا الغربية . وتغلغل العملاء السوفيت في العديد من هذه المجموعات واوقعوا بين قادتها لتأليب بعضهم ضد البعض .

وقد جندت المخابرات السوفيتية وبأقل جهد عدة عملاء بين اعضاء الاحزاب الشيوعية الاجنبية والمتعاطفين آيدلوجيا مثل كيم فلبي (Kim Philby) في بريطانيا العظمى والجرهيس (Alger Hiss) في الولايات المتحدة . ثم استخدم هؤلاء بشكل رئيسي كمصادر للمعلومات السرية وفي بعض الاحيان كعملاء مؤثرين . وارسل السوفيت أبان الحرب الاهلية الاسبانية (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) معدات عسكرية واسلحة ومدربين وعدداً من رجال المخابرات والبوليس السري لتطبيق (العدالة الثورية) وأصبحت عملية اصطياد المناوئين

الثوريين والمنشقين السياسيين والمشكوك بهم اجراءاً روتينياً .

كما اهتمت معظم النشاطات السرية السـوفيتية خلال الحرب العالمية الثانية بالوضع العسكري . ونفذت الوكـالات الاستخبارية السوفيتية العديد من العمليـات العسكرية الستراتيجية والتعبويـة التي اعتمدت على التضليل والحرب النفسيـة . وقد تم تخصيص وحدات خاصة ووكالات لهذه العمليات ومنها مديرية الاسـتخبارات العسكرية (GRU) والجهـاز (NKVD) الذي سبق الـ (KGB) والهيئة المركزية لحـركة الانصار (entral staff of Partisan Movement) وقامت هذه الهيئة التي أسستها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي عام ١٩٤١ بتنظيم وادارة عمليات التجسس والتخريب وحرب العصابات والاغتيال خلف خطوط الالمان . وطبقاً لما ذكره الجنرال جي . كي . تسنيف (G . K . Tsinef) النائب السابق لرئيس الـ (K . G . B) ، فأن هذه الوحدات الخاصة مارست التضليل والخداع :

> ان العمل بأتصال وثيق مع هيئة اركان الجيش الاحمر والاستفادة من مختلف الفرص الآتية قد ساعد وكالات الاستخبارات المضادة وبشكل منظم على ايهام القيادة الفاشستية وأجهزة مخابراتها حول خطط واهداف القيادة السوفيتية والوضع على مختلف قواطع الجبهة . ومن نهاية عام ١٩٤١ وحتى آذار ١٩٤٣ استطاع عملاء التشيكا (CKEKA) ان يسيطروا على ٨٠ محطة اذاعة من العملاء الالمان السريين واستعملت لنقل معلومات زائفة الى الاعداء[٤] .

وقد نفذ السوفيت نوعاً آخر من الحرب النفسية وبمساعدة منظمة تدعى لجنة المانيا الحرة (Free German Committee) والمتكونة بشكل رئيسي من الشيوعيين الالمان واسرى الحرب الموثوق بهم سياسياً . واستخدمت هذه المنظمة نظام العناوين العامة لايصال بعض المنشورات والصحف خلف خطوط المعارك لإقناع الجنود الالمان بالاستسلام وعبر اذاعة تدعى (المانيا الحرة) كانت تبث مقالات وتعليقات لضباط عسكريين المان اسرى من قبل السوفيت وكانت هذه المقالات تصف هتلر بمجرم حرب وتطلب من الجنود الالمان رفض القتال .

لقد مرت الاجراءات السوفيتية الفعالة بعدة مراحل بعد الحرب العالمية الثانية . المرحلة الاولى (١٩٤٥ ـ ١٩٤٨) ، اتسمت بالمثالية الثورية لاوربا

الحرة والمناداة القوية بالآيدلوجية الشيوعية . ومن خلال مناورات الدبلوماسيين الماهرين وبمساعدة الاحزاب الشيوعية المحلية والعملاء السريين الذين جند معظمهم من بين المسؤولين الحكوميين ورجال أمن الدولة ، استطاع السوفيت تدريجياً تغيير الانظمة السياسية لكل بلدان اوربا الوسطى والشرقية الذين ساعدوا في تحريرها ما عدا النمسا ويوغسلافيا .

تمكن الحزب الشيوعي التشيكي في شباط ١٩٤٨ وتحت اشراف السوفيت من تنفيذ انقلاب ناجح غيّر النظام الديمقراطي الى الدكتاتورية الشيوعية . وبعد اسبوعين من تولي السيطرة وفي آذار ١٩٤٨ عثر على وزير الشؤون الخارجية جان ماسارايك (Jan Masaryk) الشخصية المعروفة بأفكارها التحررية ، ميتاً تحت شباك شقته في زرنين بالاس (Zernin Palace) في براغ . وقد وصف النظام الشيوعي الجديد وفاته بأنه انتحار ونظمت مراسيم دفنه لكن اسم ماسارايك كان بالنسبة للملايين من التشيك والسلوفاك رمزاً لتشيكوسلوفاكيا الديمقراطية الحرة . وكان ابوه توماس غاريغو ماسارايك فيلسوفاً ودبلوماسياً محنكاً وسياسياً وهو الذي اسس جمهـورية تشيكوسلوفاكيا الحرة . وقد أصبح جان ماسارايك وزيراً للخارجية في حكومة المنفى التشيكية في لندن خلال الحرب العالمية الثانية وظل محتفظاً بالمنصب بعد الحرب وبعد الانقلاب الشيوعي وحتى موته المأساوي . وقد اغتيل ماسارايك من قبل رجال أمن الدولة التشيكية وبقيادة جندريك فيسلي (Jindrich Vesely) الذي كان يتبع الاوامر السوفيتية ، وبعد اتهامه بأنه أحد مسببي الاضطرابات للنظام الشيوعي الجديد* .

---

* فتحت وزارة العدل التشيكية في براغ ١٩٦٨ ، وخلال الربيع السياسي ، تحقيقاً جديداً حول وفاة ماسارايك ، لكنه اوقف بسبب الغزو السوفيتي في آب ١٩٦٨ . وبعد ذلك خرجت وزارة العدل في كانون الاول ١٩٦٩ بتصريح متوقع مسبقاً . حيث انها نفت اي تورط لاجهزة الأمن السوفيتية والتشيكية في مقتل ماسارايك وغيرت رايها الاصلي من الانتحار الى حادث مؤسف حيث زعمت ان جان ماسارايك انزلق وسقط من عتبة الشباك وهو في حالة أرق . وكان التحقيق الذي اجرته كلير سترلنغ (Claire Sterling) في كتابها قضية جان ماسارايك (The Jan Masaryk Case) من اكثر التحقيقات الصحفية حول الاغتيال السياسي .

وقد اتسمت الفترة اللاحقة (١٩٤٨ ـ ١٩٥٩) بأنخفاض ملحوظ في المناشدة الشيوعية وتوسع كبير في الاجراءات الفعالة السوفيتية من خلال الاجهزة التابعة وتأسيس شبكة من منظمات الواجهة العالمية لدعم السياسة الخارجية السوفيتية . وقد فتحت الحكومات الشيوعية الجديدة لألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا وبولندا وهنكاريا وبلغاريا ورومانيا الباب للخبراء السوفيت الذين ساعدوا هذه البلدان لانشاء منظمات للمخابرات والاستخبارات المضادة على غرار المنظمات والاهداف السوفيتية . وقد نفذت اجهزة المخابرات التابعة عدة مئات من الاجراءات الفعالة في البلدان غير الشيوعية في العالم مابين ١٩٥٠ و ١٩٥٩ لكنها كانت محدودة التأثير لعدم وجود قسم مركزي مهتم بالتنظيم والتنسيق والتعاون . وكانت طريقة التزييف هي الاكثر شيوعاً في ذلك الوقت . حيث دعمت عدة اتهامات كاذبة مضادة للامريكان بدلائل مزورة مثلما تضمنته ماتسمى برسالة روكفلر .

ففي شباط ١٩٥٧ ، نشرت الصحيفة اليومية الشيوعية نويس دويتشلاند (Neues Deutschland) في المانيا الشرقية عدة صفحات حول رسالة كتبت من قبل نيسلون روكفلر الى الرئيس دوايت ايزنهاور (Dwight Eisenhower) وقد تضمن التلفيق استخدام التهديد العسكري والاقتصادي للتأثير على البلدان الاجنبية(٥) . وبالرغم من العديد من الاخطاء والمصطلحات السياسية غير الاعتيادية التي تضمنها التلفيق والتي فضحت منفذي التلفيق ، الا ان العديد من الصحف الرئيسية في اوربا الشيوعية وبعض المنشورات الديمقراطية في اوربا الغربية اعادت نشرها . وخلال الحرب الكورية (١٩٥٠ ـ ١٩٥٣) نفذت الـ (KGB) حملة تضليل عالمية اتهمت فيها الولايات المتحدة بأستخدام الحرب الجرثومية . وبمساعدة الصحفيين الغربيين مثل ويلفريد بيرتشت (Wilfred Burchet) نشر السوفيت دليل التلفيق في الصحف الشيوعية والغربية .

وقد شهد عقد الخمسينيات ايضا فترة للنشاطات الارهابية المكثفة وكانت بعض هذه الفعاليات موجهة ضد السياسيين المنفيين البارزين واللاجئين من البلدان الشيوعية مثل اغتيال ستيفان باندرا (Stefan Bandera) في عام

١٩٥٧ في المانيا الغربية . ونفذ بعضها بشكل رئيسي لغرض التضليل . على سبيل المثال ، كانت المخابرات التشيكية وراء حملات الدعاية المضادة للامريكان والبريطانيين والفرنسيين في المانيا الغربية وتحت اسم منظمة نازية جديدة وهمية عرفت بـ «المجموعة المقاتلة من اجل المانيا مستقلة» وقد ارسلت عدة بلاغات فاشستية ورسائل تهديد ضد الوحدات المتحالفة في المانيا الغربية الى الدبلوماسيين الامريكان والبريطانيين والفرنسيين وكذلك الى الضباط والجنود المرابطين هناك . وفي مايس ١٩٥٧ قتلت ماري تريمود (Marie Tremeaud) زوجة اندريه تريمود المدير الاداري الفرنسي لقسم اسفل الراين (Lower Rhine) في ستراسبورغ . وقد لقيت مصرعها بقنبلة عندما حاولت فتح صندوق سيكار ارسل لزوجها . وقد وجه دليل الاتهام مباشرة الى «المجموعة المقاتلة من اجل المانيا مستقلة» لكن المجرم الحقيقي هو المخابرات التشيكية وكان الهدف الرئيسي للعملية هو اثبات ان المانيا الغربية كانت ولاتزال فاشستية وكذلك لتأليب الرأي العام العالمي ضدها .

وقد استحدثت الـ (KGB) قسماً جديداً في المديرية الاولى التابعة لها عام ١٩٥٩ اولته مسؤولية تحليل نقاط ضعف الاعداء وموقع فشلهم واخطائهم واستثمار هذه النقاط في عمليات هجومية سرية منظمة وكبيرة في انحاء العالم . وقد تم تزويد القسم بما يقارب الخمسين الى السبعين شخص من المختصين ذوي الخبرة في اجراء العمليات السرية . وقد سجل هذا التطور بداية عهد جديد للألاعيب والخدع السرية ضد العالم غير الشيوعي . وكانت الاجراءات الفعالة السابقة تعتبر ثانوية بالنسبة لجمع المعلومات السرية . لكن الاجراءات الفعالة أصبحت في عقد الستينات أحداثا يومية في بعض اجزاء العالم وخاصة العالم الثالث .

وفي الفترة مابين ١٩٦٢ و ١٩٦٤ حذت المانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا وهنغاريا وبلغاريا وبولندا حذو السوفيت وأسست اقساماً مشابهة . وقد قام قسم الاجراءات الفعالة التشيكي وحده بتنفيذ اكثر من ٣٠٠ الى ٤٠٠ عملية مشابهة في كل عام واحتفظت الـ (KGB) بدور الرئيس المنسق لكنها سمحت بل شجعت على الاتصال المباشر بين الاجهزة التابعة لها . وقد رقي قسم

التضليل السوفيتي في عام ١٩٧٠ الى مرتبة خاصة عرفت بالجهاز (A) وهو واحد من قسمين اثنين في المديرية الرئيسية الاولى للـ (KGB) .

المفهوم السوفيتي للانفراج في العلاقات الدولية

عندما استهل السفير السوفيتي اناتولي اف . دوبرينين (Anatoly F. Dobrynin) مباحثاته مع ادارة الرئيس نيكسون عام ١٩٦٩ ، وعد الانفراج بالتعاون الاقتصادي والعلمي والثقافي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي . وشملت مناقشاته السيطرة على تلوث المياه وابحاث علوم الكائنات الحية في الفضاء ومهمات فضائية مشتركة ومؤتمر الامن الاوربي الذي عقد في هلسنكي عام ١٩٧٥ والعديد من المشاورات الدبلوماسية للتوصل الى الاستقرار والامن في العديد من مناطق العالم بضمنها الشرق الاوسط . وقد وقع الرئيس نيكسون في زيارته لموسكو عام ١٩٧٢ أول اتفاقية للاسلحة الستراتيجية وبعد سنتين وقع خلفه جيرالد فورد في فلادفوستوك (Vladivostok) اتفاقية مؤقتة لتحديد عدد الاسلحة الستراتيجية .

وقد اثبتت آمال الامريكان بأن الانفراج قد يساعد في آخر الامر على اعتراف السوفيت بحقوق الانسان وتحديد التوسع في البلدان النامية بأنها كانت مجرد اوهام حيث ان تدخل الكتلة السوفيتية في انغولا عام ١٩٧٥ والدعم الكوبي - السوفيتي لاثيوبيا في حربها مع الصومال عام ١٩٧٨ واستمرار كبت حقوق الانسان واعتقال المناوءين في الاتحاد السوفيتي قد ساعد كثيراً على اضعاف العلاقات السوفيتية الامريكية . وكان الاحتلال السوفيتي لافغانستان في كانون الاول ١٩٧٩ آخر اختبار لصبر الامريكان فقد تقلص الانفراج في العلاقات الدولية الى مستوى اوطأ منذ التدخل العسكري واسع النطاق في تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ .

وقد اعتبر العديد من الصحفيين الامريكان التصريحات الرسمية لصانعي السياسة السوفيتية بأنها مقياس رئيس لتقييم السياسة الخارجية . بل ان اقرب تحليل للوثائق السوفيتية الرسمية كشف عن الاشياء السطحية وغالباً الصورة المحرفة فقط في اكثر الاحيان للعلاقات السياسية الخارجية

السوفيتية . ويوضح تأريخ الحزب الشيوعي قبل وبعد الثورة لماذا يثق القادة السوفيت بالألاعيب السرية التي تمارس من قبل الـ (KGB) أكثر من العرف الدبلوماسي في التأثير على العلاقات الدولية . ويسبق كل تغيير في القيادة السوفيتية ألاعيب وخدع سرية خلف الكواليس يليها انتقام ضد مؤيدي الطرف الخاسر ويعتبر اعضاء القيادة السوفيتية الطرق والقنوات السرية بأنها أكثر تأثيراً من التصريحات العامة والعلنية كما وضعت مباديء الماركسية اللينينية قيوداً صارمة على النظرة السوفيتية للانفراج في العلاقات الدولية .

ووفقاً لما أكده (لينين) فأن على الشيوعية ان تنشر النظام الثوري في كل البلدان .. ولايعتبر الكرملين الانفراج في العلاقات بمثابة تراجع او حل وسط ولا اداة سياسية محركة للاتفاق مع العالم الرأسمالي بل انها ستراتيجية للطبقة العاملة وطريق لتغيير العالم وفق المفهوم السوفيتي .

ويتدخل السوفيت ويخلقون مناطق مضطربة في العالم لزيادة هيبتهم ونفوذهم . وكان التكتيك السوفيتي متشابها في حصار برلين عام ١٩٤٨ والتدخل العسكري في هنغاريا عام ١٩٥٦ وازمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢ وغزو تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ والاحتلال السوفيتي لافغانستان عام ١٩٧٩ . فالقادة السوفيت وبعد كل عمل عدواني يدعون بأن التعايش السلمي مهدد من قبل الامبريالية الامريكية والغربية التي تبحث عن الحرب الباردة . ويستخدمون مايتوفر من الدعاية لتأليب ماتسمى بالقوى التقدمية في العالم ضد خطر الحرب النووية وفي الوقت نفسه يعيدون الكذبة المفضوحة بأن القوات السوفيتية اما كانت مدعوة او انها ستبقى مؤقتاً في البلد الخاضع للغزو . وقد تضمن خطاب ليونيد بريجنيف لدى انتخابه في ٢٢ شباط ١٩٨٠ التعليق التالي : «أود التأكيد بأننا سوف نكون جاهزين للبدء في سحب قواتنا حالما يوضع حد لكل اشكال التدخل الخارجي الموجه ضد حكومة وشعب افغانستان وادعو الامريكان وجيران افغانستان لضمان هذا المطلب وسوف لاتكون هناك حاجة لتقديم الدعم السوفيتي العسكري»[٦] . واعتباراً من عام ١٩٨٣ ، وبعد ٢٧ سنة من الثورة الهنغارية وخمسة عشر سنة من غزو

تشيكسلوفاكيا ، لاتزال القوات الروسية ترابط هناك وليس لديها النية في ترك افغانستان .

ويعلم القادة السوفيت بأن السخط العام في الغرب يأخذ بالتضائل بعد سنتين او ثلاث بعد كل عدوان حيث تجد الصحافة مواضيع اكثر تشويقا ويكون الساسة الامريكان جاهزين لمحادثات «بناءة» . ويمتلك الاتحاد السوفيتي ستراتيجية طويلة الامد للسياسة الخارجية ذات طابع هجومي ومخطط بشكل جيد لكن الغرب لايمتلك ستراتيجية مضادة بعيدة المدى ولايوجد دليل على تطويرها . ولهذا فأن الغرب سوف يستمر في التعبير عن رد فعله للاحداث بمحاولات عقيمة لمواكبة السوفيت بدلاً من البدء بالتطورات واتخاذ الخطوات اللازمة للسيطرة عليها .

ان استمرار الخلافات والنزاعات داخل الحركة الشيوعية هو احدى وجهات النظر الغربية الشائعة . ويرى اصحاب هذه النظرة بأن الاتحاد السوفيتي هو امبراطورية حديثة تبحث عن الحفاظ على سيطرتها . وكمثال على ذلك فأن مجلة التايم نشرت في ١٣ حزيران ١٩٦٩ بأن الحركة الشيوعية لم تشهد مثل هذه الفوضى ووصفت أفكار كاسترو بأنها «رومانسية اساسا وتعبر عن صورة الرجل المتحدي الوحيد ذي الموقف العدواني والذي يجرؤ على التلويح بقبضته ضد قلعة الرأسمالية» . وبالرغم من ان كاسترو «يأمل في تصدير الثورة لكل بلدان امريكا اللاتينية فليس هناك مكان حقق فيه كاسترو نجاحا حقيقيا» . والعديد من الصحفيين الامريكان الذين يؤيدون هذه النظرية يناقشون المسألة من ناحية ان الاقتصاد المتداعي والمعضلات الناتجة عن النزاع مع الصين والغرب على المصادر الصناعية العسكرية السوفيتية جعلت الانفراج في العلاقات امرا ضروريا . وسوف تصبح مسألة استيراد الغذاء والحبوب من الغرب في مقدمة الاولويات نتيجة للمشاكل الزراعية التأريخية للسوفيت . وللاسف ، فقد ثبت خطأ هذه التكهنات . وقد اعترفت التايم عام ١٩٨٠ بأن الاتحاد السوفيتي كان بعيداً عن الامبراطورية المتداعية وان كاسترو وسع من نفوذه الى ابعد من قارة اميركا اللاتينية[٧] .

ومع ذلك فأن السوفيت عانوا من سلسلة هزائم في هجومهم العالمي . وقد

برزت البرتغال كأحد اهداف السوفيت الرئيسية في اوربا الغربية . وبعد الانقلاب العسكري بقيادة الجنرال انطونيودي سبينولا «Antonio de Spinola» عام ١٩٧٤ أصبح الڤارو كنهال (Alvaro Cunhal) الامين العام للحزب الشيوعي الصغير بل المنظم والموالي لموسكو وزيراً بدون وزارة في الحكومة الجديدة . وكأن السوفيت يأملون أن يحصل الحزب الشيوعي البرتغالي على تأثير مسيطر بالتدريج ويصبح البلد مرتبطا بالكتلة السوفيتية . ان السماح ببناء قواعد عسكرية في البرتغال يتيح للكرملين فائدة ستراتيجية منافسة للولايات المتحدة واوربا الغربية . وسوف تعيش بقية اوربا غير الشيوعية تحت الضغط السياسي والنفسي المتنامي وتنفصل عن الولايات المتحدة . وبالرغم من المناورات الدبلوماسية المكثفة والعمليات السرية الواسعة ، لم يكن السوفيت قادرين على تغيير التحالف البرتغالي مع الغرب .

وفي افريقيا اظهر السوفيت صفحة توازن مختلط من النجاح والفشل . فقد استطاعوا وبمساعدة الدول التابعة في اوربا الشرقية وكوبا من توسيع تأثيرهم في انغولا واثيوبيا وموزمبيق لكنهم عانوا من نكسات رئيسية في السودان والصومال وخاصة مصر التي كانت فيما مضى مفتاح السيطرة على شمال افريقيا والشرق الاوسط . وان هزيمة الامريكان في فيتنام والانقلاب الشيوعي في كمبوديا ظهر لبعض الوقت كنصر سوفيتي آخر ، لكن نظام بول بوت الدموي فضل الصين على الاتحاد السوفيتي كحامٍ رئيس له . والغزو الفيتنامي لكمبوديا في عام ١٩٧٨ قد حل المشكلة لكنه اضاف عبئا اضافيا على الاقتصاد السوفيتي .

وتعتمد ستراتيجية التوسع السوفيتية التقليدية على الافتراض بأن اي اختراق ناجح للبلد المستهدف يتطلب فترة طويلة نسبيا لترسيخ النظام الجديد الموالي للسوفيت واقناع الغرب بأن مصالحه الحيوية غير مهددة . وكان الخطأ الرئيس لقادة الكرملين في السبعينات هو محاولتهم توسيع القوة السياسية والعسكرية اكثر واسرع مما ينبغي . وكان الاقتصاد السوفيتي غير قادر على الوفاء بالتزاماته تجاه طلبات الزبائن القدامى والجدد .

ان استمرار المشاكل الاقتصادية الداخلية قد اوصل نمو الاقتصاد الروسي

الى الصفر تقريبا . وعلى الرغم من ان الدعاية الرسمية انحت باللائمة على التردي وحتى عدم الكفاءة الادارية فأن النفقات العسكرية والدعم لكوبا وفيتنام الشمالية وبقية الدول التابعة لهم قد استهلك بلايين الدولارات التي يمكن انفاقها على المواطنين السوفيت . وقد اجبرت مشكلة العداء بين الصين والاتحاد السوفيتي وتحسين العلاقات الصينية الامريكية ، اجبرت الكرملين على ابقاء مايقارب ثلث القوات المسلحة (حوالي مليون جندي) على طول الحدود الصينية .

ويجد الامريكان صعوبة في اتخاذ المواقف المتشنجة والواعظة في مسألة الانفراج في العلاقات والتوفيق بينها في الوقت نفسه . ومن جهة اخرى فأنهم خجلون من هفوات المخابرات ومحرجين من نجاحات الاخرى . ويعتبر السوفيت العمليات السرية نشاطات عادية ولا يهتمون بمبادئها الاخلاقية او شرعيتها . وبخلاف وكالة المخابرات المركزية ، تلعب الـ (K . G . B) دوراً مباشراً في السياسة السوفيتية الخارجية وتحصل على التشجيع والدعم الكامل «للاجراءات الفعالة» المنفذة في بلدان اخرى . وبعد عشرة اشهر من الاحتلال السوفيتي لافغانستان ، قام مندوب افغانستان لدى الامم المتحدة اختر محمد بكتيوال من كرسيه في مؤتمر الامم المتحدة في بلغراد وبدون سابق انذار والقى كلمة لم يتوقعها احد . وبينما كان المندوبون السوفيت يجلسون بهدوء ، شجب بكتيوال اولاً التدخل السوفيتي العسكري في بلاده ثم التفت الى المندوبين الذين اصابهم الذهول وقال «ان هذا الامر يخصكم . هذه مشكلتنا اليوم وستواجهكم مثلها غداً»[٨] .

فـن الكـــذب

تعتمد كل الحروب على التضليل .. ان افضل سياسة بشكل عام هي ابقاء الدولة على حالها وتدميرها لايرقى الى مستوى هذا العمل وان تحطيم العدو بدون قتال هي قمة المهارة .

صن تسيو (Sun Tsu) فيلسوف ومخطط ستراتيجي صيني

من الصعب ايجاد تعبير في اللغة الانكليزية يلم بالمعنى الدقيق للمصطلح السوفيتي «الاجراءات الفعالة» . فهذا المصطلح كحرب نفسية واختراق سري وعمل سري وألاعيب قذرة قد عكس معظم ، ولكن ليس كل ، صفات الاجراءات السوفيتية الفعالة . فلا يرى السوفيت حداً فاصلاً بين الدعاية والفعل وبين النشاطات السياسية والعمليات العسكرية او بين الاعمال السرية والاعمال العلنية . ويناقش اندرو ام . سكوت (Andrew M . Scott) هذه المعضلة في كتابه الموسوم . «الثورة في ادارة الدولة ـ التدخل في عصر الاستقلال» اذ يقول :

ان الطرق الفنية غير الرسمية (كالاجراءات الفعالة والاعمال السرية) هي في الغالب ادوات للسياسة الخارجية مثلما هي ادوات رسمية وكل واحدة يمكن ان تستخدم بارتباط مع الاخرى وفي تداخلها اثبتت انها مميتة . وكان هتلر ماهراً في استخدام الضغط الدبلوماسي على بلد مقرونا بتلك الضغوط الداخلية المتولدة من اقلية منشقة او حركة مدعومة من قبل النازية[٩] .

واذا قبلنا بوصف جون اي . مارستون (John E . Marston) للعلاقات العامة «كأي حالة وفعل او كلمة توثر في الناس»[١٠] ، فأن الاجراءات السوفيتية الفعالة سوف تقع ضمن هذا المنظور . وكل من العلاقات العامة والاجراءات الفعالة تعتمد على اشكال مختلفة من الاتصال والتفاهم المقنع ، لكن اهدافها الاساسية مختلفة . فالمختص بالعلاقات العامة يريد ان يحسن الصورة العامة للعميل ، لكن منفذ الاجراءات الفعالة يستخدم مبادئ العلاقات العامة والطرق الفنية بصورة معكوسة . فهو يقيّم الاتجاهات العامة ويستخدم السياسات والاجراءات العامة في البلد المستهدف ويطبق برنامج عمل يهدف الى تحطيم صورة البلد ويخلق سياسات وبرامج توحي بحالة من سوء الفهم الى تقويض ذلك البلد .

وينظر السوفيت للاجراءات الفعالة كعمليات سرية مكرسة لتوسيع النفوذ السوفيتي والقوة في العالم . وكادوات هجوم للسياسة الخارجية السوفيتية ، فأنها تخرب بشكل منتظم العلاقات بين الامم الاخرى وتزعزع ثقة خصوم

السوفيت وتوثر على سياسات البلدان الاجنبية لصالح الخطط والسياسات السوفيتية . وتشمل نطاقا واسعا من العمليات تتضمن عمليات تضليل ودعاية سوداء وتلفيقات واشاعات ، واستخدام منظمات الواجهة والعملاء المؤثرين والبث الاذاعي السري وعمليات شبه عسكرية وخداع ودعم مجموعات الفدائيين والنشاطات الارهابية كأعمال الخطف والاغتيال* . وبخلاف المفهوم الامريكي للاعمال السرية فأن الاجراءات الفعالة السوفيتية تتضمن مجالاً اوسع نطاقا وان اعضاء الـ (K . G . B) الفعالين مندمجين مع الاتجاه السائد للسياسة الخارجية السوفيتية الرسمية والدعاية السوفيتية . وتعتبر الولايات المتحدة الهدف الرئيسي للاجراءات الفعالة اذ انها تهاجم بشكل منتظم وتذم وتشوه سمعتها وتوصف بأنها العقبة الرئيسية للتقدم والرفاه العالمي . ومع ذلك فأن السوفيت مارسوا الاجراءات الفعالة ضد العديد من البلدان الشيوعية وحلفائهم كهنغاريا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا .

وينفذ السوفيت الاجراءات الفعالة في اتجاهين رئيسيين الاتجاه الاول يتضمن عمليات تبدأ وتصمم بين صفوف الـ (K . G . B) وفي العادة تستخدم تقنيات التضليل التقليدية كالتلفيقات والعملاء المؤثرين وتنفذ الـ (K . G . B) مئات من هذه العمليات في كل سنة حتى لو كان تأثيرها محدوداً جداً . الاتجاه الثاني يتألف من عمليات تنشأ وتنسق من قبل قسم المعلومات الدولي «International Information Department» التابع للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي او من قبل القسم الدولي للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي . وتشمل هذه العمليات في العادة نشاطات سرية او علنية ويكون تأثيرها اكثر اتساعاً . وقد تأسس قسم المعلومات الدولي في آذار ١٩٧٨ لتحسين تأثير الدعاية السوفيتية ضد الغرب ويحتفظ القسم الدولي بأتصال مع اكثر من سبعين حزب شيوعي ومجموعات الواجهة الدولية مثل جماعة

* في التقرير المعنون : «الاعمال السرية السوفيتية ـ التلفيق الهجومي» المقدم في شباط ١٩٨٠ الى لجنة المخابرات الدائمية في الكونغرس قدرت (CIA) بأن موسكو أنفقت أكثر من ٣ بليون دولار لاعداد ونشر الدعاية الخارجية والتضليل .

السلم العالمي وما تسمى بحركات التحرر الوطني في العالم .

ان عملية خلق الاجراءات الفعالة تبدأ بما يراه منفذوها كأخطاء اولية او نقاط ضعف في العالم الغربي ، لكن خبراء السياسة الخارجية الغربية لايتفقون بالضرورة مع مقياس القيمة لهذه القرارات . ان تحليل العلاقة الدقيقة بين السبب والتأثير كتفسيرات نقاط القوة والضعف كثيراً مايتعدى التحيز الماركسي للمخططين السوفيت . وان معتقدات الامريكان بالالتزامات الاخلاقية في ادارة العلاقات الدولية والمفهوم التبادلي والنشاط الدبلوماسي ودور الاعلام وفهم السيادة والحرية هي محسومة كشعارات دعائية فارغة وبدون أساس .

ان اكثر الاجراءات الفعالة تتركز على اخطاء العدو او اي عمل مربك يمكن ان يؤثر على سياساته . ونجاح العمليات الموجهة ضد الامريكان وخاصة في البلدان النامية مرتبط مباشرة بفشل السياسة الخارجية الامريكية لفهم المشاكل الداخلية لهذه الدول وعدم احساس الحكومة الامريكية بتقاليدها الثقافية والوطنية وتعاطفها مع الانظمة الموسومة بيمينيتها بسبب معاداتها للشيوعية . وتعمل الـ (K . G . B) وأجهزة الاعلام السوفيتية الرسمية وخاصة عندما تواجه السياسة الرسمية بعض المشاكل ، تعمل على القيام بحملات دعائية لصرف الانظار عن المشاكل السوفيتية . وكمثال على ذلك عندما اصطدمت الغواصة السوفيتية المزودة بالسلاح النووي والتي كانت في مهمة تجسسية في عام ١٩٨١ بالقعر في المياه الاقليمية السويدية ، قامت وسائل الاعلام السوفيتية بعد الحادثة بابراز الخطة السوفيتية الداعية الى ايجاد منطقة شمالية خالية من السلاح النووي واتهمت السويد بالتجسس على انظمة الاتصالات السوفيتية لحساب حلف الناتو .

هل ان المبادئ الاخلاقية تؤثر على تنفيذ الاجراءات الفعالة ؟ وكان لدى لينين مايقوله حول المبادئ الاخلاقية اذ قال :ـ «نحن نرفض كل المذاهب او المبادئ الناتجة عن الافكار فوق الطبيعية والتي هي خارجة عن مفاهيم الطبقة .... ان الاخلاقية لابد ان تخضع لمصالح الطبقة . ان اي شيء ضروري لالغاء النظام الاجتماعي القديم ولتوحيد البرولوتاريا هو اخلاقي» . قال جاك

ايلول (Jaeques Ellul) في كتابة (Propaganda - the Formation of men's Attitude) ـ الدعاية تكوين موقف الرجال) ، لايمكن ان يكون رجل الدعاية ذا مبدأ ، «ان رجل الدعاية الذي يؤمن بما يقوله لنفسه ويسمح لنفسه ان يكون ضحية لعبته سوف يكون حقا كضعف الجراح الذي يجري عملية لحبيبته او الحاكم الذي ينظر في محاكمة أحد افراد عائلته» . وهذا صحيح بالنسبة الى التضليل .

ان كل أجهزة المخابرات المؤثرة تمر بشكل مباشر بمرحلة عمليات تخرق قوانين اعدائها بصورة عامة . وفي الحقيقة ان تأثير اي جهاز مخابرات يرتبط بالدرجة النسبية بحيث يكون متهيبا لخرق قوانين اعدائه . والتعقيد وغاية السرية في طبيعة العمليات تجبر أجهزة المخابرات في بعض الاوقات على خرق قوانين بلدانها الخاصة . وكثيراً مانفذت أجهزة المخابرات الشيوعية عمليات تتنافى بشكل مباشر مع المعتقدات المبدئية للماركسية اللينينية ولهذا فأن المبادئ الاخلاقية لاتسبب اي مشاكل للاجراءات السوفيتية الفعالة .

الأهداف بعيدة المـــدى

يعرف اختصاصيو التضليل في موسكو بأن أي عمل سري واحد حتى لو كان مصمماً ومنفذاً بمهارة ودقة لايمكن ان يغير التوازن بين التحالف الغربي والكتلة الشيوعية ، لكنهم يعتقدون ان للكم الواسع من الاجراءات الفعالة تأثير متراكم خلال فترة عدة عقود . وفي العادة تعطى فترة ٥ ـ ٧ سنوات للاجراءات الفعالة التي تنفذ طبقاً للمدى البعيد . ويبدأ استحضار مثل هذه الخطة في المديرية الرئيسية الاولى (A) في الـ (K . G . B) ويصادق عليها في المكتب السياسي للحزب الشيوعي . وتكون الخطة بعيدة المدى لكل جهاز تابع وبأشراف المستشارين السوفيت مرتبطة مباشرة بما يسمى بالمصالح الوطنية وتوصف مثل هذه العمليات بالمسؤوليات الأممية . والنوع الثاني للعمليات هو السائد . وظاهريا تبذل منظمات التجسس التابعة كثيراً من الدعم المادي والموارد البشرية على النشاطات في البلدان التي تكون فيها مصالحها الوطنية بأدنى حد ممكن او عديمة الوجود .

وتحدد الخطط بعيدة المدى اهدافها العامة بدون تحديد الكيفية التي تحققها بواسطتها . فبعضها يعكس تكتيكات السياسة الخارجية السوفيتية بينما تبقى الاهداف الاخرى اهدافاً دائمية لايمكن تحقيقها ضمن المدة المقررة* . والعرض التالي لاهداف الكتلة السوفيتية بعيدة المدى في السبعينات يعتمد على تحليل عمليات الكتلة السوفيتية المكتشفة ضد الولايات المتحدة في ذلك الوقت وعلى خبرة المؤلف كمطلع سابق** :ـ

١ ـ تبقى الولايات المتحدة «العدو الرئيسي» والهدف العام . ولهذا ، يجب الاستمرار في تشويه سمعتها كدولة امبريالية وقوة استعمارية تهدد أمن العالم والرفاه الاقتصادي للدول الاخرى والاجراءات الفعالة للكتلة السوفيتية ترمي الى مايلي :ـ

- تأليب الرأي العام العالمي ضد السياسة الخارجية الامريكية .
- تهيئة الظروف المناسبة للسياسة الخارجية السوفيتية «ارباك الرأي العام العالمي ازاء الطبيعة الحقيقية للسياسات السوفيتية المحدودة» .
- عزل الولايات المتحدة عن حلفائها واصدقائها في اوربا الغربية وذلك بايجاد خلافات جديدة واستثمار الخلافات الحالية .
- شل حلف الناتو من خلال اقناع بلدان الناتو بأن الستراتيجية العسكرية الامريكية هي ضد مصالح دولهم .
- توسيع عدم الثقة التقليدية لبلدان العالم الثالث ازاء اوربا الغربية والولايات المتحدة ومنع التقارب الاقتصادي واظهار أن اهداف وسياسات الولايات المتحدة غير متطابقة مع طموحات العالم الثالث .

---

* القائمة المقدمة الى لجنة المخابرات الدائمية في مجلس النواب في ٦ شباط ١٩٨٠ حول الدعاية السوفيتية واهداف العمليات السرية في دراسة (CIA) للعمليات السرية السوفيتية كانت موجزة وقد اهملت محاولات كالتضليل العلمي والتلاعب في الشؤون الداخلية للولايات المتحدة .

** شارك الكاتب وبأشراف السوفيت عام ١٩٦٥ بأعداد الخطة التشيكية للاجراءات الفعالة بعيدة المدى .

٢ ـ تنظر هيئة صنع القرارات السوفيتية لوكالة المخابرات المركزية الاداة الاهم في السياسة الخارجية للولايات المتحدة . ولهذا يجب شلها داخل وخارج البلاد من خلال اجراءات التضليل التالية :

- الاستفادة من استمرار ضعف المعنويات وخيبة الأمل والاحباط والشعور بالذنب داخل وكالة المخابرات المركزية وتشجيع اعمال الردة الواسعة وكشف او فضح عمليات الـ (CIA) العامـــة .
- كشف اسماء رجال الـ (CIA) في حملة عالمية .
- وصف موظفي الخدمة الامريكية الخارجية والمراسلين ورجال الاعمال بأنهم اعضاء في الـ (CIA) .
- خلق الفكرة بأن الوكالة لاتعمل ضد الكتلة السوفيتية والعالم الثالث فحسب وانما ضد الحلفاء في غرب وشمال وجنوب اوربا واتهامها بأنها المصدر الرئيسي للارهاب العالمي .

٣ ـ وبخلاف التضليل السياسي الذي تقع مسؤوليته بشكل كبير ولكن ليس تماما على عاتق الـ (K . G . B) فأن التضليل العسكري (Military Deception) هو من تخطيط هيئة الاركان العامة للقوات السوفيتية والاستخبارات العسكرية (GRU) ويعتمد السوفيت على التضليل في هذا المجال لتحقيق مايلي :ـ

- تضليل الخبراء الامريكان العسكريين والمسؤولين الحكوميين بشأن القوة الحقيقية والستراتيجية للكتلة السوفيتية التي تتضمن مواقع الصواريخ ومستودعات الاسلحة النووية .
- ارسال رسائل محرفة بشكل منظم حول اهمية بعض المناورات العسكرية السوفيتية والتمارين في اراضي الكتلة السوفيتية .
- تأليب الرأي العام الامريكي والعالمي ضد البرامج العسكرية للولايات المتحدة .

٤ ـ يتجاور العمل العسكري السري مسألة نشر البلاغات المضللة . وعلى أية حال فأن الاهداف بعيدة المدى تتضمن مايلي :

- اضعاف المعنويات المادية (الطبيعية) والسياسية للوحدات العسكرية

الامريكية المتمركزة في الخارج بتشجيع الادمان على المخدرات وتعريضهم لدعاية منظمة موجهة لتحطيم المعنوية والرغبة في القتال من اجل المصالح السياسية الامريكية الخارجية .

- تزويد الصحافة المحلية في البلدان التي تتواجد فيها القوات الامريكية بمواد مضرة تنادي بشكل مباشر او غير مباشر بأنسحابها .
- خلق وسوء استخدام الخلافات الموجودة بين سكان البلد المضيف والقوات الامريكية .
- الدعم المادي للاحزاب السياسية المحلية والمنظمات والحركات التي تطالب بأنسحاب القوات الامريكية .

٥ ـ تعتمد أجهزة المخابرات في الكتلة السوفيتية على الاجراءات العلنية والسرية في الشؤون الداخلية الامريكية لتحقيق مايلي :

- بناء شبكة من العملاء ذوي التأثير داخل الادارة الفيدرالية للتأثير على عملية اتخاذ القرار .
- اختراق الصحافة الامريكية .
- ادارة حملات تشهيرية ضد الرئاسة ورجال الكونغرس وبقية الشخصيات البارزة التي تعتبر عدائية وخطرة من قبل القادة السوفيت .
- تنفيذ العمليات التي تخلق الخلافات العنصرية في المجتمع الامريكي .
- منع الاقليات الاوربية الشرقية من ان تصبح كتلة موحدة في الولايات المتحدة وتشويه سمعة قادة الاقليات من اوربا الشرقية الذين لديهم مواقف معادية للشيوعية .

٦ ـ ان الهدف الرئيسي للحرب الاقتصادية بعيدة المدى والتضليل هو تجريد الاقتصاد الامريكي من المصادر الحيوية لازدهاره ونموه وكذلك التأثير على العلاقات الاقتصادية الامريكية مع العالم الخارجي لصالح الاتحاد السوفيتي بواسطة مايلي :

- التضليل المتعمد للغرب حول الاقتصاد السوفيتي ومتطلباته .
- مساعدة المفاوضين الروس على تحقيق اكثر الصفقات التجارية

الخارجية فائدة مع الامريكان او الشركات الاخرى .

- التأثير على السوق العالمي (الذهب) لصالح الاقتصاد السوفيتي .
- استخدام التجارة الخارجية للتأثير السياسي على بلدان العالم الثالث .
- الاضرار المنظم بالعلاقات التجارية الامريكية مع البلدان الخارجية باطلاق صفة رجال الـ (CIA) على رجال الاعمال الامريكان وتشجيع اعمال الارهاب ضد الممتلكات والافراد الامريكان .

٧ ـ وفي بداية الخمسينات قامت الـ (K . G . B) والاجهزة التابعة لها بتأسيس اقسام خاصة لجمع المعلومات العلمية والتكنلوجية في الخارج . وبعد عقد من الزمن اتخذ اختصاصيو التضليل خطوة اخرى للبدء في تطوير التضليل العلمي والتكنلوجي الى :

- تضليل العلماء الامريكان والاوربيين الغربيين واليابانيين والخبراء التكنلوجيين حول وضع مشاريع البحوث السوفيتية وخاصة ذات الطبيعة العسكرية .
- شل المشاريع العلمية الغربية التي تعتبر مهمة بالنسبة للمستقبل في التنافس العسكري الشرقي ـ الغربي .

لعبـــة التضليـــل

لم يدرك البوليس البريطاني ان جيو فري ارثر برايم (Geofrey Arthur Prime) كان احد اهم الجواسيس الشيوعيين لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية عندما القوا عليه القبض في ٢٨ حزيران ١٩٨٢ بثلاث تهم تخص مضايقة الاطفال . وخلال تسعة اعوام انتهت في ١٩٧٧ ، عمل برايم لمركز الاتصالات الالكتروني البريطاني السري قرب تشلتنهام في جنوب غرب بريطانيا . وكان لدى المركز في ذلك الوقت اكثر من ١٠,٠٠٠ ضابط في انحاء العالم ، في اماكن مثل سكوتلندة وقبرص وهونغ كونغ حيث يستمعون على مدار اليوم للراديو والتلفزيون واتصالات الاقمار الاجنبية ويحللون الرسائل ويقيمون اهميتها الاستخبارية . وتنفذ العمليات بتعاون دقيق مع المخابرات الامريكية التي توفر الدعم المادي والخبرات التكنلوجية[١١] .

وبخلاف الجواسيس السوفيت في بريطانيا ، التحق برايم بكلية تكنلوجية صغيرة في ستافوردشير بدلاً من جامعة كامبرج وقد جند من قبل السوفيت في الستينات عندما كان يعيش في برلين الغربية كاحد اعضاء القوة الجوية الملكية . وقد سهل انحرافه الجنسي قضية تجنيده . وخلال تسع سنوات من وجوده في مركز الاتصالات البريطاني ـ الامريكي كان برايم هادئا بشكل غير اعتيادي ومنعزلاً لكنه من النواحي الاخرى كان شخصا لطيفا لم يشك احد بطيشه الجنسي او اتصالاته مع الروس . وكان على تماس مع الاشرطة المسجلة والوثائق لكل المكالمات السوفيتية الهاتفية واللاسلكية واتصالات الاقمار الصناعية . وقد ساعدت هذه المواد السوفيت على سرعة تحليل الشيفرات وكذلك كيف وبالتالي من قبل مَنْ . كما انها ساعدتهم على تغيير الشيفرات وتغذية انظمة الانصات بسيل ثابت وكبير من معلومات التضليل . واتخذت عدة قرارات تهم دفاع اوربا الغربية واميركا ذات تبعات جدية على اساس المعلومات المضللة لخبراء او مختصي المخابرات السوفيت . وبعد ترك الوكالة عام ١٩٧٧ لاسباب غير معروفة بالضبط ، عمل برايم سائق سيارة اجرة وبعدها عمل بائع مشروبات للمطاعم والفنادق لكنه بقي على اتصال مع السوفيت حتى النهاية . وفي تشرين الثاني ١٩٨٢ ، اعترف بجريمة التجسس لصالح السوفيت لمدة ١٥ سنة وحكم عليه بالسجن لمدة ٣٥ سنة بتهمة التجسس وثلاث سنوات اضافية بتهم اخلاقية قادت الى القبض عليه .

ان كلمة التضليل غير موضحة في قاموس ويبستر الجديد (Webster's New World Dictionary) وحتى وقت قريب فأن الصحافة الامريكية تجنبت الاصطلاح وتكلمت عن الاعمال السرية او بشكل ادق الاعمال القذرة (irtytricks) . وفي المناقشة اللغوية لاصل الكلمة رفض اناس كثيرون التضليل لصالح المعلومات الخاطئة (Misinformation) كمعلومات مزيفة او مضللة ، مبنية على خطأ او اهمال . اما التضليل (Disinformation) فله هدف خبيث واضح ينطوي على الخداع . وتعرف الموسوعة الرسمية السوفيتية التضليل بأنه عملية (نشر المعلومات الكاذبة في الصحافة او الراديو بهدف تضليل الرأي العام) وهذا التعريف محرف بشكل طفيف لان الرأي العام هو احد الاهداف

الكامنة . وتصمم العديد من الاعيب التضليل للتأثير على نخبة صانعي القرار وليس لها اية عمومية . والتضليل هو عملية تركيب مبنية بحذر لرسائل وبلاغات كاذبة تنشر داخل انظمة اتصالات الاعداء لخداع نخبة صانعي القرار او العامة . وقد يكون التضليل ذا طبيعة سياسية واقتصادية وعسكرية او حتى ذا طبيعة علمية ويجب ان يحتوي كل بلاغ تضليل على جزء من ممارسات الدعاية . ومن الصعب كسب ثقة الضحية اذا لم يكن التضليل ماديا على درجة كبيرة من المعلومات المعقولة او المقبولة بصورة عامة . ويناقش دليل الـ (KGB) دور التضليل في العبارات التالية :ـ

> يساعد التضليل الستراتيجي على تنفيذ اهداف الدولة وهو موجه بشكل مباشر لتضليل الاعداء فيما يتعلق بالمسائل الاساسية التي تخص سياسة الدولة والوضع العسكري والاقتصادي والانجازات العلمية والتكنلوجية للاتحاد السوفيتي ، وسياسة بعض الدول الامبريالية بالنسبة لبعضها مع البعض ومع البلدان الاخرى والاهداف الخاصة بالتجسس المضاد لأمن الدولة ... والتضليل في الامور الستراتيجية يقع ضمن نطاق سلطة الحكومة والوزارات واللجان المناسبة والقيادة العليا للقوات المسلحة للبلد . وغالبا ماتقدم أجهزة أمن الدولة المساعدات لبقية الاقسام في هذه المجالات . والتضليل التكتيكي يساعد على تنفيذ الاهداف الفردية للتضليل الستراتيجي وفي الحقيقة انه يشكل عمل التضليل الرئيسي لأجهزة أمن الدولة[١٢] .

والتضليل لعبة يلعب فيها المشاركون واحداً من هذه الادوار : المنفذ (Operator) والعدو (Adversary) والعميل بالصدفة (Unwiting agent) . والمنفذ هو معد ومنفذ العملية والعدو قد يكون دولة أجنبية وسلطاتها وهيئاتها الحاكمة او حتى مواطني الدولة كأفراد : فالولايات المتحدة وجمهورية المانيا الاتحادية وبريطانيا العظمى واسرائيل وجمهورية الصين الشعبية هي غالبا ما تمثل العدو الرئيسي . والعميل بالصدفة هو مغامر لايعرف دوره الحقيقي ويعرف لدى المنفذ او المخطط بأنه وسيلة لمهاجمة الاعداء . ومن الممكن ان يكون هدفا للاجراءات المضادة من قبل الاعداء الذين يعتبرونه بالخطأ المنفذ الحقيقي ويعطى دور العميل بالصدفة للاشخاص والوكالات او الصحافة في الدول النامية . وادوار الاعداء والعملاء بالصدفة لاتتخذ بالضرورة الحدود

الوطنية حتى ولو كانت هذه الحالة هي السائدة، ويمكن ان تمارس ادوارهم من قبل الوكالات الحكومية والمؤسسات وحتى الافراد العاديين في بلد معين . وأحد أوجه اللعبة ، مهاجمة المنفذ للعدو بشكل غير مباشر من خلال العميل بالصدفة :

وفي هذه الحالة يعدل المنفذ من محاولته للتأثير على نشاطات العميل بالصدفة والذي يتطوع على الرغم من عدم اطلاعه للاضطلاع بدور غير مباشر للمنفذ ويهاجم العدو اعتماداً على مبادراته الشخصية .

والوجه الاخر للعملية هو قيام المنفذ بضرب العدو الذي يدافع عن نفسه وليس لديه دليل واضح وصلة بالمقابل ، اذ انه يعتبر بالخطأ العميل بالصدفة المنفذ الحقيقي .

ولهذا يصبح العميل بالصدفة هدفا للاجراءات المضادة للعدو . ويتخذ تدابير لحماية نفسه وهذا الاجراء يقود بالمقابل الى تبادل التهم والحملات بين العدو والعميل بالصدفة ولصالح المنفذ . والاخير يستطيع في الاخر ان يُدخل ذلك في خطة العمليات الاساسية لكنه ايضا يستطيع ان يلجأ اليها في حالات طارئة .

وفي وجه وحالة اخرى يقوم المنفذ وبشكل مباشر بضرب العدو والذي لايكون قادراً او راغباً في تمييز الهجوم بأنه عمل عدواني .

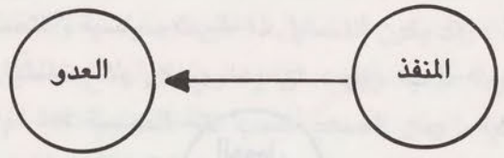

وبدلاً من ذلك فأنه ينظر اليه بأنه نتائج لاخطاء او يعتبره واحداً من عناصر الاحداث الطبيعية ، ولا يصنفه كهجوم بحد ذاته .

وفي النهاية قد يهاجم او يضرب المنفذ العدو والعميل بالصدفة في آن واحد ، على افتراض ان دافعه سوف يثير تبادل عدائي جديد بين العدو والعميل بالصدفة .

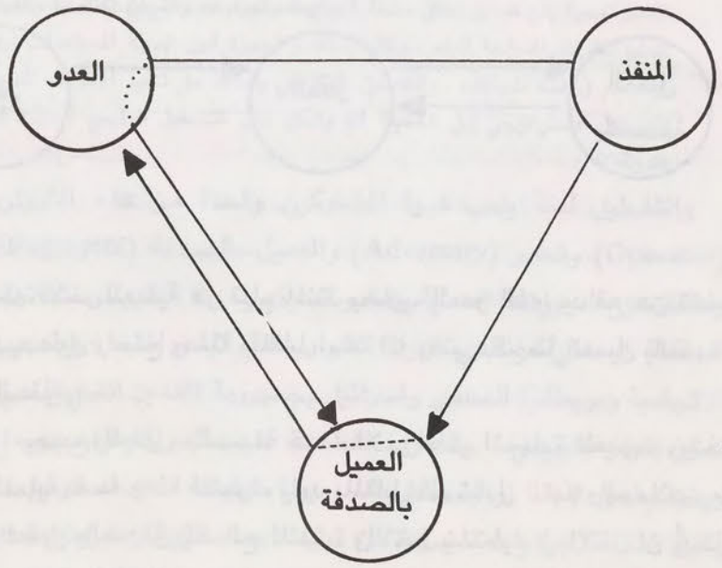

ولاستخدام هذا الوجه للخطة ، يجب على المنفذ ان يقنع العدو او العميل بالصدفة والافضل كلاهما بأن العميل بالصدفة هو المنفذ والمرتكب الحقيقي مقابل العدو ، والعدو هو المرتكب الحقيقي مقابل العميل بالصدفة .

وكل هذه العلاقات المتداخلة بين المنفذ والعدو والعميل بالصدفة تشترك في صفة عامة هي : الاطلاق الاولي المثير للهجوم الصادر من المنفذ والذي يخفي هويته اما بالاختفاء تحت قناع التنكر او يبدأ تحركاته بشكل غير مباشر ومن خلال العميل بالصدفة او حتى العدو نفسه . وهذه التغييرات تشكل حالات مثالية يستطيع فيها المنفذ الحقيقي من الاحتفاظ بدوره السري . وهناك بعض الحالات التي ينكشف فيها المنفذ جزئياً او كلياً ويتعرض لاجراءات انتقامية من قبل الحكومة او البلد المستهدف . وهذا شيء نادر الحدوث ومع ذلك فمن النادر ان يستطيع العدو فك شيفرة بعض العمليات ، وفي العادة لايمتلك الدليل الكافي لتشخيص المنفذ او اثبات ذنبه خلف ظلال من الشك .

اللعبة ضد الدكتور كيسنجـــر

لوقت طويل ، تداول المسؤولون في واشنطن والدبلوماسيون والصحفيون اشاعات مفادها ان الدكتور كيسنجر هو جاسوس سوفيتي . ويقول قدماء (KGB) بأن لكل شخص نقطة تحول تعتمد على اتجاهه والظروف المحيطة والوقت . ويبدو ان التأريخ الشخصي للعديد من الغربيين البارزين الذين جندوا كعملاء لـ (KGB) يعزز هذه النظرية . وليس كل شخص يتصف بالكمال لا الدكتور كيسنجر ولا ميشيل غولينوسكي (Michael Goleniewski) وهو ضابط مخابرات بولندي سابق ارتد عام ١٩٦٠ والذي كان طبقاً لبعض التقارير المصدر الرئيسي للاشاعات ضد الدكتور كيسنجر* . وبعد مجيء غولينوسكي . الى الولايات المتحدة ادعى بأنه كان الدوق اليكسي نيقولايفيتش رومانوف (Aleksei Nicholaevich Romanoff) الذي هرب بشكل سري من

* انظر «البوليس السري» بقلم وليم ب . هاور (William B . Hoar) في مجلة الراي الامريكي لعدد مايس ١٩٧٥ ، ص ٣٥ .

روسيا الى بولندا مع ابيه القيصر نيقولاس بعد ان استولى الشيوعيون على السلطة عام ١٩١٧[١٣] ، وقد صرح غولينوسكي اثناء عملية الاستجواب بأنه شاهد شخصيا دليل لحلقه تجسس لحساب الـ (KGB) وفيها امريكي يعمل تحت اسم مستعار هو بور (Bor) وقال ان بور هو فعلاً هنري كيسنجر الاستاذ في جامعة هارفرد ومستبشار السياسة الخارجية[١٤] وقد دون نظرية غولينوسكي فرانك كابل (Frank Capell) ونشرت في مجلة نداء الحرية (Herald of Freedom) عام ١٩٧٤ تحت عنوان هنري كيسنجر ، عميل سوفيتي . ولم تنل هذه المقالة اهتماما كبيرا . واعادت مجلة الرأي الامريكي (American Opinion) الشهرية المحافظة الاتهام وقالت بأن هنري كيسنجر قد شخص «من قبل مصدر رفيع المستوى دقته لاغبار عليها كعضو في حلقة الـ KGB المسماة اودرا (ODRA) التي يعود تأريخها الى ايامه في الحرب العالمية الثانية في المانيا»[١٥] .

وبينما اساءت هذه الاتهامات الى سمعة وولاء الدكتور كيسنجر فأنها شوهت من مكانته في الخارج كواضع للسياسة الخارجية الاميركية التي تتسم «بالانانية والغدر» . في تشرين الثاني ١٩٧٤ وقع وزير الخارجية كيسنجر مذكرة مؤلفة من ١١ صفحة وبعثها الى الدبلوماسيين الامريكان ومكاتب القنصليات في باريس وبروكسل وجنيف وفينا ولندن . وتم اعداد المذكرة من قبل مديري وكالة المخابرات المركزية وصادق عليها مجلس الامن القومي ووزعت تحت توقيع الدكتور كيسنجر . وقد تضمنت اولويات كل وحدات جمع المعلومات الاستخبارية سواء العلنية او السرية في الخارج وظهرت مذكرة كيسنجر في اوربا الغربية في صيف عام ١٩٧٦ كتلفيق هذه المرة . وقد علم الدبلوماسيون الامريكان بوجودها عندما اعترضت حكومة احد البلدان المتحالفة بشدة حول التدخل الامريكي في شؤونها الداخلية . وقد طلبت الوثيقة الملفقة معلومات حول الوزراء والمسؤولين الذين قد يكونون مرتشين في كل بلد وكذلك رؤوساء الدول الذين ربما يكونون غير مخلصين لحلف الناتو . وقد طلبت الوثيقة الاصلية تصورات واهداف صانعي السياسة ، لكن القائمين بالتلفيق طلبوا معلومات مفصلة حول الشعور الشخصي لكل من «الرئيس

الفرنسي ومستشار المانيا الغربية ورؤساء وزراء بريطانيا وايطاليا والنرويج والسويد وكندا المتعلقة بعدم ولائهم لسياسات واهداف حلف الناتو» .

وقد طلبت مذكرة وزارة الخارجية الاصلية معلومات اقتصادية قد تساعد على فهم التغيير في الوضع الاقتصادي العالمي . وقد اشارت الوثيقة المزيفة الى الرشاوي قائلة «مطلوب تقرير مفصل عن احتمالات وطرق التأثير المادية وغيرها على الوزراء ومنتهكي القانون وباقي العناصر المهمة الوظيفية والسياسية في هذه البلدان لتبني الستراتيجيات والسياسات المفيدة للمصالح الامريكية» . وقد حافظ او ابقى منفذ التلفيقات على معظم الكلمات الاصلية لكنه اضاف بعض الاضافات في اماكن ملحقة . كمثال على ذلك ، فقد طلب في احد المقاطع «معلومات عن محتوى وتوقيت قرارات السياسة الاقتصادية الخارجية والداخلية المتوقع الشروع فيها من قبل الحكومات او الاجراءات المتخذة من قبل المجموعات الاقتصادية والاتحادات او الجمعيات المنتجة والمصادر غير المؤكدة كالتوقيت او المحتوى» . وقد اضاف القائمون بالتلفيق هذه الكلمات الى الطلب «التطورات الحالية والمتوقعة لتبادلهم التجاري مع الاتحاد السوفيتي والصين وبقية بلدان الكتلة الشرقية ومعلومات مفصلة بالوقت عن الاحتمالات في تحديد منافستهم وحماية المصالح التجارية الامريكية المهمة في هذه المنطقة»[١٦] . وكان القصد من هذا التلفيق توضيح ان الحكومة الامريكية عملت بشكل متين مع المهن الكبيرة وبطرق تآمرية لاستغلال الاستثمارات التجارية لحلفاء الاميركان .

وبعد سنة ظهر اسم الدكتور كيسنجر مع مكيدة تضليل سوفيتية اخرى . وقد تضمنت هذه المكيدة مسؤولاً من وزارة الخارجية السوفيتية هو اناتولي فيلاتوف (Anatoly N . Filatov) والذي أصبح جاسوسا لدى المخابرات المركزية ويفترض انه كان واحداً من منفذي العمليات الاكثر قيمة على جداول وموضوعات الوكالة . وحينما كان فيلاتوف مبعوثا لدى الجزائر في اوائل السبعينات فأنه وافق على ان يكون جاسوسا لوكالة المخابرات المركزية بعد ان اعد الامريكان فخا جنسيا وساوموه بصور التشهير . وبعد فترة قصيرة من تجنيده عين في وزارة الخارجية في موسكو واستمر في تزويد الحكومة الامريكية

بمعلومات اعتبرت مهمة في تقدير محللي المخابرات المركزية . وحينما بدأت تقارير فيلاتوف بالتعارض مع مصادر الوكالة خشى رجال الوكالة بأن تكون الـ (KGB) اكتشفت فيلاتوف وقد ازدادت الشكوك في الاشهر الاولى لادارة كارتر عندما اصبحت تقارير فيلاتوف مضللة بشكل واضح . وتدخل قسم التضليل السوفيتي وبدأ تغذية واشنطن ببيانات محرفة . وفي عام ١٩٧٧ زود فيلاتوف واشنطن بنسخة طبق الاصل من برقية كانت قد ارسلت من السفير السوفيتي دوبرينين الى المكتب السياسي السوفيتي تتحدث عن محادثة خاصة جرت اثناء تناول طعام الافطار مع وزير الخارجية السابق كيسنجر . وكان من المفروض ان كيسنجر هو الذي طلب المقابلة التي استغلها كفرصة لمهاجمة ادارة جيمي كارتر لمباحثات (سالت ٢) .

وطبقاً للبرقية فأن كيسنجر قد انحى باللائمة على كارتر بدلاً من الروس لعدم تقدم مباحثات الحد من الاسلحة ، واخبر دوبرينين ايضا بأن الرئيس كارتر كان اسير خرافاته الايدلوجية ومستشاره للأمن القومي زبغنيو بريجنسكي (Zibigniew Brzezinski) والذي كان يعادي السوفيت بصورة دوغمائية . وقد اشارت برقية دوبرينين ايضا الى ان الدكتور كيسنجر طلب منه ارسال تحياته وتمنياته الى الرئيس السوفيتي ليونيد بريجنيف . وحاولت الوثيقة ان تشوه سمعة كيسنجر لكن اغلب مسؤولي وكالة المخابرات المركزية ساورهم الشك من صحتها وتركوها على اعتبار انها تضليل . وقد اكد كيسنجر بأنه تناول طعام الافطار مع دوبرينين في نيسان ١٩٧٧ لكن الادعاءات كانت كاذبة تماما . وقد طلب دوبرنين المقابلة لكن كيسنجر لم يطري او يناقش مقترحات سالت .

وقد نشرت قصة فيلاتوف ـ كيسنجر في مجلة نيوزويك في ٢١ تموز ١٩٨٠ ، وفتحت ابواب (مصانع) الاشاعة في واشنطن واثارت فضول مراسلين اخرين والذين كشفوا النقاب عن كمية ولو ضئيلة من المعلومات الاضافية التي تخص مسلسلات احداث غريبة او شاذة . وبدأت محاكمة عسكرية مغلقة قضت على فيلاتوف بالاعدام في ١٤ تموز ١٩٧٨ بتهم التجسس لقوة أجنبية لم يذكر اسمها لكن الحكم لم ينفذ . وقد اخبر محامي فيلاتوف ، ليونيد ام بوبوف

مراسل النيويورك تايمز فريغ وتني بأن الحكم قد خفف الى السجن لمدة ١٥ سنة[١٧] ونتيجة لمشاكل استمرار الاشاعات والتكهنات فأن عضوي مجلس الشيوخ دانيال بي مونيهان (Daniel P . Moynihan) ومالكوم والوب (Malcolm Wallop) وهما عضوان في لجنة المخابرات المنتخبة التابعة لمجلس الشيوخ طلبا التحقيق في القضية في اوائل أيلول ١٩٨٠ . وتضمنت رسالتهما الى رئيس اللجنة الملاحظات التالية :

> طيلة السنين الماضية لاحظنا ان الصحافة اليومية وخاصة مجلة نيوزويك وحتى الديلي تلغراف اللندنية تناقش بتفصيل ماظهر بأنه فشل استخباري رئيسي والذي عانت منه الولايات المتحدة ـ فقدان مصدر بشري في الاتحاد السوفيتي . وطبقا لهذه المقالات فأن هناك شكوكا في تداول هذه المواضيع وحتى ان الموضوع غير محتمل ان يناقش في الصحافة بسلسلة من المعلومات السرية والمعلومات السرية المضادة ... ولهذا فنحن نطلب منك حضور سلسلة من المناقشات المغلقة لاستيضاح ماحدث لجمع المخابرات السرية في الاتحاد السوفيتي خلال السنوات الاخيرة[١٨] .

ويستخلص من ذلك بأن الاشاعات التي دارت بين الموظفين والدبلوماسيين والصحفيين في واشنطن كان مفادها ان المعلومات قد ساعدت في الكشف عن فيلاتوف كعميل لوكالة المخابرات المركزية ويفترض ان ديفيد ل . ارون (David L . Aaron) ، نائب مساعد الرئيس كارتر لشؤون الأمن القومي قد فضح فيلاتوف عندما تطرق الى نشاطاته بشكل غير مقصود الى الدبلوماسيين الرومانيين في حفلة اقيمت في واشنطن . وقد اعلنت لجنة المخابرات في مجلس الشيوخ في كانون الاول ١٩٨٠ بأنها لم تجد أي دليل موثوق لأي نوع من الدعم للاتهامات . وبعد ايام قليلة ، توصل محققو مكتب التحقيقات الفيدرالي ووكالة المخابرات المركزية الى نفس النتيجة .

لماذا حاول السوفيت تشويه الانطباع العام عن كيسنجر حتى بعد تركه واشنطن وما الذي حققوه ؟ ان اسم كيسنجر يعني لاصحاب الدعاية السوفيت سلعة او بضاعة ذات قيمة معروفة في العالم ولهذا فهي مفيدة كواسطة للدعاية . ومن خلال نشر التضليل حول اخلاص كيسنجر وتشويه سمعته ، فأن الـ (KGB) تقيم الاعيب التضليل هذه لاعتبارات سياسية

أوسع . فبالنسبة للمحلل السياسي او الصحفي الامريكي ربما يبدو المسلسل وكأنه محاولات لاطائل منها وقليلة او غير مؤكدة التأثير او الوقع . لكن بالنسبة للمخططين السوفيت فأن لعبة كيسنجر قد ساهمت في الهوس المضاد للامريكان في انحاء العالم ولا يستطيع احد ان يقول بأنهم على خطأ تماما .

التضليل الدعـــائي

ان الدعاية السوفيتية الرسمية الموجهة للبلدان النامية تهدف الى اظهار الاتحاد السوفيتي كبطل لاينازع للسلام ونزع السلاح ، ويهاجم بأنتظام الغرب وخاصة الولايات المتحدة ويصفها بأنها قوة امبريالية والتي بطبيعتها لاتتعاطف مع حاجات وطموحات العالم الثالث . والدعاية السوفيتية التي تبث من القنوات الرسمية الى الغرب هي دعاية متطورة وبارعة في مجال تجنب لفت الانظار لتشويه الحقائق وتبحث عن التأثير على المستمعين الغربيين برسائل ترسم او تصف الازدهار الاقتصادي للمواطنين في الكتلة السوفيتية او طبيعتهم المحبة للسلام . والهدف الرئيسي لدعاية الكتلة السوفيتية الرسمية في الخارج هو اظهار الصور الايجابية الودية للاتحاد السوفيتي .

ويسعى التضليل الدعائي المتطور للـ (KGB) الى تحطيم المعنويات الداخلية وازالة السلطة للبلدان المستهدفة لكن المصادر والاهداف المتوخاة مخفية عن المستمعين . وغالبا ماتحوي رسائل التضليل مقاطع كبيرة من المعلومات الصحيحة . وحتى قد تنتقد قيادة البلد الذي ينشأ منه التضليل من اجل خلق الثقة . وتبذل محاولات لتقديم الرسالة بطريقة تتيح للبلد المستهدف اجراء تحليل نقدي للمقاطع المضللة والغرض النهائي هو ليس الخداع فحسب بل الحاق الضرر بالهدف . ولابد من توجيه ضحية التضليل لألحاق الضرر بنفسه بشكل مباشر او غير مباشر اما بأتخاذ اجراء ضد مصالحه الشخصية على اساس المعلومات المزورة او بأتخاذ موقف سلبي عندما تكون هناك حاجة الى الاجراء .

ويتخذ التضليل الدعائي عدة اشكال محدودة منها : الاشاعات وتسريب الوثائق المزورة والحملات المنظمة في الصحافة العالمية وبمساعدة العملاء

المؤثرين والكتب والحملات الاذاعية والتلفزيونية . وان اية قناة اتصال قد تستخدم لنشر الرسالة ، ولكن طالما ان غرض الرسالة هو البدء في سلسلة من ردود الفعل في وسائل الاعلام ، فأن اختيار افضل واسطة لنشر القصة هو الشيء الاكثر اهمية وفي اتخاذ هذا الخيار ، فأن رجال مخابرات الكتلة السوفيتية يفضلون دائما الصحف اليومية والمجلات ، لان التضليل المنشور في وسائل الاعلام المطبوعة له طابع الديمومة وتغطي الوسائل الاذاعية في العادة ٨ ـ ١٢ قصة رئيسية في نشره اخبارية واحدة ولهذا فهي لاتعطي المنفذ الاهتمام المناسب والفرصة لنقل ونشر الرسالة .

وتقيس الـ (KGB) نجاح التضليل الدعائي بطريقتين : الاولى الرغبة في معرفة الاهتمام المعطى للرسالة خارج الكتلة السوفيتية وحجم المناقشات العامة الناتجة عنها والنغمة السياسية السائدة في المناقشة ، والطريقة الثانية هي معرفة فيما اذا ان الرسالة تجبر البلد المستهدف على اجراء اية تغييرات سياسية والتي من الممكن ان تفيد الاتحاد السوفيتي بشكل مباشر او غير مباشر . ما الذي جعل رسالة التضليل موثوقة ومقبولة حتى لو كان مصدرها مجهولاً وغير معتمد ؟ من الواضح ان معظم التضليل يلبي حاجات المتلقي من خلال دغدغة انتماءه وانحيازه . وفي البلدان النامية على سبيل المثال ، يركز التضليل على الصور المتراكمة والتحيز الموجود ضد البلدان الغربية وثقافاتها ونظامها الاجتماعي . ويقبل بسرعة حتى التلفيق البسيط لوثيقة امريكية ، وتستخدم كصورة مرئية عن الشر الامريكي لانها تتيح للمستمعين الثبات او العزاء ويعتبر المتطرفون من يساريين ويمينيين ، الاهداف الاسهل للتضليل وبدون درجة سليمة من التحمل والشك فهم يميلون الى قبول حتى الاتهامات غير المعقولة واشاعات التآمر التي تصلهم من مصادر غير موثوقة اذا ما توافقت هذه الرسائل مع انحيازهم السياسي .

وتستحق الامم المتحدة ، كمنظمة عالمية ، اهتماما خاصا للدور الذي تلعبه في الحملات الدعائية المعلنة والسرية التي ينظمها السوفيت . وتعتبر الامم المتحدة مسرح عمليات او معارك بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة لكونها منظمة تساعد في بلورة الرأي العالم العالمي وتلعب دورا اساسيا في

الحفاظ على السلام . ومن بين الـ (٣٢٠٠٠) عضو في الوسط الدبلوماسي للامم المتحدة في نيويورك ، يمتلك الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية واسرائيل وجمهورية الصين الشعبية وبلدان اخرى اكبر فريق من رجال المخابرات . لكن الاتحاد السوفيتي يحتفظ بتأثير اكثر في المنظمة من خلال مجموعة كبيرة من الجواسيس السوفيت من اي مكان آخر في الغرب . وقد قدر أحد رجال المخابرات الامريكان بأن الشبكة السوفيتية بما فيها ضباط الـ (KGB) و (GRU) والمتعاونون الآيدلوجيون ضمن الضباط والموظفين السوفيت لدى سكرتارية الامم المتحدة ، تصل الى مايقارب ١٠٠٠ شخص[١٩] . والتجسس في نيويورك شائع جداً بحيث ان بعض الدبلوماسيين يطلقون على الامم المتحدة «مركز تبادل عمليات التجسس العالمي» ولا يكون التجسس الالكتروني والتجسس المضاد واضحاً فقط بل امر مسموح به ويرفض معظم مندوبي الامم المتحدة الحماية من التجسس لانها تعطي انطباع الاشراف البوليسي .

وغالبا مايغير الدبلوماسيون السوفيت المحترفون وحملات الدعاية والتضليل الاتجاه السياسي لمظالم العالم الثالث . ويعاد توجيه الصفة التقليدية لصراع الشمال ضد الجنوب في مناقشات الامم المتحدة (البلدان المتطورة ضد البلدان الاقل تطوراً) من قبل السوفيت الى صراع شرقي - غربي[٢٠] . فقد صوتت دول العالم الثالث الى جانب الاتحاد السوفيتي بنسبة ٨٣,٤٪ من المرات في دورة الجمعية وللولايات المتحدة بنسبة ٢٠,٤٪ فقط[٢١] .

ان معظم التضليل الدعائي يستخدم طريقة فنية بسيطة لتزوير الوثائق بمحتوى تشهير وتسريبها بشكل مجهول الى اجهزة الاعلام* . وفي يوم الثلاثاء

* لجمع أكبر قدر ممكن من الاوراق الرسمية «التي تحمل عنوان المؤسسة او الدائرة» وتواقيع الافراد الغربيين البارزين تستخدم اجهزة المخابرات السوفيتية طريقة ذكية وبسيطة وكفوءة . فرجال المخابرات في الخارج وتحت اغطية مختلفة من دبلوماسيين وصحفيين وممثلين للعديد من المنظمات التجارية يقومون بأرسال عدد كبير من رسائل وبرقيات التهاني الى نظائرهم الاجانب والى عدد من الاشخاص البارزين في كل عيد ميلاد وكما تملي قواعد واصول الرسميات فأنهم يستلمون اجوبة مماثلة موقعة وفي بعض الاحيان على اوراق رسمية .

السادس عشر من ايلول ١٩٨٠ تلقى عدد من محطات الاذاعة التي تدار من قبل السود وعدة مكاتب للصحف اليومية في واشنطن ونيويورك وبعض الممثلين الدبلوماسيين لافريقيا السوداء في الامم المتحدة نسخة من وثيقة ذات مردودات سياسية قابلة للانفجار . وفي اليوم التالي حضر مجموعة من الوزراء الى مؤتمر صحفي في مقر الامم المتحدة في نيويورك لكشف «السياسة الخارجية العنصرية للولايات المتحدة ضد افريقيا السوداء» . وقد طلب الوزراء السود سلسلة من الاجراءات الادارية منها الطرد الفوري لبريجنسكي مستشار الامن القومي ورئيس مجلس الامن القومي في ادارة كارتر . وقد قدم الكاهن وليم اي . جونز (William A . Jones) ، قائد جمعية المعمدانيين الوطنية وممثل المؤتمر القومي لرعاة الابرشية السود قدم الدليل : والذي هو نسخة مما كانت تبدو وكأنها مذكرة رئاسية مؤلفة من (١٣) صفحة ختمت بكلمة سري وحملت توقيع بريجنسكي . وعندما سئل عن كيفية الحصول على هذه الوثيقة ، اوضح جونز بأنها من (مصدر موثوق)[٢٢] وان محتوياتها سوف تكون احد مواضيع الاولويات في المؤتمر القومي لرعاة الابرشية السود في شيكاغو في السنة التالية . وقد نوقشت حالات الكشف المشبوهة هذه في نفس المساء ومن قبل عدة محطات اذاعة في نيويورك وواشنطن .

وكان البيت الابيض في حالة انذار عندما طلب عدد من الصحفيين من السكرتير الصحفي جودي باول التأكد من صحة الوثيقة . وقد وزع باول نسخة من الوثيقة الى الصحفيين والمراسلين في مؤتمر صحفي نظم سريعاً لافشال الموضوع في ١٧ أيلول ١٩٨٠ كما قال بأن هذه الوثيقة في حقيقتها تلفيق الا انها زورت ببعض المهارة وبطريقة محسوبة . ان الوثيقة المطلوبة التي تحمل عنوان «مذكرة مراجعة رئاسية (NSC 46) كانت حسبما يزعم دراسة للعلاقة بين الحركة السوداء في الولايات المتحدة وافريقيا السوداء قد طلبت من قبل بريجنسكي في ١٧ آذار ١٩٧٨ ووجهت الى وزير الخارجية ووزير الدفاع ومدير وكالة المخابرات المركزية .

وكان المحتوى في الحقيقة محرجاً لادارة الرئيس كارتر حيث انه طلب تقديم

دعم امريكي لجنوب افريقيا ومراقبة زعماء الحركة السوداء الاميركان وأوصى ايضا بأتخاذ الاجراءات ضد «النشاط المنسق بين حركة القوميين السود في افريقيا والحركة السوداء في الولايات المتحدة» واقترح بأن تراقب وكالة المخابرات المركزية وتجمع المعلومات الحساسة المهمة حول المندوبين السود في الامم المتحدة المعارضين لسياسة الولايات المتحدة نحو جنوب افريقيا . وقد خططت الوثيقة لأبعد من ذلك الا وهو «برنامج خاص مصمم لادامة الانقسامات داخل الحركة السوداء» . وقد اراد المنفذ ان يوضح تأليب الامريكان السود ضد حكومتهم وتشويه مهمة بريجنسكي وتحريض مجموعة الدبلوماسيين السود في الامم المتحدة ضد الولايات المتحدة .

واثناء ادارة كارتر ، اعيد تصنيف اثنتي عشرة وثيقة أمن قومية بناء على طلبات قدمت حسب قانون حرية المعلومات . وقد وقعت احدى هذه الوثائق بيد المنفذ والذي استخدمها كنموذج لصياغة وثيقة الـ (NSC 46) الكاذبة . وقد بين مسؤولو البيت الابيض المطلعون على الصيغة الرسمية لمذكرة المراجعة الرئاسية بأن المذكرة المزورة استخدمت اسلوب الحكومة في عهد ادارة نيكسون والذي استبدل خلال ادارة كارتر . واشارت الوثيقة الى (NSC Interdepartmental Group on Africa) مجموعة مجلس الأمن القومي العاملة بين الاقسام حول افريقيا وهي الاصطلاحات المستخدمة خلال عهد نيكسون . اما وثيقة الـ (NSC 46) الحقيقية فكانت بالأصل وثيقة مؤرخة في ٤ مايس ١٩٧٩ وكانت تحتوي على مراجعة لسياسة الولايات المتحدة تجاه امريكيا الوسطى . وعندما سأل جودي باول عن المنفذ الحقيقي لهذا التضليل اجاب بأنه لم يكن واضحا فيما اذا كان التلفيق من عمل قوة معادية او المعارضين المحليين السياسيين للرئيس كارتر .

وقد تضمن تلفيق وثيقة الـ (NSC 46) كل اشارات او علاقات التلفيقات الصادرة من قبل الكتلة السوفيتية ، لكن لم تشر أية صحيفة يومية من الصحف التي نشرت القضية الى تحليل التلفيق المقدم في تقرير وكالة المخابرات المركزية الشامل والذي وزع على الصحافة في شباط ١٩٨٠ .

وبالرغم من نفي البيت الابيض للوثيقة ، فأنها تركت بعض رواسب الشكوك والاتهام بين الدبلوماسيين السود الموجودين في الولايات المتحدة وبعض القادة السود الامريكيين . وقد قال راندال روبنسون رئيس مجموعة ترانس افريقيا (Trans Africa) وهي اكثر المجموعات عدائية لنظام جنوب أفريقيا من المحتمل بشكل اكيد ان الوثيقة من انتاج (مصانع) التلفيق السوفيتي[٢٣] لكان رأي اكثر المسؤولين في واشنطن الذين تمت مقابلتهم في ذلك الوقت كان يقول بأن التلفيق قد وضع من قبل مجموعة محلية يمينية او يسارية .

ويجسد تلفيق الـ (NSC 46) تقريبا مشكلة تشخيص تكاثر التلفيقات السوفيتية وكشف الوجه الحقيقي وراء هذا التهديد العالمي . وبسبب الانحياز السياسي القومي ، فأن وسائل الاعلام الامريكية اليسارية تميل الى قبول تلفيقات وبدون ان تعطي اي اهتمام الى اجراءات التحقيق الاولية . وعادة ماتنشر الصحف اليومية البارزة والتي تعتبر محايدة مثل النيويورك تايمز واللوس انجلوس تايم هذه الحوادث بطريقة منفصلة وبشكل جدي ، لكن بغياب البرهان الاكيد للتورط السوفيتي فقد ظلت حذرة في النشر ، وربما كانت عوامل مثل الكلفة والوقت المكثف لاتبرر تحقيقاتها العميقة في هذه المواضع . ومن ناحية اخرى ، فأن المنشورات المحافظة جداً ونقاد الاعلام تعطي وقتا وطاقة كبيرة لخطر التغلغل الشيوعي ، لكن ورقتها المتوازنة غالبا ماتكون مخلوطة . وقد اعطى الزخم الكبير من الشكوك والاتهامات التي لاصحة لها الشك حتى على اكتشافاتها التي تلقى الاحترام لمصدر الاذى السوفيتي . وفي غضون ذلك يستمر السوفيت في ألاعيب التضليل .

الاشاعـــة

الاشاعة هي طريقة فنية اخرى مستخدمة بشكل واسع للتضليل . وتستخدم هذه الطريقة بشكل خاص ضد المبعدين السياسيين والاجئين والمرتدين من البلدان الشيوعية . وقد بقى جيرزي كوسنسكي (Jerzy Kosinski) وهو لاجئ بولندي وكاتب بارز في الولايات المتحدة لعدة سنوات

هدفا للافتراء الشيوعي . ويبدو ان الحملة ضده وصلت الى ذروتها في ٢٢ حزيران ١٩٨٢ عندما نشرت جريدة صوت القرية (*Village* voice of New York) في نيويورك مقالة مطولة اتهمت فيها كوسنسكي بخطيئتين لاتغتفران هما : الانتحال والتعاون مع وكالة المخابرات المركزية . وقالت الجريدة بأن روايته ، الطير المطبوع (The Painted Bird) التي كتبت بالبولونية وترجمت فيما بعد الى الانكليزية بدون تصديق المترجم ليس هذا فحسب بل ايضا قالت ان المؤلف قد ابتدع الحقائق حول تأريخ حياته «يبدو ان كوسنسكي يتصف بعادة ذكر اي شيء يعتقد انه ممتع وجذاب او مطرب لمستمعيه والمحصلة النهائية هي لايمكن الوثوق بأي شيء يقوله وكل شيء يجب التحقق منه» . واتهمت الصحيفة بأن وكالة المخابرات المركزية «لعبت بوضوح دوراً سريا» في نشر اول كتابين له وفتحت المقالة محاورة وبنغمة سياسية قوية في عدة مطبوعات بارزة منها النيويورك تايمز والبوسطون غلوب وغيرها . ويعتبر كوسنسكي وهو لاجئ اصبح كاتبا عظيم النجاح والشهرة احد الاهداف المهمة ليس لانه كان مثالاً والهاما للعديد من الشباب البولونيين بل ايضا لانه ادلى بعدة تصريحات سياسية قوية ضد نظام الحكم البولوني الحالي . وعلى سبيل المثال فقد تكلم من صوت اميركا في آذار ١٩٨٢ وطلب من البلدان الغربية شجب القروض الحالية والدعم الاقتصادي لحكومة بولندا العسكرية وقاد في عدة مناسبات حملات لاطلاق سراح السجناء السياسيين في بولندا . وقد اعطت حياة كوسنسكي الشاذة وتأريخه غير العادي والحياة الخاصة الغريبة جداً فرصاً لا نهاية لها للمخابرات البولندية للافتراء عليه .

وكان وسلاو غورنكي (Wieslaw Gornicki) مراسل وكالة الصحافة البولونية (PAP) في الامم المتحدة في الستينات ومسؤول رفيع المستوى في حكومة الجنرال جاروزلسكي (Jaruszelski) العسكرية في اوائل الثمانينات هو المفتاح الرئيسي ومصدر التضليل ضد كوسنسكي . وقد نشر غورنكي خلال وجوده في الولايات المتحدة وبشكل منظم اشاعات ضد كوسنسكي بين اصدقائه ومعارفه الاميركان وقد كان ايضا مؤلفا لعدة مقالات نشرت في الصحف والمجلات البولونية والتي اعادت الاتهامات . فعلى سبيل المثال نسب

الى كوسنسكي عام ١٩٦٩ قوله مايلي :ـ

> شاعر متكسب يعيش على فتاة الغير ... وكل طفل مهاجر يعلم بأنه ليس كوسنسكي هو الذي يكتب بشكل جيد بالانكليزية بل رجل يدعى بيتر سكنر (Peter Skinner) وهو رجل انكليزي حقيقي وخريج جامعة اوكسفورد قد تم استئجاره كشبح للكاتب وان جيرزي كوسنسكي هو اكبر دجال في السنوات العديدة الماضية[٢٤] .

وقد تلا ذلك سلسلة من الهجمات في الصحافة البولونية وكتبت المجلة الدورية الادبية البولونية المسماة (Tworczosc) او الابداع (Creativity) في عام ١٩٧٣ بأن كوسنسكي كان قد سرق رواية قصة حياة نيكودم ديزمي . والحملة البولونية ضد كوسنسكي هي قضية غير معزولة حيث استخدمت اجهزة المخابرات السوفيتية والالمانية الشرقية والهنغارية طريقة فنية مشابهة ضد اللاجئين السياسيين البارزين . فعلى سبيل المثال ، نشر قسم التضليل التشيكي اشاعات في الستينات بين المنشقين السياسيين في البلاد والاجئين التشيكيين في الخارج بأن بافل تايغرد (Pavel Tigrid) الكاتب والناشر البارز للمجلة الادبية الفصلية (Svedectvi) او الدليل (Testimony) في باريس كان في الحقيقة عميلاً شيوعيا تظاهر في معاداة النظام الحالي : كانت العملية مكرسة للتقليل من تأثير تايغرد (Tigrid) على المفكرين الشيك والسلوفاك . وأصابت العملية نجاحا حتى الربيع السياسي عام ١٩٦٨ عندما فضحت في الصحافة .

عمـــلاء التأثيـــر

عندما تزوج سيرجي كوازوف وهو موظف سوفيتي من الدرجة الثالثة ، الوريثة اليونانية كرستين اوناسيس في موسكو في آب ١٩٧٨ ، توقعت اجهزة الاعلام في العالم فيما اذا كان الزواج مبنيا على اساس رجولة كوازوف غير الاعتيادية او على اساس تحول اوناسيس الى الماركسية ـ اللينينية . لكن السؤال البارز كان كيف سمحت السلطات السوفيتية (الـ KGB) لمواطن

سوفيتي موالي للاقتران بارستقراطية رأسمالية . وعندما انتهى الزواج بالطلاق في مايس ١٩٨٠ على اساس (خلافات متناقضة) اصيبت الـ (KGB) بخيبة أمل لان حب كوزاوف لـ «أوناسيس» كان بمثابة فرصة لاستخدامه كعميل مؤثر . وان الحصول على سيطرة جزئية على اوناسيس سيجعل امبراطورية الشحن النفطية مصدر قوة للستراتيجية السوفيتية .

وطبقاً لمبدأ المخابرات السوفيتية ، فأن العميل المؤثر هو شخص يشغل منصب مهم في الهيكل الحكومي الاقتصادي والصحفي والعلمي او الاجتماعي للبلد المستهدف ، وبطريقة او بأخرى قادر على التأثير على عملية صنع القرارات او الرأي العام . وليس من الضروري ان يكون المرشحون لهذا الدور المطلوب في توافق تام مع المنظور السياسي السوفيتي . وكمثال على ذلك فأن الطلبة الاجانب الملتحقين بجامعات اوربا الشرقية هم عملاء تأثير يستخدمون للتجنيد خلال تواجدهم في موسكو او برلين الشرقية على اساس موهبتهم المستقبلية عند رجوعهم لبلدهم . ان هذه الطريقة بعيدة المدى تكون ذا مردود جيد في بلدان العالم الثالث حيث يكون التعليم الجامعي هو مصدر قوة غير اعتيادي .

وتجمع الـ (KGB) سواء من مصادر علنية او سرية زخما كبيراً من المعلومات حول عدم حصانة وطموحات وهوى المرشحين المحتملين والحالات الشاذة في حياتهم الجنسية . ورجال مخابرات الكتلة السوفيتية المزودين بهذه المعلومات الحياتية الاساسية يفكرون فيما اذا يكون باستطاعتهم التأثير على الاشخاص من خلال الابتزاز التهديدي واستغلال عقيدتهم او استغلال الرغبة في الانتقام . وعادة ، تكون هذه الجهود ذات مردود نافع ، ففي عام ١٩٥٤ ، على سبيل المثال ، قامت المديرية الاولى التابعة لوزارة الداخلية التشيكية (المخابرات الاجنبية) بأبتزاز احد رجال المخابرات البارزين في مكافحة التجسس النمساوية عن طريق التهديد . ولاكثر من عقد من الزمن كان هذا العميل يعمل في شبكة وتحت اسم سري هو الرقم ٧ (Number Seven) ، وقد اثر بنجاح على الامن النمساوي . وبفضل تقاريره ، كان رجال المخابرات وعملاء الكتلة السوفيتية يعملون بأمان في النمسا . والاهم من ذلك انه ادخل

مكافحة التجسس النمساوية في نشاطات لم تثمر عن شيء سوى ضياع الوقت والمال .

ويعامل العملاء المؤثرون الذين يتعاونون مع السوفيت على أساس التعاطف السياسي والآيديولوجي المشترك ، بحذر وحساسية كبيرين . فبدلاً من استلام مدفوعات فأن بعض عملاء التأثير قد كوفئوا بأوسمة ودرجات شرف ورتب عالية . وقصة غونتر غيلوم (Gunther Gwillaume) وهو مسؤول حكومي سابق في المانيا الغربية والذي عمل للمستشار النمساوي فيلي براندت هي مثال للعميل المؤثر فوق الممتاز . وكان غونتر غيلوم رجل مخابرات الماني شرقي وصل كلاجئ سياسي الى المانيا الغربية مع زوجته ، وهي جاسوسة ايضا بواسطة خدعة نفذاها للهروب من المانيا الديمقراطية . وكان لبعض الوقت مسؤولاً عن حلقة تجسس في فرانكفورت بينما كان يشق طريقه بهدوء في مراتب الحزب الديمقراطي الاشتراكي . وعندما أصبح المساعد الشخصي للمستشار فيلي براندت كانت مسؤوليته الاولية هي اداء دوره كعميل مؤثر . وكان يمتلك حرية الوصول الى معلومات ذات حساسية عالية وفي نفس الوقت فرصه للتأثير على قرارات المستشار في العديد من امور مهمة . واخيراً اعتقل غيلوم وزوجته عام ١٩٧٤ وحكم عليه بالسجن لمدة ١٣ عاما وعلى زوجته بالسجن لمدة ٨ سنوات . ولكن قضيته كان لها تأثير كبير على حياة المانيا الغربية السياسية حتى بعد اعتقاله . فقد دفعت فيلي براندت الى الاستقالة وانهارت سياسته بشأن حسين العلاقات مع الاتحاد السوفيتي والمانيا الشرقية وبقية بلدان حلف وارشو . وقد تمت مبادلتهما عام ١٩٨١ مع مجموعة من الجواسيس الغربيين المسجونين في المانيا الشرقية .

وقد اقتنع المسؤولون الحكوميون في بون ومنهم غونتر نولوا ، المدير العام لجهاز الـ (Bundesamt Fur Verfassungschutz) وهو جهاز مشابه لمكتب التحقيقات الفدرالي بأن هناك جواسيس اخرين على غرار غيلوم كانوا يعملون اعلى مستويات الحكومة . وبعد وقت قصير تصدرت الصحافة توقعات تقول بأن افضل موقع لعميل الماني شرقي في بون ليس غيلوم بل غونتر نولوا نفسه وقد ترك نولوا المانيا الشرقية كلاجئ عام ١٩٨٠ . بالرغم من ان هذه المزاعم

ربما كانت تضليلاً من قبل الـ (KGB) لتشويه سمعة اكبر صياد جواسيس في المانيا الغربية فأن الديمقراطيين الاشتراكيين ارتكبوا خطأً كبيراً عندما عينوا لاجئاً من البلدان الشيوعية لاشغال موقع حساس كهذا في الحكومة .

ويقوم بعض الافراد في واشنطن بتمويل حملات عامة مثيرة للجدل والتأثير في وسائل الاعلام وترتيب الحفلات لاعضاء مجلس الشيوخ والمسؤولين الحكوميين والصحفيين ضمن اطار القانون . ان مجموعة الضغط التي تدعى احيانا (Fifth estate) الطبقة الخامسة للتأثير على الحكومة الامريكية تعتبر من بين المؤسسات الامريكية الاكثر قوة . وهذا الاصطلاح يستخدم لاية محاولة من قبل اية مجموعة ذات مصالح او حكومة اجنبية او شركة اميركية للتأثير على القرارات والاجراءات التشريعية والتنفيذية او حتى الفروع القضائية للحكومة .

وفي نيسان ١٩٧٧ ، كان هناك ٦٣٣ عميل مسجل للمصالح الاجنبية في الولايات المتحدة من المحامين الذين كانوا فيما مضى يحتلون مناصب حكومية مهمة واعضاء الكونغرس السابقين واعضاء مجلس الشيوخ ومدراء الحملات الدعائية ومختصي الاعلام . ان اكبر مجموعة تأثير مسجلة للمصالح الاجنبية تمثل اكبر شركاء للتبادل التجاري مع الولايات المتحدة مثل (اليابان وكندا وفرنسا والمانيا الغربية) . وحسب شروط قانون تسجيل العملاء الاجانب فأن اي فرد ممثل لمصلحة اجنبية يجب ان يكون مسجلاً وبشكل علني . وينص القانون على عقوبات جنائية عن عدم التسجيل ، لكن حكومة الولايات المتحدة وفي ظل العديد من الادارات كانت تمارس الدعاوى المدنية فقط . وكانت اخر دعوى جنائية بموجب هذا القانون هي في عام ١٩٦٣[٣٥] . وقد اعلن مكتب الحسابات العام بأن عدة مجموعات قد خالفت قانون تسجيل العملاء الاجانب لعدم اعلامها وزارة العدل عن نشاطاتها لحساب الحكومات الاجنبية . وقد وجد المكتب في المسح الذي اجراه عام ١٩٨٠ بأن ٣٠٪ من عدد العملاء الاجانب لعام ١٩٦٣ كانوا قد اخبروا وزارة العدل عن نشاطاتهم[٣٦] . ولا يعطي القادة السوفيت اهتماما لنظام مجموعات الضغط الامريكي ولاتبلغ

الـ (KGB) مجموعاتها بالتسجيل وهي في الحقيقة تعتبرهم عناصر تأثير وتبقى على اتصال سري معهم .

وقد نشرت صحيفة نيويورك تايمز في ٢٠ آذار ١٩٧٥ مقالة حول العلاقات الامريكية الالمانية الغربية بقلم جوناثان ستوري (Jonathan Story) من المؤسسة الاوربية لادارة الاعمال في فرنسا وجيمس اف ساتلر (James F. Sattler) الذي عرف نفسه بأنه (مستشار للشؤون الخارجية وكاتب في العلاقات الامريكية الاوربية) . وقد أكدت المقالة بأن العلاقات الامريكية الالمانية الغربية المنسجمة ظاهريا كانت تخفي مشاكل اقتصادية متفاقمة وخلافات وصراعات على المصالح . «ان لدى الولايات المتحدة مصالح اقتصادية والقليل من المصالح السياسية في المانيا الغربية» وقال الكاتبان بأن اميركا تريد من المانيا الغربية ان تكون الطرف الرئيسي في الموضوعات لكن المانيا تعارض ذلك لكونها دولة اوربية . وبالرغم من انهما وصفا العلاقات الامريكية ـ الالمانية الغربية بالقنبلة الموقوته ، فأن المقالة كانت قد كتبت بطريقة تتسم بالبرود وذات سمة علمية وانها لم تثر الا القليل من الاهتمام .

وقد عمل الكاتب جيمس فريدرك ساتلر منذ عام ١٩٧٢ للمجلس الاطلسي في الولايات المتحدة وهو منظمة غير حكومية تأسست عام ١٩٦١ لتعزيز فهم افضل بين دول حلف الناتو واليابان . وقد اكمل مشروعا رئيسيا يعني بالتبادل التجاري الشرقي والغربي وحسب طلب المدير العام للمجلس . وعندما قدم طلبا للتعيين كمستشار لاعضاء الاقلية في اللجنة الفرعية التابعة للجنة العلاقات الدولية في مجلس النواب كان يبدو بأنه سوف يقبل للتعيين لكن طلبه رفض فقد اعلم مكتب التحقيقات الفيدرالي عضو مجلس الشيوخ فندلي (Findley) والذي أوصى بساتلر بأن ارتباطه مع اوربا الشرقية مشكوك فيه . وبأختصار فأنه كان عميلاً لجهاز المخابرات الالماني الشرقي .

وعندما شعر ساتلر بتحقيقات الـ (FBI) ، خرج من صمته وفي ٢٣ آذار ١٩٧٦ قدم طلبا لتسجيله كعميل اجنبي لدى وزارة العدل آملاً على الاقل ان ذلك سيخلصه من المشكلة لكنه اختفى بعد فترة وجيزة . وعندما استجوب عن اية معلومات حول التجسس ومكافحة التجسس او تكتيكات التخريب

لحكومات او احزاب سياسية اجنبية اجاب بالايجاب واعطى وصفا عن تجنيده في عام ١٩٦٧ على يد ضابط مخابرات الماني شرقي اسمه رولف (Rolf) وكذلك قال بأنه نقل خلال السنوات التالية «معلومات ووثائق كان قد استلمها من افراد في حلف الناتو ، ومن وكالات او دوائر حكومية في جمهورية المانيا الاتحادية والولايات المتحدة وبريطانيا وكندا وفرنسا»[٢٧] وكان قد صور قسما من هذه المعلومات بآلة تصوير استخبارية ووضع افلام الدسك الصغيرة في علب ارسلت الى المانيا الغربية ومن هناك الى برلين الشرقية وطبقا لافادته فأنه كان احيانا يصور الوثائق بكاميرا نوع (مينوكس) ويرسلها بنفسه او يسلمها الى مهرب . وبالاضافة الى «وسام الشرف» الذي منح له من قبل وزارة امن الدولة في المانيا الديمقراطية ، فقد استلم مبلغا مقداره ١٥,٠٠٠ دولار لقاء خدماته . ويطبق قانون التجسس الامريكي بدقة على المعلومات المتعلقة بالدفاع القومي والتي اذا ما نقلت الى بلد اجنبي فأنها ستكون مضرة بالولايات المتحدة ومفيدة للبلد الاجنبي وقد اختفى ساتلر ، لكن وزارة العدل لم تنوي محاكمته على اية حال . وقد صرح ناطق بأسم وزارة العدل «بعدم وجود شاهد أساسي ضده» وظل ساتلر مختفيا اعتباراً من مايس ١٩٨٢ .

مجموعـــات الواجهـــة

يمتلك الاتحاد السوفيتي مدى واسعا من مصادر القوة الدعائية التي تساعده في تحقيق اهدافه كوكالات الانباء تاس (TASS) ونوفوستي (Novosti) والاذاعات العالمية مثل راديو موسكو وراديو السلم والتقدم وهي اذاعة اصغر ولكنها اكثر عدوانية ، وصوت ايران وصوت المهاجرين الطليان وعدد كبير من الكتب والمجلات التي توزع عالميا وفي اكثر من خمسين لغة ، وحوالي ٧٥ حزب شيوعي موالي للسوفيت خارج الكتلة السوفيتية . ولاضافة الثقة والدعم الجماهيري لسياسته الداخلية والخارجية ، اسس الاتحاد السوفيتي ايضا شبكة من المنظمات العالمية تخدم كواجهات كاذبة لعملياته ومن ضمن هذه المنظمات الاتحاد العالمي لنقابات العمال والاتحاد العالمي للشبيبة الديمقراطية والاتحاد العالمي للطلبة واتحاد النساء الديمقراطي

العالمي ومجلس السلم العالمي . وتستخدم هذه المنظمات للتأثير على السلوك العام لمختلف المجاميع الاجتماعية في دعم السياسات السوفيتية وتزويد أجهزة المخابرات السوفيتية بغطاء مفيد .

وعلى سبيل المثال فأن حركة السلام هي احد اهم وسائل التضليل السوفيتية . فالسياسة السوفيتية بعيدة المدى باستخدام السلام والتظاهر بسلوك رد الفعل غير الاستفزازي ضد السياسة الخارجية للولايات المتحدة بدأت في ايلول ١٩٤٧ من قبل المندوب السوفيتي اندري زدانوف (Andrei Zhdanov) في اجتماع الكومنترن في بولندا . وقد تأسس مجلس السلم العالمي عام ١٩٤٩ وانه كان يعمل من مقراته في باريس حتى قيام الحكومة الفرنسية بطرد المنظمة في عام ١٩٥١ بسبب ماكانت تسميه بنشاطات «الطابور الخامس» . ومنذ مؤتمر السلم العالمي الاول الذي عقد في باريس وبراغ في نيسان ١٩٤٩ توالت عقد اجتماعات المجلس كل ثلاث سنوات في المدن التالية : وارشو ١٩٥٠ ، فينا ١٩٥٢ ، هيلسنكي ١٩٥٥ ، ستوكهولم ١٩٥٨ ، موسكو ١٩٦٢ ، هيلسنكي ١٩٦٥ ، برلين الشرقية ١٩٦٩ ، بودابست ١٩٧١ ، موسكو ١٩٧٣ ، صوفيا ١٩٨٠ وبراغ ١٩٨٣ وقد اعدت كل هذه الاجتماعات لتحقيق اهدافها السياسية والدعائية وهي تؤكد بأنتظام سياسة السوفيت الخارجية وتهاجم سياسات الولايات المتحدة وبقية البلدان الغربية . وتشترك الـ (KGB) كحلقة وصل صامتة وغير مرئية حيث تقوم سرا بربط الخطوط المقطوعة . وفي بعض الاحيان توجه عملائها للمشاركة في الحملات .

وتتظاهر مجموعات الواجهة العالمية بأنها ذات استقلال مادي وسياسي . وانها مؤسسات غير شيوعية ، لكن في عام ١٩٧٨ استلمت ما يقارب ٦٣ مليون دولار من الاتحاد لسوفيتي وهذه المنظمات تعكس السياسة الخارجية السوفيتية الرسمية وتنشر مواضيع الدعاية السوفيتية الرئيسية لخلق الانطباع بالدعم الكبير العام للسياسة السوفيتية في العالم واحيانا تستخدم منظمات الواجهة كقنوات تضليل ودعاية مغرضة .

ان الاستخدام المكثف لمنظمات الواجهة قد كشف معظمها كأدوات لسياسة السوفيت الخارجية واجبر السوفيت على البحث عن اشكال جديدة للغطاء .

ففي الخمسينات على سبيل المثال جذب اتحاد الطلبة العالمي وتأكيده على التضامن العالمي والتعاون والعدالة الاجتماعية جذب العديد من الطلبة الغربيين المعادين للنظام الاجتماعي الغربي الاستغلالي . وبعد عشرين سنة لايزال اتحاد الطلبة العالمي واسطة مفيدة للتأثير على بلدان العالم الثالث ، ولكن السوفيت استخدموا تكتيكات جديدة في الغرب . فبدلاً من خلق منظمات واجهة عالمية ، حاولوا اختراق عدد من المنظمات الشرعية والمدارس الفكرية والمؤسسات الوطنية العالمية والتأثير عليها .

الاجراءات الفعالة العلمية والتكنلوجية

تعتبر المديرية العلمية والفنية (المديرية T) التابعة للمديرية الأولى في الـ (KGB) العنصر الاكثر فائدة لمؤسسة التجسس السوفيتية . ويدعي مسؤولو الـ (KGB) بأن مساهمة المديرية العلمية والفنية في الاقتصاد السوفيتي يفوق الى حد بعيد تكاليف الدعم المالي لكل مؤسسات جهاز المخابرات حيث يعهد الى هذه الدائرة بسرقة الاسرار الصناعية والعلمية والتكنلوجية والاسرار الاقتصادية بضمنها ابحاث الذرة والفضاء الرئيسية . وبملاكها المؤلف من ٥٠٠ منتسب من خريجي الجامعات والمعاهد التكنلوجية السوفيتية ، وبالعدد الكبير من المستشارين السوفيت والعملاء في مراكز البحوث والمراكز الصناعية السوفيتية البارزة أصبحت المديرية ومنذ ٢٥ سنة أكبر قطاع متطور للعمليات في قسم المخابرات الخارجية السوفيتية . ومهمة المديرية هي تزويد الاقتصاد السوفيتي والجيش ببيانات تكنلوجية وعلمية تكلف السوفيت بلايين الدولارات اذا ما تم تطويرها في البلاد وتتعاون بشكل وثيق مع الهيئة الحكومية للتكنلوجية والعلوم (GNTK) ، والتي تنسق وتنظم بحوث العلوم الاساسية وتضع الاولويات طبقا للتوجيهات الصادرة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي .

وبعد الحرب العالمية الثانية بفترة وجيزة ، زود العديد من العملاء السوفيت البارزين في هيئات العلوم الامريكية والبريطانية ، مثل (برنتيكورفو ، وفوشس وروزنبرغ) السوفيت بأكثر المعلومات التي تلقوها قيمة : ألا وهي اسرار

صناعة القنبلة الذرية واستطاع بواسطتها السوفيت الحصول على وضع مكافئ كقوة عظمى في ميدان التنافس العالمي . ويجند العملاء من بين العلماء الغربيين لتنفيذ الاجراءات الفعالة التي تدعم الاقتصاد والعلم السوفيتي وتضعف الاعداء ومعظم هذه العمليات تتضمّن عمليات تهريب التكنلوجيا الغربية الى الاتحاد السوفيتي . وقد صادرت جمارك الولايات المتحدة مابين عام ١٩٨١ ونهاية عام ١٩٨٣ اكثر من (٢٣٠٠) ارسالية غير شرعية بلغت اثمانها مايقارب ١٥٠ مليون دولار[٢٨] وفي عام ١٩٨٣ على سبيل المثال اشترى السوفيت بشكل سري حاسبة الكترونية ضخمة من نوع (VAX11/783) كانت قد صنعت في الولايات المتحدة من قبل شركة (Digital Eguipment Corporation) في (Maynard) ماساتشوستس (Massachusetts) ، لاستعمالها في توجيه الصواريخ واقتفاء أثر جنود المشاة . وقد ضبطت في هامبروغ قبل فترة قصيرة من نقلها الى الاتحاد السوفيتي عن طريق السويد* .

وقد ثبت بأن تطوير التضليل العلمي هو من اكثر المهمات الاستخبارية صعوبة من العمل في اي مجال اخر . فخداع العلماء البارزين في معسكرات الاعداء يتطلب اكثر من الشعارات الدعائية او التلفيقات المرتبة بمهارة ، فهو يتطلب مستوى عالٍ من الخبرة العلمية والتي يمكن الحصول عليها من العلماء السوفيت البارزين فقط وليس كل هؤلاء يرغبون في التفريط بسمعتهم . وتستثنى من ذلك مجالات العلوم الاجتماعية ، حيث تبرز العقيدة الماركسية اللينينية مزج العلوم الاجتماعية مع السياسة وتطلب ممارسة النظام الايدلوجي المكثف ضد الرأسمالية العالمية . وكل هذا سهل مهمة الـ (KGB) لتجنيد المساعدين من بين علماء الاجتماع . وتمتلك الـ (KGB) الثقة الكبيرة والتفويض والحرية للتحرك في التنافس السياسي والخداع العلمي ويمكن تعليل فشل الاجراءات الفعالة في تحقيق الاهداف السياسية بسهولة للمكتب

---

* غالبا ماتستخدم السويد كطريق للمرور غير القانوني للتكنلوجيا المتقدمة من الغرب .

السياسي الشيوعي السوفيتي بوجود (المعوقات الموضوعية) . لكن الـ (KGB) قد تفقد كثيراً من الثقة بالنفس والعدوانية عندما تراهن بكميات كبيرة من العملة الغربية عند تنفيذ الاجراءات الفعالة . ان تبديد ملايين الدولارات في حملات الدعائية العالمية قد يفسر على انه ضياع خطر لممتلكات الدولة وقد يسجن منفذ الاجراءات بتهمة الاضرار بالاقتصاد السوفيتي .

والتطور السريع في تكنلوجيا الحاسبات يوفر الفرص لمنفذي التضليل الشيوعي والتي لم تكن معروفة لديهم منذ عدة سنين خلت . واذا استطاع عدد من الطلبة اللامعين في المدارس الثانوية الامريكية حل رموز الحاسبات وادارة الاعمال المتطورة والحاسبات الالكترونية في الجامعات ، فأن رجال الـ (KGB) المدربين بمهارة ومختصي الحاسبات يستطيعون انجاز نفس العمل الفذ وان استخلاص المعلومات الاستخبارية القيمة من الحاسبة او تغذية شبكة الحاسبة بمعلومات مضللة ومصممة بمهارة تخلق نوعاً جديداً من التحدي . وتستطيع بأستمرار وعلى نطاق ضيق اثارة المؤسسات المستهدفة او الشركات ، لكن الامكانية هي اكثر بكثير . وقد يربك الاختراق الناجح بشكل مؤقت لمراكز الحاسبات الدفاع العسكري الوطني وبالتالي يشله نهائياً ، وقد يقود مجموعة من العلماء الى استنتاجات خاطئة لمشاريع مهمة . وقد يربك التبادل التجاري بين الشركات او حتى البلدان .

الاجراءات الارهابية الفعالة

ان مسألة الولع السوفيتي بالارهاب مسألة عميقة الجذور في التاريخ السوفيتي ، لكن الغرب وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية لم يهتم كثيراً بالتهديد الارهابي . ولم يكن السوفيت اقوياء بما فيه الكفاية لتهديد المؤسسات الرأسمالية الغربية ، وكان التكنيك الارهابي موجهاً بشكل رئيسي ضد المعارضين المحليين والمرتدين او المنفيين مثل ليون تروتسكي (Leon Trotsky) والذي اغتيل عام ١٩٤٠ في المكسيك على يد العميل السري

السوفيتي رامون ميركادر (Ramon Mercader)* .

ولم تبدأ الحكومات الغربية بالتفكير جدياً بالارهاب السوفيتي الا بعد الحرب العالمية الثانية وبعد القضاء على الحركة المعارضة للشيوعية في اوربا . وشهد عقد الخمسينات فترة الارهاب السوفيتي في داخل وخارج البلاد . ويعيش حالياً في الولايات المتحدة شخصان معروفان بعلاقتهما بعمليات الاغتيال السوفيتي . وكلاهما ضابطان سابقان في المخابرات السوفيتية وكانا قد تلقيا أوامر بالقتل . فقد امضى نيكولاي خوخلوف (Nikolai Khokhlov) ثلاثة عشر عاماً في التجسس السوفيتي قبل ارساله الى المانيا الغربية عام ١٩٥٤ لاغتيال مسؤول بارز في منظمة المهاجرين المناوئين للسوفيت . وقد رفض تنفيذ المهمة وسلم نفسه لسلطات المانيا الغربية وبعدها ارتد الى الولايات المتحدة . اما الشاهد الثاني ، بوغدان ستاتشينسكج (Bogdan Stackynskij) وهو احد ضباط الـ (KGB) فقد ارتد الى المانيا الغربية عام ١٩٦١ بعد اغتيال اثنين من السوفيت المنفيين البارزين الذين كانا يعيشان في المانيا الغربية . وقد عثر على البروفسور ليف ريبت (Lev Rebet) ، الكاتب الاوكراني والرئيس الايديولوجي للجالية الاوكرانية في المانيا الغربية ، عثر عليه ميتاً على سلم مكتبه في تشرين الاول ١٩٥٧ . وقد كشف الفحص التشريحي للجثة بانه مات بالسكتة القلبية . وبعد سنتين في ١٥ تشرين الأول ١٩٥٩ عثر على زعيم اوكراني آخر في حالة اغماء على سلم مكتبه في ميونخ ، وقد توفي ستيفان باندیرا (Stefan Bandera) رئيس المنظمة الاوكرانية العسكرية (OUN) في طريقه الى المستشفى وقد كشف التشريح هذه المرة بأنه كان مقتولاً بالسيانيد . وقد قتل البروفسور ريبت وستيفان باندیرا على يد بوغدان ستاتشينسكيج باستخدام مسدس مملوء بغاز سام (Cyanogen) . وقد سلم ستاتشينسكيج نفسه طوعياً وحكمت عليه المحكمة الالمانية الغربية بالسجن ثماني سنوات فقط[٢٩] . وانتقل الى الولايات المتحدة بعد اطلاق سراحه في كانون الاول ١٩٦٦ .

* بعد قضاء ٢٠ سنة في السجن اطلق سراح ميركادر وغادر الى تشيكوسلوفاكيا وبعد وقت قصير حصل على وسام لينين ولقب بطل الاتحاد السوفيتي .

وقد شهدت الفترة مابين ١٩٥٩ و ١٩٦٨ درجة من الاعتدال في النشاطات السوفيتية . وكأجراء جذري بعد ارتداد ستاتشينسكيج . اسقط السوفيت مسألة الاغتيال من حسابهم ولعدة سنوات . ومع ذلك طورت اجهزة مخابرات اوربا الشرقية في هذا الوقت علاقات وثيقة مع عدة مجموعات يسارية متطرفة والتي انتهجت الارهاب فيما بعد ومن هذه مجموعات الطلبة في المانيا الغربية وايطاليا وفرنسا وارغواي والبرازيل والمكسيك . وبالرغم من ان السوفيت استبعدوا الفكرة باحتمالات ان يكون اليسار الجديد قوة حاسمة في عمليات التحول الاشتراكي ، فقد اعترفوا بالحركة الجديدة ورضوا بها لتهديد استقرار المؤسسة الرأسمالية . وبمساعدة عدد من العملاء المعتمدين استطاعت اجهزة المخابرات الشيوعية استخدام بعض المجموعات المتطرفة كمكبرات صوت ضد الرأسمالية الامريكية والبريطانية والالمانية الغربية .

وفي منتصف السبعينات ، اتيحت للـ (KGB) والاجهزة التابعة لها اسلوب الارهاب ضد المرتدين والمنفيين . على سبيل المثال ، اختطفت اجهزة المخابرات البلغارية عام ١٩٧٤ بوريس ارسوف (Boris Arsov) من الدنمارك وحكمت عليه بعد عدة اشهر بالسجن لمدة ١٥ عاماً وقد عثر عليه بعدها ميتاً داخل خليته في السجن عام ١٩٧٥ . كما أختفى نيقولاي ارتا مونوف (Nikolai Artamonov) ، المرتد السوفيتي في النمسا في كانون الاول ١٩٧٥ واختطف بطل التجديف العالمي السوفيتي فلاداس سيزيوناس (Vladas Cesivnas) في المانيا الغربية في تشرين الاول ١٩٧٩ وبعد فترة قصيرة من طلبه حق اللجوء السياسي في المانيا الغربية .

ومنذ منتصف السبعينات ، نفذ جهاز أمن الدولة البلغاري ـ وهو احد اجهزة التجسس الاكثر قسوة في هذا الوقت ـ نفذ سلسلة عمليات اغتيال وبشكل اساسي ضد المرتدين . وكان فلاديمير كوستوف (Valdimir Kostov) الذي كان يوماً ما احد الصحفيين البارزين في بلغاريا قد ارتد وبدأ العمل لمحطة اذاعة صوت اوربا الحرة . وفي آب ١٩٧٨ وبينما كان يغادر محطة المترو مع زوجته في باريس شعر فجأة بألم وبعدها تحسن بالتدريج ، لكن صاحبه في لندن لم يكن محظوظاً . ففي ٧ ايلول ١٩٧٨ ، وبينما كان ماركوف

الكاتب والاذاعي والناقد الصريح للحكومة البلغارية ماراً من محطة باص اصطدم برجل يحمل مظلة اعتذر الرجل لماركوف بهمس واستقل سيارة اجرة واختفى ، وفي اليوم التالي شعر ماركوف بالمرض بشكل مفاجئ واكتشف بقعاً حمراء على فخذه الايمن ، واخبر الاطباء في المستشفى بأنه وخز بمظلة مسممة في اليوم السابق لكنهم لم يجدوا اي اثر للجرح . وقد مات بعد اربعة ايام . وكشف الفحص الدقيق لجسمه عن وجود حبيبات البلاتنيوم وبقطر ١/١٥ من الانج مغروزة تحت جلده وقد احتوت كل واحدة على حبتين وكل واحدة منهما بعمق ١٦/١٠٠٠ من الانج مثبتة في زاوية ومصممة لحمل كميات طفيفة من السم . وبعد ساعة مضت على موت ماركوف ، اخبر فلاديمير كوستوف اطباءه في باريس عن تجربته . وقد وجدوا حبيبات مشابهة تحتوي على كمية من السم القاتل[٣٠] . وكما هو متوقع فقد اصدرت السفارة البلغارية في لندن تصريحاً نفت فيه علاقة بلغاريا بموت ماركوف . وقد اشار الدليل الموضوعي الى المخابرات لكنه لم يكن كافياً للحكومة البريطانية لاتهام الحكومة البلغارية بالتورط في العملية . إن المنظمات الاستخبارية الشيوعية متورطة حالياً في نوعين من اعمال الارهاب : الاول يتضمن عمليات كالخطف والاغتيال والتفجير ضد المهاجرين البارزين والمنفيين والمرتدين ومنظماتهم وقد جرح ثلاثة عاملين في القسم التشيكي وهم ماري بيودلوفا (Marie Pudlova) وآتان انتجاليك (Atan Antalic) والسيد سكوتاليك (Skutalek) عندما حطم انفجار هائل بناية اذاعة اوربا الحرة في ميونخ في مساء السبت المصادف ٢١ شباط ١٩٨١ . وقد اشارت التوقعات حول دوافع المنفذ الى المخابرات التشيكية لكن الفاعل بقي مختفياً ولم يعاقب . والاتجاه الثاني يتضمن دعماً مباشراً وغير مباشر لمجموعات الارهاب المختلفة كعصابة بادر ماينهوف في المانيا الغربية والالوية الحمراء في ايطاليا والجيش الجمهوري الايرلندي . وبعض هذه المجموعات كمنظمة التحرير الفلسطينية يطلق عليها الآن «حركات التحرر الوطني» اما المجموعات الاخرى مثل الالوية الحمراء والجيش الجمهوري الايرلندي فأنها تحصل على المساعدات على شكل اسلحة وعتاد وتدريب . وبدون هذا النوع من الدعم ، فأن هذه المجاميع لاتستطيع العمل او التحرك .

الفصل الرابع
الســـاعي

«ماذا عسانا ان نفعل لأغايانتس (Agayants) هذه الليلة ؟» هذا ما سألني به الميجر ستجسكال .

أجبت «قد تغير بعض الفتيات الجميلات مزاجه» .

لكن عرض التعري الاشتراكي في بار الهامبرا (Alhambra) لم يغير اي شيٌ من الكولونيل ايڤان ايفانوفيتش أغايانتس . وفي الحقيقة انه اصبح عصبيا عندما بدأت الفتيات بأزالة قطع من ملابسهن ، وخلال الاستراحة الاولى اشار بأنه كان يريد العودة الى السفارة . وكان رئيس قسم التضليل في الـ KGB قد جاء في صيف عام ١٩٦٥ لدراسة وضع عمليات القسم التشيكي . ولم يبدُ الارمني طويل القامة وانيق الملبس وذو الشوارب الصغيرة والمظهر الاستقراطي بأنه كأي ثوري شيوعي وقد فضل التحدث عن الادب الروسي والرسامين الروس وان بعض النكات السياسية التي تسخر من قادة الشيوعية والمعتقدات الماركسية ـ اللينينية ، وهو امر شائع بين رجال المخابرات التشيك ، لم تحدث اي رد فعل منه .

وقد امضى اكثر من اسبوع في براغ حيث التقى الضباط القياديين ورجال المخابرات بالاضافة الى مستشاري الـ KGB وطرح اسئلة محدودة حول الاجراءات الفعالة التشيكية وقد كان مندهشاً بصدق . فخلال سنة واحدة ، انجز (٢٥) من رجال المخابرات في القسم اكثر من ١٠٠ عملية في العالم وبعضها جاء بنتائج ملموسة . وقبل يوم واحد من مغادرته الى موسكو ، بدا على اغايانتس الانشراح وهو يتطلع من مكتبي الى نهر ڤلاتافا (Vltava) وجسر تشارلس وقلعة هراد تشاني ومن ثم طرح جانبا أضبارة ضخمة من قصاصات الصحف المتعلقة بأحدى العمليات وقال «في بعض الاحيان اندهش من السهولة التي تنفذ فيها هذه الألاعيب فأذا لم يكونوا متمتعين بحرية الصحافة ، فيجب علينا ان نلفقها لهم» .

معضلة التكتم

قال سيماور هيرش الذي كان آنذاك محققا صحفياً في النيويورك تايمز في المؤتمر السنوي للأعلام العسكري الذي انعقد في الكلية البحرية الحربية في تشرين الثاني ١٩٧٨ : «ان عملنا هو الحصول على مانستطيع من اسرار .... نحن ننقل ماننشر ... ولااعتقد ان هناك اي طريقة لوصفها . ان عجرفتنا هي التي تحافظ على استمرار النظام»[1] .

وتلعب الصحافة التي تعرف في بعض الاحيان بالطبقة الرابعة او الفرع الرابع للحكومة ، تلعب دوراً خاصاً في نظام السيطرة والتوازن الامريكي وكمفتاح للأتصالات المقطوعة بين العامة والحكومة . ومعضلة الصحفيين يكمن بين اطلاع العامة او الاحتفاظ بالمعلومات التي تشكل تهديداً للأمن القومي . وهو صراع لانهاية له بين الصحفيين الذين يعملون بموجب الحقوق المعطاة حسب التعديل الاول ، وبين المسؤولين الحكوميين المسؤولين عن حماية الافراد .

وكل الموظفين الحكوميين ، وبضمنهم الامريكان ، لديهم نزعة طبيعية لوضع كلمة «سري» على تلك الاشياء التي تمر من مكاتبهم تقريبا . وقد قدر مكتب المحاسبات العامة بأن الاقسام الحكومية صنفت مابين ٧٠ ـ ١٠٠

مليون وثيقة في عام ١٩٧٧[٢] . وتعطى الاتصالات العديدة مع الحكومات الاجنبية طابع السرية ، وبدون اي تبرير ، ما عدا بعضها التي يسمح للمدراء بقرائتها . ويعرف الموظفون بأن المواد او الوثائق غير المصنفة لاتلمس . وبشكل عام ، فأنه كلما كان الموضوع اكثر حساسية ، كلما زادت الرغبة لمعرفته . والسبب الرئيسي هو الخوف من تسربها للصحافة .

«وتسرب الاخبار» «News leak» هو اصطلاح لوصف المعلومات التي تمرر للصحف من قبل اي شخص لديه داع شخصي لنشر هذه المعلومات ، بينما يرغب اناس اخرون الاحتفاظ بسرية هذه المعلومات . وتخص العديد من الاخبار السرية جوانب مهمة من سياسة الحكومة . وغالبا ما تتعلق بالامن القومي . وفي العادة تمر الاخبار السرية من خلال الصحف بدلاً من الوسط الاذاعي لأن الاخير لاينظر اليه كوسط مدون للتقارير . وقد عززت بعض الاخبار السرية المصلحة العامة بفضح الفساد والجريمة وسوء استعمال السلطة لكن بعضها خالف متطلبات الامن القومي ، وكمثال على ذلك فأن كشف هوية العديد من عملاء الـ (C I A) ورجالها خلال السبعينات سبب خسارة الوكالة لخدمات واتصالات العديد من الجواسيس المهمين وسبب الضرر لعلاقاتها مع اجهزة مخابرات اجنبية صديقة[٣] .

وتقسم مؤسسة واشنطن حسب الطريقة الافضل للتعامل مع مشكلة تسريب الاخبار . وقد قال الرئيس فورد في احدى المرات بأنه مستعد بأرتياح لمشاركة الامريكان بكافة الاسرار الحكومية اذا ما كان هناك ضمان بعدم تسربها ، لكن على الحكومة ان تحتفظ بسرية معلومات معينة . وبينما يرى العديد من المسؤولين الحكوميين بأن المخالفين يجب ان يواجهوا اشد العقوبات ، يعتقد اخرون بأن النظام الدكتاتوري هو الطريق المحتمل الوحيد لوقف التسرب وان الحجج التي يقدمها كلا الجانبين لاتزال كما كانت عليه قبل عقد من الزمان . لكن العديد من الصحفيين يتفقون مع جيمس ريستون (James Reston) من صحيفة نيويورك تايمز عندما قال بأن الاخبار السرية هي صمام امان للديمقراطية والتي بدونها لن يكون للعامة مدخل للاخبار سوى الى تلك التي تسيطر عليها الحكومة فقط .

والديمقراطية الامريكية عميقة الجذور في الضمانات الدستورية للصحافة الحرة . وقد كتب توماس جيفرسون (Thomas Jefferson) في رسالته الاخيرة الى الكولونيل ادوارد هارنغتون (Edward Harrington) المؤرخة في ١٦ كانون الثاني ١٧٨٧ ، كتب يقول :

> ان اساس حكومتنا قائم على رأي الناس ، والهدف الاول والاساس هو الاحتفاظ بهذا الحق واذا ماترك لي امر لاقرر ان كانت هناك حكومة بدون صحف او صحف بدون حكومة ، فسوف لااتردد في تفضيل الحالة الاخيرة ،

وينص التعديل الاول للدستور الامريكي بأن الكونغرس لايمتلك قانونا لتحريم حرية الكلام او الصحافة . ولهذا فأن لدى المراسل الصحفي الحق ، وحتى الواجب ، للبحث عن المعلومات من اي مسؤول وفي اية رتبة من اجل وضع الناس امام الصورة الدقيقة . ويؤكد العديد من الصحفيين بأنه بدون هذا النظام فأن الصحفيين سوف لايكونون اكثر من متكلمين او ناطقين رسميين للحكومة .

وقد قال تيرنس سمث (Terrence Smith) في مقالته «اتصالات وكالة المخابرات المركزية مع الصحفيين» :

> (عندما يساء استخدام هذه العلاقة من قبل المسؤولين الحكوميين الذين يخضعون الصحفيين او ان الصحفيين هم الذين يخضعون انفسهم لهم ، فأن النظام سوف ينحرف ... وتقليد انفتاح الحكومة للمراسلين وحتى في حقل المخابرات هو تقليد موجود فقط في الولايات المتحدة . وحتى في بريطانيا ، فأن الاتصالات بين المراسلين ومسؤولي المخابرات تكون اكثر ضيقا وتحديداً من مثيلاتها الامريكية)[٤] .

ويكون الصحفيون الامريكان سريعي الاستجابة للاجراءات الحكومية التي تهدد حرية الصحافة لكن القليلين جداً يدركون حقيقة بأن الحكومات الاجنبية ، وخاصة تلك الدول التي يسيطر عليها الاتحاد السوفيتي ، تستغل احياناً اجهزة الاعلام الامريكية . وتسريب الاسرار الى الاعلام لاغراض سياسية هو احدى الاعيب واشنطن القديمة ، لكن القليلين من المشاركين

يدركون بأن الـ K G B ، وبغطاء مناسب بالطبع ، هي صانعة الاعيب منظمة .

كانت الصحافة الامريكية وحتى منتصف الستينات حذرة في التعامل مع المعلومات المثيرة للجدل من المصادر غير الموثوقة ، وخاصة الوثائق التي تتعامل مع المواضيع الحساسة المتعلقة بالامن القومي . وقد قادت المضامين المتعلقة بتسريب اوراق البنتاغون الى الصحافة والخلاف الناتج بين السلطات التنفيذية والصحافة الى تغييرات رئيسية . ففي تموز ١٩٧١ ، على سبيل المثال ، ادهش غلاف مجلة (National Review)المحافظة التي يصدرها وليم أف . بكلي (William Buckley) ، ادهش القراء بعنوان بارز يقول «الاوراق السرية التي لم ينشروها» . والمقالة المؤلفة من ١٤ صفحة استشهدت بمذكرة لم تنشر في النيويورك تايمز او الواشنطن بوست بل في الناشيونال ريفيو فقط . والوثائق التي يزعم بأنها موقعة بتزوير من قبل دين راسك (Dean Rusk) ، وزير الخارجية السابق والادميرال آرثر رادفورد (Arthur Radford) ، الرئيس السابق لهيئة الاركان العامة ، اوصت بأتخاذ اجراءات وحشية ضد فيتنام الشمالية ، بضمنها «استعراض أسقاط اداة ذرية» واستخدام «القنابل الذرية عندما تكون الظروف العسكرية ملائمة» واذا لم تستجب هانوي لخطط السلام الامريكية . وقد نشرت الواشنطن بوست القصة على صفحتها الاولى واذاعتها صوت اميركا في انحاء العالم . وقد اختفى عن الانظار بكلي (Buckley) بعد ان تلقى وابلا من المكالمات التلفونية ، وعندما عاد الى نيويورك ، صرح بأن «الوثائق المنشورة في الـ (National Review) لم يكن لها اساس من الصحة وانها جاءت من لاشئ . وكانت مجرد خدعة استخدمت لاظهار ان الوثائق الملفقة سوف تقبل كحقيقة وان محتوياتها كانت جديرة بالقبول ظاهريا» .

وهذا وصف بكلي الشخصي وتفسيره للحادثة :

> جمعت سوية ثلاثة او اربعة محترفين وجلسنا لمدة ثلاثة ايام وضعنا خلالها في اسلوب مماثل للاسلوب الكلامي للجنرالات والادميرالات ومساعدي وزير الدفاع مذكرة ، الا ان الاختلافات بين مذكرتنا والمذكرات الاخرى الحقيقية هي انها كانت

> عبارة عن تحليلات استخبارية للوضع المتدهور في الهند الصينية في ظل اعمال التخريب التي تقوم بها الفيت كونغ المدعومة من قبل فيتنام الشمالية . وقد عينت الواشنطن بوست جماعة من الصحفيين للتحقق مما وصفناه بأوراق البنتاغون السرية ، وكانت النتائج فوق العادة . فالصحفي مثلاً يتصل تلفونيا بالادميرال المتقاعد رادفورد الذي كتبنا بتوقيعه عدة مذكرات ، ويجيب الادميرال رادفورد قائلاً «لاتذكر ياأصدقائي المذكرة بالضبط ، فهي على كل حال صدرت قبل ثماني سنوات ، لكنها بالتأكيد كل ماكنت افكر فيه في ذلك الوقت» .
>
> وقد اجاب دين داسك بطريقة مماثلة ، وطبقا لذلك ، فأن الواشنطن بوست عملت حسابها الكامل على اساس اوراق البنتاغون المزورة . وقد اعلمنا في المكتب بأن الخدعة لم تكتشف ولهذا دعونا الى عقد مؤتمر صحفي لتوضيح ان الوثائق كانت ملفقة ولاعطاء الدافع وراء اختلاقها»[٥] .

وقد اثبت بكلي غرضه ، ولكن الهوة اتسعت بين فروع السلطة التنفيذية والصحافة ، بعد قضية ووترغيت (Watergate) . وازداد عدد الوثائق ذات الحساسية السياسية وحتى وثائق السياسة الخارجية السرية التي تسربت الى الصحافة . وقد جازف بعض الصحفيين كثيرا وبأسم حرية الصحافة بأعطائهم معلومات خطيرة على نحو كافي لمعارضي الحرية الليبرالية . في ايلول ١٩٧٥ ، على سبيل المثال ، نشرت صورة لهنري كيسنجر وهو يقرأ وثيقة كتب عليها «سري للغاية وتحتوي على كلمات مجفرة» . ولم تنشر في الولايات المتحدة فحسب بل ايضا نشرت في ايطاليا وهولنده . وقد التقط فرانكو روزي (Franco Rossi) ، الذي كان يغطي مؤتمر الامن الاوربي في هلسنكي ، عدة صور للرئيس فورد وكيسنجر من الشرفة . وعندما طبع الفلم ، اكتشف بأنه لم يلتقط صورة فورد وكيسنجر فقط وانما ايضا صورة واضحة لملاحظة كان فورد قد اعطاها الى كيسنجر . والصورة الثالثة تظهر كيسنجر وهو يقرأ وثيقة عرفت فيما بعد بأنها تقرير عن العلاقة الدبلوماسية بين باريس وهانوي . وكان التقرير مبنيا على اساس معلومات من «مصدر لوكالة المخابرات المركزية» في وزارة الخارجية الفرنسية . وقد سبب نشر الصورة تأزم العلاقات الفرنسية الامريكية بشكل واسع واعطى لمختصي التضليل السوفيتي مواد مفيدة في مختلف الاعيب التضليل ضد اعدائهم الامريكان .

وبعد هذه الحادثة بأربع سنوات ، تلقت عدة صحف امريكية رسالة مؤلفة من ١٨ صفحة ومرسلة من شارلس هانسن (Charles Hansen) وهو مبرمج حاسبة الكترونية ، ادعى بأنه استخدم معلومات من وثائق عامة لتصميم قنبلة ذرية فعلية . وبالطبع فأن المكاتب الفيدرالية حاولت منع نشر هذه المعلومات الخطيرة ، وفي تحقيق لاحق اكتشفت بأن حوالي ٥٪ من الوثائق المتعلقة بتصميم الاسلحة الذرية كانت قد صنفت بالخطأ ، ومن ضمنها تقرير يصف تطور القنبلة الهيدروجينية[٦] . وفي نزاع بين حرية الصحافة والامن القومي ، اصدرت المحكمة قرارها لصالح الصحافة ، لكن هذه القضية قد بينت كيف ان المعلومات المتداولة بين العامة قد تؤدي الى فقدان حرية الصحافة . وفي عصر الارهاب الدولي ، اذا ماوقع مثل هذا النوع من المعلومات في ايدي المتطرفين السياسين ، فسوف يشكل تهديدا ليس للنظام الديمقراطي الامريكي فحسب بل لكل الناس في العالم .

ان قانون حرية الصحافة (FOIA) الذي صدر عام ١٩٦٦ واصبح مسموحا به عام ١٩٧٥ ، هو قانون امريكي خاص يشجع على افشاء اقصى حد من المعلومات التي تتعامل مع الدفاع القومي والسياسة الخارجية وتطبيق القانون وانه يساعد على فتح ارشيف البنتاغون ومكتب التحقيقات الفيدرالي ووكالة المخابرات المركزية وباقي المكاتب الحكومية للامريكان والاجانب . وقد تسامحت ادارة كارتر ازاء التوجهات التي تعالج تفسير قانون حرية المعلومات وبشكل واسع في عام ١٩٧٧ :

> يجب على الحكومة ان لاتحجب اية وثائق الا اذا كانت مهمة للمصلحة العامة ، وحتى اذا وجد اساس قانوني للحجب ... ومن اجل تطبيق هذه النظرة ، فأن وزارة العدل سوف تدافع عن بنود قانون حرية الصحافة فقط في حالة ان الافشاء سوف يكون مؤذيا ، حتى اذا جاءت الوثائق من الناحية الفنية ضمن استثناءات القانون[٧] .

لقد توفرت معلومات حكومية للعامة اكثر من اي وقت مضى ، لكن القانون خلق نوعا جديدا من الخلافات بين الوقائع العلمية المنسجمة مع تسيير شؤون

الحكومة ومثالية الديمقراطية لجريان المعلومات الحرة . وبأعطاء الضوء الاخضر بعدم تعرض المسؤولين عن التسرب الى التبعات القانونية لاعمالهم ، فأن ادارة كارتر قد ساعدت على تسريب اكثر للمعلومات .

وفي دراسة لتحديد تأثير قانون حرية المعلومات على المخابرات والامن القومي ، كشف آلن ونستين (Allen Weinstein) ، مدير صندوق القرن العشرين عام ١٩٧٩ ، بأن جماعة رجال الاعمال والمجرمين المسجونين والافراد الخاضعين للتحقيق الجنائي والحكومات الاجنبية احتفظت بحوالي ٦٠٪ من المعلومات تحت اسم القانون . اما باقي الطلبات فقد دفعت من قبل عدة مجموعات واضحة ، منها حملات رجال الكونغرس ومؤيدي المصلحة العامة والمثقفين والصحفيين ، وطالما ان مقاييس قانون حرية المعلومات تسمح لاي شخص في العالم بتفحص الاضابير الحكومية ، فأن الوثائق تسربت وارسلت الى البلدان الشيوعية وبلدان العالم الثالث[٨] . وكمثال على ذلك فأن معلومات مكتب التحقيقات الفيدرالي ووزارة الخارجية المتعلقة بقضية تجسس بيرغس ـ ماكلين ـ فلبي قد طلبت من قبل الصحفيين البريطانين ، وطبقا لاشاعات مؤكدة ، فأن احد الصحفيين قد ارسل المواد الى كيم فلبي الذي يقيم حاليا في موسكو . وفي بعض الحالات ، كانت الطلبات تقدم من الدول الشيوعية . ان الاستجابة لطلب فيليب اغى (Fhilip Agee) وهو عميل سابق لوكالة المخابرات المركزية وقد شارك مؤخرا في عمليات التضليل ضد الوكالة ، قد كلف الحكومة ٣٢٥,٠٠٠ دولار في الزمن المبذول من قبل و٧٠,٠٠٠ دولار من وقت الحاسبة[٩] .

ان التفسير المتسامح لقانون حرية المعلومات قد وفر الفرص للدول الشيوعية في الحصول على معلومات عن اعدائها الاساسيين بدون اية مخاطر في العمليات . والمعلومات التي تم الحصول عليها من مكتب التحقيقات الفيدرالي ، على سبيل المثال ، اعطتها مخططا او برنامج لطرق مكتب التحقيقات وحذرتها من المخاطر المحتملة واتاحت لها فرصا جديدة للألاعيب العالمية . وحقيقة ان بأستطاعة اي شخص وحتى العملاء الاجانب طلب اية مواد حساسة من الاضابير الحكومية دفعت حلفاء اميركا لان يكونوا اكثر

حذرا في التعامل مع وزارة الخارجية ووكالة المخابرات المركزية وباقي المكاتب الفيدرالية . ويخشى قادة الدول الاخرى من ان المعلومات المهمة المشتركة مع الولايات المتحدة قد تحصل عليها الحكومات المعادية بسهولة او قد تنشر في الصحافة الامريكية . وكان من السهل على خبراء التضليل السوفيت ان يستغلوا هذا الخوف ويوسعوا من الفجوة بينهم وبين الولايات المتحدة . واخيراً اقنعت ادارة ريغن الكونغرس عام ١٩٨١ على تعديل قانون حرية المعلومات . ويؤيد القانون مبدأ ان الوثائق الحكومية هي ملك للعامة ويجب ان تبقى مفتوحة امام التحري ، لكنه يخول المدعي العام الاميركي حجب اية تقارير تتعلق بالارهاب والجرائم المنظمة والمخابرات الاجنبية عن العملاء الاجانب والمجرمين ورجال الاعمال عديمي الضمير .

ان من المستحيل معرفة عدد الوثائق التي حصلت عليها اجهزة المخابرات في دول الكتلة السوفيتية من اضابير الحكومة الامريكية . ومن الصعب ايضا معرفة كمية المعلومات التي تسربت الى الصحافة الامريكية من هذه الاجهزة . وفي كل الاحوال نستطيع الافتراض بأن العديد من الوثائق السرية الامريكية التي حصل عليها السوفيت قد اعيدت الى الولايات المتحدة . وعندما تفقد اية وثيقة قيمتها الاعلامية بالنسبة لصانعي القرار السوفيت فأنهم بلاشك يستخدمونها لاي هدف او قصد تضليلي ، وقد يسربونها الى الصحافة الامريكية مع تحريف بسيط على افتراض ان نشرها قد يشوه او يؤذي الصورة العامة للادارة الامريكية ويوسع الهوة بين الولايات المتحدة وحلفائها او يهدد المصالح الامريكية بطريقة او بأخرى .

هل هناك حل لهذه المشكلة الحساسة والمعقدة ، اننا نرتكب خطأً كبيراً اذا ما ألقينا باللوم على الصحافة فقط بأنها سبب هذه المشكلة . ان ضمان حرية الصحافة بموجب قانون التعديل الاول يضع اجهزة الاعلام في دور كلاب الحراسة . وفي نظام يسيطر عليه حزبان لايختلفان في الاساس فلسفيا ، فان حرمان الصحافة من حقوقها او تقليص نطاق مسؤوليتها سوف يعرض مستقبل الديمقراطية الامريكية الى الخطر . لكن مساوئه هي ان القليل من الصحفيين الامريكان يدركون الاهمية الكامنة وراء سوء الاستخدام الذي

يقدم جراء التفسير الحالي لحرية الصحافة الى الكتلة السوفيتية . ولاتؤذي حملات التضليل السوفيتية الولايات المتحدة فحسب ، بل انها تمثل طرقا او انتهاكا لحقوق التعديل الاول ، وفي بعض الاحيان تضع الصحفيين الامريكان في مواقف مثيرة للاستياء من خلال جعلهم سعاة غير مدركين وحتى ضحايا للدعاية المعادية .

الـ K G B والصحافة

لمراسل محطة اي . بي . سي (ABC) الاقدم جون سكالي (Jone Scali) والذي كان سابقا مندوباً للولايات المتحدة لدى الامم المتحدة ، هذه المقولة حول التضليل السوفيتي «انا اعتقد ان القليل جداً قد قيل في الماضي حول دور التضليل وكيفية كونه سلاح رئيس للمخابرات وان السوفيت هم الاسياد في نشر الشائعات ، واتمنى ان نكون بنفس هذه الكفاءة»[١٠] . وبصورة عامة ، فأن معظم ضباط المخابرات المعينين من الكتلة السوفيتية في الولايات المتحدة مندهشين لبساطة وسذاجة العديد من الامريكان . وهؤلاء لديهم القدرة للحصول على المعلومات من الصحافة او عن طريق الاتصالات العفوية والتي تكلف اثمانا باهضة اذا ما تم الحصول عليها من اي بلد غربي آخر . وفي العادة تكون اسرار الدولة متأصلة الجذور في اوربا ، لكن معظم الصحفيين في اميركا مستعدون لنشر المعلومات السياسية الحساسة او الوثائق السرية بدون الاهتمام للعقبات السلبية على الولايات المتحدة ازاء الاتحاد السوفيتي او حلفاء الولايات المتحدة . وفي العديد من الحالات تحصل الـ KGB في الولايات المتحدة من المنشورات الامريكية اكثر مما تعرفه من عملائها السريين . والنكتة المضحكة والمتداولة في مجتمع الجاسوسية للكتلة السوفيتية توضح بشكل افضل هذه الحالة : ضابط الـ KGB في الولايات المتحدة يكتب برقية تحتوي على معلومات سرية تكلف عدة الاف من الدولارت . وبينما يستعد لارسالها بواسطة عامل بدالة الاتصالات عبر الراديو ، يتردد ثم يعود الى مكتبه ،

ويضيف هذه العبارة «للحصول على تقرير اكثر شمولاً وموثوقية ، اقرأ صحيفة النيويورك تايمز الصادرة هذا اليوم» .

ان كل جهاز مخابرات حديث يستخدم الاستخبارات العلنية «المعلومات التي تجمع من مصادر علنية كالصحف والمجلات والصحف التجارية والمنشورات العلمية ذات التخصص العالي» كمرحلة اولى للعملية ، وتعتبر الصحافة الامريكية منجم ذهب حقيقي لاي عميل تجسس يعرف نوع المعلومات التي يريدها . حيث توفر اكثر بكثير من مجرد اشارات اولية عن التطورات المهمة والتغييرات السياسية والاكتشافات العلمية . ففي بحثها عن التفاصيل المثيرة والمعلومات الهادفة والموزونة ، فأنها تقوم بنشر اسماء الافراد وخلفيتهم ومشاكلهم ووضعهم وحتى اشكالاتهم مع القانون ، ولهذا فهي تفيد كدليل لمصادر مفيدة .

والكثير من المحاولات السوفيتية لجمع المعلومات في واشنطن تكون علنية ومشروعة . ويعمل بعض رجال الـ KGB ضمن الدبلوماسيين السوفيت بشكل عملي كباحثين وجماعة ضغط ، لكنهم يجمعون كميات كبيرة جداً من المواد التي لاتهضم بسهولة . وطالما ان الدوغمائية الماركسية تقول ان الصحافة الرأسمالية هي اداة دعاية للطبقة الحاكمة ، فأن السوفيت يميلون الى عدم الثقة بهذه المعلومات التي يتم الحصول عليها بسهولة . ولهذا فأنهم يضعون ثقة عظيمة في المعلومات التي تجمع من خلال القنوات السرية . ان تقارير الـ KGB اليومية تحرف سياسياً من اجل الحصول على موافقة قادة الحزب في موسكو . ويفضل اعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي التقارير التي تعزز من معتقداتهم في التقدم التدريجي للعقيدة السوفيتية ويهملون الحقائق غير المقنعة . ويواجه المحلل في موسكو مشكلة جدية عندما يستلم بيانات مثيرة وقابلة للجدل من العملاء في الخارج . ويمكن ان يفقد عمله اذا ما جاء تحليله للاحداث غير متوافق مع المبدأ الماركسي ـ اللينيني ويمكن ان يتهم بالتخريب السياسي اذا كان التحليل ضمن المبادئ لكنه مضلل . وتكون النتيجة تضليل واسع الانتشار حتى ضمن النظام السوفيتي .

ويؤكد اليا جيركفلوف (Illya Dzhirkvelov) ، ضابط الـ KGB السابق

ومراسل وكالة تاس والذي ارتد الى بريطانيا في نيسان ١٩٨٠ بأن رجال الـ KGB ومراسليهم والممثلين السوفيت الموجودين في الخارج يقومون بنقل معلومات «فصلت» لتعكس نظرة الكرملين للعالم . «لقد ابتهجت وجوه في وكالة تاس والـ KGB عندما انتخب السيد موغابي رئيساً لوزراء زمبابوي الديمقراطية ، وهذا الحدث طالما اصرت موسكو بأن الامبريالية البريطانية سوف لاتسمح به»[١١] . وبعبارة اخرى ، فأن نزعة خدمة النفس لجهاز المخابرات قد عزلت القادة السوفيت عن الواقعية . ويكون سعاة الاخبار الجيدة عادة اكثر تأهيلاً للترقية من سعاة الاخبار المزعجة والتافهة او المتناقضة . ونتيجة لهذا فأن السوفيت غالباً مايصنعون القرارات على اساس معلومات محرفة وعلى افتراضات متفائلة بأكثر مما ينبغي . ويلوث السوفيت محيطهم عندما ينشرون التضليل من خلال قنوات الاتصالات المحلية . وفي النهاية ، فان هيئة صنع القرارات تقع ضحية للعقبات وتكون غير قادرة على تمييز الحقيقة من التضليل . وكان رجال الـ KGB في اوائل حملات التضليل السوفيتية مترددين في استخدام الشعارات والشواهد الدعائية التي لاتتصل مباشرة بدعم السياسات السوفيتية . واخيرا وجدوا بأنه يمكن ان يصبحوا اكثر تأثيراً في الاختفاء خلف نوع من القناع السياسي ، ومنها منظمات الاجنحة اليسارية او حتى الحركات الفاشستية الجديدة ، طالما انها تخدم المصالح السوفيتية .

وتقدم بلدان الكتلة السوفيتية الدعم المادي الى عدد كبير من الصحف الغربية وكذلك مختلف الخدمات والتقارير الصحفية . وفي اغلب الاحيان لاتظهر اجهزة الاعلام هذه اي اتصال مع اوربا الشرقية ونادرا مايستخدم السوفيت القنوات شبه الرسمية ، وخاصة عندما يستثمرون مبالغ كبيرة من النقود والتي يأملون بالتالي ارجاعها . وعلى سبيل المثال ، اسست برلين الشرقية في آذار ١٩٧٧ شركة تدعى جمعية تطوير الصحافة والصناعة الطباعية في لكسمبورغ يرأسها رسمياً كارل كاب (Karl Kaab) وهو مدير المالية في اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الالماني الموحد ، وهو الحزب الحاكم في برلين الشرقية . وقد نشرت عدة مقالات عن الشركة لتوضيح اهدافها

«وهو تعزيز اي تعامل ذي طبيعة تجارية او صناعية او اية ممتلكات منقولة لتطوير الصحافة والنشاطات العامة»[١٢] . وقد وفر السوفيت دعما ماديا ومن خلال هذه الشركة لمنشورات اجنبية مختلفة بحاجة الى المساعدة . وفي آب ١٩٨٢ كشفت المعارضة المحافظة في البرلمان اليوناني وثيقة تظهر ان جمعية تطوير الصحافة والصناعة الطباعية قد ساعدت بما مقداره ٢,٣ مليون دولار لشراء اجهزة طباعية حديثة لمواد النشر العائدة للحزب الشيوعي اليوناني الموالي للسوفيت . وفي حالات اخرى ، بقيت المساعدات المالية والقروض لدور النشر الغربية المختلفة سرية .

وفي اعترافات ستانيسلاف ليفتشينكو ، وهو ضابط في الـ KGB واخصائي في الاجراءات الفعالة ، امام اللجنة الدائمية المنتخبة للمخابرات التابعة لمجلس النواب في تموز عام ١٩٨٢ ، اكد بأن الـ KGB تعطي اهتماما رئيسا للصحفيين الاجانب وذلك بأعتبارهم اهداف دائمية ، وعندما نسب ليفتشينكو للعمل في اليابان عام ١٩٧٤ كضابط عمليات ميداني ، كان عليه ان يعمل لمدة سنة مع مجلة «الازمنة الحديثة» السوفيتية لتحسين مهارته الصحفية . وفي تلك الفترة استخدمت المجلة ١٢ مراسل للعمل بدوام كامل في الخارج ، وكان من بينهم عشرة من رجال الـ KGB . وقد تعاملت محطة الـ KGB في اليابان حيث كان يعمل ليفتشينكو من عام ١٩٧٥ الى حين ارتداده في ١٩٧٩ مع اكثر من ٢٠٠ عميل بضمنهم اعضاء في البرلمان الياباني واعضاء بارزين في الحزب الاشتراكي الياباني وباحثين وصحفيين . وقد تعامل ليفتشينكو نفسه مع ١٠ عملاء ووكلاء اتصال موثوق بهم ، منهم اربعة صحفيين . واحد هؤلاء كان على صلة وثيقة بصاحب صحيفة يابانية رئيسية كان معدل توزيعها السنوي يصل الى ٣ ملايين نسخة .

الى اي احد يمكن للـ KGB ان تؤثر على الصحافة الامريكية ؟ وكما ذكر سابقا ،فأن معظم الصحفيين الامريكان ينظرون الى نشاطات التضليل على انها حيل قذرة تمارس من قبل احد اجهزة المخابرات ضد الآخر لتضليل العدو وابعاده عن السيطرة . ويعتبرون مثل هذه النشاطات لعبا يجب ان تقف فيها الصحافة جانبا وتمارس دورها التقليدي كمراقب محايد . وقد عالج روبرت

يو . براون (Robert U. Brown) المشكلة من هذا الاتجاه في عدد (١١) تشرين الاول ١٩٨٠ في مجلة «المحرر والناشر» اذ قال براون بأن رواية الشوكة (The spike) بقلم ارنو دي بورتشغريف وروبرت موس هي رواية مثيرة وممتعة لكن لسوء الحظ فأن بعض الناس يقبلونها .

> هذه الحكاية هي تمثيل او تصوير للوقائع الحقيقية للحياة الاعلامية .. فأعضاء الصحافة يجعلون انفسهم وحرفتهم كاذبة بأفتراضهم ان منفذي التضليل يستطيعون تهديم حلقة مهمة من الصحافة ويهربون لفترة طويلة ... دعنا لانعطي العامة بأن هذا حدث فعلاً ، او يحدث او من الممكن حدوثه ... ولانعتقد بأنه شيْ ممكن[١٣] .

وفي مقابلة مع عشرة صحفيين ، ستة منهم امريكان واربعة اجانب من الهند وجنوب افريقيا وبلجيكا وايطاليا ، وجميعهم كانوا من زملاء نيمان (Nieman) في جامعة هارفرد عام ١٩٨١ ، اكدوا بأن رجال الصحافة الامريكان هم اكثر شكوكية من جماعتهم الاجانب في قدرة السوفيت على تحريف المعلومات واعطائها للصحافة . وقد علق كلودفان انغلاند (Claud Van Engeland) المحرر في الراديو والتلفزيون البلجيكي بما يلي حول موضوع الجهود : «هناك قضية مهمة في الوقت الحالي في اوربا حول نصب صواريخ كروز ، وهي قضية مثيرة للجدل ... ويبذل الدبلوماسيون السوفيت جهوداً عظيمة للتأثير على الصحفيين . ويعلمون ان امامهم فرصة لتغيير مزاج الناس» . وقد توصل الامريكان الى تحليل بسيط توضح بأفضل مايمكن على لسان انيتاهاريس (Anita Harris) ، مراسلة هيئة الاذاعة العامة PBC اذ تقول «يمكن ان نسمي رجال العلاقات العامة عملاء تضليل ، ويمكن ان ندعو حملات الدعاية بألاعيب تضليل» . ويرفض معظم الصحفيين الامريكان فكرة ان التحريف السري والمتعمد للمعلومات من قبل قوى خارجية هو خطر حقيقي ، وحتى ان بعض مختصي الامن يقولون احيانا بأن الصحفيين الامريكان لايمكن ان يصبحوا نسخا غير مدركة للتضليل السوفيتي . وكمثال على ذلك فأن هاري روزتسكي (Harry Rositzke) ، الذي تقاعد من وكالة

المخابرات المركزية عام ١٩٧٠ بعد عمله فيها اكثر من ٢٠ سنة تسائل عن تأثير برامج التضليل من قبل الـ KGB في الولايات المتحدة ، وقد اكد بأن التضليل السوفيتي مكرس للعام الثالث ولايمكن ان يباع في السوق الاميركي :

> هل ان الـ KGB تعمل من خلال الصحفيين الامريكان المجندين كعملاء تأثير ؟ وحتى ولو وجد مثل هؤلاء العملاء ـ وانا لم ارى دليل على تجنيد احدهم ـ ما الذي يستطيع ان يقدمه هؤلاء الصحفيون لاسيادهم في الكرملين ؟ هل يستطيعون تمرير دعاية موالية للسوفيت من خلال التسلسل الهرمي لغرف الاخبار وهيئات التحرير في الجرائد التي يعملون فيها ؟ وضمن المجال الضيق للافكار السياسية المحترمة في الاعلام الامريكي والتي هي مضادة للشيوعية او ضد السوفيت بشكل علني او حذر ، فأن اقحام المفردات والاخبار السوفيتية سوف تبرز خارجا كالابهام الاحمر[١٤] .

وقد استنتج روزتسكي بأن الـ KGB قد انجزت عملاً ممتازاً في تشويه صورة الامريكان في العالم الثالث واحيانا في اوربا الغربية ، لكن لم يكن لها اي تأثير على الرأي الامريكي .

وقد ارتكب روزتسكي خطأ كبير عندما اكد على ان التضليل المؤثر يعتمد على السذاجة اولا ، والى حد ما على المستمعين البسطاء ، لكن بعض عمليات التضليل المؤثرة في التاريخ نجحت في خداع المختصين ذوي الخبرة العالية . وقد نسب صفة التفوق لرجال الصحافة الامريكان ، لكنهم بشر يمكن ان يتعرضوا للتهديد والابتزاز او التجنيد او الشراء كنظائرهم في فرنسا والهند او اليابان ، وقد ارتكب روزتسكي خطأ مهما آخر عندما وصف التضليل بأنه تلفيق فقط واهمل الاجراءات الفعالة واسعة النطاق للـ KGB والتي تعتمد على تقنيات اخرى خطرة . ونظرته بأن السوفيت ينشرون فقط الاخبار الموالية للشيوعية هي نظرة مبنية على الممارسات السوفيتية في السنوات الثلاثين الاخيرة . ولم يأخذ بنظر الاعتبار عدد التغييرات النوعية وتنامي عمليات المخابرات السوفيتية المتطورة في العقود القليلة الماضية .

والتناقض الاخر من قبل المغالين في المحافظة ومراقبي الاعلام هو المبالغة في موضوع سيطرة السوفيت على اجهزة الاعلام الامريكية ووصفهم العديد من

التقارير اليسارية او المعادية للمؤسسة والتعليقات والتوثيق التلفزيوني بالتضليل . فأنتقادات المغالين في المحافظة للصحافة تميل الى اهمال الانحياز التحرري للعديد من الصحفيين ويفسرون معارضتهم بعدم الولاء او الخيانة ، ويعتبر الدوغمائيون السياسيون ذوي الطبيعة المحافظة اهدافا واضحة لاجراءات الكتلة السوفيتية الفعالة ، وعندما نظمت اجهزة مخابرات تيشكوسلوفاكيا وبرلين الشرقية شأنهم في ذلك شأن المتطرفين السياسين حملات دعائية ضد الامريكان في المانيا الغربية تحت اسم منظمة نازية جديدة متطرفة في الخمسينات ، انظم العديد من المحافظين المتطرفين الى الحملة بدون الاخذ بنظر الاعتبار أحتمال كونها تحريض او استفزاز شيوعي .

واحياناً يتم تضليل او خداع بعض الصحفيين الامريكان بالتضليل السوفيتي ، وقد جند بعضهم بلا ادنى شك ، لكن الصحافة الامريكية ككل تبقى فلسفة ثابتة وراسخة ضد السوفيت . ومعظم المقالات التي تنتقد الحكومة الامريكية وتلك المتعاطفة مع الاتحاد السوفيتي او سياساته لم تكتب او توزع من قبل عملاء الـ KGB او اعضاء الحزب الشيوعي الامريكي ، بل انها نتاج اصيل للتسامح والليبرالية الامريكية .

بعوض ونمل الـ K G B

ينظر السوفيت وبصورة تقليدية الى المراسلين الاجانب الموجودين في موسكو على انهم اما جواسيس نشطين او كامنين ، وحتى المراسلين الذين ليس لديهم اية اتصالات مع نظام المخابرات المعادية يكونون في نظر السوفيت متورطين بشكل او بأخر في التخريب العقائدي وذلك من خلال نشر الاخبار والمعلومات المعادية للاتحاد السوفيتي . ومن بين حوالي ثمانين الى مائة مراسل غربي موجود في موسكو ، ينزعج السوفيت بشكل خاص من الامريكان الذين يشاركون في تكتيكات نقل الاخبار المعادية والتي تعتمد اعتمادا كبيرا على مصادر رئيسية . وتراقب الشرطة السرية السوفيتية بشكل منظم سلوكهم

ووضعهم العائلي واتجاههم السياسي ومقالاتهم المكتوبة بصورة خاصة . والمراسلون الذين يتورطون بأعظم المشاكل هم عادة المتخصصون في المواضيع التي تعتبر حساسة من قبل السلطات المحلية كالشعور القومي في الجمهوريات السوفيتية الصغيرة ومواضيع معاداة الساميه والفساد الاداري او الجريمة . وتحاول كل من المديرية الرئيسية الاولى (المخابرات) والمديرية الرئيسية الثانية (التجسس المضاد) تجنيد عملاء ضمن هذه المجموعة من المراسلين .

وتتبع اجهزة المخابرات تكتيكات مختلفة لتهديد او استغلال وبالتالي تجنيد المراسلين الاجانب في موسكو . فقد اتهم بعض المراسلين بممارسة افعال اللواط ، وبعضهم اتهم بأنهم من رجال وكالة المخابرات المركزية وتعرض آخرون لاستجوابات مطولة . وفي عام ١٩٧٦ و ١٩٧٧ ، على سبيل المثال ، اتهم كل من جورج اي كرمسكي (George A. Krimsky) من الاسوشيتدبريس والفريدفرندلي (Alfred Friendly) من النيوزويك وبيتراوسونس (Peter Osons) من الواشنطن بوست وروبرت سي . توث (Robert. C. Toth) من اللوس انجلس تايمز بنشاطات تخريبية ووصفوا بشكل مباشر او غير مباشر بأنهم جواسيس لوكالة المخابرات المركزية . وقد استجوب روبرت سي توث في حزيران ١٩٧٧ وبعد لقائه بالعالم الروسي فاليري جي بيتيوكوف (Valeriley B. Petukuv) من معهد المشاكل الاحيائية ـ الطبية في احد شوارع موسكو واستلامه لمقالة عن موضوع الباراسايكولاجي . وقد ادعت السلطات بأن المقالة تحتوي على معلومات سرية . وبعد مغادرة توث لموسكو ، اتهمته تاس بقبوله مهمات من وكالات امريكية غير مشخصة وهذا يثبت تعاونه مع وكالة المخابرات المركزية[١٥] .

وقد حظي المراسلون الذين يعملون للصحف والمجلات المحافظة بأهتمام خاص . فقد هوجم روبرت نايت (Robert Knight) ، مراسل يو اس نيوز (U. S. News and world Report) في موسكو في مناسبات عديدة من قبل الصحافة السوفيتية ، وقد وصفه مسؤولون في وزارة الخارجية بالصحفي «المنحط» وذلك لانتقاده النظام السوفيتي . وخلال زيارته لطاشقند في نيسان ١٩٧٩ ، دعي مع زوجته الى غرفة تناول الشاي للاحتفال بعيد ميلاد

مرافقتهم . وبعد فترة قصيرة من تناوله المشروب ، شعر نايت بالمرض ، وبدون سيطرة ، سحب نفسه مترنحا الى الخارج ووقع مغمى عليه او نصف مغمى عليه لفترة حوالي ١٥ ساعة ، وبينما كان مشلولا بلا حراك ، كانت هناك محاولات لاغراء زوجته ، وتلقت تهديدا ايضا بأعتقال زوجها . وعندما احتجت السفارة الامريكية على هذا التصرف ، اجابت وزارة الشؤون الخارجية بالنفي التام والقت تبعة هذه الحادثة على الزوجين .

وفي اوائل الستينات ، بدأت اجهزة المخابرات الشيوعية بشراء خدمات الصحف والمجلات والصحافة الصغيرة في البلدان النامية لاستخدامها كقنوات تضليل دائمة . لكن النجاحات القصيرة التي احرزت من هذا التكتيك الجديد لم تدم طويلا ، وكمثال على ذلك ، ضاعت بشكل دائم الصحف الممثلة لاستثمارات مادية اساسية في اميركا اللاتينية في سلسلة من الانقلابات العسكرية ، وكانت الاخرى بحاجة الى مساعدات منتظمة وفوق الميزانية المحدودة لاجهزة المخابرات الشيوعية . وفي عام ١٩٦٥ ، طلب رئيس محطة المخابرات التشيكية في النمسا شراء الصحيفة الاسبوعية الكاثوليكية دي فورشية (Die Furche) والمعروفة في ذلك الوقت بميلها اليساري ، لكن بما ان الصحيفة كانت مصابة بالافلاس ، فقد رفض المقترح لانه يشكل مجازفة مادية ، وقد اصبح معروفاً بأن امتلاك عملاء صحفيين مؤثرين يعملون بأنفراد في مختلف الصحف والمجلات المستقرة والمعروفة هو افضل طريقة للتأثير على الوسط الاعلامي .

ومن الواضح ان العميل الصحفي في البلد الليبرالي شكل عونا مميزا لاجهزة المخابرات لان بأستطاعته التحري وبأحتراف فضولي وبدون اثارة اية شكوك . ان مسؤوليته هي الحصول على معلومات مهمة وحتى عالية الحساسية ، خصوصا في الولايات المتحدة بصحافتها المهاجمة والمعادية . ويظهر معظم الامريكان قدرا كبيرا من الاهتمام للصحافة ، وعندما يخرج اي صحفي دفتر ملاحظاته ويبدأ بطرح الاسئلة ، فلا يكلف الامريكي عناء طلب هويته . ولهذا فأن العملاء السوفيت يستخدمون في بعض الاحيان الغطاء الصحفي لمقابلات الناس والذي قد لايتوفر بغير هذه الطريقة ، وعندما نأخذ

بنظر الاعتبار حجم ونوعية الاخبار المحلية والاجنبية التي يتم جمعها وتقييمها ونشرها كل يوم في الصحف اليومية ، فأن هذا النظام لجمع المعلومات غالبا مايكون اكثر كفاءة وانتاجية من الـ (KGB) والـ (C I A) .

ان لدى سفارة كل دولة من دول الكتلة السوفيتية في الدول الرأسمالية نوعان من الدعم المادي الخاص بالدفع للمراسلين . ويتم الدعم الاول داخل الوطن من قبل قسم الصحافة التابع لوزارة الشؤون الخارجية وفي الخارج من قبل الملحق الصحفي في السفارة ، ويكافأ الصحفيون والمحللون الراغبون بكتابة المواضيع المحببة عن الاقتصاد السوفيتي او لمحات محببة عن القادة السوفيت بعدة مئات من الدولارات او بسفرة مجانية الى البحر الاسود . والدعم الثاني يستخدم من قبل الـ KGB لفضح وتجنيد عملاء سريين من بين الصحفيين لزرع التضليل . وتبدأ العملية بطلب برئ على مايبدو من احد رجال الـ KGB يطلب فيه من صحفي صديق كتابة قصة مختصرة لحادث جديد اعتماداً على مصادر علنية . ولاتكون المكافأة المالية عالية لكنها عادة ماتكون كافية لاقناع الصحفي برد الفضل طالما انه لايخالف القانون . وتكون المهمة التالية اكثر تحديا ولايمكن كتابتها بدون مقابلة عدد من المصادر الموثوقة .. وبعد سنة او سنتين يجد نفسه في مصيدة عندما يكشف بأن معلوماته قد تم حفظها واصبحت تستخدم لابتزازه بالتهديد . واذا تعاون معهم فأن الـ KGB تعده بأتلاف المعلومات المتساوم عليها فأذا مارفض فأنه يهدد بكشفها للصحافة وتدمير حياته الخاصة والمهنية .

بيير تشارلس باثيه Pierre Charles Pathe

في كل سنة ، يلقى القبض على عشرات المواطنين الغربيين ويحكم عليهم بالسجن بتهم التجسس للسوفيت ، ومن بين هؤلاء مسؤولين حكوميين بمناصب عالية واعضاء برلمانات ودبلوماسيون وضباط شرطة وعسكريون ورجال اعمال ولكن نادرا مايكون بينهم صحفيون . حيث من الصعب جدا كشف ومقاضاة جواسيس من بين الصحفيين لانه عمل غير مجزي ومعقد من الناحية المبدئية التشريعية التي تضمن حرية الصحافة . وكان بيير تشارلس

باثيه هو اول صحفي غربي يحكم عليه بالسجن لنشره التضليل بدلا من جمع المعلومات السرية لصالح الـ KGB* .

وقد فوجئت الصحافة الفرنسية واصيبت بالدهشة عام ١٩٧٩ عندما القت مكافحة التجسس الفرنسية القبض على الصحفي والناشر للمجلة نصف الشهرية المسماة (Synthesis) . وكان باثيه ابن احد منتجي الافلام الاوائل وله اتصالات وثيقة مع الحكومة ورجال الاعمال وصهر مدير شركة رينو الحكومية ، برنارد فيرمي ـ باليه . وكان باثيه منتمياً الى منظمة تسمى حركة استقلال اوربا والتي ينتمي اليها سياسيون بارزون ورجال اعمال ومفكرون . وبخلاف والده الذي كان معجباً الى حد كبير بالولايات المتحدة ، فأن باثيه كان متعاطفاً مع الاتحاد السوفيتي .

وقد جلب باثيه انتباه الـ KGB عام ١٩٥٩ بعد نشره لمقالة امتدح فيها الاتحاد السوفيتي . واصبح عميلاً متطوعاً للـ KGB بعد فترة قصيرة وزود المخابرات السوفيتية بعدة تقارير وتحليلات ونبذة عن حياة بعض الصناعيين والساسيين والصحفيين المعروفين واعضاء في جهاز المخابرات الفرنسي . لكنه كان اكثر من مصدر للمعلومات . فقد اتبع بشكل مباشر اوامر الـ KGB لعدة سنوات كعميل تأثير يقوم بنشر التضليل السوفيتي تحت اسمه[١٦] .

ولكونه صحفي يفيد كقناة تضليل فأنه ينشر في العادة عدة قصص ملفقة في كل سنة ، وكان يستلم الخطوط العامة من ضابط الاتصال في الـ KGB بالنسبة لكل قصة ، ثم يكتبها فيما بعد بطريقته الصحفية الخاصة وبلهجته المبسطة . وقد نشر باثيه (Pathe) مابين الفترة ١٩٦٠ ـ ١٩٧٩ اكثر من ١٠٠

---

* نشرت مجلة Accuracy in Media Report العدد ١٠ في ١١ ايلول ١٩٨١ اسماء اربعة صحفيين امريكان يزعم انهم كانوا عملاء للسوفيت بدون ذكر تفاصيل عن نشاطاتهم وهم جوزيف بارنيس ، محرر الشؤون الخارجية السابق في النيويورك هيرالد تربيون وونستون بيردت مراسل الـ CBS وسام جافية وهو مراسل سابق للـ ABC وكيدرك باركر ، المحرر السابق لصحيفة كابيتال تايمز «Capital Times» .

مقالة وبوحي من السوفيت ، وساعد على اعداد العديد من المنشورات وعمل كمحرر لرسالة اخبارية لكبار المسؤولين السياسين والصناعيين .

وكان متوقعا لمعظم قصصه ان تزعزع الثقة في اجهزة المخابرات الغربية وتعمق الخلافات بين حلفاء الناتو . وقد ساعد القاء القبض عليه على ملء بعض الحلقات المفقودة في مسلسل التجسس بالرغم من تأكيده بأن مصادره المنظمة لجمع الاخبار كانت ببساطة من الصحفيين الذين اكتسب منهم المعلومات بدلا من نشر التضليل . ومع ذلك فأن محكمة امن الدولة حكمت عليه بالسجن خمس سنوات في ٢٢ مايس ١٩٨٠ ، وهي اول قضية معروفة يحكم فيها على شخص في اوربا الغربية لنشره التضليل ، وقد شجب العديد من الصحفيين الفرنسيين الحكم ووقع اكثر من ١٠٠ صحفي فرنسي احتجاجا يتضمن بأن قرار المحكمة ادى الى «تهديد جدي لحرية الرأي والمعلومات»[١٧] . وقد علقت صحيفة الباري ماتش (Paris Match) في عدد ١١ تموز ١٩٨٠ على قضية باثيه بما يلي :-

> بأرسالهم باثيه الى السجن لخمس سنوات دون الاخذ بنظر الاعتبار عمره او حالته الصحية ، فأن الحكام يتهمونه بالجاسوسية ولم يكن هو كذلك . وبالنسبة لهم فأن باثيه هو دليل ملموس على وجود عدد غير محدود من (نمل) الـ KGB ، وهو نمل خطر وملموس . وهذا النمل لايعرف الملل او الكلل . وان مجموعات النمل تكون وسائط لنقل الافكار المحظورة .

لو كانار انشينيه Le Canard Enchaine

في ٣٠ تشرين الاول ١٩٧٦ عثرت الشرطة الفرنسية على جثة رجل مضطجع على وجهه في بركة ماء في غابة رامبوليت (Rambouillet) ، وكانت بالقرب منه قنينة مسكن (من مشتقات البيرتبيورك) . وقد ظهر ان الرجل قد انتحر . ان التعرف على الرجل بأنه روبرت بولين ، وزير العمل البالغ من العمر ٥٩ عاما قد هز الوسط السياسي . وقد تقلد بولين الديغولي تسعة مقاعد في الجمهورية الخامسة وكان وزيرا لفترة طويلة . وقد امتدح من قبل الرئيس جيسكارد ديستان والعديد من المراقبين في الشؤون الفرنسية ، وكانوا يعتبرونه رئيس

وزراء فرنسا المقبل . وقد انهى بولين حياته بسبب مزاعم تقول بأنه كان قد اشترى بعض الارض في راماتويل (Ramatuelle) على شارع سانت تروبز (St Tropez) وبسعر منخفض جدا وحصل على اجازة بناء والتي تعطى لاي شخص اخر . وقد ظهرت التهم الاولى ضد بولين في صحيفة الجناح اليميني المصغرة (Minute) ومن ثم ظهرت بحماس في المجلة الاسبوعية اليسارية Le Canard Enchaine . وكانت القضية هي هل ان بولين كان يعلم بأجراءات نقل الملكية غير الشرعية قبل ان يبني بيته . وقد اخبر مراسلين من مجلة Le Canard Enchaine قبل انتحاره بأسبوع بأنه لايعرف شيئا عن الاجراءات اللاشرعية ، لكنهم لم يصدقوه ونشرت الصحيفة القصة بحماس مما ادى الى انتحار بولين .

ولفترة حوالي ٧٠ سنة ، ماعدا فترة الحرب العالمية الثانية التي حجبت فيها عن الصدور ، اعتمدت جريدة Le Canard Enchaine على التهكم والتلاعب بالالفاظ والسخرية في مهاجمة اجيال من السياسين الفرنسيين . وتحتفظ بعلاقات حميمة وقوية مع قرائها ، وقد وصف غابريل ماكي رئيس تحرير الجريدة ميولها السياسية بهذه العبارات :

> ان الـ Le Canard تنشر كل شيٌ وتخصص مساحة لاولئك الموجودين في السلطة لان صانعي القرار هم الاكثر اثارة للانتباه من الاخرين . واننا ننشر كل شيٌ نعرفه عن الاشتراكية والشيوعية ، لكنها لاتشغل مساحة كبيرة في صحيفتنا . وقد اعطينا للمعارضة حصة اكبر من الاخبار عندما كان اليسار في مرحلة الصعود . وليس لدينا ارتباطات مع الاشتراكية او الشيوعية بالرغم من ان تعاطفنا يميل الى اليسار[١٨] .

بدأت الصحيفة بتحقيق صحفي عن الحرب الجزائرية لتلبية طلب المواطنين الفرنسيين من المعلومات[١٩] . وقد وفرت غرابة تشارل ديغول وجورج بومبيدو للصحيفة العديد من القصص المسلية والملهية . لكنها في السبعينات اصبحت اكثر عدائية . فعلى سبيل المثال ، اتهمت مرشح الرئاسة جاك شابان دلمان بالاستفادة من حالات الغموض في قوانين الضرائب لتجنب دفع ضريبة الدخل لمدة ثلاث سنوات ، وبذلك انهت طموحه السياسي . وكذلك نشرت ملفات ضرائب الدخل للعديد من الفرنسيين البارزين منهم زعيم الملاحة

مارسيل داس . وقد نشرت الـ (Le Canard) في تشرين الاول عام ١٩٧٩ قصة رئيسية اتهمت فيها الرئيس جيسكار ديستان بقبول خمسين قيراط من الالماس وبقيمة ٢٥٠,٠٠٠ دولار من امبراطور جمهورية افريقيا الوسطى جان بيدل بوكاسا . وقد طرد بوكاسا من الحكم في تشرين الاول ١٩٧٩ بأنقلاب دبره الفرنسيون . وقد تضمنت المقالة نسخة من رسالة بوكاسا لتأكيد الهدية ، وقد وقعت الحادثة في عام ١٩٧٣ عندما كان جيسكار ديستان لايزال وزيرا للمالية . وقد قال جيسكار ديستان في خطاب تلفزيوني تم بثه لكافة انحاء فرنسا في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٧٩ بأنه كان قد استلم الهدية قبل ان يصبح رئيسا وقد تبرع بكل الهدايا المستلمة منذ ان اصبح رئيسا للجمعيات الخيرية والمتحف لكن جريدة (le Canard) لم تقتنع بجوابه واجابت بأن جيسكار ديستان قبل الالماس من بوكاسا حتى عام ١٩٧٥[٣٠] .

وتحمي جريدة (Le Canard) استقلالها المالي بعناية وذلك بحصر عائدية الجريدة على اعضائها البالغين ٣٥ صحفي هم ينتخبون رئيس التحرير ويضعون الرواتب ويقدرون كيفية استثمار الارباح[٣١] . وعلى الرغم من ان الجريدة لاتقبل الدعاية وتعتمد كليا على مبيعاتها ، فأن ارباحها كانت مضمونة . وتبلغ مبيعاتها حوالي ٥٠٠,٠٠٠ نسخة لكنها تصل احيانا الى ٨٠٠,٠٠٠ عندما تنشر الصحيفة قصة ممتعة ومشوقة . وقد اصبحت «البطة اللاسعة» واحدة من افضل الصحف في اي مكان سواءً في نظر الامريكان او الاوربيين[٣٢] .

وقد اكتشف احد اعضاء هيئة Le Canard يوم الاحد ٤ كانون الاول ١٩٧٣ عدة رجال يحاولون حفر ثقوب في الجدران وايصال اسلاك ، وذلك عندما كان ذاهبا الى مكتبه على غير العادة . وبعد هذه المحاولة غير الناجحة لرجال مكافحة التجسس الفرنسيين لزرع ادوات تسجيل في مكاتبها ، صرحت الجريدة وبكل فخر عن نفسها «بأنها الصحيفة المسموعة بشكل اكثر في فرنسا» . وكان للرأي العام الفرنسي دعاية بشأن ذلك وان المراسلين الاجانب في فرنسا ارسلوا بتقاريرهم حول انتصار اخر للصحافة على بيروقراطية وغباء الحكومة .

ولكن القصة كان لها جانب آخر . ولان الصحيفة كانت منفذ لتسريب معلومات محرجة ، فقد افادت (Le Canard) ايضا كقناة للتضليل السوفيتي . وقد جندت المخابرات التشيكية احد كتاب الجريدة القدماء في اوائل الستينات واستخدمته كعميل تأثير .. ولم يكن لحملات التشويه ، طويلة المدى اي تأثير مباشر على امن واستقرار تشيكوسلوفاكيا ، وكان المستفيد الحقيقي هو الاتحاد السوفيتي . وكان الهدف الرئيسي لاجراءات الكتلة السوفيتية الفعالة هو خلق ظروف مناسبة لمناورات السياسة الخارجية السوفيتية من قبل السوفيت ، وغالبا ماتقوم المخابرات التشيكية بتزويد جريدة (Le Canard) بقصة لتشويه سمعة السياسين الذين لايرتاح لهم القادة السوفيت لسبب او لآخر . وفي بعض الاحيان تطعن الجريدة بسخرية بنشاطات وكالة المخابرات المركزية في باريس وتقلل او تشوه من مكانة قادة الناتو العسكرين . اما اللذعات القانونية المضادة للسوفيت فأنها لاتزعج الـ KGB لانها تعطي (Le Canard) جواً من الاستقلالية السياسية .

ويلفريد بيرتشت Wilfred Burchett

تحت عنوان بارز «رجال الصحافة الذين لعبوا كعملاء مزدوجين للـ «CIA» . اعطت مجلة المكوك (Quill) في عدد آذار ١٩٧٦ برهانا ضد الصحفيين الذين تعاونوا لسبب او لآخر في الماضي مع الـ (CIA) ، وقد اشارت المجلة الى ويلفريد بيرتشت كمثال على الصحفي الشجاع الذي رد عرض الـ (C I A) : اذ قالت «في اثناء ذلك اخبر الصحفي الاشتراكي ويلفريد بيرتشت الذي ينقل احداث الحرب الكورية من الشمال الشيوعي ، اخبر وكالة رويتر بأن الـ (C I A) عرضت عليه في عام ١٩٥٢ مبلغ ١٠٠,٠٠٠ دولار للمجيء الى الجانب الاخر وكتابة عدة مقالات ، وقال انه رفض العرض» .

وكان قد نقل عن بيرتشت ، وهو احد الصحفين الغربيين الذي غطوا الحرب من الجانب الشيوعي ، قوله بأنه خلال محادثات السلام في ١٩٥٢ في Panmunjon ، «في احد الايام اقترب مني احد الصحفيين الامريكان وقال لي : هناك سيارة جيب على جانب الطريق ، تعال لنعبر الحدود الى الجانب

الاخر وسوف تحصل على ١٠٠,٠٠٠ دولار عن كتابة بضع مقالات» ، وقال بيرتشت بانه قد قابل الامريكي بعد ١٣ سنة في كمبوديا وسأله عن مصدر عرضه فأجاب الامريكي «بالطبع انه من الـ (C I A) » . ان هذا الحدث هو حدث صحيح بالاساس ، لكن هناك عدة حقائق مفقودة . فقد كان ويلفريدبيرتشت يتقاضى راتبه من عدة حكومات شيوعية ولعدة سنوات وقد اكتشف بأنه عميل للـ KGB .

وكمراسل اجنبي في اوائل مهنته ، فقد فتحت عدة اسبقيات صحفية الباب امامه للدخول الى المنشورات الشيوعية وغير الشيوعية . وكان اول غربي شاهد الخراب الذي تركته القنبلة الذرية على هيروشيما وكمراسل فانه غطى محاكمة الكاردينال (مندزنتي) في هنغاريا عام ١٩٤٩ . وقد تضمنت تعليقاته الاخيرة عن المحاكمة مايلي «لقد ازاحت تماما الهراء حول التعذيب والمخدرات والاعترافات المنتزعة وبينت كيف ان الكاردينال كان رجلاً بائسا وهزيلاً ومخادعا وطموحا»[٢٤] .

وفي اعتراف ضابط الـ KGB السابق يوري كروتكوف امام لجنة القضاء التابعة لمجلس الشيوخ الامريكي في ١٩٦٩ و ١٩٧٠ قال كروتكوف بأنه قابل بيرتشت في برلين عام ١٩٤٧ ، والذي اخبره بأنه كان عضوا سريا في الحزب الاسترالي الاشتراكي واراد ممارسة فرص الصحافة في موسكو . وقد جنده كروتكوف بعد الحرب الكونية للعمل للمخابرات السوفيتية وقال كروتكوف «وبعد مجيئه الى فيتنام» دفعت جميع تكاليفه من قبل الحزب الشيوعي الفيتنامي ، ومن قبل هوشي منه ... والذي اعطاه بيتا في هانوي وسيارة وزوده بسكرتير[٢٥] .

وخلال الحرب الكورية والفيتنامية نشرت العديد من الصحف الشيوعية ومنها المجلة السوفيتية «الازمنة الحديثة» العديد من تقاريره المعادية للامريكان . وقد اقام دعوى ضد الصحيفة الاسترالية (Focus) لكتابتها عن نشاطاته الموالية للشيوعية لكن الدفاع قدم عدة شهود منهم اسرى الحرب الامريكان السابقين في كوريا الشمالية والذين شهدوا حول محاضرات بيرتشت الفكرية الحزبية ومشاركته في عمليات الاستجواب . ومن الادلة الاخرى

المقالات التي كانت تصدر في موسكو وتوقع من قبل بيرتشت . وقد استخدمت الـ KGB بيرتشت كقناة تضليل لاقناع الرأي العام العالمي بأن الولايات المتحدة كانت تستعمل الاسلحة الجرثومية في كوريا . وفي جو الذنب الذي ساد الولايات المتحدة بعد الحرب الفيتنامية عام ١٩٧٧ ، قدم بيرتشت نفسه في جولة محاضرات كصحفي مهتم بالقضايا السياسية ومهتم بتأثير الاحداث المهمة في وقتنا . ولم يكن لدى الصحافة الوقت الكافي لكشف نشاطاته السابقة وارتباطاته ما عدا بعض المنشورات المحافظة .

ويعتبر بيرتشت بصورة او بأخرى صحفيا مثاليا وبميول شيوعية يقدم خدمة للمخابرات السوفيتية من اجل الحركة البروليتارية . وقد قال بيرتشت ذات مرة لكروتكوف :

> انني اخدم قضيتنا ، قضية الشيوعية والحزب الشيوعي في الصين ، اذ زودتهم بمعلومات قيمة جدا عندما كنت في كوريا . وانا استطيع فهم تفكيرهم الامريكي ورأيهم وماذا يريدون وبماذا يفكرون واستطيع ان اعلم الجانب الصيني . وقد حدث نفس الشئ في هانوي . وانا على علاقة وثيقة مع هوشي منه . ونحن تقريبا اصدقاء واستطيع زيارته في اي وقت اشاء . انني اكتب لهم وانني معني الى حد كبير بالمشكلة ضد الامريكان واعمل بأفضل ما استطيع[٢٦] .

ارني هيرلوف بيترسن Arne Herlov Petersen

عندما طردت الحكومة الدانماركية عام ١٩٨١ فلاديمير ميركولوف (Vladimir Merkulov) السكرتير الثاني في السفارة السوفيتية في كوبنهاكن ، وذلك لنشاطاته التي لا تنسجم مع وضعه الدبلوماسي ، بدت العملية وكأنها خطوة روتينية ضد توسيع شبكة التجسس السوفيتية . لكن التحقيق الذي اجراه الامن الدانماركي كشف كثافة التدخل او التورط السوفيتي في حركة السلام واجهزة الاعلام في اوربا الغربية . وبعد شهر من ابعاد ميركولوف ، القت الشرطة الدانماركية القبض على بيترسن ، وهو الصحفي الذي عمل كعميل مؤثر للـ KGB ، بدلا من ان يكون مصدراً للمعلومات السرية . وقد

طلب منه السوفيت تقارير منظمة عن الجناح اليساري الدانماركي ومايسمى بالصحفيين التقدميين والذين لم يكونوا اعضاء في الحزب الشيوعي الدانماركي . ولاكثر من عشر سنوات ، استخدمت الـ KGB بيترسن لنشر التضليل المعادي للناتو ووضع التلفيقات المعادية لاميركا وتأمين الدعم المادي لمختلف نشاطات السلام .

وقد بين تصريح وزارة العدل الدانماركية في ١٧ نيسان ١٩٨٢ بأن الـ KGB استخدمت بيترسن بشكل رئيسي للتأثير على الرأي العام الدانماركي من خلال عدة مقالات وكراريس ورسائل الى المحرر وتلفيقات . وتوضح القائمة التالية طبيعة عمله مع الـ KGB :

* نشر بيترسن كراس سمي بـ «المحاربين البارزين» عام ١٩٧٩ مبنيا على اساس مسودة من الـ KGB تهاجم السياسين الغربيين ، مثل السياسي الالماني الغربي فرانز جوزيف شتراوس ومارغريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا ، والامين العام لحلف الناتو جوزيف لونز والامريكي هنري جاكسون وباري غولدواتر .
* هناك كراس آخر اطلق عليه «المصائب الحقيقية : تاتشر التي لم تستطع اصلاح سقفها الخاص» كتب من قبل بيترسن تحت اشراف السوفيت ونشر عام ١٩٨٠ . وقد هاجم السياسات الاقتصادية الدفاعية والخارجية للحكومة البريطانية التي ترأسها تاتشر في ذلك الوقت . وكما هو الحال مع الكراس الاول فأن بيترسن استلم محتواه من السفارة السوفيتية من خلال ميركولوف .
* تم توزيع عدة تلفيقات سوفيتية بمساعدة بيترسن . وبما انه عضو في جمعية الصداقة الدانماركية ـ الكورية الشمالية التي تشجع المستوى الوثيق للعلاقات بين البلدين ، فقد طلبت اليه الـ KGBتمرير تلفيق كان من المفروض انه يتناول المحادثات السرية بيت الولايات المتحدة وجمهورية الصين الشعبية . وقد توقع السوفيت ان الكوريين الشماليين سوف يشعرون بالتهديد وبالتالي يبحثون عن علاقات اوثق مع الاتحاد السوفيتي . ونموذج من التضليل هذا جعل بيترسن يقوم بدور الساعي الذي اوصل

التقرير الى الكوريين الشماليين بدون الكشف عن الارتباطات السوفيتية .

* في صيف عام ١٩٨١ ، استلم بيترسن اجرا لجمع توقيعات الفنانين والصحفيين الدانماركيين لرفع مذكرة تعبر عن دعم الاتحاد السوفيتي في مبادرته لانشاء منطقة شمالية خالية من الاسلحة النووية . وقد تلقت الحملة دعما ماديا جزئيا من السفارة السوفيتية وتضمنت نشر العديد من الاعلانات السياسية في الصحف الدانماركية .

وبالرغم من تورط بيترسن في عمليات التضليل السوفيتي ، فأن وزارة العدل الدانماركية اختارت ان تنشر التهم الرئيسية والادلة ضد بيترسن كتحذير للاخرين بدلا من فتح اجراءات المحاكمة[٢٧] .

وتوفر الصحافة في البلدان الليبرالية خدمة حيوية لايمكن توفرها من اية مؤسسة . وهناك دوما حاجة الى الجرائد العدائية الشجاعة والمشابهة لـ (Le Canard Enchaine) لكن الصحافة لاتستطيع انجاز مسؤوليتها الدستورية عندما يسمح للقائمين بالتضليل في الكتلة السوفيتية لتحقيق اهدافهم السياسية . ويكون التضليل والاجراءات الفعالة الاخرى ادوات اساسية للسياسة الخارجية السوفيتية الموجهة الى تعزيز النفوذ السوفيتي في العالم . ويعرف السوفيت بأن وسائل الاعلام تقوم بدور رئيسي في التأثير على الرأي العام وتلعب دورا بارزا في تكوين وانجاز السياسة الخارجية . وكانت حملات الدعاية السرية في السبعينات اكثر تعقيدا او شمولية ومصممة ومنجزة بشكل اكثر تأثيرا من الحملات المنجزة خلال الستينات . ومما لاشك فيه ان هذا الاتجاه سوف يستمر في الثمانينات وبعمليات مكرسة لاضعاف البلدان المستهدفة بدلا من تشجيع الشيوعية .

وبالرغم من ان حملات التضليل لها القليل من التأثير الواضح ، فأن السوفيت قد زادوا من هذه الحملات لسببين رئيسيين : الاول ، انهم يعتقدون بثقة بالتأثير التراكمي للاجراءات الفعالة . وحتى اذا لم تعمل عملية مفردة على تغيير النظرة العامة لاي موضوع ، فأن سلسلة من العمليات ذات العلاقة سوف تأتي بالتدريج بالتغيير المطلوب . ويدعم العديد من مختصي الاتصالات ومنهم ولبر شرام (Wilbur Schramm) وجون مارتن (John Martin) هذا

الافتراض . ويقول شرام ان كل الاتصالات ومهما كان تأثيرها تترك علامة على المتلقي . وقد قارن هذا التأثير بالماء الكلسي الذي يقطر على مجموعة الرواسب الكلسية ، فنادراً ماتترك القطرة مخزونا كبيراً ولكنها ، في العادة ، تساهم في النمو الضئيل للنتوء . ويقول جون مارتن في مقالته الموسومة «تأثير الدعاية العالمية»[٢٨] «هناك دليل واضح لهذا التأثير الدائم» . والسبب الثاني والمهم في الرغبة السوفيتية في حملات التضليل هو ان هذه البرامج تساعد على صرف الانتباه عن اخطاء ونقاط ضعف السوفيت . فبينما يستخدم السوفيت الاسلحة الكيمياوية في افغانستان ، على سبيل المثال ، فأنهم يشوهون سمعة الولايات المتحدة كمستغلة ومستعمرة للعالم الثالث .

لقد علم مختصو المخابرات الغربيون بأستخدام الـ KGB الواسع للتضليل ولعدة سنوات ، لكن معرفة كيفية التعامل مع هذه التكتيكات هي شيٌ آخر . فبأستطاعتهم الاعتماد على مقارنة التحليلات للتأكد بأن المنفذ هو جهاز مخابرات شيوعي ، لكن الدليل النهائي والضروري لتبرير الاحتجاج الدبلوماسي او اية اجراءات معتادة رسمية اخرى عادة مايكون محيراً .

وتكون الصحافة في موقع صعب جداً . فقد تساعد عدد من الظروف صحفيي هذه الايام لان يكونوا اكثر حساسية ازاء الاعيب الخداع والتضليل من جماعتهم قبل قرن مضى . فالمراسل الاجنبي في الماضي كان لديه الوقت لدراسة تاريخ البلد المضيف وسياسته وخصوصياته وتطور العلاقات بين السياسيين البارزين والمثقفين والصحفيين والفنانين ورجال الاعمال . ان زيادة كلفة العمليات في داخل وخارج البلد وقلة الاهتمام بالشؤون الخارجية بين القراء الاميركان في الفترة التي اعقبت حرب فيتنام وحواجز الاتصالات التي تقيد الانسياب الحر للمعلومات في عدة بلدان نامية قد ساعدت في الاساس على تقليل مستويات ومراتب المراسلين الذين يسافرون من احدى مناطق الازمات الى اخرى بدون ان يكون لديهم الوقت الكافي لدراسة المحيط والجوهر الاقتصادي والسياسي والاجتماعي . والنتيجة هي تقارير سطحية وصحفيون يكونون اكثر عرضة للتضليل .

وعلى حد تعبير تشارلس كولنغوود (Charles Collingwood) والذي امضى

اكثر من اربعين عاما في الصحافة ، فأن المراسل الاجنبي ، وبخاصة المراسل التلفزيوني ، هو «شخصية متجولة ومكيفة للنقد ، جاهزة لان ترسل لاي مكان وفي اي وقت وحسب ماتمليه الاخبار المتناقضة ، وكما يفسرها المنتجون والمحللون في مكتبه داخل الوطن» . وطبقاً لما قاله كولنغوود فأن المراسل الاجنبي في الثمانينات ليس متخصصاً بل متعدد المواهب والكفاءات «وهو لم يعد سيد نفسه وانما هو جزء قابل للتبادل وهو يعيش حياة مرهقة تتغلب فيها الاحباطات على المكافئات» وان الـ «العقلية المسيرة» لمجتمع الصحافة الاجنبية في الوقت الذي يجتمع اعضاؤه سوية ويتحركون في نفس الدائرة ويتناولون نفس القصص ويقابلون نفس الناس تجعلهم معرضين بشكل خاص لاي تأثير او تغلغل سياسي او تضليل . وتصبح عادة المعلومات المنشورة اولا في صحيفة بارزة او معروفة معياراً لبقية الصحف . والضعف الرئيسي لتغطية اجهزة الاعلام للمواضيع العالمية المعقدة هو افتقارها الى التحليل العميق والاثبات . وفي البحث المشوش كل يوم عن الاخبار ، لايكون للمراسل او المحرر الا الوقت القليل لتأكيد او اثبات التفاصيل المهمة . ويدرك رجال المخابرات السوفيت هذا العجز عندما يضعون او يخططون عمليات فردية ويستخدمون الصحافة الاجنبية كواسطة للخداع .

ولادامة هالة من الموثوقية ، يجب ان يظهر التضليل اولا من خلال وسيلة اعلامية غير معروفة بشكل علني بموالاتها للشيوعية . ويزود عادة العميل الصحفي الذي يعمل في صحيفة محترمة بمعلومات تضليلية ويبلغ عن كيفية كتابة القصة . وفي معظم الحالات فأن بداية ظهور المعلومات الحساسة كاف لبدأ سلسلة من ردود الفعل العلنية الاخرى كلما اصبحت وسائل الاعلام الاخرى راغبة في الموضوع ، وتترك عادة الصحف الشيوعية المحلية خارج اللعبة للتصرف طبقاً لايديولوجيتها الخاصة وقرار التحرير . وحتى ان رد فعل البرافد (Pravda) لايوفر في العديد من الحالات الحل او المفتاح لفهم الغرض الحقيقي لستراتيجية الـ (KGB) . وهناك قوانين امنية مشددة تمنع رجال الـ (KGB) من اعلام مسؤولي الحزب من الدرجة الثانية والصحفيين .

وعندما تنشر صحيفة ما قصة مبنية على اساس «وثائق توفرت للصحيفة»

فهي لاتعرف المصدر او دوافع الكاتب ، وفي عدة حالات تستلم الصحيفة معلومات سياسية مثيرة وشيقة من مصادر مجهولة . وحتى عندما تفسر في القصة الشكوك التي تدور حول دوافع اي مصدر مجهول فأن نشر القصة يعطيها مصداقية ومشروعية جديرة بالاهتمام . ولاترغب الصحف او شبكات الاذاعة والتلفزيون في هذه الايام بصرف الوقت او الاموال الضرورية للتأكد من مصدر وخلفية المعلومات المتناقضة طالما انها كافية لعمل عناوين بارزة . ونتيجة لذلك ، فأن المباشرة بحملات التضليل يكون اسهل نسبياً .

الفصل الخامس
فن التلفيق

لايكاد يمر يوم واحد بدون هجوم على السياسة الخارجية للولايات المتحدة . وتنحي القوى المحلية المضادة للمؤسسة على الولايات المتحدة باللائمة للمشاكل والامراض الاجتماعية في العالم ويرى الاعداء الخارجيون ان سياسة الولايات المتحدة هي تآمر مستمر لشل انظمتهم الاجتماعية وتقدمهم القومي . وتود القوى الرئيسية العالمية ان تبدي كرها للولايات المتحدة وتشتري تقريبا اي دليل لاثبات تحيزها المضاد لاميركا . وتعتبر حتى الاشاعات والشعارات الدعائية مقبولة كبراهين او ادلة ، ومثل هذا المناخ يساعد السوفيت لممارسة مختلف الالاعيب المضادة لاميركا بضمنها التلفيق . فقد اصبحت السلفادور ، وهو بلد مكتظ سكانيا وبحجم ماساتشوسيتس (Massachusetts) وبحوالي ٤,٥ مليون نسمة ، ممزقا بالحرب الاهلية ، واصبح ميدانا للتوسع السوفيتي والكوبي عام ١٩٧٩ . وقد كشفت اعداد كبيرة من الوثائق السرية التي استولى عليها الجيش السلفادوري في تشرين الثاني ١٩٨٠ وكانون الثاني ١٩٨١ الادوار الخاصة التي لعبتها كوبا وباقي البلدان الشيوعية في السلفادور . وفي

تقرير حول «الدعم السوفيتي للثوار السلفادوريين» نشر في شباط ١٩٨١ لخصت وزارة الخارجية المراحل الرئيسية للتدخل الشيوعي في المنطقة بما يلي :

- دور الوصي المباشر الذي لعبه فيدل كاسترو والحكومة الكوبية في نهاية عام ١٩٧٩ وبداية عام ١٩٨٠ في توحيد صفوف الفدائيين السلفادوريين في جبهة واحدة .
- اعطاء المساعدات والاستشارات في تخطيط العمليات العسكرية .
- سلسلة الاتصالات بين القادة السوفيت والمسؤولين المهمين لعدد من البلدان الشيوعية والتي اسفرت عن تعهدات بتزويد المتمردين بما يقارب ٨٠٠ طن من الاسلحة الحديثة والمتطورة .
- الشحنات السرية لما يقارب ٢٠٠ طن من هذه الاسلحة الى السلفادور ومعظمها من خلال كوبا ونيكاراغوا للتحضير للهجوم الرئيسي للفدائيين في كانون الثاني ١٩٨١ .
- المحاولات الشيوعية الرئيسية لتغطية تورطهم وذلك بأعطاء اغلب الاسلحة من صنع غربي[1] .

وقد بدأت شحنات الاسلحة الى السلفادور في عام ١٩٧٩ ، واصبحت اكثر كثافة خلال الاشهر الاخيرة من عام ١٩٨٠ ، واستمرت بالتنامي في بداية ١٩٨١ وعلى الرغم من احتجاجات ادارة بكين ..واشتملت معظم الشحنات على اسلحة امريكية ارسلت من فيتنام واثيوبيا بمساعدة الكوبيين الذي رتبوا عمليات النقل النهائية مع الفدائيين[2] . ورافقت هذه الشحنات حملات دعائية عالمية من قبل الكتلة السوفيتية . وكانت الـ KGB على علم بأن تزامن الاحداث الفيتنامية لايزال يعيش في الولايات المتحدة . واذا مانفذت الالاعيب بمهارة فأنها تستطيع ان تغير الرأي العام الامريكي ضد اي نوع من الدعم الامريكي للقوى المضادة للشيوعية في السلفادور . ولهذا فقد مارست العديد من عمليات التضليل ومنها التلفيقات لتشويه سمعة الحكومة السلفادورية بالاضافة الى سياسة الولايات المتحدة .

وفي تشرين الثاني ١٩٨٠ ، نشرت وكالة انباء الباسفك (Pacific News Service) اليسارية الاتجاه قصة حول وثيقة امريكية مغرضة واتهمت الولايات

المتحدة للتخطيط لتدخل عسكري في السلفادور . وكانت الوثيقة «مرسلة حسبما يزعم من مجموعة من المسؤولين السابقين العاملين في اقسام الخارجية والدفاع ووكالة المخابرات المركزية ومجلس الامن القومي» . وقد تضمن التقرير تعليقاً مقتضباً بنفي وزارة الخارجية الوثيقة ولكنها قالت بأن الاخصائيين غير الحكوميين في شؤون اميركا اللاتينية في واشنطن قد اكدوا صحة تفاصيل السياسة الخارجية وما جاء في التقرير . وبعد يومين اوردت النشرة الاخبارية البريطانية (Latin America Weekly Report) والتي لديها مشتركين من بين المسؤولين والصحفيين في واشنطن

> ان المعلومات الخاصة بالتحضيرات العسكرية في السلفادور وهندوراس وبدعم من اميركا هي معلومات حقيقية . وقد تحدثت وثيقة تسربت عن طريق مسؤولين معارضين في وزارة الخارجية حول زيادة التدريب للضباط السلفادوريين في بنما والارجنتين ... وقد رسمت عدة خطط طارئة لنشر القوات الفردية او الجماعية وقد قدرت تكاليف ومضاعفات التدخل العسكري في السلفادور .

ان المزيد من القصص المبنية على اساس الوثائق المعارضة قد ظهر في الصحف في انحاء العالم . ومن الواضح ان وثيقة مؤلفة من ٣٠ صفحة مؤرخة في ٦ تشرين الثاني ١٩٨٠ قد ارسلت الى العديد من الصحفيين ومحللي السياسة الخارجية والباحثين في الولايات المتحدة والخارج . وقد احتوت مذكرة في مقدمة التقرير على هذه العبارة «ثمة موظفين في وكالات اخرى نشطة في السلفادور وامريكا الوسطى - ولكنهم مبعدون طبيعيا من المناقشات السياسية - ساهموا ايضا في هذه الملاحظات» . وقد اكدت المذكرة بأن المؤيدين والمتعاطفين مع هذه المجموعة من مختلف الدوائر الفيدرالية قد استخدموا طرقا متحايلة لبحث وكتابة وتوزيع المذكرة . وقد قالت المذكرة بأن الولايات المتحدة قد قللت من شأن التكاليف السياسية لردود الفعل العالمية لتدخل امريكي ممكن وكذلك :

من تعهد نيكاراغوا وكوبا بمنح الدعم العسكري للفدائيين السلفادوريين في حالة استمرار تصعيد التدخل الامريكي .. ان الهدف الرئيسي لسياسة الولايات المتحدة في اميركا الوسطى هو الحد من التفوق الكوبي والسوفيتي في المنطقة ... وان بعض التطورات سوف يتيح فرصا اكثر لكوبا في اميركا الوسطى من اقلمة النزاع المسلح والذي يتيح تصعيد التدخل العسكري للولايات المتحدة في السلفادور . وعليه ، ومن اجل تحديد الفرص للتوسع الكوبي السوفيتي ، فان على الولايات المتحدة تجنب اقلمة النزاع المسلح وذلك من خلال تغيير الاتجاه الحالي نحو تصعيد تدخلها العسكري .

وقالت الوثيقة ايضا ان ادارة كارتر قد بدأت التدخل السري في السلفادور عام ١٩٨٠ وهدفها الرئيسي هو «الحيلولة دون تصعيد الازمات في السلفادور قبل موعد الانتخابات» وان تلك التقارير الاخبارية التي تعطي الحاجة لزيادة او توسيع تدخل الولايات المتحدة في السلفادور قد كتمت داخل حكومة الولايات المتحدة . واشارت الوثيقة بأنه كان على الولايات المتحدة ان توقف دعمها للزمرة المدنية والعسكرية الحاكمة في السلفادور وان تسعى الى حل غير عسكري عن طريق المباحثات لتحديد التوسع الكوبي والسوفيتي العسكري وتشجع ظهور حكومات مستقرة تؤمن بالتعددية . وقد ركزت الوثيقة على السلفادور لكنها ايضا شملت بلدان اخرى في اميركا الوسطى ، اذ جاء فيها :

ان برنامج التدريب من اكثر البرامج التي ترعاها الولايات المتحدة لاي بلد في اميركا اللاتينية وفي عام واحد ... وقد اتخذت مختلف الوكالات في الولايات المتحدة خطوات تمهيدية للتدخل العسكري في السلفادور ... حيث كانت المخابرات الامريكية على اتصال مع مجموعة المنفيين النيكاراغويين في كواتيمالا وميامي وهي على اطلاع بعلاقتها مع المجموعات الارهابية من الكوبيين في الولايات المتحدة . ولم تكن هناك اية محاولة لتحديد تحركاتها داخل وخارج الولايات المتحدة او اي تدخل في نشاطاتها .

هل كانت الوثيقة موضوع الجدل نتاج حقيقي لمسؤولين انتابهم الاحباط في الولايات المتحدة كما ادعت الوثيقة ، او كانت من عمل قوة اجنبية تلعب لعبة ضد الولايات المتحدة ؟ ولاعطاء المذكرة سمة السلطة البيروقراطية ، استخدم

المنفذون العلامات التالية على صفحة الغلاف :
ورقة معارضة حول السلفادور واميركا الوسطى
وزارة الخارجية ١٩٨٠/٦/١١
الى قناة معارضة
من : ESCATF / D
الاشارة : DM - ESCA 80 - 3

ومن الواضح ان DOS هو مختصر لوزارة الخارجية وغالبا ماتستخدم وزارة الدفاع الرمز DOD ، لكن وزارة الخارجية لم تستخدم DOS كمختصر قط . وعندما يختلف مسؤولو الخدمة الخارجية في الخارج مع مسؤوليهم او مع سياسة الولايات المتحدة ، فأنهم يتصلون مع واشنطن مباشرة من خلال مايسمى بقناة مغايرة ويوصلون تقاريرهم برقيا او بواسطة الحقيبة الدبلوماسية . وفي هذه الحالة ، فقد اتخذ المنفذ دور المطلع لاستخدام قناة مغايرة لكنه لم يوقع الوثيقة التي وصلت الى وزارة الخارجية في طرد بريدي عادي ومن خلال دائرة البريد في الولايات المتحدة . والاشارة بأن الوثيقة جاءت من ESCATF/D تعني ظاهريا (EL Salvador Central America Task Force قوة المهمات في السلفادور واميركا الوسطى» لكن مثل هذه القنوات الخاصة لم تكن بالفعل . اما التسلسل DM - ESCA 80 - 3 فيعني «مذكرة عن السلفادور واميركا الوسطى ، لكن ناطق بأسم وزارة الخارجية صرح بأنه لم يكن هناك مثل هذا التسلسل[٣] . وان الورقة المعارضة حول السلفادور واميركا كانت مجرد تلفيق واضح . وكان ستيفن كنزر (Stephen Kinzer) ، وهو مراسل اميركي لاتيني لمجلة البوسطن غلوب ، احد مستلمي التلفيق . وقد كتب كنزر في موضوع على الصفحة الاولى يتعلق بالوثيقة موضوع الجدل في تشرين الثاني ١٩٨٠ الاستنتاجات الرئيسية للوثيقة وقال بأن الوثيقة لم ترسل رسميا من خلال القنوات المخالفة او المغايرة لوزارة الخارجية . وكباقي الصحفيين الذين كتبوا عن القضية «فقد نسبها الى مجموعة دبلوماسية او خبراء مخابرات مثيرين للسخط» ، ولازالة اي شك فقد ذكر عن لسان امريكي لاتيني لم يذكر اسمه مختص ومطلع على عمليات

المخابرات الامريكية قوله : اذا ما اخذ بنظر الاعتبار محتوى الوثيقة الداخلي فسيكون من الصعب جدا كتابتها من قبل اي شخص في الخارج»[٤] .

وقد وصلت القضية الى الصحيفة المعروفة نيويورك تايمز في كانون الاول ١٩٨٠ وقد اولاها محرر الاعمدة في الصحيفة انطوني لويس ، دعاية قومية بدون التأكد من صحتها . وقد سمى لويس المذكرة المثيرة للجدل بوثيقة معارضة واقتبس منها الكثير في مقالة كتبها تحت عنوان «حادثة نبيلة اخرى» . وقد كررت التايمز الخطأ في ٦ آذار ١٩٨١ عندما اولت فلورا لويس (Flora Lewis) اهتماما بالوثيقة . ومن المحتمل انها استلمتها من مصدر اخباري موثوق قدمها كورقة رسمية . وقد عاملتها لويس كورقة اصلية معارضة تم تداولها داخل الحكومة ، اذ قالت بصدد ذلك

> الوثيقة الجافة وغير العاطفية تمضي وتمضي لتبين كم عدد المآزق المخفية التي يغض النظر عنها في ردود فعل الولايات المتحدة تجاه الحرب المدنية الدموية المرعبة في السلفادور ... وان توصياتها انذرت بمقترح قدمته في عطلة نهاية الاسبوع الاحزاب الاشتراكية الامريكية للتوسط والعرض الالماني للمساعدة .... وسوف تعمل ادارة ريغن بشكل جيد للاستماع الى مؤلف الوثيقة قبل فوات فرصة المحادثات ومن ثم التاكد من ان الزمرة الحاكمة في السلفادور تعرف بأن الولايات المتحدة تبحث عن الحل السياسي وليس الحل العسكري[٥] .

وفي اليوم التالي نشرت النيويورك تايمز قصة تبين بأن المذكرة المعارضة كانت مجرد تلفيق . وتحت عنوان (وزارة الخارجية تطلق على احد التقارير عن السلفادور صفة التزوير) ، نقلت الصحيفة عن وليم جي . سايس الناطق بأسم وزارة الخارجية قوله بأن المذكرة لم تكن «وثيقة رسمية من قناة معارضة ، وكررت الوصف السابق لوزارة الخارجية بأنها «وثيقة مزورة»[٦] . وفي ٩ آذار اعترفت المس لويس في عمودها بأنها كانت مخطئة حيث قالت «انني الان مقتنعة بأن الوثيقة عن السلفادور والتي ناقشتها في عمودي الصادر الجمعة الماضية والتي اعتقدت بأنها ورقة رسمية ، كانت في الحقيقة تزويراً ، كما قالت وزارة الخارجية فيما بعد . وقد تم تدقيق العديد من الحقائق ، لكنها لم تكن وثيقة حكومية ، وانني خجلة من الحقيقة» .

ان القليل من المنظمات في العالم ، وبضمنها اجهزة المخابرات ، لديها الخبرة والمهارة وشبكة الاتصالات العالمية السرية المطلوبة لتعميم وانتاج وتوزيع تلفيقات بهذا التطور والنوعية . والنظام الاستخباري الذي تديره الكتلة السوفيتية هو واحد منها . لكن ايا من الصحف اليومية او الوكالات الاخبارية التي كتبت عن الوثيقة المجهولة لم تذكر بأنها قد تكون تلفيقا شيوعيا . ومن الواضح ان متلقيها انخدعوا بعبارات مضادة للشيوعية مثل «تحديد التوسع الكوبي ـ السوفيتي» و «تشجيع ظهور حكومات تؤمن بالتعددية» . اذن لماذا تعمل الـ KGB على اصدار مثل هذه التوصيات . ؟ ان المذكرة لم تكن ملفقة بأسم الحزب الشيوعي الامريكي بل من قبل مسؤولي وزارة الخارجية المثيري للسخط على مايزعم وبدون ولاءات واضحة للماركسية اللينينية . وقد لعب المنفذ وبنجاح على وتر التزامن الفيتنامي لعموم الامريكان عندما قارن السلفادور بفيتنام .

ان معرفة السوفيت بأن ادارة ريغن كانت مهيأة لاجراء تغييرات اساسية في السياسة الخارجية للولايات المتحدة ، دفعتهم الى تحديد الفرص المتوفرة لريغن وذلك بالبدء بأثارة النقاش العام قبل شهرين من تولي الرئيس لمنصبه وكان غرض حملة التضليل تأليب الرأي العام ضد اي نوع من انواع التدخل الامريكي في السلفادور وشل سياسة ريغن الخارجية في اميركا الوسطى . وقد تظاهرت الوثيقة المنشقة بأعطاء نصيحة متزنة حول تقليل خطر التوسع الكوبي ـ السوفيتي في اميركا الوسطى . وقد حذرت من ان التدخل العسكري الامريكي سوف يقوي من التدخل الكوبي ـ السوفيتي في عموم اميركا الوسطى واوصت بـ « خيار زيمبابوي» ومساعدة المنشقين المسلحين على امل انهم سيكونون اصدقاء بعد تسلمهم السلطة . وبالتأكيد على ان هدف الولايات المتحدة الرئيسي في اميركا الوسطى هو تحديد التفوق الكوبي ـ السوفيتي في المنطقة ، فأن الوثيقة الملفقة اكتسبت ثقة متلقيها ، لكنها اقترحت اجراءات تقود فقط الى تقوية النفوذ الشيوعي .

وقد اكتشف المحللون الاستخباريون في الولايات المتحدة مابين الفترة ١٩٤٥ و ١٩٨٠ مصادر لحوالي ١٥٠ تلفيق تم ترتيبه لايذاء هذا البلد[٧] .

لكنها تلفيقات عدائية وهي فقط جزء من مجموعة كبيرة ، ولم تكتشف الكثير من التلفيقات لانها لم تنشر بشكل واسع لكنها تسللت في مجرى الاتصالات العالمية لخداع الحكومات والاشخاص وبدون تنبيه الصحافة .

وغالبا ماتبدو تلفيقات الكتلة السوفيتية بمظهر حقيقي يكفي لاكتساب حرية وصول للجميع ، الا اجهزة الاعلام الغربية الاكثر شكوكية ، وهناك وضوح في تزييفات الكرملين لم يشاهد من قبل . وفي العديد من الحالات الاخيرة ، نشرت التلفيقات السوفيتية مباشرة عبارات كاذبة لرئيس الولايات المتحدة ونائبه ، وهذا الشئ تجنبوه تقريبا قبل عقد من الزمن . وآخر الوثائق الكاذبة هي اعادة صياغة كتيب ميداني عن الجيش الاميركي « U. S. Army Field Manual FM 30 - 31 B» والذي تم تداوله في اكثر من ٢٠ بلد وقد اورد بالبرهان على ان الولايات المتحدة تتصرف كعميل محرض في استغلال الارهاب الخارجي كالولاية الحمراء الايطالية .

وحتى تكرار ظهور التلفيقات على مسرح الاحداث العالمية يمكن ان يكون ذا اهمية بالغة . وكمثال على ذلك اصرت القيادة السوفيتية تضليل عمليات التزوير في الشهر الذي سبق مؤتمر القمة الفاشل بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي الذي عقد في باريس ١٩٦٠ . ولهذا فقد ظهرت حالتي تزوير فقط من ٦ آذار ١٩٥٩ الى مايس ١٩٦٠ ، لكن النتاج عاد الى الوضع الطبيعي بعد انهيار مؤتمر القمة . وقد ظهر اسلوب مشابه خلال فترة الانفراج مع الروس في اوائل السبعينات . وقد اكد محللو وكالة المخابرات المركزية بشكل ايجابي صحة احدى التلفيقات مابين اواخر ١٩٧١ وكانون الاول ١٩٧٦[٨] . وقد شجع جو التقارب الاتحاد السوفيتي على تخفيض اعظم نموذج استفزازي لاسلوب عمليات الحرب الباردة واستخدام طرق فنية اكثر براعة في التخريب . لكن الروس استمروا بالحظر الرسمي على الافتراءات المضادة للامريكان لسبب آخر . وان تلفيقاتهم لم تستطع التفوق على التحقيقات في قضية ووترغيت . فالفضائح الرئاسية والرشاوي للمؤسسة الاستخبارية الامريكية وفرت لوسائل الانباء العالمية حجما كبيرا من المعلومات الهدامة وكلها تعتمد على الاعترافات المؤكدة وان اكتشاف اي تزوير شيوعي في ذلك الوقت قد يدفع

الامريكان الى رص الصفوف ويقلص من التدفق الطبيعي لافشاءات اتهام الذات بالجريمة .

وعندما بدات ظاهرة ووترغيت بالتلاشي في اواخر عام ١٩٧٦ عاد خبراء الخداع الى تلفيقاتهم . وبالرغم من بقاء اميركا عدوا رئيسيا ، الا انهم ركزوا ايضا على الشرق الاوسط واوربا الغربية . وكان اهتمامهم الاول ، الشرق الاوسط ، هو وطن انور السادات ، الصديق الحميم لجيمي كارتر . وقد اكتشفت ستة عمليات خداع ضد مصر مابين عام ١٩٧٦ واوائل عام ١٩٨٠[٩] . وقد احتلت اوربا الغربية المرتبة الثانية في قائمة الاهداف بسبب استمرار الرغبة الروسية في خلق الشقاق بين حلفاء الناتو . وقد رغب السوفيت ايضا في ابقاء اسبانيا خارج حلف الناتو ، وتحديد مشاركة اليونان في معاهدة الدفاع والضغط على الولايات المتحدة للتخلي عن نشر «القنبلة النيوترونية» في اوربا .

ويمكن تصنيف التلفيقات ، وخاصة المنشورات الاخيرة ، في تصنيفين رئيسين : الاول يتضمن المعلومات المضللة والذي يسهم في صنع القرارات السياسية الضعيفة بين قادة الحكومات . وهذا النوع من الخداع لايتطلب او يحتاج عادة الى اهتمام واسع في الاعلام . والنوع الثاني هو التلفيق الدعائي والذي يهدف الى صياغة الرأي العام في البلد المستهدف . ويتم تسريب المعلومات الى اجهزة الاعلام في البلدان المنتخبة واذا (ما عض) الصحفيون على الطعم ووزعوا الرسالة ، فأن الـ KGB تبنى حملة دعائية حول الفكرة الزائفة . وتأخذ التلفيقات الدعائية اشكال مختلفة : منها منشورات تحت اسماء منظمات غير موجودة وكراريس مزيفة توزع على الاشخاص والمجموعات البارزة وصور وتحويرات مطابقة للاصل وبشكل معقول للمنشورات الرسمية ، واعادة انتاج وتضليل اعداد كاملة من الصحف والمجلات وتزوير رسائل شخصية وكشوفات المعاملات المصرفية المزورة .

الخدع الادبية على نطاق واسع

قامت الـ KGBوفي مناسبات عديدة بغزوات في سوق الكتاب ولاغراض سياسية عادة . وكان الكاتب الروسي الكسندر سولجنتسين (Alexander Solzhenitsyn) احد الاهداف الرئيسية لمحاولات التضليل هذه . وقد كشف سولجنتسين بعد مجيئه الى الغرب كيف ان الـ KGB حاولت ان تطوقه بمكائد اجرامية بأستخدام وسائل ووثائق ملفقة كادت ان تقوده الى السجن بتهم الدعاية المضادة للسوفيت ، اذ يقول :

> في عام ١٩٧٢ ، اختلقت الـ KGB مراسلة بأسمي مع ڤاسيلي اوريخوف (Vassili Orekhov) ، مدير الجمعية الوطنية السوفيتية . وهي منظمة مهاجرة صغيرة في بروكسل تهتم بالتاريخ الحربي القيصري حيث اختلقت الـ KGB رسائل بخط يدي . وفي البداية ، كانت الرسائل بريئة تطلب معلومات عن الحرب العالمية الاولى ، ومن ثم اعقبها اقتراح بأسمي على مايزعم بالطلب من أوريخوف المجيْ الى براغ او ارسال ممثل عنه .
>
> في البداية ، ارسلت الـ KGB هذه الرسالة المزورة الى براغ مستخدمة المرسل اليه الكاتب والطبيب النفساني المعروف جوزيف نيسفادبا (Josef Nesadba) وفيما بعد زعم انها من قبل اوتوكار غورسكي (Ottokar Gorsky) الذي اعطي عنوان بيته وهو شارع الثورة ، وهو نفس عنوان الخطوط الجوية ومكاتب السياحة التشيكوسلوفاكية . في حين اتضح ان رقم تلفون غورسكي كان يشير الى انه يقيم في مقاطعة اخرى والتي صادف ان تكون نفس موقع السفارة السوفيتية والشرطة السرية التشيكوسلوفاكية[١٠] .

وقد اعلن ـ سولجنتسين بأنه لم يكن يعرف مردود هذا الاستفزاز او مصيره اذا لم يطرد من الاتحاد السوفيتي . ومن خلال الحكم على الظروف التي وصفها سولجنتسين ، فأن السيد اوريخوف وهو مهاجر روسي دعي لمقابلة سولجنتسين في براغ كان سيتعرض للاعتقال ويحكم عليه في السجن لفترة طويلة . ومن ثم كانت مصانع التضليل في الكتلة السوفيتية ستعمل على نشر اكذوبة تقول ان سولجنتسين كان مسؤولا عن اغراء اوريخوف للمجيْ الى

براغ وبأنه كان عميلا للـ KGB على الرغم من تصريحاته المضادة للسوفيت .

وتشبه هذه المكيدة الى حد بعيد المكائد والمخططات التي استخدمت من قبل الـ KGB بعد بضع سنوات عندما حاولت تشويه سمعة رواية Gulag Archipelago التي كتبها سولجنتسين . وقد رتبت الـ KGB ومن خلال وكالة نوفوستي (Novosti) مقابلة بين مراسل صحيفة الكرستيان ساينس مونتر (Christian Science Monitor) في موسكو ونيقولاي فتكيفتش (Nikolai Vitkevitk) ، وهو سجين سابق ادعى بأن سولجنتسين قد خانه مع ثلاثة اشخاص آخرين ليحصل على حكم مخفف . وقال فتكيفتش بأنه رأى تسجيلا لاستجواب سولجنتسين تضمن ملاحظات بخط يده وذلك عندما اطلق سراحه عام ١٩٥٧ . لكن الملاحظات المكتوبة للسجناء الخاضعين للاستجواب لايسمح بعرضها على سجين آخر .

وعندما باعت مخازن الكتب الامريكية النسخ الاولى من رواية الـ (Gulag) ، قام الممثلون السوفيت بهدوء بتزويد الناشرين الغربيين بمذكرات ناتاليا رشتوفسكايا زوجة سولجنتسين السابقة . وفي المجلد المؤلف من ٢٧٠ صفحة والموسوم بـ «جدال مع الزمن» اقتبست رشتوفسكايا وبشكل مكثف من رسائل كان سولجنتسين قد كتبها اليها خلال علاقتهما التي دامت اربع وثلاثين سنة . وحاولت ان تكذب كل من الكتاب والمؤلف . وفي مقابلة اجرتها معها صحيفة «لوفيغارو» الفرنسية ، وصفت الـ (The Qulag) بأنها ليست اكثر من فولكلور معسكر الاعتقال وتمثيل غير صحيح للفترة في ظل لينين وستالين وتلفيق او حدس من جانب سولجنتسين بدلاً من كونها حقائق علمية وتاريخية[١١] .

وقد توفرت معظم التلفيقات الادبية السوفيتية للبيع في الغرب بواسطة الصحفي والصديق القديم للـ KGB فيكتور لويس (Victor Louis) ، وبالرغم من انه ينفي اي علاقة له مع الـ KGB الا ان المراقبين الغربيين عندما ينظرون الى نموذج حياته المترف يتساءلون كيف يستطيع صحفي ان يوفر مثل هذه الحياة المترفة . وكانت مهمته الرسمية هي مراسل لصحيفة اخبار المساء اللندنية في موسكو ، لكن لويس هو مواطن سوفيتي وهو ابن يهودي روسي من

اصل فرنسي . وكان لويس يعمل ساعيا لسفارات نيوزلندا والبرازيل في موسكو في فترة مابعد الحرب العالمية الثانية . وقد اتهم بالتجسس وقضى ثمانية سنوات في احد السجون الستالينية

وفي بداية عام ١٩٤٦ ، وعندما كان لويس في اوائل الاربعينات ، كان يعمل بجهد لبناء شبكة اخبار غربية ومصادر للنشر . وقد كشف قصة طرد خروشوف عن طريق تزويد مراسلين غربيين معينين بمعلومات سرية ونشر مقابلة ملفقة مع الحائز على جائزة نوبل سولجنتسين ، لكن الاخير قال بأنه لم يجري مثل هذه المقابلة . وككاتب ومؤلف ، عمل لويس بشكل رئيسي كأديب عميل اظهر الى الاسواق في الغرب عام ١٩٦٧ المسودة الاولى من كتاب سفتلانا اليلوييفا «عشرون رسالة الى صديق» . واثناء محاولة عرض نسخة اخرى لكتاب الفته ابنة ستالين ، ارادت الـ KGB خلق مشاكل قانونية قد تؤثر على نشر النسخة الاصلية حتى بعد الذكرى الخمسين لثورة البلاشفة . وفشلت المكيدة لان الناشر الامريكي دفع الكتاب للطبع وهكذا ظهر في ذكرى الثورة .

ان منظمة حتى بنفس قوة الـ KGB لاتستطيع ان توقف تدفق الكتب من الاتحاد السوفيتي وقد لعبت لعبة «اذا لم تستطع التغلب عليهم ، انضم اليهم ومن ثم تغلب عليهم» . وقد ارادت الـ KGB اثارة الاسئلة حول مصداقية اية طبعة وذلك بتهريب كتب وبطبعات مختلفة . وكانت هذه الستراتيجية ناجحة خلال الجدل حول مذكرات خروشوف ، او مذكرات الدكتاتور السوفيتي الراحل . ولم تكتف الـ KGB بتعكير المياه حول صحة ومصداقية اي نسخة وصلت الغرب والتي كانت من تأليف خروشوف فحسب بل انها نجحت في شق مجتمع مراقبي الكرملين ، واثارت المناقشة عبر الاطلسي ، وتساءلت بشكل دائمي عن اصالة اي كتاب يصل من اي بلد من بلدان الكتلة السوفيتية .

وقد بدأ الجدل حول مذكرات خروشوف مع فكتورلويس ايضا والذي عرف بشكل واسع بأيصال المخطوط او على الاقل الملاحظات الى الصحافة الغربية . وقد وصلت العديد من النسخ من مذكرات خروشوف الى الغرب وطبع احدها عام ١٩٧٠ من قبل شركة ليتل وبراون (Little, Brown Company) ، وكان هناك رد فعل سريع في التأمل حول مصداقية المؤلف ، حيث اتخذت عدة

مجموعات مواقف مضادة . وفي مقالة لصحيفة الواشنطن بوست في كانون الاول ١٩٧٠ ، كانت الصحيفة مضطرة الى ان تطلق على الكتاب «المذكرات الخاصة بـ «نكيتا سرجييفتش» . وبعد اشهر اشارت النيويورك تايمز على لسان مجموعة من ٣٠ شخص في الولايات المتحدة الى ان المذكرات كانت صحيحة[١٢] . وبعد اربعة ايام ، عبر بعض المختصين البريطانيين عن شكوكهم حول مصداقية الكتاب ، وفي هذه اللحظة شعرت مختلف اجهزة الدعاية في الكتلة السوفيتية بالحرية للمشاركة في المناقشات العامة .

فقد اطلقت الازفستيا (Izvestia) الجريدة الرسمية للحكومة السوفيتية على المذكرات بأنها تشويهات من قبل «ستراتيجيي الحرب الايديولوجية الامبرياليين» واستقرت وكالة نوفوستي Novosti ، الوكالة السوفيتية المميزة على لقب «التلفيق» لكن وكالة TASS لم تأتي بـ (خروشوف) نفسه لينفي المذكرات فقط ، بل جاءت ايضا بزوجته . نينا ، وقد نقلت تاس عن خروشوف قوله «انني اعلن بأن هذا تزوير . ومثل هذه الاكاذيب في الصحافة البرجوازية المرتشية سبق وان تمت تعريتها لعدة مرات» ونقلت تاس عن خروشوف قوله بأنه لم يعطي المذكرات الى الغرب او حتى الى دور النشر السوفيتية[١٣] .

وفي الوقت نفسه حصلت الـ KGB على فائدة اضافيه من النقاش حول الموضوع . فقد وقع المراقبون السوفيت والاساتذة والصحفيون في حيرة حول كيفية ولماذا وصل المؤلف الى الغرب . وقد شارت بعض الاصابع الى «السوفيت المتعصبين» الذين لم يغفروا ابدا لخروشوف بسبب ادانته لستالين ، واشار آخرون الى ان خروشوف نفسه سرب الكتاب لتأكيد استمرار شجبه لستالين . واصر الكرملين على ان الـ (C I A) كتبت مذكرات خروشوف . وفي واشنطن ميز رجال الـ (C I A) خط يد زملائهم في الـ KGB . وقد سأل كابتن سبايدر من (C I A) في مقابلة تهكمية نشرت في المجلة الاسبوعية الليبرالية الالمانية الغربية «دي تسايت» قائلاً «على اي شئ تعملون الان . ؟ » «على المصداقية المضمونة لمذكرات ليوتشاوشيك ، مع عناصر التبصر الداخلية للثورة الثقافية» ، ويجيب سبايدر قائلاً «لكن علينا ان

نسرع فقد عرف عملائنا الادباء من خلال الاستطلاع الجوي بأن الـ KGB موجودة من قبل في الصفحة ١٩٧» .

وتنشأ المناقشة المحيرة في الصحافة الغربية حول مصداقية الكتاب الذي تم تأليفه من قبل شخص سوفيتي مشهور جاء من الستراتيجية التضليلية . ولم توضح مئات المقالات التي كتبت حول الموضوع المشكلة . وبالعكس ، فقد اصبح القراء مضطرين ، ومصابين بخيبة الامل ، وبعد فترة ، ضجرين ، وقد حققت الـ KGB اهدافها .

اثبات الشيطان الامريكي

ان اهم انواع التلفيق الصادر عن الكتلة السوفيتية هو ذلك التلفيق الذي يكون عبارة عن وثيقة حكومية ذات مظهر «رسمي» . فاذا ما اصبح احد السياسين في احد بلدان اوربا الغربية مضادا للسوفيت او اي زعيم افريقي موال للامريكان ، فأن اسهل طريقة لتشويه سمعته هي وصفه كعميل للـ (C I A) واستخدام التلفيق كبرهان ضده . وبالرغم من نفي الضحايا للاتهام فأن آثار الشك عادة ماتبقى . يمكن تداول بعض التلفيقات لسنوات ، وحتى عقود ، وتظهر مرة ثانية في اجزاء مختلفة من العالم . وغالبا ماتسبب نفس الاذى عندما تعود للظهور وبقدر ماسببته اصلاً من اذى .

وخلال السبعينات ، انتجت اجهزة تضليل الكتلة السوفيتية عدة تلفيقات «تظهر» الربط المباشر بين الحكومة الاسرائيلية ووكالة المخابرات المركزية . وعلى سبيل المثال ، فقد نشرت صحيفة هاعولام هازية (Haolam Hazeh) اليسارية صغيرة الحجم صورة لرسالة مؤرخة في ٢٧ مايس ١٩٥٩ تشير الى ان وزير الدفاع الاسرائيلي موشي دايان كان عميلا للـ (C I A)[١٤] . وقد اعترف محرر الصحيفة التي تتعامل مع الاتهام بأن ذلك ربما يكون تلفيقا سوفيتيا لكنه قرر نشره لتجنب استمرار النزاع مع الحكومة الاسرائيلية حول الوثيقة . وكانت الرسالة موقعة من قبل الكولونيل تشارلس دينهولم من مقر

قسم الجيش ، مكتب مساعد رئيس هيئة المخابرات في واشنطن ومعنونة الى الملحق العسكري الامريكي في السفارة الامريكية في اسرائيل جاء فيها مايلي :-

> فيما يخص موضوع استفساركم عن الجنرال موشي دايان فقد اتصلنا مع مسؤولي الـ (C I A) وقد اعلمونا بأن دايان كان معروفا لزملائهم البريطانيين حينما كان متورطا في بعض العمليات الدقيقة التي نفذت في الشرق الاوسط . وكان جهاز المخابرات البريطاني (SIS) قد فاتح دايان في ١٩٤١ عندما كان في احد السجون البريطانية وانه قد اطلق سراحه قبل نفاذ محكوميته .
>
> وتعتبر الـ (C I A) ذلك شروطا مسبقة مقبولة للاتصال مع دايان ويمكن ان يتم من خلال جهاز الـ SIS طبقا لممارسات سابقة وسوف تعلم الـ (C I A) مسؤولها في تل ابيب ، السيد (لوكلنغ) W - Lockling ، حول الموضوع وسوف نتصل بكم ويجب ان تبقوا على ارتباط وثيق معه كوسيط .

ويلاحظ القارئ المهتم الصيغ الغامضة والمبهمة والمستخدمة من مؤلف التلفيق لتجنب الاخطاء الحقيقية ، لكن من وجهة النظر التحليلية الحرفية ، يكمن الخطأ الرئيسي في الطريقة التي يعرف بها دايان ، حيث تستخدم جميع اجهزة المخابرات اسماء سرية لرجالها وعملائها وحتى المرشحين للتجنيد لضمان السرية . والاستخدام العلني لاسم دايان ليست هفوة من قبل الجيش الامريكي لكنها خطوة من قبل مؤلف التلفيق والذي يهدف الى استخدام الوثيقة للدعاية . ومما لاشك فيه ان تلفيق دايان نشأ اصلا في براغ وذلك لان قسم الضليل التشيكي اختلق عام ١٩٦٦ صيغة «قسم الاحتياجات الاستخبارية العسكرية على المدى القصير» . وتحمل ايضا توضيح الكولونيل تشارلس جي دنهولم . ولكن الوثيقة قد تم البحث عنها لاثبات ان وكالة المخابرات المركزية حاولت تجنيد الجنرال محمد اوفقير ، المدير العام للامن الوطني المغربي . وقد تسرب التلفيق الى الصحافة العربية في ايلول ١٩٦٦ .

ومن بين التلفيقات الستة عشر المكتشفة مابين ١٩٧٦ و ١٩٨٠ ، كان عدد كبير نسبيا منها موجها لتخريب العلاقات بين الحكومة الامريكية وحكومة مصر والصداقة بين الرئيس السادات والرئيس كارتر . واشارت التلفيقات الى ان المسؤولين الامريكان لايثقون بقدرة قيادة السادات وكانوا مستعدين لرفضه

كحليف في الشرق الاوسط . ومثل هذه القطعة من قبل الملفقين السوفيت ظهرت في احدى المجلات المصرية في كانون الاول ١٩٧٦ كمحتوى خطاب كان قد القاه حسبما يزعم وزير المالية الامريكي ادون يو (Edwin yeo) في النادي الاقتصادي في ديترويت في ٢٤ آذار ١٩٧٦ . وقد ظهر الخطاب الكاذب في عدد مزور من صحيفة الاقتصاد الامريكي (American Economics) ويزعم انه وزع من قبل مكتب المعلومات الامريكي (USIS) في اثينا ، اذ جاء فيه :

ان رأي مجموعتنا ، على اية حال ، هو ان الادارة المصرية الحالية غير قادرة على السيطرة على كل الصعوبات التي تقف في وجه المؤسسات الحرة والاستثمارات الاجنبية . وان الادارة المصرية لديها قابلية محدودة ، وفي مصر توجد قوى يمكن ان تغير الادارة . وبالرغم من ان القادة المصريين وعدونا بأنهم سوف ينظفون الطريق ، الا انني لااضع املا كبيرا في هذا .

تعليق (من المستمعين) : انا اعتقد ان الوضع في مصر هو كما وصفه السيد نائب الوزير ، واذا كان هذا صحيحا ، يكون عندئذ الحل الوحيد الذي اعتقده هو التغيير الكلي للحكومة وكذلك لنظام الحكومة . ان ذلك ، على كل حال سؤالا موجها للصناعيين او اصحاب الاعتمادات بل انه سؤال موجه لهنري كيسنجر وجورج بوش [الذي كان في ذلك الوقت مديرا لوكالة المخابرات] . دعوهم ينفذون واجباتهم في مصر ومن ثم تستطيع الاستمرار . يو (Yeo) : ليس لدي ما اضيفه . لقد اوضحت ذلك[١٥] .

وقد ارسلت النسخة المزورة من «American Economics» مع رسالة سرية غير موقعة الى عدد من دور النشر السرية في الشرق الاوسط .. وقد اشارت الصفحة السرية بأن المجلة كانت قد ارسلت من قبل شخص والذي كان قد حصل مصادفة على عدة نسخ من الوثيقة الجرمية وكانت هي وسيلة مثالية تستخدم لنشر تلفيقات الكتلة السوفيتية .

وكانت روما مكانا لاشارة مزورة اخرى من موسكو . فقد استلمت السفارة المصرية في روما في نيسان ١٩٧٧ مضروفا يحمل نسخا مصورة من ملاحظات يزعم انها التقطت بأشراف وزير الخارجية سايروس فانس . وقد ظهر بأن الملاحظات جاءت من تقرير موثوق الى الرئيس كارتر ، وتضمن ملاحظات عابرة حول قادة الشرق الاوسط ، بضمنهم السادات :

مصر : ان مصر تحتل الاهمية الاولية . الا ان هذا لايطبق على السادات ، ان مفاهيمه لما يجب ان نفعله الولايات المتحدة ازاء موضوع مصر هي مفاهيم غير منطقية او معقولة وحتى سخيفة ... وان مستقبل السادات غير مضمون بسبب مأزق مصر الاقتصادي . ومن الضروري النظر فيما اذا يمكن الاستمرار معه كشريك مناسب ...

وقد حذرنا ولي عهد العربية السعودية الامير فهد بأن لانبالغ في ثقتنا بالسادات . وهو لايعتقد بأن سقوط السادات قد يقود الى تعقيدات . (وربما يقوم السعوديون بشئ في هذا الصدد وبدون اخبارنا)[١٦] .

وقد جاءت الملاحظات مع رسالة تتضمن الجمل التالية :-

لقد اتيحت لي فرصة قراءة التقرير الذي كتبه فانس نفسه . انه يحتوي على انطباعاته ونظرته بالاضافة الى تلميحات لسياسة وتكتيكات الولايات المتحدة في القسم العربي من العالم .. ولاني اعتبرها مؤامرة ، فقد لخصت الافكار الرئيسية للتقرير ورتبت لنشرها بشكل موسع . ومن الصعب علي ان انشرها في الصحف . اذ سوف تكشف هويتي وتكون حياتي في خطر . ولهذا فأنا التمس من كل الصحفيين الشرفاء ابلاغ العالم برمته عن هذه المؤمراة .

وكما في قضية خطبة يو (Yeo) ، فأن ملاحظات فانس الكاذبة حثت حكومة السادات على القيام بأستفسار في واشنطن حول مصداقية هذه المواد .

وقد تحول الانتباه الى القاهرة حيث ظهرت ثلاثة تلفيقات تحت اسم سفير الولايات المتحدة لدى مصر هيرمان ايلتس (Hermann P. Eilts) للفترة بين آذار ١٩٧٧ وكانون الثاني ١٩٨٠ . وقد جعلت التلفيقات من ايلتس مفتاحا رئيسا في (التآمر الامريكي) ضد مصر . والتلفيق الاول كان عبارة عن رسالة تحمل توقيع ايلتس ومؤرخة في ١٤ حزيران ١٩٧٦ الى نظيره السعودي في القاهرة . وكانت مصممة لاحراج السادات وعزله عن العالم العربي ، وقد جاء فيها :

تقع على عاتق الولايات المتحدة بصفتها اقوى دولة غربية مسؤلية اولية لحفظ الاستقرار والسلام في الشرق الاوسط . وفي هذا المجال ، فأن اي اخلال في توازن القوى في المنطقة يعتبر خطرا في نظر الولايات المتحدة . ومن وجهة النظر الامريكية

فأن عزم السادات على استغلال حالة عدم الاستقرار في السودان للحصول على موضع تأثير هناك قد يكون له عواقب غير متوقعة .

ولي الشرف ان اعلمكم ، بأن مصالح بلدينا في السودان يمكن ضمانها من خلال اقامة نظام حكم ديمقراطي حقيقي يتألف من شخصيات مؤثرة تتمتع بثقتنا[١٧] .

وقد ارسلت نسخة مصورة من التلفيق بدون رسالة غطاء الى السفارة السودانية في بيروت في آذار ١٩٧٧ .

والتلفيق الثاني كان عبارة عن مذكرة عمليات (Operations Memorandum) مؤرخة في ٢٨ آذار ١٩٧٧ ومعنونة الى مسؤولي ايلتس في وزارة الخارجية . وفي هذه المحاولة كان ايلتس قد هاجم السادات لافتقاره للقيادة والحكمة :

لقد ناقشت المشكلة بشكل مطول ولعدة مرات مع السيد فيس Fees [رئيس محطة الـ (C I A) في القاهرة] والذي كان يحمل نفس الراي وقد وصف التقصير في نموذج قيادة السادات بشكل جيد في دراسة وصفية اعدت من قبل احد اصدقاء السيد فيس .. وانا اكثر قناعة من قبل بعد قراءتي للوصف بأن السادات قد لايكون الشخص الاكثر ملائمة لوضعه في خطتنا الخاصة بمصر والشرق الاوسط[١٨] .

وقد برزت الوثيقة الى الوجود في حزيران ١٩٧٧ عندما ارسلت نسخ مصورة مع رسائل مرفقة الى عدد من الصحف والمجلات المصرية . ولم تستجب الصحافة المصرية بحماس كما كان متوقعا من قبل المنفذين ، ومرة اخرى طلبت القاهرة من واشنطن معلومات عن مصداقية الوثيقة .

والاستخدام المزور الثالث لتوقيع ايلتس ظهر في صحيفة البعث السورية في تشرين الاول ١٩٧٩ . ان مايبدو بأنه تقرير مرسل من قبل ايلتس الى الادميرال ستانسفيلد تيرنر ، مدير الـ (C I A) ، انما هو في الحقيقة نسخة مزورة ومحرضة للسياسة الامريكية الخارجية في الشرق الاوسط وقد جاء في التقرير :ـ

ان شخصية السادات لاتزال تشكل مشكلة كبيرة ومصدر قلق . فالسادات رجل ذو

شخصية مزدوجة . واحدة عاطفية ومستعدة دائما لاعطاء المساعدة والمشورة ، والاخرى تمثل الكآبة والهدوء والمزاجية والكثير من التفكير . والسؤال الذي يطرح نفسه الان : الى اي مدى يستطيع ان يدعم سياستنا ويدفعها الى امام ؟ اذا لم يستطع تحقيق هذا في المستقبل واذا لم يستطع تجنيد قوة جديدة لهذه الغايات واذا اصبحت شخصيته حجر عثرة لفراسة بقية القادة العرب في تحقيق اهدافنا ، حينئذٍ يجب التخلص منه : التخلص منه بدون اي تردد . واذا ماحدث هذا فعلينا استبداله بالسرعة الممكنة بشخص يوافق على افكارنا ويخدم مصالحنا .

وكانت الرسالة المرفقة بالتقرير المزور مرسلة بأسم «صديق امريكي» في وكالة المخابرات المركزية والذي قال بأنه «يمكن ان يقبل الخدع القذرة التي تحاك بأسم الحرية والانسانية والتحضر الغربي»[١٩] .

وقد وصف السادات في بادئ الامر بأنه متطفل وغير كفوء ، ثم بغيض واخيرا فأنه مصاب بجنون الشوفينية الكئيبة . ونتيجة لفشل المحاولات الاولى فأن رجال التضليل من الكرملين صعدوا من هجماتهم في آب ١٩٧٧ ، حيث استلمت السفارة المصرية في بلغراد نسخة مصورة من تلفيق وزع في البريد . وبدا التلفيق وكأنه جاء من سفارة الولايات المتحدة في طهران ، وتضمن ملاحظة تقول بأن ايران التي لاتزال في ظل الشاه والعربية السعودية والولايات المتحدة يتآمرون لاسقاط السادات .

ولاعطاء الحقيقة مصداقية اكثر ، وفضح محادثات السلام الجارية في الشرق الاوسط في ذلك الوقت ، ولادخال خلافات جديدة في العلاقات الامريكية الاسرائيلية ، فقد لفقت المخابرات السوفيتية مقابلة يزعم انها اجريت مع نائب الرئيس والتراف . موندیل من قبل شخص اسمه كارل دوغلاس وقد ارسلت نسخ من التحقيق الصحفي الملفق للمقابلة الى عدد من الصحف الفرنسية وهيئات الاخبار والمراسلين الاجانب في تموز ١٩٧٨ وقد اشار تصريح موندیل الملفق الى مايلي :

لااعتقد بأن كلاً من رئيس الوزراء الاسرائيلي بيغن والسادات شخصان ملائمان لاستمرار السلام بين بلدانهما وخاصة ان بيغن كما يعرف كل شخص مصاب بمرض دائمي وان كل طاقة السادات قد نفذت بسبب مشاكله الداخلية ، وانه من

غير المحتمل ان يكون قادرا على الوقوف في وجه المعارضة الداخلية ، ولهذا هناك سبب وجيه للتغيرات المتوقعة في كلا البلدين . وعندما تحدث مثل هذه التغييرات فسوف نرحب بان يكون على رأس هذين البلدين سياسيون مجربين وغير منحازين وقادرين على اتباع سياسة واقعية ولهم الرغبة في حل خلافاتهم على اساس السلام المتكامل[٢٠] .

ان الطريقة الخالية من الذوق وغير الدبلوماسية والبدائية في رسالة موندیل قد زادت من شكوك مستلميها لهذا فأن التلفيق لم يطبع او ينشر في الصحافة الغربية .

وقد اخذت التلفيقات طابعاً آخر عند ظهور مبادرة كامب ديفيد في كانون الثاني ١٩٧٩ عندما ارسل «تقرير سري» الى مجلة الاخوان المسلمين المسماة بـ «الدعوة» . وقد لخص التقرير الذي كتب من قبل باحث امريكي زائر وكان معنونا الى مدير الخدمة السرية في وكالة المخابرات المركزية ومرسلاً بشكل سري من الاردن ، لخص الطرق التي يتم بواسطتها تحريض الاخوان المسلمين المعارضين للاتفاقية الواحد ضد الآخر . وكانت حركة الاخوان المسلمين ضمن المجاميع التي اعتبرت اهدافا لحملات الرشوة والتجنيد .

وبالرغم من نفي السفارة الامريكية في القاهرة وكذلك ريتشارد بي متشيل (Richard B - Mitchell) ، وهو البروفسور الامريكي الي يزعم انه كتب التقرير ، فقد نشر في مجلة الدعوة لعدد شباط ١٩٧٦[٢١] . ونشرت الرسالة مرة اخرى في الاشهر التالية في العديد من المنشورات الاسلامية لكن اجهزة الاعلام السوفيتية الحكومية امتنعت عن نشر التلفيقات المضادة للسادات . وبدلا من ذلك فقد دخلت في حملات عامة لادانة السادات كشريك للامبريالية وخائن لمصالح مصر وبقية اقطار الوطن العربي .

التلفيقات المضادة للامريكان في بلدان الناتو

في ١٨ حزيران ١٩٧٠ وقف الاشتراكي ديكاردو لومباردي (Ricardo Lombardi) امام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب الايطالي وقدم وثيقة كتبت بقرطاسية الناتو توصي بنقل جنود امريكيين من المانيا الغربية الى شمال ايطاليا بسبب القوة الشيوعية في تلك المنطقة . وقال لومباردي بأن الوثيقة كانت عبارة عن بيان رسمي وزع في نهاية اجتماع وزراء خارجية الناتو في ٢٥ مايس ١٩٧٠ . وتقول الوثيقة في احد اجزائها : «يقترح الحلفاء ، بعد ان ادركوا ضعف الديموقراطية في ايطاليا وانعدام الاستقرار السياسي في ذلك البلد تعزيز قوات الناتو على الاراضي الايطالية» . واقترحت الوثيقة انشاء وحدة عسكرية «هدفها حماية القواعد الجوية للناتو ومواقع الصواريخ في شمال ايطاليا حيث تسيطر العناصر الشيوعية على الادارات المحلية»[٢٢] . وقد اعلنت كل من وزارة الخارجية ومسؤولون في الناتو في بروكسل بأن التصريح الصحفي هو مجرد تلفيق . لكن جريدة الحزب الشيوعي الايطالي «L'unita» وهي صحيفة ثاني اكبر حزب سياسي في ايطاليا ، خصصت نصف صفحتها الاولى في ١٩ حزيران لمقالة تحت عنوان ، «اعظم تدخل خطر للناتو في شؤون ايطاليا الداخلية» .

ان هدف السوفيت المستمر هو تقويض نفوذ الولايات المتحدة في منظمة معاهدة حلف شمالي الاطلسي . ان سلسلة من الخدع المضادة للناتو من عام ١٩٧٦ الى عام ١٩٨٠ قد بدأت بتلفيق مظروف جوي يحمل الرقم 8950 - A خاص لوزارة الخارجية الامريكية ومؤرخ في ٣ كانون الاول ١٩٧٤ . وكان المظروف الجوي الاصلي الذي يحمل الرقم 8950 - A يحتوي ببساطة على الاحتياطات المالية والتجارية للسنة المالية ١٩٧٥ ، لكن النسخة المزورة تطلب من المرسل اليهم جمع معلومات حول المسؤولين الاوربيين وتطوير وسائل سرية اخرى لتحطيم منافسي الامريكان في سوق التبادل الخارجي . وكان المنفذ يأمل بدون شك بقيام الكونغرس بالتحقيق في عمليات الرشاوي الاجنبية التي تشمل الاعمال التجارية الامريكية . وقد آرسل التلفيق الى العديد من الصحف

الاوربية الغربية مع رسالة سرية فرنسية موقعة من قبل روبرت بونت (Robert Pont) . وقد نشرت صحيفة (London Sunday Times) في ٧ تشرين الثاني ١٩٧٦ قصة عن الوثيقة لكنها اطلقت عليها صفة تلفيق . وقد اعادت وكالة تاس نشر الموضوع المنشور في الـ (Times) لكنها حذفت بتعمد اي ذكر للطبعة المخادعة للمظروف الجوي .

وقد حاولت ثلاثة من التلفيقات التي استهدفت الناتو تعريض الموقف الدفاعي الامريكي للخطر وذلك بالمبالغة في الصعوبات التي تواجه المثلث المتمثل بالولايات المتحدة واليونان وتركيا . وقد رفعت احد هذه التلفيقات ستراتيجية مخابرات الكرملين الى مستوى جديد من الاهتمام عندما اتهمت الرئيس كارتر بانه احد المشاركين في العملية ، حيث زعم ان الرئيس كارتر قد القى خطابا في ايلول ١٩٧٧ احتوى على الحط من قدر الحكومة اليونانية . وبالرغم من ان الخطاب المزيف جاء من مصادر مجهولة واحتوى على العديد من الاخطاء في الاسلوب واللغة ، الا انه كان قد نشر في صحفيتين يونانيتين هما اليسارية توفيما (Tovima) والشيوعية ريزاباثيناس Rizapahtais[٢٣] . وتضمنت الوثيقتان المزورتان الاخريان برقيات اصلية للحكومة الامريكية كانت قد وضعت لتنسجم مع الاهداف السوفيتية . وكانت احداهما تغيير لبرقية من وزارة الخارجية حول العلاقات اليونانية التركية ، فضلت انقره على حساب اثينا . اما الاخرى فكانت مجموعة من متطلبات جمع المعلومات الاستخبارية لحساب وزارة الدفاع الامريكية تطلب من رجالها التجسس على مختلف المنظمات والاحزاب السياسية اليونانية .

وقد نشر السوفيت في منتصف عام ١٩٧٨ رسالة مزورة حول حلف الناتو تحمل توقيع السكرتير العام للناتو الجنرال جوزيف ليونز (Joseph Luns) . وقد «ابلغت» الرسالة مندوب الولايات المتحدة لدى الناتو بان وزارة الدفاع البلجيكية اعطت قائمة باسماء الصحفيين المعارضين لنقل اسلحة الاشعاع المتطورة والمعروفة باسم القنبلة النيوترونية الى اوربا . وقد تزامنت الرسالة مع حملات الدعاية السوفيتية الكبيرة ضد السلاح الجديد ، وتضمنت ايضا بان

هؤلاء الصحفيون س[illegible]، يعاقبون بطريقة او باخرى لموقفهم «السلبي» في ارسال التقارير .

وبالرغم من ان تفجير القنبلة النيوترونية يسبب قوة صاعقة ، فان هدفه الاساسي هو انتاج كميات كبيرة من الاشعاع المميت . وقد اصبح من المعروف بانه سلاح «يقتل البشر ويترك المباني على حالها» . لكن له اغراض اخرى لاتقل خطورة . وقد صمم لموازنة القوة المدرعة السوفيتية الكبيرة المرابطة على حدود اوربا الشرقية . وكان اكثر التلفيات تعقيداً في السبعينات هو الكتيب الميداني المزيف للجيش الامريكي والمعروف بـ «FM 30 - 31 B» . وهو دليل عمليات صمم للمساعدة في زيادة تأثير ضباط الجيش الامريكي على الشؤون الداخلية للبلدان الصديقة . ان الكتيب الذي احتوى على مقدمة بقلم رئيس الاركان الجنرال وليم ويستمورلاند (William Westmoreland) يحث «على استقلال اليساريين المتطرفين لحماية مصالح الولايات المتحدة في الدول الصديقة حيث ظهر الشيوعيون بانهم اقرب الى دخول الحكومة» . وكان الاقتراح يشير بوضوح الى ان على الولايات المتحدة ان تتعاون مع مختلف المنظ[illegible]، الارهابية في العالم . وبخلاف تلفيقات الكتلة السوفيتية السابقة فان «FM 30 - 31 B» عكس متسوى جديداً من التطور لكونه يحتوي على اقل الاخطاء في الاسلوب والتركيب واسلوب التعبير ، وان المؤلف استخدم بذكاء طابعات مناسبة ولغة عسكرية ، الان ان صفة «سري للغاية» هي الوحيدة التي اعطته قليلاً من الانحراف لان الكتيب اليدوي لايوضع عادة بهذا المستوى من السرية .

وقد ظهر الـ «FM 30 - 31 B» اولاً في مقالة ظهرت في صحيفة بارس (Baris) التركية في آذار ١٩٧٥[٢٤] . وبالرغم من ان الولايات المتحدة كانت سريعة في نفي الكتيب ، الا انه ظهر بعد سنتين في اسبانيا وبالتالي في اوربا الغربية . وقد نشرت الصحيفة المستقلة اليسارية الاسبانية (EI Paris) في ١٨ ايلول ١٩٧٨ قصة مبنية على التلفيق ، وبعد خمسة ايام قدمت اتهامات ضد اميركا عندما ظهر الكتيب في المجلة الاسبانية الاسبوعية (EI Triunfo)[٢٥] . وقد اثار كاتب المقالة اسئلة حول الدعم الامريكي للمنظمات الارهابية في اوربا

الغربية ومنها منظمة الالوية الحمراء الايطالية .

وقد اكتسبت الالوية الحمراء على اكبر سمعة سيئة في آذار ١٩٧٨ عندما خطفت رئيس الوزراء السابق الدومورو (Aldomoro) وقتلته فيما بعد . وفي سلسلة من ورود الفعل والاتهامات في الصحافة الفرنسية والهولندية والايطالية واليونانية والبرتغالية ، تكررت الاتهامات القائلة بان الولايات المتحدة كانت وراء قتل مورو وقللت من اهمية احتجاجات الولايات المتحدة بشأن براءتها من الحادث . وتوافقا مع التقارير الاوربية الغربية ، تردد اتهام الولايات المتحدة بخطف وقتل مورو في اجهزة اعلام اوربا الشرقية . وكان التضليل الذي بني على اساس مشاكل التورط في مقتل مورو قد انتشر جداً بحيث ان صحفيي اوربا الشرقية لم يعتمدوا على فترة الانتظار المعتادة قبل تنظيم الحملات الدعائية . وقد كتبت مجلة السلم والاشتراكية وهي لسان الحركة الشيوعية العالمية تعليقا في عدد كانون الاول ١٩٧٨ جاء فيه :

> دعونا نلاحظ بان صحيفة ايطالية اخرى اقترحت مايلي : يتردد هناك شك بان الالوية الحمراء (او الذين يستغلونها في ايطاليا) هي منظمات موالية للفاشية اتخذت بمهارة غطاء المنظمات «الحمراء» ... ان خطف ومن ثم قتل الدومورو يمكن وفي منطق الاشياء ان يكون نتيجة لادراك وكالة المخابرات المركزية بان السياسة المتبعة على ضوء تلك العبارة كانت خطرة . وقد تأكد ذلك بعد عدة اشهر بوثيقة سرية ظهرت في عدد تشرين الاول من مجلة (L'EuroPeo) . وقد حملت توقيع الجنرال الامريكي وليم ويستمورلاند . وقالت انه يجب على الاجهزة الخاصة الامريكية ان تستخدم ادوات واجهزة المنظمات اليسارية في البلدان الصديقة للمحافظة على مصالح الولايات المتحدة[٢٦] .

ان اختلاق الـ (FM 30 - 31 B) والحملة اللاحقة سجلت انتصاراً مهما للكرملين . وقد اعادت العديد من مجلات وصحف اوربا الغربية باتجاهاتها السياسية المختلفة المزاعم المضادة لاميركا واعتطها سمعة سيئة ومقياسا من الثقة .

وقد طغت العديد من التلفيقات الجديدة المضادة لاميركا في اوربا الغربية خلال العام ١٩٨١ ، ومنها رسالة ملفقة كانت مرسلة من الرئيس ريغن الى

الملك الاسباني خوان كارلوس (Juan Carlos) في ٢٣ تشرين الاول ١٩٨١ . وقد الح ريغن في هذه الرسالة على الملك الاسراع في دخول اسبانيا في حلف الناتو واشار الى بعض المجموعات بشكل غير ودي في اسبانيا واقترح على الملك القيام بأجراءات للقضاء على المعارضة المحلية . وقد ارسلت نسخة من الرسالة الى العديد من الصحفيين الاسبان . وبعد فترة قصيرة ، اي في تشرين الثاني ١٩٨١ ، ارسلت رسالة الى مندوبين في مؤتمر الامن والتعاون الاوربي في مدريد ، لكنها فشلت في تحقيق الاهداف المتوخاة منها . حيث عرضت العديد من الصحف الاسبانية الرسالة على انها تلفيق سوفيتي[٢٧] .

والخدعة الاخرى كانت رسالة زعم انها كتبت من قبل وزير الخارجية السابق ، الكسندر هيغ الى جوزيف ليونز (Joseph Luns) اقترحت تحديد الحركة المضادة للذرة في اوربا . وقد صممت الرسالة الملفقة بمهارة لكن المنفذ خاطب ليونس بعبارة «عزيزي جوزيف» بدلاً من جو (Joe) كما يخاطبه دائما وزير الخارجية هيغ[٢٨] .

وعلى الرغم من استخدام مصدر مجهول يكون في الغالب تحذيراً لشيء ناقص في التلفيق ، فان تمييز الوثيقة المشكوك فيها يكون صعباً طالما لايوجد هناك اي دليل مباشر بان الوثيقة انشئت في اوربا الشرقية . ويجب ان يعتمد المحلل على شواهد ظرفية منها الشكل والمحتوى والاسلوب والطرق المألوفة المستخدمة من قبل الاجهزة السرية في الكتلة السوفيتية . ولانتاج تلفيقات فيها «جوهر الحقيقة» وعلى غرار ماشهدته فترة اواخر السبعينات ، فان ذلك يتطلب عملاء ذوي مهارة وتجربة عاليتين . ويجب ان تكون للملفق امثلة مباشرة لوثائق مصنفة وقرطاسية خاصة بالحكومة الاميركية . ويجب ان يتبع طرق مضمونة . وكثيراً مايستخدم نسخ التصوير الفوتغرافي في الغالب لتحسين فرص اصالة التلفيق وتكون اكثر صعوبة من ناحية التحليل . والاكثر اهمية فالوثيقة الكاذبة يجب ان تظهر وكانها على الاقل انعكاس للسياسة الامريكية الخارجية . وتمتلك القليل من المنظمات في العالم المعلومات والمواد والتجربة والخلفية الضرورية للاجراءات السرية لانجاز عمليات التلفيق المتطورة.

وتتمركز المنظمات الوحيدة وذات الحقد الواضح على الولايات المتحدة في

اوربا الشرقية . ولايوجد اي دليل معتمد على ان للسوفيت منافس واضح في استخدام الوثائق الملفقة كوسائل للتضليل والدعاية السوداء . وتحجم جمهورية الصين الشعبية عن هذه التكتيكات . اما المنظمات المختلفة ، كالألوية الحمراء ومنظمة التحرير الفلسطينية فانها لاتمتلك ببساطة المصادر لانتاج ونشر التلفيقات ذات النوعية الجيدة .

الفصل السادس

ازمة الرهائن الايرانية : العلاقة السوفيتية

تعتمد اكثر النجاحات السوفيتية في العمل السري على اخطاء وغفلات السياسة الخارجية الامريكية . ولم تكن ايران مستثناة من ذلك . فعندما أجبر رئيس الوزراء محمد مصدق على الاستقالة في عام ١٩٥٣ ، قال الشاه هذه العبارات لوكيل المخابرات المركزية كيرمت روزفلت (Kermit Roosevelt) : «انا مدين بجلوسي على العرش الى الله وشعبي وجيشي ولكم»[1]. وقد استطاع الشاه وبمساندة الولايات المتحدة بناء قوة عسكرية كبيرة واجهزة سرية كونت قوة ردع كبيرة مضادة للشيوعية في الخليج الفارسي . وبينما احتفظ الشاه بهيكل سياسي من المجتمع الاقطاعي فانه شعر بانه يستطيع تغيير ايران الى مجتمع صناعي حديث خلال عقود من السنين . لكن التمدن السريع والتصنيع جعل المجتمع الايراني مشوشا ومعظم القوى متأصله . واصبح الناس مضطربين في تقاليدهم . وقد سبب التعذيب السري المنظم للمواطنين الايرانيين من قبل السافاك (SAVAK) ، وهي منظمة الشرطة السرية التي تأسست عام ١٩٥٧ ، كرها شديداً للشاه في النهاية .

وقد حذر العديد من الصحفيين الامريكان في اواخر السبعينات من ان سيطرة نظام الشاه كانت في تدهور سريع ، لكن الشاه اكد في حزيران ١٩٧٨ بان أحداً لايستطيع قلب نظامه «انا امتلك دعم ٧٠٠,٠٠٠ جندي وكل العمال ومعظم الناس ... انني امتلك القوة»[٣]. وقد ايده في الرأي اغلب اخصائيي السياسة الخارجية الامريكية ومنهم محللو وكالة المخابرات المركزية .

ان تحليل التطورات الداخلية في ايران خلال العقد الاخير كشف تزايد الدور الفعال لاجهزة مخابرات الكتلة السوفيتية ليس هذا فحسب بل ايضا التدهور التدريجي لاجهزة المخابرات الامريكية . وقد اكد تقرير لوكالة المخابرات المركزية حول ايران في آب ١٩٧٨ «بان ايران لم تكن في مرحلة الثورة ولاحتى قبل الثورة» . وبعد شهر ، دعمت وكالة استخبارات الدفاع هذه النظرة الخاطئة في تقرير توقع بان الشاه «سوف يبقى في السلطة خلال السنوات العشر المقبلة»[٣]. وبدون مصادر معتمدة للمعلومات حول المجتمع الايراني ، اعتمدت المخابرات الامريكية وبشكل كامل تقريبا على تقارير السافاك ولهذا فانها فشلت في تمييز العديد من الدلائل حول حالة الانفجار . وفي دراسة للمخابرات الامريكية حول ايران قبل تشرين ثاني ١٩٧٨ ، استخلصت لجنة المخابرات الدائمية المنتخبة التابعة لمجلس النواب واللجنة الفرعية للتقييم بان «صانعي السياسة لم يقوموا بواجبهم كما يجب ... وان المواقف الاميركية الثابته لمساندة الشاه حالت دون جمع المعلومات الاستخبارية وكتبت رغبة صانعي السياسة لتحليل وضع الشاه ، وعزلتهم عن التأثيرات التحذيرية في الاستخبارات المتوفرة» . وبأختصار ، فأن كل من المجتمع الاستخباري ومستخدمي المخابرات ساهموا في الفشل[٤].

وماذا بشأن وسائل الاعلام ؟ في صيف عام ١٩٧٩ نشرت شركة مكغرو ـ هيل «McGraw - Hill» كتاب «الانقلاب المضاد» : الكفاح من اجل السيطرة في ايران ، وهو كتاب الفه كيرمت روزفيلت موظف وكالة المخابرات المركزية السابق جمع فيه مغامراته في الشرق الاوسط في الخمسينات وخاصة دوره المميز في الانقلاب الايراني عام ١٩٥٣ . وكان توقيت نشر الكتاب سيئا ولايتناسب مع عدم الاستقرار المتنامي والحركات المضادة للولايات المتحدة في

ذلك البلد وان الاخطاء الحقيقية العديدة جعلت من الكتاب اخفاقا سياسيا تاما . وبعد عدة ايام من بيع النسخ المائة الاولى الكتاب وفي تشرين الاول ١٩٧٩ ، جمعت الشركة جميع الطبعة الاولى والمتكونة من (٧٥٠٠) نسخة لتصحيح الاخطاء المتعددة . على سبيل المثال هناك صورة توضح المتظاهرين الايرانيين في الخمسينات وتحتها تعليق يقول «الحشود تملأ الشوارع الايرانية لدعم الشاه» ، لكن القاء نظرة متفحصة للافتات المحمولة من قبل المتظاهرين تكشف بأن الصورة لم تكن للشاه بل لجوزيف ستالين وشعارات تطالب بازاحة الشاه[٥] .

وقبل اسبوعين فقط من احتلال المليشيا الايرانية للسفارة الامريكية في طهران ، نشرت مجلة «وول ستريت جورنال» (Wall street Journal) قصة تمجد دور سيد التجسس الامريكي هواورد روكي ستون (Haward Rocky stone) في انقلاب عام ١٩٥٣ الموالي للامريكان وبدون التفكير بما يسببه ذلك من حساسية في ايران ، ومما جاء فيها :

> انه يتذكر مساعدة الجنرال فضل الله زاهدي في ارتداءه لبدلته الرسمية في اليوم الذي كان الجنرال سيعلن من راديو طهران بأن الشاه عينه رئيسا جديدا للوزراء وكان الجنرال زاهدي وهو حليف رئيسي لوكالة المخابرات المركزية في ايران مضطربا جدا ... ويتذكر (ستون) حفلة النصر التي اقيمت في محطة وكالة المخابرات المركزية في تلك الليلة من عام ١٩٥٣ وبعد نجاح الانقلاب ، حيث اقترب منه رئيس الوزراء زاهدي وولده وقال مخاطبا اياه . «اننا في الحكم .. اننا في الحكم ماذا سنفعل الآن ؟»[٦]

ان تجاهل الشعور القومي الايراني والتعبير عن التفوق قد اغضب العديد من الايرانيين وساهم في المزاج المعادي للامريكان .

ازاحة الامريكي القبيح

ترمي الاهداف السوفيتية بعيدة المدى في الشرق الاوسط الى ازاحة موقع الولايات المتحدة في العالم الاسلامي وزعزعة استقرار المنطقة لصالح الاتحاد

السوفيتي . وقد اكدت ازمة الرهائن الامريكية ـ الايرانية في الاعوام ١٩٧٩ ـ ١٩٨١ الفوائد التي حصل عليها الروس من تعاملهم مع بلدان العالم الثالث . ففي الوقت الذي اثارت فيه الرفاهية الاقتصادية والنفوذ الامريكي الغضب والاستياء في ايران فان الروس حافظوا على صفحتهم المتواطئة . «ان السوفيت تورطوا في عمليات تخريب وتجسس ودعاية مضادة لمصالح الحكومة الايرانية» قال صادق قطب زاده قبل فترة قصيرة عن تنحيته عن وزارة الخارجية الايرانية واضاف قائلاً «لكنهم لم يتعرضوا ابدا لآية الله خميني وكما اقول دائما ، فانهم ليسوا اقل شيطانية من الامريكان ، لكنهم يعرفون كيف يتجنبون ايذاء مشاعر الناس»[٧] وقبل سقوط الشاه عام ١٩٧٩ ، اتبع الكرملين سياسة ذات وجهين ازاء ايران . فعلى المستوى الرسمي حافظ على علاقات الاحترام وعدم التدخل لكنه عمل بانتظام على اضعاف او تدمير الملكية . وفي ظل ولاية خميني ، اتبع تكتيكا مشابها في السر . فبينما بارك القادة السوفيت والـ K.G.B اتجاه حركته المضادة للامبريالية وعبروا عن تحملهم لتعصبه الديني ، فانهم حاولوا بصورة سرية دفع الثورة الايرانية نحو غايات شيوعية .

وقد اكد فلاديمير زاخاروف (Vladimir Sakharov) ، الدبلوماسي السوفيتي وعميل الـ (K.G.B) الذي عمل في الشرق الاوسط والذي ارتد مؤخراً الى الولايات المتحدة ، اكد بأن الكرملين يتحرك قدماً للتخطيط لحملات طويلة الامد متطورة ومتعددة الاوجه لضم جميع بلدان الشرق الاوسط واحداً اثر الآخر الى المعسكر السوفيتي . وكان زاخاروف طالباً في معهد العلاقات الدولية في اوائل الستينات وهو احد الخريجين الاوائل في درس الاستعراب . وقد قال عام ١٩٨٠ «بأن عددهم يربوا على ٢٠٠٠ شخص جميعهم طليقون في اللغات المحلية وملمون بالشريعة الاسلامية والتأريخ والعادات والاحاسيس والمشاعر واقتصاد المنطقة وسياستها ، ومدربون على التكتيكات العسكرية وعلى جميع المعلومات الاستخبارية وتكتيك الدعاية والتجنيد» . وقد اعطى المعهد الاولوية للشرق الاوسط كمفتاح لكسر ظهر الامبريالية الغربية . ان هدف السيطرة السوفيتية على الشرق الاوسط سوف يحقق من خلال عمليات

سياسية وايديولوجية واقتصادية وعسكرية منسقة منها المعلنة والسرية[٨] ويقول زاخاروف ايضا بان السوفيت مواظبون على تجنيد عملاء وحلفاء او اصدقاء في اية منظمة عسكرية وحكومية وطلابية او دينية في الشرق الاوسط . ويوضح ساخاروف ذلك بقوله :

> ولقد تلقيت تدريبا مكثفا في هذا الفن ، وحالما عينت في الشرق الاوسط ، كانت احدى مهماتي الرئيسية تشخيص العملاء المحتملين . وان العديد من الطلاب الطموحين والمثاليين ينتهي بهم المطاف في موسكو او في احد المراكز السوفيتية للتدريب على حرب العصابات . ويذهب السوفيت الى حد بعيد في تجنيد المسؤولين الحكوميين المحليين والمسؤولين العسكريين أو السياسيين والزعماء الدينين وقادة الاتحادات ورجال الاعمال واي شخص ذي نفوذ . وتشتمل طرق التجنيد على فن ترويج الايديولوجيات والاستفادة من الانشقاقات المحلية والمساعدة السرية في ضمان المستقبل الشخصي ، وتوفير المشروبات والنساء وخدمات التشهير . وحتى النساء السوفيتيات يجندن من قبل الـ (K.G.B) للزواج من العرب .

وقال زاخاروف في اعترافه ايضا بان الحكومة السوفيتية تتبع علاقات طيبة مع الحكومات بينما تحاول بشكل سري مساندة المجموعات الثورية ضدها . وقد اكد على انه ليس من الضروري ان يكون هؤلاء المتمردون ماركسيين «فقد يكونون مسلمين قوميين ، طالما انهم ضد الامريكان . ويظهرون ، قبل كل شئ ، دلائل بانهم سيكونون من المنتصرين[٩].

وقد استطاعت الـ KGB ان تخترق المراتب العليا في الحكومة الايرانية خلال الستينات والسبعينات وبضمنها المراتب العسكرية. ففي عام ١٩٧٧ ، قامت اجهزة التجسس المضاد الايرانية بالقاء القبض على ضابط الـ Boris Kabanov , KGB والذي عمل في ايران بصفة مستشار في السفارة السوفيتية وعلى عميله اللواء احمد مغاربي Ahmed Mogharebi ، الخبير في الشؤون السوفية في الجيش الايراني . وقد استخدم مغاربي اجهزة اتصالات متقدمة جداً ليزود الـ KGB بمعلومات تحليلية قيمة تتعلق بالمعدات العسكرية الامريكية في ايران وتوفر الذخيرة ووضع الجيش الايراني . وكان كابونوف يتمتع بالحصانة الدبلوماسية ، حيث طرد من ايران ، لكن الجنرال مغاربي

حكم عليه بالاعدام واعدم في كانون الثاني ١٩٧٨ . وبعد فترة قصيرة من اعتقال مغاربي القى الايرانيون القبض على علي ناجي رباني ، وهو جاسوس سوفيتي كبير خدم بصفة موظف في وزارة التعليم* . وقبل القاء القبض عليه ، كان رباني يستلم تعليماته مباشرة من الاتحاد السوفيتي بواسطة جهاز اتصال صغير يوضع في الجيب . وكان كلا من مغاربي ورباني اعضاء في حزب توده وهو الحزب الشيوعي الايراني السري ، ثم جندوا فيما بعد لحساب الـ KGB[١٠] .

وقد انشات الـ KGB شبكة تجسسية ضمن كل طبقات المجتمع الايراني بضمنها رجال الدين والطلاب الثوريين واعضاء حزب توده والذين صدرت اليهم اوامر بفك ارتباطهم بالحزب بعد تجنيدهم مباشرة ، واعضاء في العديد من المجموعات العرقية التي تناضل من اجل الاستقلال القومي وخاصة الاكراد والبلوش . وكان محور الثوار الاكراد هو منظمة الكوملة (Komileh) ، وهو حزب سياسي تأسس بعد فترة قصيرة من الحرب العالمية الثانية وتحت التأثير المادي والايديولوجي السوفيتي . وكان الهدف الرئيس للكومله هو تأسيس جمهورية كردية تضم الاكراد الذين يعيشون في شمال ايران والعراق وشرق تركيا . اما البلوش فهم مجموعة اخرى ينظر اليها السوفيت كمصدر ومساند في الحرب السرية من اجل الشرق الاوسط . وهم يقطنون مساحة كبيرة من باكستان مروراً بافغانستان وحتى شرق ايران ، وهم معروفون بمهاراتهم العسكرية . وقد أرسل عدة مئات من العملاء من الجمهوريات الاسلامية في اسيا الوسطى السوفيتية الى المنطقة عام ١٩٧٩ و ١٩٨٠ لاذكاء روح التحرر القومي بين البلوش[١١] .

ومنذ اوائل الستينات قامت البلدان السائره في ركب الاتحاد السوفيتي بعمل حملات دعائية كبيرة في الاقطار العربية وايران لاقناع العالم الاسلامي بان الاشتراكية العلمية تنسجم مع التقاليد والمذاهب والمعتقدات الاسلامية .

---

* ذكرت مصادر صحفية بان علي ناجي رباني كان ضابطا كبيرا في السافاك وادعت بانه مع حوالي ١٨ ضابط كبير في السافاك والدوائر الحكومية الاخرى كانوا يعملون لحساب الـ KGB .

وكان مسؤولو السفارة السوفيتية نشيطين جداً بين اعضاء رجال الدين حيث اعطوهم نسخا ثمينة من القرآن الكريم المطبوع في الاتحاد السوفيتي ومصادر تتحدث من حياة المسلمين في الاتحاد السوفيتي . وعبروا ايضا عن تعاطفهم مع خميني عندما كان في المنفى لنشاطه المعادي للحكومة . ونفذت اجهزة مخابرات الكتلة السوفيتية حملات تضليل ودعاية لتوضيح مسألة ان الامريكان لايحترمون الشعب الايراني ويعتبرونه متخلفا ومنحطا .

وفي اواخر تشرين الثاني من عام ١٩٦٤ ، استلم المئات من الافراد الايرانيين ومنهم محررو الصحف نسخة من مذكرة كتب فحواها كليو شوك (Cleo shook) ، مدير فيلق السلام الامريكي في ايران وارسلت الى اعضاء منظمته . وقد وصفت المذكرة الشعب الايراني وعاداته وديانته بعبارات تحط من قدره وتصفه بانه مهمل ومنحط اخلاقيا ومتعصب دينيا . وقد صمم التلفيق لاثارة عداء رجال الدين للامريكان حيث ضم عبارات تصف الاسلام (بالرجعية) وعادات الاسلام الدينية بانها (وحشية ومتعصبه بشكل متهور) . وقد نصحت المذكرة متطوعي فيلق السلام لمنع الشباب الايراني (من الذهاب الى الملالي لتعلم الاسلام والذي يعزل البلد عن الحياة المتمدنة) .

وقد اثارت المذكرة الاهتمام ايضا بالاحساس بالتفوق الذي يجبر الامريكان للتدخل في البلدان الاجنبية وتغيير حكوماتها لكي تشابه النموذج الامريكي الفاسد . ولم يسمح الصحافة الايرانية بنشر التلفيق ، لكن المخابرات التشيكية ـ وهي الطرف المنفذ ـ جمعت دلائل عديدة عن النتائج التي سببتها المذكرة بين رجال الدين .

وقد استلم العديد من الصحفيين الايرانيين والمسؤولين الحكوميين والزعماء الدينيين عدداً غير محدود من نسخ تلفيق سوفيتي اخر في شباط عام ١٩٦٥ . ان الوثيقة التي ختمت بكلمة (سري) قد كتبت بأسم ستيوارت روكويل (Stuart W . Rockwell) وهو احد اعضاء السفارة الامريكية في طهران وكانت معنونه الى جيمس (James) . وقد اقترحت الوثيقة بأن كل من الكاتب والمرسل اليه كانا ضباط مخابرات امريكان ووصفت الشاه والايرانيين

بالقاب غير محترمة . وتضمنت ملاحظات حول نجاح الامريكان في الاستحواذ على الرجل العجوز والمؤذي وهذه اشارة الى آية الله خميني ، والذي كان مناوئا قويا لنظام الشاه . وقد اوضحت الرسالة بأن روكويل (Rockwell) كان متورطا في بعض المشتريات والتحويلات غير الشرعية . وكباقي التلفيقات المضادة للامريكان في الشرق الاوسط ، فان رسالة روكويل كانت مصممة لتأكيد التدخل الامريكي في شؤون ايران الداخلية ، وعدم احترامها للزعماء الدينيين والسياسيين الايرانيين واهتمامها بالامتلاك المادي والتعامل في السوق السوداء .

وقد توقف الخط الانتاجي لتلفيقات الكتلة السوفيتية في بداية السبعينات بسبب فضيحة ووترغيت وتحقيقات الكونغرس مع وكالة المخابرات المركزية . والسيل الثابت لتقارير الاعترافات الشخصية والوثائق من واشنطن وفر للقائمين على الدعاية من شرق اوربا كميات كبيرة من المواد بحيث لم تكن هناك حاجة الى التلفيقات .. ولكن عند انتهاء موضوع وترغيت ، اعاد السوفيت شن حملات التلفيق واصبح الامريكان في ايران العنوان المفضل لهم . وكمثال على ذلك التلفيق التالي الذي ظهر في ٦ نيسان ١٩٧٧ وعليه عبارة «سري للغاية» والذي ارسل بدون تعريف من سفارة الولايات المتحدة في طهران الى عدد من المستلمين . ومما جاء فيه ..

> اشارة الى اخر المعلومات فتح الجنرال مصيري (Massiri) خلال المحادثات موضوع التوصل الى مشروع مخصص لازاحة الرئيس السادات . ويعتقدون بان وقت السادات قد انتهى ، وعليه ان يتنحى اما بانقلاب او بشيء اخر . ويرون ذلك هو البديل لمراعاة المصالح المشتركة في المنطقة ، وان الامير فهد كما يقول موافق تماما على ذلك .
>
> وكان تقرير السيد مروان (Marwan) في شهر اذار حول الوضع المصري وموقف الرئيس بشكل اساسي من قرارهم النهائي . وطبقا للخطوط العامة وعلى ضوء حاسية المسألة ، فقد عملت كل مابوسعي ان اكون غامضا وبطلب منا الجنرال مصيري ابلاغ السيد فيز (Fees) : قد استلم السيد رازمره (Razmava) في القاهرة توجيهاته .

وقد ارسلت رسالة مجهولة مع نسخة من التلفيق الى السفارة المصرية في بلغراد والتي يمكن قراءتها على النحو التالي : -

سيدي العزيز :

> ان حكومة بيغن لاتعمل لصالح الشعب الاسرائيلي وهي تتواطأ مع ايران والعربية السعودية وان ادارة كارتر تريد المجيء بحكومات موالية لحكومة الليكود في البلدان المتحاربة معها . وان الرئيس السادات هو اول من يتوجب عليه مغادرة الرئاسة .
>
> ارجو ان تحذروه من ذلك .
>
> المخلص
>
> J - H

وقد تضمنت الوثيقة الكاذبة بان ايران والعربية السعودية والولايات المتحدة كانوا يتأمرون لقلب نظام حكم الرئيس المصري السادات لكن المؤامرة قد فشلت . وبدلاً من قبول التلفيق استفسرت الحكومة المصرية رسمياً من واشنطن واستلمت دليلاً يثبت الطبيعة المخادعة للوثيقة ولدوافع منفذها .

وكانت إذاعة صوت ايران الوطنية السرية الناطقة بالفارسية احدى ادوات التضليل والدعاية السوفيتية المهمة وهي تذيع برامجها من باكو في الجزء الجنوبي من الاتحاد السوفيتي . وهذه المحطة التي تعتبر بمثابة عملية سرية في ايران ، تدار من قبل ضباط قدامى في الـ KGB معظمهم امضوا عدة سنوات كرجال عمليات في ايران ، وكذلك من قبل المبعدين والمنفيين الشيوعيين الايرانيين . وبالرغم من انها ركزت في البداية على الدعاية المضادة للامريكان منذ ان بدأت بثها في عام ١٩٥٩ ، الا ان لهجتها السياسية كانت معتدلة حتى بدأت التظاهرات الكبيرة المناوئه للشاه باكتساح ايران في اواخر عام ١٩٧٨ .

ومنذ ذلك الحين بدأت تساند بقوة برنامج اية الله الخميني لاخراج الولايات المتحدة من ايران . وفي كانون الاول ١٩٧٨ ، صعدت الاذاعة من هجماتها الدعائية على الولايات المتحدة مع تعليمات حول كيفية تنظيم التظاهرات[١٢] ، وبعد مغادرة الشاه لايران في كانون الثاني ١٩٧٩ ، وسعت

من وقت البث الاذاعي واصبحت حادة في لهجتها المضادة للامريكان .

وعندما اصبح اية الله خميني الشخصية الدينية السياسية المسيطرة في ايران اصبح التآمر والتجسس والشك والاضطهاد والمؤامرات والمؤامرات المضادة القاعدة وليس الاستثناء . ان التدخل الامريكي الطويل الامد في الشؤون الداخلية للايرانيين جعلهم مصابين بحالة من الكره للاجانب وحساسين جداً لرأي خميني بأن الولايات المتحدة وخاصة المخابرات الامريكية كانت مسؤوله عن جميع تلك المشاكل . وفي حالة من التفجر للشعور القومي والاتقاد الديني ، صدق عامة الايرانيين خميني حينما اعلن بأن الامريكان والاسرائيليين اشرفوا على مهاجمة المتعصبين المسلمين لبيت الله الحرام في مكة . كما ان نظريات التآمر تلوم الولايات المتحدة ووكالة المخابرات المركزية والصهيونية العالمية عن كل مشكلة ابتداءاً من عمليات الاغتيال في ايران الثورة وحتى تهريب المخدرات ويعتقد بعض الايرانيين بأن ارتفاع اسعار النفط والتي اوقعت الولايات المتحدة في ركود اقتصادي هو احدى مؤامرات الـ (CIA)[١٣]. وقد ذهب الهاجس من المؤامرات الامريكية الى ابعد حدود الاحتمالات المنطقية . فالعديد من المثقفين الايرانيين صدقوا في وقت مبكر من الثورة بان اية الله خميني كان عميلاً امريكياً ، في حين ادعى اخرون بان خميني يعمل لشركات النفط الامريكية عندما قرر عدم استخراج النفط في حين كانت اسعاره مرتفعة .

الاستيلاء على السفارة الامريكية في طهران

قام افراد المليشيات الايرانية والذين يدعون انفسهم بالطلاب المسلمين التابعين لخط الامام بالسيطرة على السفارة الامريكية في طهران في الرابع من تشرين الثاني ١٩٧٩ . وتشير كل الدلائل بان القرار الاول للسيطرة على السفارة كان بمثابة رد فعل ذاتي لمجموعة من الطلاب والذين خاب ظنهم بالنهج الملتوي البطئ الذي اتبعته الثورة الايرانية . وكانوا يشكون في ان الحكومة الايرانية وبضمنها المجالس الثورية سوف تدخل في تسوية سرية .

وكان رجال الدين والشيوعيون المتطرفون بشكل خاص يعتقدون بأن رئيس

الوزراء بازركان قد اقترف خطأ رئيسا في محاولته اعادة العلاقات مع الغرب . وكانت عملية السيطرة على السفارة الامريكية تستهدف الاطاحة بحكومة مهدي بازركان المعتدلة والاحتجاج ضد قبول الشاه في احد المستشفيات الامريكية . قال حجة الاسلام أشغر موسوي خميني قائد الطلبة المتطرفين «لقد هزمنا محاولة من جانب الليبراليين للسيطرة على قيادة الدولة وأجبرنا حكومة بازركان على الاستقالة وقد نمت شجرة الثورة واكسبت قوة[١٤]»،

وكانت فكرة مهاجمة السفارة قد تبلورت في أذهان طلاب الهندسة من معهد طهران المتعدد الفنون وجامعة طهران والجامعة الوطنية وجامعة شريف التكنولوجيه . وكانت الخطة المبدئية لمحاصرة ابنية السفارة لفترة قصيرة وأحراج الولايات المتحدة وأجبار الحكومة المعتدلة على الاستقالة ، قد أعدت في تشرين الاول ١٩٧٩ . وقد جند الطلاب عدداً من المؤيدين من بين زملائهم الطلبة وراقبوا السفارة الامريكية بانتظام ووضعوا الخرائط التي تبين موقع المكاتب ونقاط الضعف في جدران السفارة . وعندما تسلقوا جدران السفارة كانوا يستهدفون احتلالها لعدة ايام ، لكن رد الفعل العالمي والمباركة اللاحقة للعملية من قبل خميني شجعهم على الاستمرار في العملية .

وفي الشهور اللاحقة أصبحوا في الواقع ، وسطاء للثورة واعترف موسوي خميني بأن الطلبة كانوا قد طلبوا منه . أبلاغ خميني بخطتهم لكنه رفض على اساس أن ابلاغ خميني بأية معلومات قبل احتلال السفارة هي عملية غير سليمة سياسيا[١٥]، وقد اخبرت المليشيات عدد من الصحفيين ورجال الدين والمبعوثين بأن حركتهم ليس لها زعيم وان عملياتهم مبنية على اساس الخطوط الايدلوجية العامة للامام خميني .

وقد استخدمت ثلاث منظمات يسارية ومتطرفة تمثل الطلبة المسلمين وتتبع خط الامام خميني أسم الامام وبمختلف الطرق كغطاء دفاعي وهي المجاهدون الماركسيون وحزب توده الشيوعي الايراني الموالي للسوفيت ومنظمة الفدائيين الماركسية ومنذ تأسيس منظمة مجاهدى خلق «أو مقاتلي الشعب» كمنظمة فدائية عام ١٩٦٥ فانها تالفت بالاساس من الشباب الذين يطلقون على انفسهم التقدميين المسلمين . وعقيدتهم هي مزيج من القومية والاشتراكية

والاسلام لكنهم ينفون اية روابط مع الاتحاد السوفيتي او مع الحزب الشيوعي الايراني «توده» . وهدفهم هو خلق دولة ايران الاشتراكية التي تتسامح مع الملكية الخاصة المعتدلة وكانت هذه المنظمة التي يبلغ عدد أفرادها حوالي «١٠٠,٠٠٠» فدائي مسلح أفضل قوة مسلحة منظمة في ايران خلال حكم الشاه . فترة قصيرة من تأسيس نظام خميني الجديد اكتسبت المجاهدين صفة شرعية وفتحوا مكاتب لهم في المدن الايرانية الرئيسة ، ولكن عندما اتهمهم خميني بمعاداة الثورة في صيف عام ١٩٧٩ ، عادوا مرة ثانية الى العمل السري[١٦]. وقد تطور الخلاف بين المجاهدين ونظام خميني الى مرحلة نهائية بعد طرد الرئيس بني صدر من الرئاسة وهربه اخيراً الى فرنسا في تموز ١٩٨١ . والمنظمة الفدائية الرئيسية الثانية كانت فدائيي خلق (او فدائيي الشعب) ، وهي مؤلفة ايضا من الطلبة والذين قاموا بعدة عمليات ضد الحكومات المحلية والمركزية الايرانية خلال حكم الشاه ، ولم تظهر (الفدائيين) اية دلائل للارتباط مع السوفيت لكن المبادئ الماركسية تسيطر على ايديولوجيتهم . واتبعت احدى فئات الفدائيين ستراتيجية حزب توده وطالبت بدعم خميني لكن بقية المنظمة حافظت على موقف مناوئ لرجال الدين . وكانت صورة آية الله خميني في مكتب نور الدين كيا نوري السكرتير العام لحزب توده في طهران تمثل تكتيكات الشيوعيين الايرانيين وقد دعم الحزب رسمياً خميني وكان مشتركا بما وصفه كيانوري بانه نضال من اجل اعادة تنظيم الحياة الاجتماعية ، وخاصة الطبقات المسحوقة من المجتمع لكن الحزب المؤلف من ٣٥,٠٠٠ عضو عمل بشكل سري لسيطرة الشيوعيين في ايران . وبالرغم من ان حزب توده كان يهاجم من حين لاخر من قبل رجال الدين خلال ازمة الرهائن ، فقد نجح في اتباع مناورات في كسب دعم المتطرفين الدينيين ووجه اعضاءه للتحرك في الهياكل الحكومية .

ان معظم اعضاء (الطلبة المسلمين) الذين يتبعون خط الامام تدربوا على استعمال الاسلحة الصغيرة . وعلى الرغم من الانتقاد المستمر من خميني للشيوعية ، فان المليشيات الطلابية لم تتهم الاتحاد السوفيتي في التدخل في شؤون ايران الداخلية «سوف لانسمح ابداً للولايات المتحدة ان تستفزنا في

مواجهة مع الاتحاد السوفيتي او اقناعنا بانه عدونا»[١٧]. لكن سمعة المليشيا كمسلمين متعصبين يدعون فلسفة اية الله خميني قد اصابها الوهم تدريجياً حتى بين القادة الايرانيين البارزين . وكمثال على ذلك ، فان الرئيس بني صدر وصفهم في البداية بانهم مواطنون مخلصون لكنه عاد وانتقدهم كأطفال كانوا يتصرفون كحكومة داخل حكومة اذ قال في هذا الصدد . «لسوء الحظ انهم يسمحون لانفسهم احياناً بالتأثر ببعض المجموعات السياسية المتعاطفة مع الاتحاد السوفيتي كحزب توده الشيوعي الذي ينوي عزل ايران على الساحة الدولية[١٨].

التكتيكات السوفيتية

في السادس من تشرين الثاني ١٩٧٩ ، وبعد يومين من الاستيلاء على السفارة الاميركية ، قال معلق اذاعة موسكو مايلي : ان ايران تعلم ومن خلال التجربة المريرة بتصرف الامبريالية الامريكية المثير للاشمئزاز ... وفي هذا الصدد ، فان غضب الامة الايرانية وشبابها مفهوم جداً ومنطقي[١٩]. وقد ذهبت اذاعة ايران السرية الموجودة في الاتحاد السوفيتي الى ابعد من ذلك لتحريض الجماهير الايرانية على العنف وذلك في برنامج اذاعي في السابع من تشرين الثاني ١٩٧٩ حيث ذكرت :

> في ظل الظروف التي تتآمر فيها الولايات المتحدة ضد الثورة الايرانية وضد حرية واستقلال الايرانيين ، وضد قادة الثورة وخاصة الامام خميني فان عدداً من مصادر الحكومة الرسمية ، ومنها رئيس الوزراء تتفق مع مبعوثي الامبريالية الوحشية متمثلة بالامبريالية الامريكية مثل بريجنسكي ، الكلب المسعور للامبريالية والصهيونية ... دعونا نتذكر بان مستشاري الامن للرؤوساء الامريكان كان لهم الدور الاعظم في ذبح وتعذيب شعوب العالم الثالث ... وفي الوقت الذي كان وفد الحكومة المؤقته يجري المحادثات مع المتآمر بريجنسكي ، فأن التظاهرات التي قام بها الشعب الايراني بمناسبة عيد الاضحى ضد مؤامرات الامبريالية الامريكية التي تحاك ضد الثورة الايرانية كانت مستمرة . ونحن نعتقد بان الرد الصحيح والوحيد للامبريالية الامريكية هو النضال الموحد من اجل ازالة الامبريالية بزعامة الامبريالية الامريكية من بلدانا العزيز ايران . وليستمر نضالنا مع شعب ايران الواعي والبطل لتحقيق هذا الهدف المقدس[٢٠] .

وقد واصلت المحطة اللهجة العاطفية والعدائية المضادة للامريكان خلال ازمة الرهائن . وبالرغم من عدم توفر احصائيات حول تأثير المحطة على المستمعين ، الا ان البث يشير بان السوفيت كانوا يؤكدون بشكل رئيسي على جيل الشباب ذي النشاط السياسي .

وخلال فترة الازمة الايرانية ، لعب الاتحاد السوفيتي دور صديق ايران الذي كان خائفا عليها من اي تصرف امريكي غير مسؤول وبين بانه كان على استعداد لدعم ايران ضد اي ضغط امريكي . وقد ابلغ الدبلوماسيون الامريكان الموجودون في موسكو بان الاتحاد السوفيتي كان يحاول المساعدة في المحاولات السرية لاخراج الرهائن ، وبينما كانت موسكو تشجب عملية الاستيلاء على السفارة كعمل لاشرعي فانها استخدمت هذه الفرصة للتأثير على الحكومة الايرانية وتأليب الرأي العام ضد الولايات المتحدة . وفي ٥ كانون الاول ١٩٧٩ ، اعلن السوفيت وفي اول تصريح رسمي حول ازمة الرهائن بانهم يدعمون ايران . وقد اتهمت (البرافدا) الولايات المتحدة «باستخدام ضغط عسكري وسياسي شديد ضد ايران» . وقالت بان محاصرة السفارة واحتجاز الدبلوماسيين الامريكان لايمكن ان يستخدم كذريعة لـ «ابتزاز عسكري ضد دوله مستقلة» . وبعد اكثر من شهر وفي ١٣ كانون الثاني ١٩٨٠ استخدام السوفيت حق الفيتو ضد قرار مجلس الامن الداعي لمقاطعة اقتصادية ضد ايران لان ذلك سيكون «بمثابة صفعة في وجه الثورة الايرانية» .

وقد دعم الاعلام السوفيتي وبحماس مزاعم طهران ، وكرر باستمرار الاتهام بان العديد من الرهائن كانوا جواسيس ، وعلل اجراءات الحكومة الايرانية المضادة للامريكان بمايلي : ـ

> يكفي للدولة ان تكسب الحرية والاستقلال والخروج من مجال السيطرة والتاثير الامبريالي ، وذلك بالنسبة للولايات المتحدة يعني فقدانها لاحدى ولاياتها . ولم يعرفوا لحد الان بانهم فقدوا ثلاثا من دول الهند الصينية وانغولا واثيوبيا ونيكراغوا . وان فقدان الولايات المتحدة مرتكز ثابت وقوي في ايران وتوقع الحصول على موقع اخر في افغانستان في الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتي لا يمنح واشنطن اي راحة ... وهذا رد فعل مشكوك فيه وهو سبب البرود في المحيط الدولي .

ان تكتيكات السوفيت لجر نظام آية الله خميني لعلاقة وثيقة مع روسيا كانت ناجحة حتى الغزو السوفيتي لافغانستان . وبعد عدة اسابيع من الغزو ، حيث كان القادة الايرانيون مشغولين بعدم الاستقرار الداخلي فأنهم لم يكونوا قادرين على تكوين سياسة منسجمة نحو العدوان السوفيتي . وقد ادانت ايران رسميا الغزو واعتبرته «تصرفا عدائيا ضد الامة الايرانية» ، لكن لم ينظر اليه كتهديد مباشر . وكانت اول ادانة رسمية في ١٧ كانون الثاني ١٩٨٠ عندما قال بني صدر الذي كان وقتها وزير الخارجية بان السوفيت «يريدوننا ان نكون منقسمين وغير موحدين حتى يتمكنوا من الاستيلاء على الاجزاء المجزأة ليصلوا الى مياه المحيط الهندي مثلما فعلوا في افغانستان»[٣٢].

وقد تجاهل السوفيت هذا التحذير . وللاستفادة من الشعور المضاد للامريكان ومساعدة الايرانيين لمواجهة المقاطعة الاقتصادية الغربية ، عرضت موسكو طرق نقل عبر الاراضي السوفيتية ، وفي نيسان ١٩٨٠ وقعت ايران معاهدة تجارية مع الاتحاد السوفيتي والمانيا الشرقية ورومانيا . وقد توصلت الحكومة الايرانية الى اتفاقية مع الاتحاد السوفيتي بانه في حالة غلق الولايات المتحدة لممرات ايران المائية الجنوبية ، فان ايران تستطيع نقل البضائع اليها عن طريق الاتحاد السوفيتي . وفي كل يوم تقريبا ، يزور الخبراء التكنولوجين من اوربا الشرقية في طهران شركة البتروكيمياويات الوطنية في محاولة لنيل السيطرة على المشاريع التي هجرها الامريكان او الشركات الغربية .

وكان لنشوب النزاع الايراني العراقي في ايلول ١٩٨٠ تعقيد غير متوقع للسوفيت فقد رفض السوفيت طلب ايران شجب العراق واختاروا جانب الحياد من خلال الحفاظ على علاقات دبلوماسية واطئة وارسال قطع الغيار والمعدات العسكرية الاخرى لكل من ايران والعراق والقاء اللوم على الولايات المتحدة للمشكلة وفي انتظار نتائج الحرب ، فان السوفيت كانوا يأملون ان يكونوا الرابح الأكيد على جميع الجبهات . وقد صرح الرئيس السوفيتي ليونيد بريجينيف بان كلا الطرفين المتحاربين هم «اصدقاء للاتحاد السوفيتي» وقد

عبرت الازفيستيا عن النهج الرسمي السوفيتي في هذه الملاحظات . «ان كل يوم جديد من القتال العسكري يضر كلا البلدين ويشل المعارضة والتصدي للامبريالية وفوق ذلك فأن النزاع الايراني ـ العراقي سوف يعوق حركة عدم الانحياز ويضعف بالتأكيد تقدم جبهة البلدان النامية .»[٢٣]

وقبل الحرب العراقية الايرانية ، زود الروس العراق بحوالي ٣/٢ من المعدات العسكرية ومنها قاذفات توبوليف (٢٢) ، وبعد اندلاع الحرب استمروا بارسال قطع الغيار والعتاد الى العراق عبر ميناء العقبة الاردني . ولكن ايران كانت بلاشك الورقة الرابحة في الصراع بين الشرق والغرب وليس العراق . ولهذا فانهم حاولوا كسب التعاطف الايراني من خلال العديد من الاجراءات الودية كارسال المعدات العسكرية الى ايران عن طريق العديد من الدول الحليفة مثل (ليبيا وسوريا وكوريا الشمالية) بالاضافة الى اتفاقية نقل البضائع الايرانية وحتى المساعدات العسكرية المباشرة .

وعندما وصلت محادثات اطلاق الرهائن مرحلتها النهائية في كانون الثاني ١٩٨١ ، قام السوفيت بحملة دعائية استهدفت تخريب هذه الاجراءات . وفي احد البرامج الاذاعية الموجهة الى ايران حذرت موسكو من ان هذه المحادثات كانت بمثابة جدار من دخان لخطط امريكية للقيام بهجوم عسكري على ايران . وقبل يومين من اطلاق سراح الرهائن ، قال التلفزيون السوفيتي بان الولايات المتحدة والناتو كانوا يخططون «لعدوان مسلح» ضد ايران ، اذ قال المعلق التلفزيوني ان الامبريالية الامريكية قررت الكشف عن انيابها . واتهمت البرافدا الولايات المتحدة بممارسة «لعبة غير شريفة» حول موضوع الرهائن باستخدام المحادثات كغطاء «لعملية تهديد جديدة»[٢٤].

وبعد اطلاق سراح الرهائن ونقلهم الى المانيا ، ظهرت في الصحافة الغربية قصص حول التعذيب النفسي والجسدي للرهائن خلال الاحتجاز . وقد زعمت وكالة الصحافة السوفيتية (تاس) بان عملاء وكالة المخابرات المركزية قاموا بغسل ادمغة الرهائن بجعلهم يعتقدون بانهم قد تعرضوا للتعذيب . وفي هذا الصدد قالت تاس «كانت السلطات الامريكية تخشى وبوضوح من ان الرهائن قد يعلنون للناس بانهم لايضمرون اي شعور عدائي للشعب الايراني»[٢٥].

بذور الاضطراب

ان جو التأثير الساخن بمعاداة الاميركان والاضطراب الداخلي ، جعل الايرانيين ضحايا سهلة للتلفيقات السوفيتية والاشاعات الكاذبة والنشاطات المظلله الاخرى . وكمثال على ذلك ، فقد اعلن مكتب اية الله خميني في ١٢ كانون الاول ١٩٧٩ بانه استلم رسالة من السناتور ادوارد كندي يطلب فيها الاجتماع باية الله خميني . وقد رفض الطلب بسبب «ارادة الامة ازاء عودة الشاه» . وبعد فترة قصيرة من هذا التصريح نشرت الصحافة الايرانية رسالة يزعم انها كانت تحتوي ماكتبه السناتور كندي :

> نحن مؤيدون للجمهورية الاسلامية مائة بالمائة وما انجزتموه خلال «١١» شهرا انت والـ ٣٥ مليون نسمة من الشعب الايراني قد هز العالم . لقد وقفتم بوجه الولايات المتحدة بعدد نفوسها الـ ٢٢٥ مليون .
>
> تحياتي لكم وسأهب دمي لكم . ان ملاحظاتي حول تورط حكومة الولايات المتحدة مع الشاه المخلوع سوف تؤثر على مستقبلي السياسي . انا افكر بنفس الطريقة التي تتبعونها لمساعدة المضطهدين والعمال ... وقد قررنا ان نمنحكم تأييدنا طالما نحن نفهم تعاليمكم ومعتقداتكم .

وقد لاحظت النيويورك تايمز بان اللهجة المنسوبة للسناتور كانت تبدو غير مميزة تماما[٢٦]. وقد نفى كندي تماما مسؤوليته عن الرسالة ووصفها «بالتلفيق الكامل» . ووصفها مصدر رسمي في وزارة الخارجية بانها «تلفيق مكشوف ومضحك» .

وعلى اية حال فان الايرانيين كانوا مندهشين بشدة . فقد اكد وزير الخارجية صادق قطب زاده بان السيد كندي كان بالفعل قد ارسل رسالة الى اية الله خميني لكن الناطق باسم وزارة الخارجية اكد مؤخرا بانها كانت تلفيق ، وكان هناك «سوء فهم في مكان ما»[٢٧] . اما ابن الخميني «احمد خميني» فقد صرح بان الرسالة كانت صحيحة واضاف بانها ليست المرة الاولى التي يحاول فيها السناتور الاتصال بالقادة الايرانيين . وبعد وقت قصير من معرفة ان الرسالة كانت تلفيقا ، وصف الطلبة الذين يحتجزون الرهائن الامريكان بأن السناتور كندي «هو امبريالي ومتعاطف مع كارتر» .

بالرغم من ان التلفيق كان يحمل بصمات التضليل السوفيتي فان الصحافة او المسؤولين في واشنطن او طهران لم ينتابهم الشك من اصله السوفيتي . وفي تقرير مفصل حول التلفيق ورد فعل واشنطن استخلصت صحيفة النيويورك تايمز بانه «لم تكن هناك معلومات اكيدة حول كاتب الرسالة المزورة»[٢٨] لماذا اذن تقوم الـ KGB او اية مخابرات شيوعية بوضع مثل هذه الوثيقة المشكوك فيها ؟ وان تلفيقا من هذا النوع هو حيلة بسيطة معروفة عند المختصين الشيوعيين بفن التضليل بـ«طريقة النفي السهلة» . ان الطريقة مبنية على اساس الافتراض بان الضحية (الحكومية الايرانية) .. سوف تعلن عن استلام هذه الوثيقة المتعاطفة مع سياستها والكاتب المزعوم (كندي) سوف يرفض صحة الوثيقة وسوف تعتبر الضحية (ايران) الوثيقة لعبة قذرة اخرى من العدو (الولايات المتحدة) وتلوم كلا من العدو والكاتب المزعوم وان العداء بين الضحية (ايران) والعدو (الولايات المتحدة) .. سوف يقود الى شك متبادل وسيكون منفذ العملية (الكتلة السوفيتية) مراقبا ميدانيا رسميا خارج الانظار لايشك في تدخله اي من الضحية او العدو .

وبعد فترة قصيرة من الاستيلاء على السفارة الامريكية اعلنت المليشيا عن اكتشاف العديد من الوثائق التي تكشف عن نشاطات التجسس الامريكي في ايران . وبعد ثلاثة اسابيع ، اتاحوا للصحافة الغربية الفرصة الاولى لمشاهدة الدليل . وفي ساحة مزينة بصورة خميني ، حقق المليشيا بشكل علني مع مجموعة من الرهائن حول تعاون السفارة مع شاهبور باختيار . ويذكر ان بختيار ، وهو اخر رئيس وزراء في عهد الشاه طلب من منفاه في فرنسا دعما ماديا واستخباريا حول الاحداث في ايران وبالرغم من رد طلبه ، فان سفارة الولايات المتحدة عبرت عن رغبتها في ابقاء الحوار ، وان ماكان يسمى بالدليل قد ظهر كتمثيل دبلوماسي لكن المحققين اكدوا بان الولايات المتحدة كانت تساعد بختيار على قيادة الحركات الانفصالية . وقد سئل الرهائن حول ملايين الدولارات المزيفة في الاوراق المصرفي الامريكية والالمانية الغربية والايرانية الموجودة في السفارة . وقد قال الطلبة بان السفارة حاولت تحطيم الاقتصاد الايراني . وقال احد الرهائن «يالهي لم تكن لدينا اية علاقة»[٢٩]. فالاوراق

المصرفية جلبها الى سفارتنا احد الايرانيين وان المسؤولين حاولوا أن يقتفوا اثر المزورين .

وفي منتصف كانون الاول ١٩٧٩ ، اصدرت المليشيا نسخة من برقية مرسلة من السفارة الامريكية في ايران الى وزارة الخارجية تبين بان وليم دوفرتي (William Daugherty) كان احد اعضاء وكالة المخابرات المركزية ، وفي الاشهر التالية ، اتهم عدة رهائن بانهم جواسيس امريكان . وبتأثر كبير بدعاوي المليشيا ، خطط بني صدر وصادق قطب زاده لحكمه عالمية لاستعراض الجرائم المرتكبة من قبل الولايات المتحدة والشاه المخلوع ضد ايران . ومن اجل «وترغيت ايرانية» كما سماها قطب زادة فأن الايرانيين كانوا يريدون استخدام المواد الموجودة في سفارة الولايات المتحدة والدلائل المتراكمة في الوزارات الايرانية وقصور البلاط والبنوك والوثائق التي كشف عنها في تحقيقات مجلس الشيوخ مع وكالة المخابرات المركزية . وفكرة المحكمة المخيفة ضد الامبريالية الامريكية قد اتاحت فرصة جديدة لعملاء التضليل من الكتلة السوفيتية . وعندما علمت الـ KGB بالمشروع فانها وعدت ان توفر للايرانيين وثائق ومواد اخرى عن التهم[٣٠].

لكن ثقة بني صدر وقطب زادة في الوثائق سرعان ما اضمحلت في الاشهر القليلة القادمة . ففي ٥ كانون الثاني ١٩٨٠ ، القىَ الحرس الايراني القبض على وزير الارشاد القومي ، ناصر ميناخي ، على اساس تهم . وجهت له من قبل طلاب المليشيا بان له علاقة مع وكالة المخابرات المركزية ، لكن بني صدر عمل بالدليل وشجب المليشيا وقال بانهم «دكتاتوريين اوجدوا حكومة داخل حكومة» . وبعد اطلاق سراحه من قبل المجلس الثوري ، علق ميناخي في مؤتمر صحفي بان الوثائق «كانت غير صادقة ومن عمل الجواسيس» . لقد اقترح بني صدر في اذار ١٩٨٠ ، بان على الكونغرس الامريكي ان يحقق في التدخل الامريكي في شؤون ايران الداخلية منذ العام ١٩٥٣ وان على حكومتي امريكا وايران اعطاء كل الوثائق التي تثبت هذا التدخل ، واعلن انه سوف يستبعد بعض الوثائق المضبوطة في سفارة الولايات المتحدة ، لكن وزير الخارجية ، قطب زادة ، كان اكثر صراحة في سخريته من بعض الوثائق المكتشفة ووصفها بانها نفايات»[٣١].

ان تنامي عدم الثقة لدى السياسيين الايرانيين البارزين في مصداقية الوثائق لم تمنع المليشيا من استخدامها للصيد الوفير وكانت جميع ضحاياهم معروفه بشعورها المعادي للسوفيت . وقد قام المدعي العام الثوري بالقاء القبض على الادميرال ماهود علوي . قائد القوات البحرية الايراني وخريج جامعة هارفورد في اوائل شباط ١٩٨٠ لارتباطه الوثيق وعلاقات الصداقة مع الجواسيس الامريكان المحتجزين في السفارة الامريكية . وقد اتهمته صحيفة الجمهورية الاسلامية الايرانية في عددها الصادر في ٢٦ شباط ١٩٨٠ بان الوثائق الخاصة بـ (علوي) «تبين بانه كان على اتصال مع عملاء النظام التابعة وساعد العديد منهم على الهرب» . وقامت المليشيا ايضا في شباط ١٩٨٠ بتقديم وثائق تبين ارتباط شمعون فارزمي (Simon Farzami) اليهودي الايراني ورئيس تحرير مجلة طهران اليومية التي تصدر بالانكليزية بالملحق الصحفي الامريكي باري روزن (Barry Rosen) وبعد عشرة اشهر من القاء القبض عليه ، اعدم فارزمي ، لكن تفاصيل المحكمة لم تنشر[٣٢].

وقد نشرت صحيفة ازاديغان (Azadegan) التي تصدر في طهران مقتطفا من التحقيق مع رهينة اخرى هو توماس اهيرن (Thomas Ahern) في ١٤ تموز ١٩٨٠ والذي اعترف حسبما يزعم بأنه احد عناصر وكالة المخابرات المركزية . وقد كشف البروتوكول اسماء ثلاثة من المرتبطين مع اهيرن وهم وهو عضو البرلمان الايراني خوسراو قاشقائي والذي طرد من مقعده لرفضه الاعتراف بالتهم الموجهة اليه بانه كان من عملاء السافاك وعباس امير انتظام ، السفير الايراني لدى الدول الاسكندنافية الذي استدعي الى الوطن والقي القبض عليه والادميرال احمد مدني الذي عارض احتجاز الرهائن من البداية . ان الادميرال مدني الذي كان قائداً للبحرية وصديقا مقربا من الرئيس بني صدر وقد اختاره الاخير اول رئيس للوزراء في مايس ١٩٨٠ لكنه رفض العرض لانه لم يحصل على ضمان بعدم تدخل رجال الدين في حكومته . وبعد عدة اسابيع طرده البرلمان لتعاونه مع الامريكان والشاه ، ولكن بدلاً من محاكمته فانه طرد الى المنفى[٣٣].

اما نائب رئيس الوزراء السابق عباس امير انتظام والذي كان ايضا ناطقا رسميا في حكومة رئيس الوزراء مهدي بازركان فانه استقال في تشرين الثاني ١٩٧٩ وعين سفيرا لدى البلدان الاسكندنافية . وكان احد المعتدلين الذي فضل حل الخلاف الايراني ـ الامريكي بواسطة المحادثات بدلاً من استعمال العنف . وقد ابقى على اتصالاته الرسمية مع سفارات الولايات المتحدة في طهران وستوكهولم وعند رجوعه الى ايران في ١٩ كانون الاول ١٩٧٩ القي القبض عليه وتمت محاكمته كجاسوس امريكي في ربيع عام ١٩٨١ . وقد رفضا تماما التهم وادعى بان الادلة الموجهة ضده كانت ملفقة . وكانت اكثر وثيقة تشهير استخدمت ضده بشكل خاص في المحكمة هي برقية خاصة مؤرخه في ١٧ آب ١٩٧٩ وموقعه من قبل وزير الخارجية الاميركي سايروس فانس . وطبقا للوثيقة ، فان انتظام كان قد تعرف في طهران بعميل وكالة المخابرات المركزية السابق جورج كيف (George Cave) لمناقشة خطط ايجاز عمليات التجسس لحكومة طهران . وقد اعطته وزارة الخارجية ووكالة المخابرات المركزية هذه الخدمة مقابل معلوماته حول ايران . لكن هذا العرض كان بالنسبة للطلبة ، دليل اتهام وان المحكمة اصدرت بحقه عقوبة السجن مدى الحياة[٣٤].

وكما هي الحال مع الوثائق المستخدمة ضد ناصر مناخي ، فان بعض الوثائق ، رفضت من قبل المحاكم الايرانية لعدم مصداقيتها . وكمثال ، فان المليشيا أجبرت على الاعتذار علنا لمحاولة ربط حركة مهدي بازركان التحررية الاسلامية بالولايات المتحدة من خلال اضابير السفارة . وفي العديد من الحالات ، فان المسؤولين الايرانيين قالو بصورة صريحة بان بعض الوثائق التي تتهم الغربيين او الايرانيين بالتجسس كانت مجرد تلفيقات . وقد صرح اية الله بهشتي ، رئيس المحكمة العليا في شباط ١٩٨١ ، بان اربعة بريطانيين احتجزوا في ايران منذ آب ١٩٨٠ بتهمة التجسس على اساس وثائق ملفقة[٣٥]. وقد قدمت الى السلطات لاثبات تعاون بريطانيا مع وكالة المخابرات المركزية . وقد زور منفذ التلفيق توقيع السفير الامريكي السابق وليم اج سيولفان على رسالة تبين بان البريطانيين كانوا يخفون العديد من الاسلحة . وقد اوضح

التلفيق ايضا ان الجواسيس الاربعة كانوا قد زودوا بـ (٥٠٠) دولار مع ٢٥٠ كغم من مادة الـ تي ان تي (TNT) للقيام بحملات ارهابية[٣٦].

وظهرت سلسلة اخرى من التلفيقات في ايران في نيسان ١٩٨١ وهذه المرة على شكل وثائق مصرفية تثبت بان بعض الايرانيين كانوا قد استثمروا ملايين الدولارات في حسابات خاصة في اوربا الغربية . ومن ضمن هؤلاء الاشخاص اية الله بهشتي والذي كان حسبما يزعم قد ادخر ٢,٦ مليون دولار في بنك زورخر كنتونال (Zurcher Kantonal) في زيورخ وفخر الدين حجازي (Fakh reddin Hejazi) عضو البرلمان الذي اتهم بنقل ٦,٣ مليون دولار الى حساب رئيس الوزراء السابق شاهبور باختيار في باريس[٣٧]. وبالرغم من ان منفذ كل هذه الحالات لم يعرف علنا بأن الدليل كان ظرفي فانه يشير الى المخابرات السوفيتية . ان انفجار الهستريا المعادية للامريكان والاستيلاء على العديد من الوثائق الامريكية في فترة الثورة الايرانية قد اتاح وضعا مثاليا لاستغلالهم الكبير* وكان السوفيت هم المستفيدون من كل هذه القضايا المكتشفة .

وقبل الاستيلاء على السفارة الامريكية ، فان السوفيت حصلوا على قسم كبير من المعلومات الخاصة بالامريكان في ايران ، منها بيانات حول اتصالاتهم وشركائهم وحياتهم الخاصة ... الخ وكان من السهل وضع (دليل قوي) ضد بعض الاشخاص وذلك بتغيير الاسماء والتواريخ فقط على الوثائق الاصلية او استخدام اوراق مختومه تم الحصول عليها من مكان اخر وتسريبها الى الايرانيين . وبالاستفادة من عميل سري موثوق على الاقل بين المليشيا ، استطاعت الـ KGB ان توصل اليهم العديد من الوثائق الملفقة والاصلية لاستخدامها في الحملات المعتادة للولايات المتحدة . فقد زار العديد من

---

* في ربيع عام ١٩٨١ ، نشرت المليشيا الايرانية مجموعة من ١٣ كتب تحتوي على قسم من الوثائق التي وجدت في سفارة الولايات المتحدة تغطي الفترة ١٩٦٦ - ١٩٧٩ ولم نناقش مصداقيتها بجدية ماعدا الرئيس السابق بني صدر الذي قال بان بعض «الوثائق كانت قد اسيئت ترجمتها بتعمد» .
(انظر مجلة التايم الصادرة ١٥ شباط ١٩٨٢ ص ١٨) .

الايرانيين الولايات المتحدة خلال حكم الشاه وحافظوا على اتصالاتهم مع المؤسسات والاشخاص الامريكان . وان اي ايراني كانت له اتصالات مع سفارة الولايات المتحدة في السنوات السابقة او استخدام خدماتها للاتصال مع شركائهم في الولايات المتحدة يمكن ان يصبح هدفا محتملاً لابتزاز الـ KGB او ان الـ KGBوالاجهزة الدائرة في فلكها يمكن ان تدعي حيازة وثائق الاتهام ومن ثم ابتزازه . وفي هذا الجو فان اي رسالة من سفارة الولايات المتحدة تذكر اسم اي شخص بطريقة عامة بريئة ، يمكن ان تكون لها عواقب سيئة .

الاشاعات

ان حملة الانتخابات الرئاسية في ايران جذبت ١٠٦ مرشحا بضمنهم مرشحين من مختلف الجهات السياسية وقد صرح اعضاء مجلس خميني بان كل ماجرى كان مؤامرة للـ CIA لارباك الرأي العام الايراني . وقد ادعت العديد من الاشاعات التي انتشرت على نطاق واسع في عام ١٩٨٠ بان الرئيس كارتر حاول ارسال ثعبان سام لقتل الرهائن الامريكان حتى يمكن استخدام موتهم كذريعة لغزو عسكري[٣٨]. وكان خميني يعتقد بان وكالة المخابرات المركزية وعملائها كانوا مسؤولين عن كل الفوضى والصراع والتخريب في ايران ولم يستطع اي شخص ان يقنعه بان قدرات الامريكان على الاعمال السرية قد انتهت قبل احتلال سفارة الولايات المتحدة بوقت طويل .

وقد كان وزير الخارجية صادق قطب زاده هدفا دائميا للاشاعات خلال فترة الرهائن . وفي المراحل الاولى للثورة ، اشار العديد من المراسلين الغربيين بان قطب زاده كان عميلاً سريا للسوفيت وقد ردد الاتهام ولعدت مرات خلال حملة الانتخابات الرئاسية الامريكية من قبل المرشح الجمهوري جون بي كونالي (John B . connaly) . وقد قامت الصحيفة الاسبوعية الفرنسية الاكسبريس (L,Express) بانه خلال وجوده في فرنسا فأن قطب زاده خدم كوسيط بين الحزب الشيوعي الفرنسي والحزب الشيوعي الايراني[٣٩]. وقد

تضمنت الاتهامات ايضا بان قطب زاده امضى عدة سنوات خلال الستينات يدرس في جامعة جورج تاون في واشنطن دي سي D . C وكطالب مشاكس فانه كان قد طرد مرتين من الولايات المتحدة . والصحيح انه كشخص منفي يعيش في فرنسا ، فانه كان على صلة وثيقة مع جبهات التحرر العربية المتطرفة لكن خلال السنوات الاخيرة من نفيه فانه طور علاقات وثيقة مع اية الله خميني وعمل رئيسا لمجموعته الامنية .

وبعد سيطرة خميني على السلطة اصبح قطب زاده الناطق الرئيسي والدعائي المتلون للنظام الايراني الجديد من موقعه كمدير للاذاعة والتلفزيون الايراني . وفي تطورات مفاجئة بعد محاصرة السفارة الامريكية فان قطب زاده الذي كان انذاك وزيراً للخارجية اصبح العنصر المعتدل والذي حذر كلا من القوى الدينية المتطرفة التي تحيط بالحزب الجمهوري الاسلامي والطلبة المتطرفين من زيادة الخطر السوفيتي . وفي مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامي الذي انعقد في اسلام اباد في مايس ١٩٨٠ ، شجب قطب زاده وبشدة التدخل السوفيتي في افغانستان وكانت تصريحاته المعلنة اكثر ازعاجا للسوفيت حينما اتهم الكرملين بالتأثير السري على العناصر المتطرفة في ايران «ودفع الاجيال الشابة الى التخريب السياسي» . وقال بان (لحزب توده الشيوعي) تجربة تمتد لاكثر من ٥٠ سنة في خدمة الاتحاد السوفيتي وكطابور خامس موثوق به للسوفيت وانه يودي عمله في هذه الايام بكفاءة[٤٠].

وقد بدأت الاشاعات حول ارتباطات قطب زاده السرية مع السوفيت بالانتهاء تدريجيا ، لكن اتهامات جديدة بانه كان عميلاً سريا امريكيا اثبتت بانها مميته ، وكجزء من حملة التضليل في ايلول ١٩٨٠ لتدمير مستقبله السياسي ، فقد كررت صحيفة (اخبار موسكو) الشيوعية وبشكل علني اشاعات وصفته بانه عميل حقيقي للولايات المتحدة[٤١]. وقد ارتاح الكرملين عندما سيطرت حكومة رجائي الجديدة وازيح قطب زاده عن مناصبه . وبعد شهرين القي عليه القبض عندما انتقد راديو وتلفزيون الدولة لبرامجها التي جعلت المواطنين يسمعون الاذاعات الاجنبية . ثم اطلق سراحه بامر من اية الله خميني .

وفي تشرين الثاني ١٩٨٠ قام الحرس الاسلامي بالقاء القبض على رجائي سامغبادي مدير التحرير السابق لاحدى الجرائد اليومية الصادرة بالانكليزية في طهران . وقد طلب اليه فيما بعد توقيع وثيقة تبين بانه خدم كعضو ارتباط بين وزير الخارجية السابق قطب زاده ووكالة المخابرات المركزية . وعندما رفض تعرض الى اعدام مزيف من قبل الحرس ثم اطلقوا سراحه بعد عدة ايام وغادر ايران بصورة سرية[٤٢]. وقد نشرت ازاديغان (Azadegan) الصحيفة المتطرفة تضليلاً سوفيتيا اخر عندما نشرت شبه دليل عن ارتباط قطب زاده باميركا . وقد تضمنت طبعة ٢٠ كانون الثاني ١٩٨٠ من الصحيفة صورة لصك بمليون دولار كان قد استلمه قطب زادهحسبما يزعم الامريكان . وكان الصك مخصصا «لاطلاق صراح الرهائن» . وقد نصت المقالة على مايلي : «هذه الدفعة قدمت لقطب زادة من اسياده الامريكان لتأمين اطلاق سراح الرهائن»[٤٣]. وقد نفى قطب زادة الاتهام جملة وتفصيلاً ولكن التلفيق استمر بالتداول في طهران وقد استمر قطب زاده في تحذيره من الاتحاد السوفيتي ، «ان السوفيت سوف يعملون للتأكد من ان ايران سوف تغرق اكثر فاكثر في عزلة عالمية .... وسوف يحاول الكرملين وبكل ما يملك ومن خلال حملاته الدعائية وعملائه لخلق المشاكل بينها وبين باكستان وتركيا وبلدان الخليج الفارسي . انه يريدنا ان نكون معزولين ومفصولين لكي نلجأ الى الشمال . ان سياستهم واضحة وهي اركاع ايران على ركبتها ثم فرض الشروط التي يريدونها[٤٤]».

واعتقل صادق قطب زاده مرة اخرى في ٨ نيسان ١٩٨٢ بتهمة التخطيط لعملية قلب نظام الجمهورية الاسلامية واغتيال خميني . وقد اعدم رميا بالرصاص بعد محاكمة قصيرة في ١٦ ايلول ١٩٨٢ وقبل ذلك بشهر اعدم اكثر من ٧٠ مسؤول معظمهم من اعوانه . وقد اعترف قطب زاده في المحاكمة بانه يريد السيطرة وبدعم من منافس خميني الديني اية الله كاظم شريعت مداري لكنه نفى بشدة ان يكون قد تأمر لاغتيال خميني . وقد صرح قطب زادة قبل اعدامه بانه كان قد وقع حكم موته بيده عندما امر ، عندما كان وزيراً للخارجية بغلق ثلاث قنصليات سوفيتية في ايران . وطلب من السوفيت تقليل

عدد الممثلية الدبلوماسيين الى نفس عدد نظائرهم الايرانيين في الاتحاد السوفيتي .

المنجزات السوفيتية

لقد اخترقت الـ KGB العديد من المؤسسات والحركات الايرانية بضمنها المنظمات الدينية والطلابية المتطرفة قبل وبعد الثورة لكنها لم تستطع ان تسيطر على حمى تسارع الاحداث . فالاستيلاء على السفارة الامريكية واحتجاز ٥٢ رهينة والصراع الدموي داخل النخبة الايرانية والعديد من الاغتيالات كانت لها تطورات آنية عكست الصراعات الداخلية والتوتر الذي سببته الثورة . وبعد الاستيلاء على السفارة والذي اثار الحماس العظيم في الرآي العام الايراني اصبح عناصر المليشيا ضحايا لشهرتهم . وقد ساهمت الاعمال السرية السوفيتية ، بشكل براهين ملفقة واشاعات وتأثيرات على المنظمات اليسارية ، ساهمت بشكل مباشر في الارباك العام والهستريا المضادة للامريكان . ويستطيع السوفيت الادعاء بنصر عام على الولايات المتحدة بمعنى ان ايران لم تعد حليفا في الخليج الفارسي لكن محاولتهم لكسب تأثير كبير في ايران لم تجلب سوى نجاح محدود . فنظام خميني كان من الناحية الايديولوجية معاديا لكلا من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة .

وفي بداية الثورة اعتمد السوفيت على المجاهدين كحليف سياسي في المستقبل ولكن عندما توسع الخلاف بين المجاهدين وخميني فانهم دعموا رسمياً جناح رجال الدين المتطرفين اليمينيين ، حتى انهم بدأوا يطلقون على المجاهدين تسمية «عملاء الـ CIA اليساريين»[٤٥]. وفي حملة الارهاب ضد نظام خميني في عام ١٩٨١ اغتال المجاهدون عدداً من رجال الدين ومسؤولي الحكومة ومنهم اية الله بهشتي رئيس محاكم الدولة واربعة وزراء وستة نواب وزراء و ٢٧ من اعضاء البرلمان . وفي ٣٠ اب ١٩٨١ قتل انفجار رئيس الوزراء جواد باهونار ورئيس الجمهورية محمد علي رجائي . وقد اتهمت الدعاية السوفيتية وكالة المخابرات بتدبير الاغتيال[٤٦].

وقد اعتمدت الستراتيجية السوفيتية على توسع تدريجي لتأثير اقتصادي

وسياسي في ايران وكانت هذه الستراتيجية ناجحة . وكمثال على ذلك ، كان التبادل التجاري السوفيتي الايراني قد وصل في عام ١٩٨١ الى ١,١ بليون ووصل العديد من خبراء الـ KGB في منتصف تشرين الاول لمساعدة تنظيم قوة امنية كفوءة بضمنها جهاز للمخابرات . وكان معظم الخبراء من افراد الاقليات في اسيا الوسطى والذين يتكلمون الفارسية بطلاقة وكانوا ظاهريا متعاطفين بتفاخر مع الثورة الخمينية . وبعد عدة اسابيع وسع السوفيت من تأثيرهم بشكل اوسع بارسالهم مجموعة من الخبراء الاقتصاديين للمساعدة في اعادة بناء اقتصاد ايران المتدهور وفي نهاية عام ١٩٨١ وصل عدد الدبلوماسيين السوفيت في طهران الى (٢٠٠) دبلوماسي اي اربعة اضعاف ماكان عليه العدد ايام حكم الشاه تقريبا[٤٧].

وقد اعطى التنافس بين الجيش النظامي والحرس الاسلامي ومجموعة المليشيا الدينية ، اعطى للسوفيت فرصة احراز نفوذ اكثر ضمن القوات المسلحة الايرانية . وقد بقي الجيش النظامي معقلاً للضباط المتعلمين في الغرب لكن السوفيت ساعدوا خميني في تحسين قوة الحرس الاسلامي وكان السلاح الاولي المستورد من الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٨١ من نصيب الحرس الاسلامي[٤٨].

وكما ذكر سابقا ، فان النجاح السوفيتي كان مؤقتا . فالحرب بين العراق وايران والتردد السوفيتي المتعلق بدعم اي جانب اثار العديد من الاسئلة لدى القادة الايرانيين واعاق التقدم السياسي السوفيتي في ايران . وقد عانت الـ KGB من نكسة كبيرة في حزيران ١٩٨٢ عندما ارتد فلاديمير اي كوزتشكين (Vladimir A . kuzichkin) وهو احد ضباط الـ KGB والذي يعمل نائبا للقنصل في ايران الى بريطانيا واعطى الغرب معلومات قيمة حول الاختراق السوفيتي لايران وكان دور كوزتشكين الرئيس في السفارة السوفيتية هو اتصالاته مع الحزب الشيوعي الايراني (توده)[٤٩]. وبعد وقت قصير بدأ الخميني بتضييق الخناق على الشيوعيين والقى القبض على ٢٥ عضواً من القادة الشيوعيين في تشرين الثاني ١٩٨٢ ، وفي نيسان من السنة التالية ظهر العديد من قادة توده في التلفزيون واجبروا على الاعتراف بالتجسس لصالح

الاتحاد السوفيتي . وفي اعترف نور الدين كيانوري السكرتير الاول للحزب بان حزب توده كان «اداة للتجسس والخيانة العظمى منذ عام ١٩٤١ ، وانه بدأ بالتجسس لصالح موسكو منذ عام ١٩٤٥»[٥٠]. وبحلول مايس ١٩٨٢ تم القاء القبض على اكثر من ١٠٠٠ عضو في حزب توده وتم طرد ١٨ من الدبلوماسين السوفيت ومن ثم وضع الحظر على حزب توده بتهمة التجسس لصالح الاتحاد السوفيتي .

ان ايران الماركسية تبقى بالطبع الهدف بعيد المدى للسوفيت . ومثل هذا الانجاز سوف يفتح ابواب بلدان الخليج للروس ويمنع الثورة الاسلامية من التغلغل في الاجزاء الجنوبية للاتحاد السوفيتي حيث يوجد حوالي ٤٣ مليون مسلم يوصفون بانهم «قنبلة سكانية قابلة للانفجار»*. وقد الغى نظام خميني معاهدة ١٩٢١ التي تعطي السوفيت الحق بالتدخل في ايران في الحالات التي تتعرض مصالحهم للخطر ، لكن قادة الكرملين قد يستخدمون الاتفاقية في المستقبل كذريعة للتدخل العسكري .

دور اجهزة الاعلام الامريكية

ان الازمة الايرانية والتي ربما تكون من اصعب المواضيع التي تناولتها اجهزة الاعلام الامريكية عكست كلا من نقاط قوة وضعف الصحافة الامريكية . ففي ظل غياب الاتصال المباشر بين الحكومتين الامريكية والايرانية ، فان وكالات الاخبار حلت بصورة رئيسية محل وزارة الخارجية الامريكية كمصدر رئيس للمعلومات واحياناً خدمت كوسيط دبلوماسي . وفي أوقات جديدة خلال الازمة ، طلب القادة الايرانيون من الصحفيين الامريكان نقل الرسائل الى الامريكان ، وحتى واشنطن استخدمتهم كقنوات اتصال في الاتجاه المعاكس .

وبعد عام تقريباً من مغادرة الشاه لم يواجه الصحفيون العاملون في ايران

* بين احصاء رسمي سوفيتي نشر في شباط ١٩٨٠ عن التعداد السكاني لعام ١٩٧٩ بان مسلمي اسيا السوفيتية الوسطى هم اكثر مجموعة سكانية متنامية بسرعة . فمن ٣٥ مليون نسمة في عام ١٩٧٠ ازداد تعدادهم الى ٤٣ مليون نسمة عام ١٩٧٩ (أنظر النيويورك تايمز ٢٣ شباط ١٩٨٠ ، ص ١ ـ ٩) .

الا القليل من العداء الشخصي . واعتقد القادة الايرانيون بأن الامريكان سوف يدعمون موقفهم اذا ماستطاعوا نقل القصة من جانبهم . وعندما اتصلت مجموعة المليشيا بمراسلي محطات CBS , ABC والـ NBC في طهران وعرضوا عليهم فرصة مقابلة وليام غاليغوس (William Gallegos) ضابط الصف البحري ، لم توافق سوى محطة الـ NBC على الشروط التي تضمنت السماح للناطق بأسم الطلبة بتقديم بيانات افتتاح ونهاية المقابلة وكانت القضية المثيرة للجدل قد اعادت فتح النقاش حول دور الصحافة كمنبر غير مشروع لتبيان وجهة نظر الارهابيين .

وبعد عدة اشهر من الاستيلاء على السفارة ، عرف الايرانيون بأن محاولتهم الدعائية لم تتمخض عن النتائج المتوقعة وقد اتهموا الصحافة الغربية بالتحيز الاخباري والاساءة للثورة الايرانية . وقد اتهمهم اية الله بهشتي بأنهم (يكررون التقارير غير الحقيقية والملفقة)[٥١] وفي ١٤ كانون الثاني ١٩٨٠ اعلن المجلس الثوري الحاكم طرد كل العاملين لوكالات الاخبار الامريكية . وقد خفف الايرانيون من تقييداتهم على الصحافة ولعدة مرات في الاشهر التالية لكنهم رفضوا تغير موقفهم المنتقد والمفعم بالشكوك . وقد اعطى اغتيال القادة الايرانيين في صيف عام ١٩٨١ دوافع جديدة لحملتهم ضد الصحفيين الغربيين وقد اتهمت الحكومة الايرانية كل من مندوبي رويتر باري ماي وفل ديفيسون والن فيليس بأنهم كانوا جواسيس وأمروهم بمغادرة البلد خلال ٤٨ ساعة[٥٢].

وقد أظهر الاعلام الامريكي قيوداً على التعليقات عندما كانت حياة بعض الرهائن الامريكان في خطر*. فقد علمت بعض مؤسسات الاخبار منها الـ NBC , CBS ومجلة التايم ونيوزويك والنيويورك تايمز بأن ستة امريكان

* كان الفلم الوثائقي الذي استمر ساعتين بعنوان (ايران نظرة من داخل الجمهورية الاسلامية) . والذي عرضته محطة الـ PBS في حزيران ١٩٨٠ أستثناءً واضحا وقد صور الفلم الوثائقي في ايران بين كانون الاول ١٩٧٨ ومايس ١٩٧٩ وكان في غير وقته عند عرضه . من الناحية الجوهرية كان الفلم غير عادل ولاشك في انه كان مؤيداً لايران وكان الفلم عبارة عن حقيقة دعائية بدلاً من كونه حقيقة صحفية . ولم يتطرق الى وضع الرهائن الامريكان على الاطلاق (أنظر البوسطن غلوب الصادرة في حزيران ١٩٨٠ ص ٢١) .

هربوا من سفارة الولايات المتحدة خلال عملية الاستيلاء وكانوا مختفين في طهران . وقد أوقفوا كل الاخبار لحين معرفتهم بأن الامريكان قد غادروا البلد بجوازات كندية مزورة وقد كانت نقطة الضعف الرئسية في تغطية الاعلام اللازمة هو افتقارها الى التحليل المقتدر والكفؤ . وقد علق باري روبن (Barry Rubin) الاستاذ المساعد في مركز الدراسات الستراتيجية الدولية في جامعة جورج تاون على المشكلة بما يلي : ـ

> ان معظم المشكلة تكمن في طبيعة الصحافة الامريكية ، فالتقارير التي تغطي ايران تفتقر الى القدرة اللغوية والتواجد المستمر في طهران والاتصالات التي تنتج من هذا التخصص .... وبخلاف التجارب الاوربية ، لم يكن هناك صحفي امريكي ملم بايران وان القليل منهم كان على معرفة بالاسلام والمجتمعات الاسلامية والثقافة التاريخية والسياسية الايرانية(٣).

فالصحفيون الامريكان ارسلوا العديد من الاشارات حول التغلغل السوفيتي الكثيف في ايران ، لكن الدليل كان مجزءاً وتفسير الاشارات كان يفتقر الى اي عمق في المعنى . وبعد سنة من اطلاق سراح الرهائن ، نشرت البوسطن غلوب ، سلسلة من المقالات التحليلية حول الوثائق الامريكية التي عثر عليها والتي نشرت في ايران .

وقد قيمت من الناحية النقدية السياسات والدوافع والانفعالات والاخطاء الامريكية لكنها اعطت القليل من الاهتمام الى الدور الذي لعبه السوفيت في هذه اللعبة المشهورة وكان الموقف تقريباً صورة للتفاعل الذي اتخذه من قبل الصحافة الامريكية خلال الازمة .

الفصل السابع

اللعب بالحرب

تلعب الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي لعبة المخاتله باستخدام ادوات الكترونية ومعقدة واقمار صناعية ومئات السفن والطائرات ومايكروفونات تحت الماء واجهزة رادار واجهزة اخرى والعديد من العملاء والعملاء المزدوجين . والقصد من المراقبة المتبادلة هو لمعرفة فيما اذا كان المقابل يلعب طبقا للقواعد الموضوعة للخدع بدون القيام بهجوم رئيسي . وكل عملية عسكرية ناجحة تتضمن احد عنصر الخداع والمفاجأة ، ويتطلب الدفاع المؤثر ضد التضليل الستراتيجي نظام تحذيري اخباري يعتمد عليه . ويؤكد روبرت ل . بفالتزغراف جي آر (Robert L . Pfaltzgraff Jr) على اهمية مثل هذا النظام بهذه الكلمات :

> التحذير الستراتيجي هو رد للمفاجأة الستراتيجية ، ولكن يمكن ان يترافق مع التضليل الستراتيجي . وبالمقابل ، فان هدف المفاجأة الستراتيجية ، والتي تحدث بالتوافق او الارتباط مع التضليل الستراتيجي وهو حرمان العدو من التحذير الستراتيجي .... ان امكانيات التضليل عادة ماتتعز اذا ماكان هدف التضليل معتمدا على قناة واحدة فقط وعلى قنوات قليلة من المعلومات او اذا كان الشئ الحقيقي مختفيا ضمن التزييف(١) .

لقد استطاعت وكالة المخابرات المركزية وباقي وكالات المخابرات الامريكية ومنذ الحرب العالمية الثانية ان تؤمن حاجة واشنطن من الاستخبارات الموثوق بها والتحليلات . ولاكثر من عقدين من الزمان ، بنى السوفيت ترسانات عسكرية وفي كل الاتجاهات التقليدية والنووية وإن المحاولة كانت تفوق كل حجم الحاجات المشروعة للدفاع عن النفس . واعتباراً عام ١٩٨٠ كانت موسكو تحظى بالتفوق العددي في العديد من اتجاهات الاسلحة الستراتيجية وبالمقارنة مع الولايات المتحدة كان السوفيت متقدمين بـ ١٣٩٨ الى ١٠٥٤ في قواعد اطلاق الصواريخ العابرة للقارات و ٩٥٠ الى ٦٥٦ في نواعد اطلاق صواريخ الغواصات وحوالي ٧٨٣٦ الى ٣٢٥٣ ميغاطن ، وهو دليل مهم للقوة المدمرة في ترسانة الاسلحة النووية . لكن الولايات المتحدة كانت متقدمة في بعض ميادين التسليح النووي . حيث كانت قواعد اطلاق صواريخ الغواصات اكثر دقة ، والغواصات التي تحمل الصواريخ تقتفي بشكل اسرع واعمق واكثر هدوءاً وخاصة غواصات الترايدنت (Trident)[٣].

ويبين بحث لوكالة المخابرات المركزية غطى الفترة من ١٩٧١ الى ١٩٨٠ ، ان الاتحاد السوفيتي انفق اكثر مما انفقته الولايات المتحدة على نشاطات الدفاع في عام ١٩٨٠ بنسبة ٤٠٪ . وكانت تكاليف الاتحاد السوفيتي اعلى من انفاقات الولايات المتحدة بنسبة ٥٠٪ . وقد قدرت انفاقات الاتحاد السوفيتي بحوالي ١٧٥ بليون دولار في حين ان الرقم الامريكي كان ١١٥ بليون دولار*.

---

* استناداً لروبرت هفتستتلر (Robert Huftstutler) ، مدير مكتب البحوث الستراتيجية ، فأن وكالة المخابرات المركزية تعتمد على طريقتين رئيستين في تقدير الانفاقات السوفيتية ، الاولى تعتمد على تكاليف الدفاع المنشورة في الاحصائيات السوفيتية الاقتصادية .. اما الثانية فهي طريقة (بناء البلوكات) والتي يتعرف فيها محللوا الـ (CIA) على العناصر المادية لمحاولة السوفيت الدفاعية بمرور الوقت ثم يعطونها عوامل الكلفة المباشرة . وبينما تكون اي الطريقتين غير مؤكدة ، فأن الـ (CIA) تعتبر الطريقة الثانية اكثر اعتماداً وعملية الى حد كبير ، وتستخدم التحليلات الاحصائية السوفيتية لعمل تدقيق تقريبي على التقديرات الاخرى . وبالطبع ، فأن السوفيت على الاطلاع بعمليات وكالة المخابرات المركزية . ويتخذون الاجراءات المضادة الضرورية لتحريف النتائج النهائية .

وكان وزير الدفاع هارولد براون حتى اكثر تشاؤما ، اذ صرح بان الاتحاد السوفيتي كان قد انفق ٢٧٠ بليون دولار اكثر مما انفقته الولايات المتحدة على الجيش منذ عام ١٩٦٨ وان السوفيت ينفقون حالياً على القوة العسكرية اكثر مما ينفقه هذا البلد بنسبة ٨٠٪[٣].

وقد حقق السوفيت تقدماً ملموساً في تطوير الاسلحة الستراتيجية والتعبوية المتقدمة جداً . وللاتحاد السوفيتي تفوق واضح في ميادين مثل الصواريخ المضادة للسفن والحرب الكيمياوية . وقد قدرت مجموعة مكونة من ٥٣ مهندساً وفيزياويا عام ١٩٧٩ بأن الاتحاد السوفيتي متقدم بحوالي ٥ ـ ٧ سنوات على الولايات المتحدة في اسلحة الحزم الجزئية[٤]. وقد حققوا انجازاً مهماً نحو تطوير اجهزة الليزر ، وهي الاسلحة الشعاعية المميتة خلال حياتنا المستقبلية . وبالرغم من ان البنتاغون يعمل حالياً على برنامج مشابه ، الا ان وليم بيري (William Perry) ، وكيل وزارة الدفاع للابحاث ، قال بأن الروس يتفوقون على الولايات المتحدة في مسألة الانفاق بثلاث او اربع مرات في هذا المجال[٥].

ويستخدم كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي طرقاً فنية مختلفة ، منها الغواصات والطائرات والسفن والاقمار الصناعية في سباق عالمي لتوسيع القدرات العسكرية . فالاجهزة الالكترونية المحمولة على الاقمار الصناعية ، على سبيل المثال ، من القوة بحيث تستطيع ان تكشف كرة سلة من مسافة ٢٠٠٠ ميل[٦]. وبالرغم من ان الاقمار الصناعية السوفيتية ليست متطورة كنظيراتها الامريكية ، الا انها قادرة على تأدية خدمات مختلفة في جمع المعلومات الاستخبارية مثل اعتراض الاتصالات الاجنبية ومعرفة اشارات الرادار الاجنبية او تصوير الاحداث العسكرية الاجنبية . وعندما تظهر ازمة عالمية جديدة ، يقوم السوفيت عادة باطلاق عدة اقمار صناعية في المدار . فخلال الحرب المصرية الاسرائيلية عام ١٩٧٣ ، على سبيل المثال ، اطلقوا اقماراً صناعية بمعدل قمر واحد في اليوم[٧]. وتستطيع الاقمار الصناعية ان تبقى في المدار لعدة اشهر او حتى سنوات ، ولكن معظم الاقمار الصناعية السوفيتية الاستكشافية تستطيع البقاء لفترة حوالي اسبوعين . ان التقاط

وحل اتصالات الاعداء هو عنصر تتزايد اهميته في المنافسة الامريكية ـ السوفيتية . ومعرفة افكار العدو واجراءاته تسهل عملية تطوير الاجراءات المضادة .

وكان الامريكان مندهشين بشدة في مايس ١٩٧٢ حينما التقطوا بمساعدة اقمارهم الصناعية ، محادثات بين ليونيد بريجينيف (Leonid Brezhnev) واندريه كروميكو (Andrei Gromyko) ومصممي الصواريخ السوفيتية في سيارة ليموزين في طريقهم الى مؤتمر يعقد في موسكو . وقد تكلم بريجينيف حول «الصاروخ الرئيس» . الـ اس . اس ـ ١٩ الذي لم يذكر من قبل في مباحثات السالت (SALT) (الحد من الاسلحة الستراتيجية) . والى مابعد بضع سنوات (١٩٧٨) اكتشف محللو .. المخابرات الامريكية بأن تقديراتهم للقوة العسكرية السوفيتية كانت غير صحيحة(*). وقد نفذ مدراء التضليل العسكري السوفيتي عملهم بوضوح . والتضليل العسكري هو جزء مكمل لستراتيجية الدولة العسكرية ، لكن السوفيت سيطروا عليه بدرجة لامثيل لها في التأريخ الحديث .

واستجابة لتنامي عدد ودقة الصواريخ السوفيتية والتي يمكن ان تعطي السوفيت فائدة او تفوقاً واضحاً في الحرب النووية ، طورت القوة الجوية الامريكية خطة لبناء نظام MX ، وهو نظام صاروخ عابر للقارات (ICBM) متحرك ومصمم لتضليل السوفيت . وكل ٢٠٠ صاروخ مستخدم في النظام يمكن ان توضع في ٤٦٠٠ ملجأ في يوتا ونيفادا ، بحيث يصبح مستحيلاً على السوفيت او على الاقل من الصعب جداً بالنسبة لهم اكتشاف الموقع المضبوط للصواريخ في اية لحظة . وقد شك العديد من المختصين والباحثين بجدوى النظام . وفي محاضرة للدكتور هيربرت سكوفايل ، جي . آر (Herbert

* اوردت مجلة البزنس ويك الـ (Business Week) في ٢٨ شباط ١٩٧٧ بأن هناك فوضى كاملة ضمن التحليلات الاستخبارية في تقدير الانفاق العسكري السوفيتي . وقد اعطى احد محللي وكالة المخابرات المركزية ومحلل آخر من وكالة المخابرات الدفاعية اذنا لعمل تحري طويل المدى للحصول على تقديرات سوفيتية تخص تكاليفهم الدفاعية وقد حصلا على دليل لايقبل الجدل بأن رقم وكالة المخابرات المركزية لاوائل السبعينات كان يقارب نصف مايجب ان يكون عليه .

Scoville J . r) رئيس جمعية الحد من الاسلحة ونائب المدير العام السابق في وكالة المخابرات المركزية ، في ندوة المعهد التقني في ماسوتشوسيتس (Massachusetts) حول موضوع صاروخ MX جاء فيها مايلي :

> انا (ايضاً) لااتفق مع فكرة الاعتماد على تضليل وخداع السوفيت كأساس لامتلاك قوة صاروخية ارضية قوية . واعتقد ان هذه اللعبة مع الاتحاد السوفيتي هي لعبة خاطئة . واعتقد انهم اكفأ منا في لعبة التضليل ، وهو شئ لن نعلم به ابدا ، وهذا هو الجانب الاكثر اهمية حول لعبة التضليل ، اننا لن نعلم ابدا فيما اذا خدعنا الروس ام لا(*)...

ان بعض انواع الخداع ، على سبيل المثال ، الاجراءات الفعالة التي تشمل المنظمات الجبهوية ، وضعت لتأليب الرأي العام الامريكي والاوربي ضد سياسات الولايات المتحدة العسكرية . وتصمم الحملات الاخرى لتضليل التقييمات الامريكية للاهداف العسكرية السوفيتية والاهداف والستراتيجيات والاسلحة والمعدات العسكرية . وبخلاف الالاعيب الدعائية فأن هذه الحملات تتطلب مختصين عسكريين محترفين وفي العادة تكون غير معروفة للعامه . وقد تعطي امنافسة بين نخبة عسكرية ضد الاخرى للمنفذين التفوق التضليلي الستراتيجي . وتلعب الـ KGB دوراً ثانوياً في حملات التضليل العسكري ، وبشكل رئيسي كأداة نقل رسائل التضليل الى الاعداء ، اما الاهداف والستراتيجيات ومحتوى رسائل التضليل الخاصة فتصاغ من قبل مختصين في الجيش والقوة الجوية والبحرية السوفيتية .

وقد لعبت التكنولوجيا دوراً مهماً ومتزايداً في جمع المعلومات وفي التضليل ، حيث ترسل الاقمار الصناعية صوراً يستحيل لاي مصور ان يرسلها . وتفسير الحاسبات الالكترونية لاشارات الرادار التي يتم جمعها بواسطة طائرات الاستطلاع واعتراض اجهزة اللاسلكي يعتبر مصدراً آخر لجمع بيانات قيمة . لكن العميل السري هو الذي يوفر في النهاية معلومات حول نوايا الجانب الآخر ، وتبقى النوايا هي الاكثر اهمية .

ويخترق ضباط المخابرات من الكتلة السوفيتية بأنتظام قوات الناتو

لاغراض دفاعية وهجومية . ويوفر وكلاء عديدون وفي مختلف مستويات التسلسل الهرمي لحلف الناتو معلومات حيوية حول الخطط الغربية والستراتيجية ومستودعات الاسلحة وحركة الجنود والخلافات الداخلية والمنازعات ونقاط الضعف . وتعطي مثل هذه المعلومات للسوفيت فائدة او تفوقا مهما في تطوير ستراتيجيتهم العسكرية . ويحتل وكلاء الكتلة السوفيتية مواقع مهمة ضمن الترتيب العسكري الهرمي لبلدان حلف الناتو واحيانا يقومون بأعمال وكلاء تأثير في تمرير بعض المفاهيم ومنع الاخرى .

ويوضح بعض الاختصائيين البناء السوفيتي العسكري الضخم خلال فترة الانفراج في العلاقات الدولية على انه ظاهرة تنشأ من التعقيدات التي يعود تأريخها الى العشرينيات . وقد يكون لهذا التوضيح بعض الصحة بعد عدة سنوات من الحرب العالمية الثانية ، لكنه يفتقد للاساس في الثمانينات . وقد بين ماكس كامبلمان (Max Kampelman) ، رئيس الوفد الامريكي الى مؤتمر الامن الاوربي في مدريد بقوله : «ان البناء السوفيتي العسكري خلال فترة الانفراج في العلاقات الدولية قد فاق اي شئ ضروري للاغراض الدفاعية . وهو يعتبر قدرة هجومية او القدرة على شن هجوم مباغت»[١٠].

ويبقى تحطيم حلف الناتو احد الاهداف الرئيسة للمناورات السوفيتية السرية والمكشوفة . وقد وصل السوفيت تقريبا الى هذا الهدف عام ١٩٨٢ عندما تعرضت بلدان حلف الناتو للتهديد الجدي جراء المشاكل والخلافات الداخلية حول التكتيكات العسكرية والاقتصادية . وقد صرح المعهد الدولي للدراسات الستراتيجية في تقريره الستراتيجي السنوي في مايس ١٩٨٣ بأن الناتو اجتازت اصعب سنواتها في عام ١٩٨٢ . «فالضغوط بين اعضاء الناتو في حالة تراكم وهي تحتاج الى انفراج ، والنظرة المستقبلية البعيدة المدى تتسم بالقلق نوعا ما» . وكانت المشكلة الرئيسة التي ازمت العلاقات داخل الحلف هي الخلاف حول انابيب الغاز السايبيرية . فعندما اعلنت الحكومة البولونية ، وتحت ضغط من السوفيت قانون الاحكام العرفية عام ١٩٨١ ، فرض الرئيس ريغن حظراً على الصادرات التكنولوجية الامريكية ، بضمنها معدات مصنعة في اوربا للانابيب التي تنقل الغاز الطبيعي السوفيتي الى اوربا الغربية . وقد

رفضت معظم البلدان الاوربية الغربية الحظر ووصفت السياسة الامريكية بانها صورة للحرب الباردة والحرب الاقتصادية[١١].

ومن الواضح ، ان هدف السوفيت البعيد المدى هو توسيع المعسكر الاشتراكي والدفاع عن مكتسباته . والتفوق العسكري الساحق ، وهو هدف يجب تحقيقه في نهاية القرن ، سوف يسهل تحقيق هذا الهدف .

لعبة المخاتلة

يعلم المختصون العسكريون السوفيت ان الغربيين وخصوصا الامريكان المختصون بالشؤون السوفيتية . يحاولون وضع مجموعة كبيرة من البيانات في صورة منسجمة لكشف القدرات العسكرية السوفيتية ولتحريف التقديرات الامريكية قدر الامكان ، فأنهم يقومون بشكل منظم بتسريب معلومات كاذبة معتمدة على خطط تضليل طويلة الامد توضع في هيئة الاكان العامة للجيش السوفيتي ويصادق عليها المكتب السياسي للحزب الشيوعي .

وهناك اعتقاد خاطئ بأن الاقمار الصناعية الاستخبارية الامريكية والتي تحلق فوق اراضي الاتحاد السوفيتي لتلتقط صوراً للمنشأت العسكرية هي الجواب النهائي لمتطلبات المخابرات المعتمدة*. وتستطيع الاقمار الصناعية ان تجمع بوضوح زخما كبيرا من المعلومات الالكترونية ، منها صور المنشآت العسكرية والاسلحة وحركة الجنود . لكن ، وكما يتم تمويه العمليات العسكرية عن عين الانسان ، فأنها يمكن ان تموه كذلك لتحريف المعلومات التي يتم جمعها بواسطة الاقمار الصناعية .

ان مجموعة بلدان حلف وارشو ، وتحت الاشراف السوفيتي ، طورت خطة تضليل عسكرية طويلة المدى في منتصف الستينات لتضليل ستراتيجيات

---

* ان اكثر وكالة منتجة في التعامل مع هذا النوع من الاستخبارات هي مكتب الاستطلاع القومي . فهي تجمع مايسمى بالاستخبارات الالكترومغناطيسية ابتداءاً بمراقبة الاتصالات اللاسلكية التلفونية ذات الصفة العسكرية وانتهاءاً بتجديد المواقع والقدرات العسكرية لدفاعات العدو المضادة للصواريخ ومحطات الرادار .

الناتو . وكمثال على ذلك ، فأن هيئة الاركان العامة التشيكية وبالتعاون مع المخابرات والمخابرات المضادة التشيكية يسربون بأنتظام معلومات مزيفة حول القوة العسكرية التشيكية وموقع الوحدات العسكرية الرئيسية والتكنولوجيا المتطورة وتوفر بعض انواع الاسلحة لاجهزة المخابرات الغربية . وتعطى للعديد من العملاء المزدوجين الذين يعملون في الاراضي التشيكية لكل من المخابرات المضادة التشيكية واحد اجهزة المخابرات الغربية تضليلات منتظمة . وتشمل العملية بناء قواعد وهمية واطلاق صواريخ والنقل المشوش على مايبدو لوحدات متخصصة ومناورات مع رسائل ملفقة او مضللة . ويستخدم باقي اعضاء حلف وارشو تقنيات مشابهة .

ان ستراتيجية التضليل قد عادت بالفائدة على السوفيت في العديد من المرات . فعلى سبيل المثال وخلال الجولة الاولى من محادثات الاسلحة الستراتيجية (سالت ١ SALT 1) والمتضمنة الصواريخ العابرة للقارات (صواريخ الـ ICBM الثقيلة) في مايس ١٩٧٢ ، كان الروس قد انتجوا من قبل االصواريخ عابرة القارات الثقيلة (SS - 19) . وعندما اقترحت الولايات المتحدة بأن كلا الطرفين عليهما عدم تحويل قواعد اطلاق الصواريخ القديمة الى قواعد ملائمة للصواريخ العابرة للقارات الثقيلة ، فأن الروس لم يوافقوا على ذلك . وكانوا في عملية نشر صواريخ SS - 19 ورفضوا قبول اي تعريف للصواريخ العابرة للقارات الثقيلة . وقد ترك رفضهم فجوة رئيسة في شرط تطبيق قيود (سالت ١) على الصواريخ السوفيتية الثقيلة العابرة للقارات*.

وفي المحادثات مع الولايات المتحدة لتحديد الصواريخ التي تطلق من الغواصات ، طلب السوفيت حصة اكبر من الولايات المتحدة بسبب عدم

* أن ستراتيجية التضليل المستخدمة من قبل السوفيت خلال هذه المباحثات كانت قد كشفت من قبل ديفد س . سوليفان (David s - sullivan) وهو محلل سابق في وكالة المخابرات المركزية في مجلة Strategic Review عدد الشتاء ، لسان حال معهد الدراسات الستراتيجية الامريكي .

امتلاكهم لقواعد غواصات امامية بالمقارنة مع قواعد الولايات المتحدة في بريطانياالعظمى واسبانيا وجزر غوام (Guam) . وبعد قبول المفاوضين الامريكان للطلبات ، اخبر الدكتور كيسنجر لجنة الكونغرس بأنه وبسبب الاختلافات الجغرافية فأن الاتحاد السوفيتي يطالب بثلاث غواصات حاملة للصواريخ النووية مقابل غواصتين امريكيتين كي يستطيع ان يحتفظ باعداد مناسبة من مواقع القتال . لكن ، وحتى قبل تقديم مطالبهم ، فأن السوفيت كانوا قد طوروا من قبل صواريخ (SS - N - 8) بعيدة المدى والتي تطلق من الغواصات والتي يمكن اطلاقها على معظم الاهداف وبدون ان تترك موانئها في الوطن[١٢].

وعندما انهى الرئيسان نيكسون وليونيد بريجينيف المفاوضات حول حظر الصواريخ المتحركة العابرة للقارات ، فأنهما اتفقا شفهيا بأن بلديهما سوف لاينتجان صواريخ عابرة للقارات ، لكن السيد بريجنيف رفض توقيع الاتفاقية . وطبقا للسيد سيوليفان (Sullivan) ، فأن الروس موهوا واخفوا كل انتاج صواريخ (SS - 16) من المخابرات الامريكية وخزنوا بشكل سري حوالي ١٠٠ صاروخ SS - 16متنقل . ويمكن ان تحول بسهولة الصواريخ متوسطة المدى من نوع (SS - 16) الى صواريخ عابرة للقارات والتخزين السري يجعل الروس على قدم المساواة مع مجال النظام الصاروخي المتنقل ، متعدد الاهداف ، والمقترح له من قبل الامريكان حتى قبل انتاج ونشر مثل هذه الصواريخ او حتى التخطيط لها[١٣].

لقد جمعت المخابرات الامريكية معلومات حول جيش الكتلة السوفيتية والتطورات الستراتيجية من خلال مصادر مختلفة خلال السبعينات ، لكن المصدر الاكثر اهمية كان قمر المراقبة (KH - 11) . وتستطيع عدسات هذا القمر ان تميز بين الافراد المدنيين والجيش من ارتفاع يصل الى ٢٠٠ ميل . وتستطيع اجهزته الحساسة المتعددة الموجات والتي تعمل بالاشعة تحت الحمراء ان تتعرف على مواقع الاشياء مثل الدبابات والقاذفات والصواريخ في الليل والتمييز بين نباتات التمويه والنباتات الاصطناعية وبين الاشجار

والنباتات الحقيقية* . وطالما بقيت هذه التكنولوجيا المتفوقة للتجسس سرية فأن الولايات المتحدة بأمكانها التأكد بشكل معقول من ان السوفيت لايستطيعون القيام بهجوم مفاجئ ضد الغرب . لكن التفوق المأخوذ من قمر المراقبة (KH - 11) لم يدم طويلاً . ففي آذار ١٩٧٨ ، زود احد ضباط الـ (CIA) وهو برتبة واطئة ، واسمه وليم كامبايلن (٢٣ سنة) ، زود الـ KGB بكتيب عن الـ (KH - 11) في اثينا ، «اليونان» مقابل ٣٠٠٠ دولار . ومنذ ذلك الوقت عرف الروس مافيه الكفاية عن الرادارات متعددة الموجات والاشعة تحت الحمراء الموجودة على القمر KH - 11 لاتخاذ اجراءات مضادة مؤثرة وتغذية النظام بالتضليل . ومن بين اوائل الاشارات التي المحت لمختصي الامن الامريكان بأحتمالية معرفة الروس بمميزات الـ (KH - 11) جاءت بعد فترة قصيرة من بيع الكتيب وذلك عندما نقل القمر الصناعي تحركات ارضية روسية كانت قد اتخذت لارباك المحللين الامريكان .

وقد أتهم كريستوفر جون بويس (Chrnistopher John Boyce) وصاحبه اندرو دولتون لي (Andrew Dauldon Lee) الموظفين في مجموعة انظمة TRW في كاليفونيا عام ١٩٧٧ لمحاولة بيعهما وثائق تخص نظام القمر الصناعي الذي يعود لوكالة المخابرات المركزية والمعروف بأسم (Pyramider) الى الوكلاء السوفيت في مدينة مكسيكو . ولم ينشأاو ينتج النظام ابدا . وقد كشف التحقيق عام ١٩٧٩ بأن الرجلين كاناقد باعا للسوفيت بيانات حول القمرين الصناعيين للمراقبة والموجودين فعلاً وهما رايوليت و آرغوس (Rhyolite and Argus) والذين استخدما لالتقاط اشارات تلفزيونية منقولة من قبل الصواريخ السوفيتية خلال اطلاقات الاختبار . وقد استخدم محللو وكالة المخابرات المركزية المعلومات المجهزة من رايوليت وآرغوس لمتابعة تطورات الصواريخ السوفيتية القاذفة وانظمة دخولها المتطورة للغلاف الجوي مرة ثانية .

* بخلاف اجهزة التجسس الاخرى التي تسجل المعلومات على الافلام وتسقطها بشكل دوري الى الاض في كبسولات (عملية عالية التعقيد والمخاطرة) ، فأن المعلومات من القمر الصناعي - KH 11 تنقل حالا الى محطات ارضية في شفرات الكترونية مرقمة .

وبعد مايقارب الستة اشهر من القاء القبض على بويس ولي ، اندهش المحللون او الخبراء العسكريون الامريكان عندما بدأ الاتحاد السوفيتي حل شفرات من صواريخه المستخدمة للاختبار . والاجراء الجديد هو جزء من لعبة تضليل مبنية على مواد اعطيت لهم من قبل الاميركان . وقد عرف الامريكان مافيه الكفاية عن الاقمار الصناعية الاستطلاعية لتطوير نظام تضليل قادر على تحطيم قيمة الاقمار الصناعية . والمعرفة المفصلة للتكنولوجيا المتخصصة سهلت تصميم اجراءات مضادة منها تمويه طبيعي لمواقع دفاعية مشابهة او نقل التضليل لارباك الاقمار الصناعية[١٤].

في تشرين الثاني ١٩٦٩ ، نفى الرئيس نيكسون اول استخدام للاسلحة الكيمياوية من قبل الولايات المتحدة في حالة الحرب وبعدها كبح وجود الاسلحة الكيمياوية في الترسانات الامريكية . وقد تأثر قراره بحملة التضليل السوفيتية المصممة لاقناع واشنطن بأنه في حالة استمرار الولايات المتحدة في انتاج وتخزين الاسلحة البايولوجية والكيمياوية ، وخاصة غاز الاعصاب ، فأن الاتحاد السوفيتي سوف يبدأ ببرنامج ساحق لمجاراة القدرات الامريكية . لكن السوفيت يمتلكون بالفعل هذه الاسلحة وبكميات كثيرة .

وقد وقع الاتحاد السوفيتي مع ١١٨ دولة اخرى على معاهدة الاسلحة البايولوجية في عام ١٩٧٢ والتي تحرم تطوير وانتاج وتخزين او اختبار الجراثيم القاتلة او المواد السامة ، ماعدا الكميات المختبرية الصغيرة للبحث الطبي . وبعد ان دخلت المعاهدة حيز التنفيذ في عام ١٩٧٥ ، حصلت مخابرات الولايات المتحدة على دليل (هو بالدرجة الرئيسية صور من أقمار التجسس) تبين بأن السوفيت قد يبنون او يوسعون مصانع لصنع الاسلحة البايولوجية في زاغورك وسفيردلوفسك (Zagorsk and Sverdlovsk . وقد قرر كل من فورد وكارتر عدم القيام باي تحري رسمي طالما ان السوفيت قد يفسرون مثل هذا الاجراء بأنه موجه ضد الانفراج[١٥].

ان سفيردلوفسك (Sverdlovsk) وهي مدينة عدد سكانها ٢ مليون نسمة ، تقع بمسافة حوالي ٨٧٥ ميل الى الشرق من موسكو وتعتبر احدى المناطق الصناعية وهي عادة خارج حدود اطلاع الاجانب بسبب صناعتها العسكرية .

وفي نيسان ١٩٧٩ ، مات عدة مئات من الاشخاص من جراء مرض مجهول كان يعتقد بأنه احد اشكال الجمرة الرئوية المعدية . وقد اورد العديد من المهاجرين من الاتحاد السوفيتي الى الولايات المتحدة عن الحادث وسط انتشار اشاعات مفادها ان المرض كان بسبب تعرض عدد كبير من الناس الى عامل بايولوجي قاتل . وقالوا ايضا بأن الجيش السوفيتي قد خزن مواد حيوية حربية بالقرب من سفيردلوفسك وانه انجز او نفذ تجارب في الحرب البايولوجية منذ عدة سنوات[١٦]. وقد ادلى مارك بوبوشسكي ، وهو مهاجر من الاتحاد السوفيتي ومؤلف لعدد من الكتب في العلوم البايوطبية بشهادته امام اللجنة الدائمية المنتخبة للمخابرات في ٢٩ مايس ١٩٨٠ بأنه كان على علم عندما كان يعيش في الاتحاد السوفيتي بأن مؤسسات عسكرية سرية كانت تعمل في مجال الاسلحة الجرثومية في كروف وسفيردلوفسك ، ومما قاله في هذا الصدد :

> ان الطاعون والحمى المتقطعة والكزاز والجمرة الخبيثة والحمى الصفراء كانت من الامراض المعدية التي يعمل عليها المختصون السوفيت في هذه المجمعات السرية ... وفي شباط [١٩٨٠] تلقيت رسالة سرية أرسلت لي من موسكو في كانون الثاني ، والتي اعلمني فيها صديق بأنه في الربيع الماضي انتشر مرض في سفيردلوفسك بعد انفجار في ابنية بكتريولوجيه سرية ... ولمْ تعرف طبيعة المرض ، لكنه يعتقد بأنه نوع قريب جداً من الجمرة الخبيثة[١٧].

وازاء تصاعد الادله بأن المرض الوبائي كان بسبب احياء جرثومية حربية ، فأن وزارة الخارجية ابلغت اخيراً سفير الولايات المتحدة في موسكو ، توماس حي واتسون (Thomas J . Watson) بعمل استفسار رسمي في الموضوع . وبالرغم من ان وزير الشؤون الخارجية السوفيتي نفى التقارير الغربية ووصف الاستفسار بأنه افتراء طائش واحد وسائل الدعاية الامريكية ، فأن احد رسائل وزارة الخارجية السوفيتية الى السفارة الامريكية في ٢٠ آذار ١٩٨٠ اعترفت بأنتشار مرض الجمرة لكنها قالت بانه كان نتيجة لاهمال في اجراءات انتاج اللحوم في احد المصانع المحلية . وبعد التحقيق في

كل الدلائل ، اعطت المخابرات الامريكية الى اللجنة المنتخبة للمخابرات في مجلس النواب دليلاً في حزيران ١٩٨٠ بأن وباء الجمرة في سفيردلوفسك كان بسبب حادث في المنشأة الحربية البايولوجية والتي تعرف بالمؤسسة العسكرية ١٩ والتي سببت انتشار الجراثيم في الجو[١٨].

وبعد حادثة سفردلوفسك ، اكدت سلسلة من الحوادث في لاوس وكمبوديا وافغانستان بأن الاتحاد السوفيتي كان قد انتج واستخدم الاسلحة الكيمياوية والجرثومية على نطاق واسع بالرغم من توقيعه عام ١٩٧٢ على معاهدة تحريم صنع ونقل العوامل البايولوجية القاتلة والمواد السامة واستخدامها كأسلحة . واثناء تواجد المراسل الصحفي الامريكي كالين غير (Calen Geer) في افغانستان في مهمة لمجلة (Soldier of Fortune) في ربيع عام ١٩٨٠ ، وبعد رجوعه الى الولايات المتحدة حمل معه عدة مواد من المعدات العسكرية السوفيتية بضمنها مرشح غاز الاعصاب وقاذفة صواريخ تحمل باليد وشظايا لمواد محرقة مشابهة للنابالم[١٩]. وقد ادلى مئات اللاجئين الافغان والمرتدين والاطباء والذين عولجو كضحايا للهجمات الكيمياوية ، وكذلك الصحفيين الذين زاروا افغانستان مابين صيف عام ١٩٧٩ وصيف عام ١٩٨١ بالعديد من حوادث الهجمات الكيمياوية ، وقد اعلنت وزارة الخارجة في آذار ١٩٨٢ بأنه وخلال نفس الفترة ، حدث مايقارب الـ ٤٧ هجوما كيمياويا اسفر عن (٣٠٤٢) حالة وفاة موثقه[٢٠]. وقد انتهى تقرير وزارة الخارجية المقدم الى الكونغرس حول الاستخدام السوفيتي للحرب الكيمياوية في لاوس وكمبوديا وافغانستان الى القول «بأن السموم وعوامل الحرب الكيمياوية الاخرى كانت تصنع في الاتحاد السوفيتي وتعطى للاوسيين والفيتناميين بشكل مباشر او من خلال نقلها عن طريق مصادر موثوقة تستخدم بمساعدة السوفيت في لاوس وفيتنام وكمبوتشيا»[٢١].

وكان رد فعل الحكومة السوفيتية والصحافة بطريقة متوقعة ، فقد وضعت صحيفة سوفيتسكايا روسيا (Sovietskaya Rossia) في ٢٩ آذار ١٩٨٠ الدليل بأنه افتراء دعائي حيث اوردت في هذا العدد :

في الحملة الدعائية الحالية والتي تأتي في خط منسجم مع المحاولات الرامية لتسخين الجو وجعله اسهل للحصول على الدعم المالي للاسلحة الكيمياوية ، بدأت الافتراءات بالانتشار في الولايات المتحدة حول استخدام السوفيت لمثل هذه الوسائل في الحرب في افغانستان . ماذا يعني هذا ، هل ان الولايات المتحدة تريد ان تفرض سباقا في اسلحة الحرب الكيمياوية كجزء من برنامجها التسليحي الجديد[٢٢].

عدوى المخدرات

ان مايقارب ١٦٠٠ جندي امريكي متمركز في المانيا الغربية خلال عام ١٩٧٣ كانوا يعالجون كل شهر من ادمان المخدرات . وبعد خمس سنوات ، قدرت لجنة خاصة تابعة للكونغرس بأن حوالي ١٦٠٠٠ جندي من مجموع ٢٥٥,٠٠٠ جندي امريكي موجود في المانيا الغربية قد اصبحوا غير جاهزين للقتال بسبب الادمان على المخدرات . والاكثر خطورة ، فأن الادمان على المخدرات قد انتشر بين الافراد المخصصين لبرنامج الاسلحة النووية . وقد عبر وزير الخارجية سايروس فانس في اجتماع وزراء الناتو في تشرين الثاني ١٩٧٩ عن قلقه من العدد المخيف من حوادث الموت الناتجة عن الادمان على المخدرات بين صفوف الجنود الامريكان المتواجدين في المانيا الغربية وعبر ايضا عن قلقه بأن الاستخدام المسرف للمخدرات قد يؤثر على الاستعداد العسكري[٢٣].

ومنذ سنوات ، راقب الستراتيجيون العسكريون الشيوعيون وبقدر كبير من السعادة ادمان الجنود الامريكان وبقية جنود حلف الناتو على المخدرات لانهم يعلمون بأن ذلك قد يحطم الاستعداد العسكري لحلف الناتو . وقد حاولت مختلف البلدان الشيوعية ان توسع من المشكلة .

فقد اصبحت جمهورية الصين الشعبية متورطة في تجارة المخدرات في الخمسينات وبهدفين رئيسيين هما : الحصول على العملة الاجنبية واضعاف الغرب بتسميم جيل الشباب . اما الهدف الثاني فكان تبريرا سياسيا لكل العملية . ولم يصدق او يعتقد القادة السياسيون في الصين بأن عملية تهريب المخدرات الى الغرب سوف تغير الى حد كبير من ميزان القوى الحالي وقد اوقفوا العملية في منتصف الستينات . وقد تبنى الحزب الشيوعي البورمي

وبقواته المسلحة المؤلفة من ١٢,٠٠٠ رجل يسيطرون على مساحات واسعة من سهل شان في بورما ، تكتيكات مشابهة في عام ١٩٨١ . وكانت المنطقة مركز رئيسي لزراعة الخشخاش المنوم (Opium Poppy) في جنوب شرق اسيا ، وقد استخدمها الحزب الشيوعي البورمي للحصول على عمله اجنبية وليست لتحقيق أية اهداف سياسية .

وقد كانت الطريقة السوفيتية مختلفة . وغالبا ماينأقش المختصون في الاجراءات السرية فكرة تجهيز الجنود الامريكان وبأنتظام بكميات كبيرة من المخدرات ، لكنهم لم يقرروا حول احسن الطرق العملية . وقد قرروا في اوائل السبعينات السماح بمرور المخدرات من الشرق الاوسط الى اوربا الغربية من خلال اوربا الشرقية . ومعظم الخشخاش المنتج في ايران وافغانستان وباكستان يصفى الى هيروين ثم ينقل الى اوربا الغربية من خلال تركيا وبلغاريا ويوغسلافيا . وقد اكتشف وكلاء المخدرات الامريكان بان هناك كميات كبيرة من المخدرات كانت تدخل بصورة غير شرعية وتمر من خلال بلغاريا الى اوربا الغربية . وقد صادر البوليس البلغاري بعض الهيروين ، لكن بدلاً من اعلانه فأنه كان يبيعها الى مهربين آخرين يضمن لهم مرور آمن[٢٤].

وتعتبر برلين الشرقية احدى نقاط العبور المهمة الاخرى في الطريق بين الشرق الاوسط والمانيا الغربية . وقد وصفت حملة الكونغرس حول سوء استخدام المخدرات المانيا الشرقية بالشريك الصامت في تجارة او تهريب المخدرات والموجهة لافراد الجيش الامريكي في برلين الغربية والمانيا الغربية . وقد ادلى رئيس حملة الكونغرس للمخدرات غلين انكلش (Glenn English) بهذا الكشف المروع في عام ١٩٧٨ حيث قال : «تقريبا ، كل الهيروين المستخدم من قبل افراد الجيش الامريكي في برلين الغربية واكثر من ٦٥٪ من الهيروين المستخدم من قبل العسكرين في المانيا الغربيةكان ينقل بالتعاون الاكيد للحكومة الالمانية الشرقية»[٢٥]. وقد جاء الدليل الاخير حول تورط البلدان الشيوعية في تهريب المخدرات في آذار عام ١٩٨٢ عندما كشف محققو مجلس الشيوخ عن دليل لتورط كوبا في تهريب المارجوانا والكوكايين من كولومبيا الى الولايات المتحدة . ولم تعرف بوضوح اهداف العملية التي اشترك فيها رجال

المخابرات الكوبية وبموافقة المسؤولين الحكوميين ، لكن قد ينظر للعملية بأنها اسهل طريقة للحصول على العملة الغربية[٣١].

وبالرغم من الدليل الاخير عن التورط الشيوعي ، فأن الـ KGB فقدت في السنوات الاخيرة بعضا من حماسها لاستخدام المخدرات كأسلحة ضد قوات الناتو ، وربما يعرف المسؤولين السوفيت بخطر تنامي الادمان على المخدرات في اوربا الغربية ، فمن الممكن ان يصيب بالعدوى حتى بيئتهم(*) . والاهم من ذلك ، ان ادمان المخدرات بين افراد الجيش الامريكي المخصصين لواجبات تخص الاسلحة النووية قد يبدأون بسهولة بنزاع نووي رئيسي وحتى بدون علم واشنطن .

حروب التحرير الوطنية

ان اكثر الاجراءات العسكرية الفعالة التي اتخذت من قبل المخابرات السوفيتية تأثيراً هي ربما نشاطات دعم «حروب التحرير الوطنية» في البلدان النامية . وقد وفر تداعي الانظمة الاستعمارية القديمة بعد الحرب العالمية الثانية فرصة جديدة لملْ الفراغ الذي ترك بعد مغادرة القوى الاستعمارية . وبعض المستعمرات البريطانية والفرنسية او البرتغالية السابقة مثل فيتنام وانغولا ، اما ارتبطت مباشرة بالمعسكر السوفيتي ودول ماركسية ـ لينينية او اصبحت مرتبطة معه ارتباطا وثيقا مثل الكونغو ـ برازافيل وغينيا ومصر (مايقارب الخمسة عشر سنة) . وقد سجل السوفيت نجاحات مهمة في النصف الغربي للكرة الارضية في كوبا ، لكن هذا النجاح تبعه اكثر من قرن من الزمان بدون توسع سوفيتي .

ويبدأ التمرد عادة في جو من الاضطهاد السياسي والاقتصادي غير العادل . ان النجاح السوفيتي في التأثير على الحروب الوطنية التحررية واستغلال

---

* ذكر المهاجرون القادمون من الاتحاد السوفيتي مؤخراً تنامي استخدام المخدرات مثل اناشا (وهو شكل من الحشيشة وتشفير (هو منبه يصنع من غلي اوراق الشاي) بين الشباب السوفيتي (انظر نيويورك تايمز ، ٨ حزيران ١٩٨٢ ، ص ١ ـ ٢٧ .

طموح الامم النامية للنقد الاقتصادي والحرية والعدالة قد نشأ بشكل كبير عن الاخطاء وعدم الحساسية الامريكية . وعندما يتشرب الفقراء والمضطهدين بأيديولوجيات الثورة والتصميم على دحر النخبة الحاكمة ، فأن المسؤولين الامريكان يقدمون اقتراحا لارسال عدة خبراء عسكريين امريكان لمقاتلة المتمردين . والفكرة القائلة بأن اليسار المتطرف يسهل دحره بالدعم المكثف لليمين المتطرف هي فكرة خاطئة بالاساس لاننا نسيء الى الغالبية العظمى من الناس الذين يعتقدون ان التغيير الاساسي هو ضروري في البلدان النامية مما يدفع فاقدي الامل او المتشائمين الى الوقوع في احضان السوفيت .

ان توفير الدعم السري او المكشوف للفدائيين اليساريين يوفر للسوفيت المفتاح السحري للتأثير المستقبلي على البلد عندما تنتهي الحرب . والرابح الممتن يفتح عادة الباب لتأثير الكتلة السوفيتية المتعددة الاوجه وفي النهاية يصبح الهدف والضحية للامبريالية السوفيتية . وقد تختار موسكو احد البلدان الدائرة في فلكها مثل كوبا والمانيا الشرقية او تشيكوسلوفاكيا لايقاع الضحية في شراك اللعبة السياسية والاعتماد العسكري على اوربا الشرقية وبالتدريج تجعله اكثر استجابة للرغبات السوفيتية .

ويتخذ التدخل لبلدان الكتلة السوفيتية في الحروب من اجل التحرر الوطني اشكالاً عديدة ، اولها التدريب العسكري والتعليم السياسي للفدائيين وخاصة الافراد الذين يكونون مؤهلين لان يصبحوا قادة او آمرين . بالاضافة الى الـ KGB ، فأن اجهزة مخابرات كوبا والمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا تلعب بوجه خاص ادواراً مهمة في الكشف عن الاشخاص الموهوبين لقيادة الجماهير وذوي القدرة القيادية . وغالبا مايتم الاتصال بهم ثم يرسلون بالتدريج الى احد بلدان اوربا الشرقية لتلقي المزيد من التدريب السياسي . وللحيلولة دون الحاق اي ضرر بالمستقبل السياسي لهؤلاء الاشخاص ، فقد تنظم الرحله بشكل سري وبمساعدة وثائق سفر مزورة ومن خلال طرق سرية . فالفدائي السلفادوري المسافر الى تشيكوسلوفاكيا مثلاً ، قد يطير الى النمسا حيث يقابل هناك ضابط مخابرات تشيكوسلوفاكي يقوم بتبديل جواز سفره بوثيقة سفر تشيكية مع معلومات شخصية مزورة . وبعدها فقط يقوم الشخص بعبور

حدود البلد الشيوعي . وبعد عدة اسابيع او شهور ، يترك البلد من خلال نفس الطريق السري وتبقى اوراقه السرية غير مكشوفة . وتدريب الفدائيين ليس مسألة قياسية ، او برنامج واحد للكل ـ لكنه مصمم ليقيس الحاجات الخاصة لمجموعة التحرر او الثورة . ويصبح المشاركون على علم بأستخدام الاسلحة النارية والمتفجرات ومن ثم يتعلمون الاجراءات الامنية الاساسية ضد الاختراق السياسي لاستخبارات وشرطة العدو وكذلك تقنيات الاتصالات السرية . ويعتبر تلقين الافكار السياسية جزءاً من برنامج التدريب ، لكن السوفيت في الفترة الاخيرة ابدوا مرونة لابأس بها في تحمل الافكار القومية المغالية والمعتقدات الدينية .

ان تزويد مجموعة الفدائيين بالاسلحة والاتصالات والمواد الاخرى وكذلك المستشارين هو شكل آخر من اشكال التأثير السوفيتي . ان المستشارين الكوبيين او الالمان الشرقيين الذين يعتبرون نظريا خبراء خارجيين ليس لهم دخل في الخلاف اللامنتهي بين الاطراف المحلية المتحاربة بقيادة قوة سياسية كبيرة . وقد تكون نصائحهم العسكرية صعبة التطبيق حتى ولو على حساب حياة العديد من المراتب في مجموعات الفدائيين وكذلك قادتهم والذين قد يتأثرون بعمليات عسكرية مفجعة اذا ماابدوا نوايا «سياسية قد تكون خطرة» . ويعتبر المستشارون ايضا مصادر استخبارية قوية . وكمثال على ذلك ، فقد زود الـ (٥٠٠٠) مستشار سوفيتي المتواجدون في افغانستان قبل غزو كانون الاول ١٩٧٩ قيادة الغزو الروسي بمعلومات حول معنويات القوات المسلحة الافغانية ومواقع وحدات الجنود الافغان وولاء الضباط وما الى ذلك .

وطبقا لتقديرات الحكومة الامريكية ، فأن هناك حوالي ١٠٠٠ مستشار سوفيتي يعملون في انغولا عام ١٩٨١[٢٧]. وحتى ذلك الحين ، فقد نفى السوفيت جملة وتفصيلاً اي وجود عسكري في انغولا حتى ولو على صعيد المستشارين . ولكن خلال الغارة التي شنها جيش جنوب افريقيا على انغولا عام ١٩٨١ ، فقد وقع في الاسر الرقيب الاول نيقولاي فيدروفتش بترتسوف ستوف (Nikolai Fedorovich Petretsov) ، وهو مستشار روسي شارك في حرب الفدائيين ضد نظام ناميبيا ، وهو اقليم كان سابقا واقعا تحت انتداب

جنوب افريقيا ولفترة اسابيع لم ينطق السوفيت ، لكنهم اخيراً وافقوا في عام ١٩٨٢ على استبدال عدة عملاء اوربيين غربيين القي القبض عليهم في بلدان الكتلة السوفيتية بـ (بيترتسوف) .

واذا ماكانت النتائج المحتملة تبشر بنجاح ولاتبدو المغامرة خطرة جداً ، فأن السوفيت قد ينشرون قواتهم الخاصة . وطبقاً لبيانات جمعت من قبل مجلة اليواس يواس نيوز اند ورلد ريبورت (U . S News and World Report) في عام ١٩٨١[٢٨]، فأن بلدان الكتلة السوفيتية تحتفظ بقوة عسكرية (٢٠٠ او اكثر من القطعات أو المستشارين العسكريين) في البلدان التالية : نيكاراغوا (١٠٠٠ كوبي) وافغانستان (٨٥,٠٠٠ روسي) وكمبوديا (٢٠٠,٠٠٠ فيتنامي و ٢٠٠ روسي) والعراق (١٠٦٥ روسي) ولاوس (٥٠٠٠٠ فيتنامي و ٢٠٠٠ روسي) واليمن الجنوبي (١١٠٠روسي و ٢٠٠ كوبي و ١٠٠ الماني شرقي) وسوريا (٢٤٨٠ روسي) والجزائر (١٠١٥ روسي و ٢٥٠ الماني شرقي) وانغولا (١٥٠٠٠ ـ ١٩٠٠٠ كوبي و ١٠٠٠ روسي و ١٠٠٠ الماني شرقي) والكونغو (٤٠٠ ـ ٨٠٠ كوبي و ٢٠ الماني شرقي) واثيوبيا (١١٠٠٠ ـ ١٣٠٠٠ كوبي و ١٠٠٠ روسي) وليبيا (١٨٢٠ روسي و ٤٠٠ الماني شرقي)وموزمبيق (٦٠٠ الماني شرقي و ٥٢٥ روسي) .

وحتى منتصف السبعينات ، ركز السوفيت محاولاتهم على دولٍ مثل انغولا واثيوبيا التي حددتها الولايات المتحدة على انها اراضي خارج مصالحها الوطنية . الا انهم ومنذ العام ١٩٧٨ كثفوا من عملياتهم السرية لاثارة العنف المسلح وزعزعة استقرار عدة حكومات في النصف الغربي من الكرة الارضية وخاصة في نيكاراغوا والسلفادور وغواتيمالا . وقد لعبت كوبا دورا رئيسا ليس فقط في ترتيب تجهيز الاسلحة الى المتمردين في نيكاراغوا والسلفادور لكن ايضا في مساعدة المتمردين للقيام بحملات عامة مكثفة للحصول على التعاطف في كل من الولايات المتحدة وفي بلدان اخرى .

وعندما وصل مراسل محطة التلفزيون (NBC) آرثر أي لورد . (Arthur A Lord) الى نيكاراغوا عام ١٩٧٨ ، كان مغموراً بالاهتمام الذي تلقاه من نظام سوموزا بالاضافة الى متمردي الساندنستا (Sandinista) حيث كتب يقول :

بعد ٣٥ دقيقة من وصولي الفندق ، رن جرس التلفون في غرفتي «سيد لورد ، اسمي لاكايو (lacayo) هذا ماقاله بصوت ذي لكنه خفيفة . «انني امثل لجنة الطلبة من اجل نيكاراغوا الديمقراطية . ستجري غدا تظاهرة ضد الحكومة من قبل ١٠٠ امراة في بناية الامم المتحدة في مركز المدينة . وفي الجامعة الحرة سوف يقوم الطلبة بنصب الحواجز وفي ماتاغالبا (Matagalpa) ، سوف يحاول المتظاهرون الاستيلاء على مقر الحرس الوطني . اي واحدة منها سوف تغطي» ؟ لقد اصبت بدوار ، كيف عرف هذا المخلوق بوجودي هناك[٢٩]؟

وقد اصبح «المخلوق» مصدرا مهما جدا للمعلومات ، وكما تصاعدت الحرب الاهلية ، كذلك تصاعدت محاولات استغلال الاعلام ـ فبينما يقوم سوموزا بأستخدام مستشار امريكي في العلاقات العامة لترتيب اتصالاته مع الصحافة ، فقد نفذ فدائيو الساندنستا (Sandinista) عدة عمليات ذات اهداف دعائية وليست عسكرية . وكمثال على ذلك ، فقد هاجموا القصر الوطني في ماناغوا (Managua) في آب ١٩٧٨ واستولوا على ١٥٠٠ رهينة واطلقوهم بعد ان دفع لهم سوموزا ٥٠٠,٠٠٠ دولار واطلق سراح ٥٩ سجين سياسي وضمن لهم خروج آمن من البلاد . وقد آثارت الصفقة رغبة كبيرة بين المراسلين الاجانب بضمنهم الصحافة الامريكية التي ساعدت الساندنستا في الحصول على تعاطف هام .

وبعد انتصار الثوار بقيادة الماركسيين في نيكاراغوا خلال عام ١٩٧٩ ، وجه السوفيت اهتمامهم الى السلفادور وغواتيمالا وكولومبيا . وعندما تصاعد الصراع في السلفادور الى حرب اهلية ، اصبحت ادارة ريغن الجديدة في حالة أنذار وفي شباط ٢٣ ١٩٨١ اصدرت مايدعى بالورقة البيضاء حول السلفادور . ان الورقة البيضاء المبنية على اساس وثائق الفدائيين الذين وقعوا في الاسر والمخابرات الامريكية قدمت دليلا على ان العديد من الاسلحة المستخدمة من قبل فدائيي السلفادور كانت تجهز من قبل البلدان الشيوعية من خلال نيكاراغوا ، والوثائق السرية التي تم الحصول عليها من الفدائيين كشفت بأن الاتحاد السوفيتي وكوبا وافقتا في عام ١٩٨٠ على ارسال كمية كبيرة من الاسلحة الى المتمردين . وقد بينت الورقة ايضا بأن قائد فدائي سلفادوري يعرف بأسم شفيق هاندال (Shafik Handal) ، وهو السكرتير

العام للحزب الشيوعي السلفادوري ، كان قد زار عدة عواصم اوربية شرقية وفيتنام واثيوبيا في عام ١٩٨٠ وبعد رجوعه ، اعلن ان البلدان الشيوعية وافقت على توفير الاسلحة والبدلات العسكرية والمعدات العسكرية الاخرى لعشرة الاف فدائي[٣٠]. وبعض الاسلحة كانت من صنع امريكي وان ارقام تسلسل البنادق ام ـ ١٦ (M - 16) الامريكية كشفت بأن هذه الاسلحة قد استولى عليها الاعداء في فيتنام عام ١٩٧٤ . وبالرغم من ان الدليل المادي على تعاون كوبا ونيكاراغوا في ارسال الاسلحة الى الفدائيين في تشرين الثاني وكانون الاول من عام ١٩٨٠ كان مشكوكا به وامر بديهي تقريبا ، فأن صحافة بلدان الكتلة السوفيتية وصحافة الجناح اليساري لفدائيي السلفادور وحتى صحافة الولايات المتحدة فيما بعد انتقدت الوثيقة بشدة . وكان الموضوع الرئيسي للجدال هو دور الاتحاد السوفيتي والى اي درجة كانت مشاركته في ارسال الاسلحة . وقد اوردت الانتقادات بأن ملاحق الوثائق الملحقة بالورقة لم تدعم تماما الخلاصة حول دور الاتحاد السوفيتي لأن ١٠/١ من الاسلحة السوفيتية المقدمة والمرسلة الى نيكاراغوا نوقشت في الملاحق ، وحتى ان وكيل الـ (CIA) السابق المرتد الذي تحول الى دعائي للـ KGB ، فليب اجي (Philip Agee) ، اتهم بأن الوثائق كانت مجرد تلفيقات[٣١]، وقد اكتسب اتهامه سمعة واسعة .

وقد انتقدت فيما بعد صحيفتان يوميتان وهما الواشنطن بوست ومجلة وول ستريت جورنال الورقة البيضاء بسبب عدم توثيق العلاقات بين شحنات الاسلحة الشيوعية والمشاورات السياسية بين فدائيي السلفادور ومسؤولي الكتلة السوفيتية . وقالت الواشنطن بوست بأنها لم تستطع ايجاد «دليل مادي لدعم جدل وزارة الخارجية بأن مايقارب من ٢٠٠ طن من الاسلحة كانت قد شحنت الى السلفادور» .

وبينما استمرت الصحافة بمناقشة صحة الاستنتاجات التي قدمتها الورقة البيضاء ، فقد بدأ الدليل المادي للاسلحة التي تدخل السلفادور بالظهور ، وعندما زار هانس ـ جيرغن ويسجنوسكي (Hans Jurgen Wischnewski) ، نائب رئيس الحزب الديمقراطي الاشتراكي الالماني الغربي كوبا في نيسان

١٩٨١ ، وناقش موضوع شحنات الاسلحة الشيوعية الى السلفادور مع فيدل كاسترو ، لم ينفي الرئيس الكوبي شحنات الاسلحة لكنه اصر بأن الاتحاد السوفيتي لم يتدخل[٣٣].

ويوضح الجدل حول الورقة البيضاءالفائدة التي جناها الاتحاد السوفيتي في المعركة الدعائية ضد الولايات المتحدة . فالتورط الكوبي في السلفادور كان اكيدا وواضحا ، لكن المشككين رفضوا تصديق ان ذلك يشتمل تلقائيا على الاتحاد السوفيتي .

الدعاية مع الحرب والسلام
«افضل ان اكون احمر بدلاً من ان اموت»

عندما ادلى آرنود دي بور تشغريف (Arnaud de Borchgrave) ، وهو مراسل سابق لمجلة النيوزويك (Newsweek) وكاتب مشارك لرواية سياسية بعنوان الشوكة (The spike) بشهادته امام اللجنة الفرعية الجديدة للامن والارهاب التابعة لمجلس الشيوخ في ٢٤ نيسان ١٩٨١ ، اثار الاهتمام الى الدليل القاطع بأن الاتحاد السوفيتي كان يلعب «دوراً رئيسيا في تكوين جماعة ضغط مضادة للاسلحة النووية» ، وسمى احد المنظمات التي تعرف بالتحرك من اجل البقاء على انها احدى منظمات الواجهة السوفيتية ، وهي تعمل كغطاء لحوالي ١٤٠ مجموعة مناهضة للقوة النووية ومنظمة مضادة للحرب ، وبهذا الغطاء نظمت منظمة التحرك من اجل البقاء عدد من التظاهرات ضد مصانع القوة النووية والاسلحة النووية .

وقد اثارت شهادة دي بوتشغريف اتهاما من قبل المنظمات الليبرالية اليسارية بظمنها منظمة الامريكان من اجل العمل الديمقراطي ، بأن جلسة مجلس الشيوخ كانت غير صحيحة . وقد صرحت منظمة التحرك من اجل البقاء بأن شهادة دي بورتشغريف اعادت الى الاذهان القمع والتخويف الذي شهدته قضية مكارتي (Macarthy) وسألت عضو مجلس الشيوخ دينتون (Denton) رئيس اللجنة الفرعية بعدم «السماح لاي تهم مستقبلية لاتمتلك

الدليل المادي وذات تأثير ضار بالدخول الى سجلات لجنته»[٣٣]. هل صحيح ان الـ KGB تشجع بسرية جماعة الضغط المناهضة للاسلحة النووية والمنظمات المضادة للعسكرية ، او هل ان شهادة السيد دي بورتشغريف هي اتهام غير مادي للدوغمائية السياسية ؟

وسوف يكون من الخطأ ان نصف كل تظاهرة او شهادة مضادة للعسكرية كجزء من حملة دعائية شيوعية مصممة بأنتظام . ان الخوف من الحرب النووية هو خوف حقيقي واهتمام ذاتي يؤثر على ملايين الناس ذوي التفضيل السياسي البعيد كل البعد عن الشيوعية . ومن الخطأ السياسي وصف هؤلاء الناس بالشيوعيين السذج بالاضافة الى المعاني السياسية المحتملة والاضافية . لكن من الخطورة ايضا ازاحة كل الادلة التي تثبت التورط السوفيتي والتعلل بالامل بسذاجة بأن مؤيدي السلام في الشرق والغرب سوف يتوحدون تحت علم الانسانية ويتفقون بسعادة فيما بعد والى الابد .

وقد اغتنم السوفيت فرصة مهمة بأستخدام السلام كمعركة للتأثير على الرأي العام في الغرب بفترة طويلة قبل الجولة الاخيرة في الكفاح ضد الحرب . وبمساعدة منظمات مثل مجلس السلم العالمي ، تلاعبت الدعاية السوفيتية بموضوع الخوف من الحرب ودقت اسفينا بين الولايات المتحدة وحلفائها الاوربيين . وبكادره المؤلف من ١٠٠ عضو متفرغ بشكل كامل وحوالي ١٢٠ فرع في انحاء العالم ، يعتبر مجلس السلم العالمي في هلسنكي اداة دعائية لمبادرة السلام السوفيتية ضد الحكومات الغربية .

وعلى الرغم من ادعائة بانه منظمة مستقلة ، فأن مجلس السلم العالمي يمول ماديا من قبل اوربا الشرقية . وتضخ سنويا ملايين الدولارات من خلال قنوات شبه رسمية وسرية وبشكل رئيسي الـ KGB لهذه الحركة المضادة للحرب . وفي تشرين الاول ١٩٨١ ، على سبيل المثال ، طردت الدانمارك الدبلوماسي السوفيتي ، (فلاديمير ميركيولوف Vladimir Merkulov) بعد محاولة اقناع حوالي ١٥٠ فنان دانماركي لتوقيع طلب يدعو لمنطقة خالية من الاسلحة النووية . وحتى انه عرض اموالاً لنشر الطلب كأعلان في العديد من الصحف اليومية [٣٤] .

ان حركة السلام تعمل في جانب واحد ضد سياسات الدفاع الغربية وتهمل البناء العسكري السوفيتي الكبير . ويستخدم السوفيت كلا من قنواتهم السرية والرسمية في الاتصالات لتشجيع حركة السلام العالمية واستخدامها كمجموعة واجهة لتحطيم جيوش الحلفاء الغربيين ، لكنهم لايتسامحون مع حركات السلام في البلاد . ويعتبر اي سوفيتي يشجع على تقليص القوة العسكرية السوفيتية عدوا للنظام السوفيتي . وكمثال على ذلك ، فقد تحركت الـ KGB في تشرين ثاني ١٩٨٢ عندما نظمت مجموعة دعاة السلام السوفيتية مؤتمرا صحفيا في شقة احد الاعضاء . وقد منع سيرجي باتورين (Sergei Batourin) ، قائد المجموعة وزوجته من قبل رجال المخابرات من مغادرة بيتهما ولم يسمح للاعضاء القليلين الذين وصلوا من الدخول الى الشقة . وقد أُمِرَ عدة مراسلين اجانب دخلوا الشقة بمغادرتها [٣٥] . وقد ضايقت الحركات السلمية في الداخل السلطات السوفيتية اكثر من اية منظمة منشقة اخرىٰ . وعندما ذهبت مجموعة كبيرة من محبي السلام الاسكندنافيين الى الاتحاد السوفيتي في تموز ١٩٨٢ ونظموا مسيرة سلمية عبرَ مدن سوفيتية ، حُجزَ العديد من محبي السلام السوفيت لمدة ١٥ يوما ، وحجز آخرون في بيوتهم .

ان تأليب الرأي العام ضد الدفاع العسكري الغربي هو لعبة سوفيتية قديمة . وابتداء من عام ١٩٥٠ عندما قام السوفيت بعدد من الحملات المضادة للحرب النووية ، والتي عُرفت بتواقيع ستوكهولم للسلام ، فأتهم قاموا وبعدة مناسبات بأستخدام الرأي العام لمصالحهم باللعب وبمهارة على الخوف من الحرب ضمن الدول وتبرئة انفسهم من اية اجراءات او اشياء ذات طابع عسكري . ويفسر البناء العسكري السوفيتي دائما بالدفاع واي اجراء مشابه من قبل الولايات المتحدة بالعدوان .

وبخلاف المسؤولين الحكوميين الامريكان ، فان السوفيت لديهم القابلية لنقل حتى اللغة التكنولوجية المعقدة الى شعارات مبسطة وشعبية جذابة . ويوصف الغزو العسكري السوفيتي «بالمساعدة الودية» ويوصف الدعم الامريكي للحكومات الصديقة والواقعة تحت حصار الفدائيين بـ «التدخل» .

والاتحاد السوفيتي مدعو لدعم افراد «حركات التحرر الوطنية» ، لكن الولايات المتحدة تساعد «المرتزقة» . وفي الحملة المضادة للقنبلة النيوترونية ، على سبيل المثال ، والتي سماها السوفيت بـ «سلاح الامبريالية الذي يقتل البشر لكنه يترك الممتلكات سليمة» اورد الجنرال ارسيني ف ميلوفيدوف (Arsenii F Milovidov ، عميد الفلسفة في اكاديمية لينين العسكرية السياسية في تشرين الاول ١٩٨٠ بأن الصواريخ النووية هي «اسلحة حرب مرعبة» في ايدي الامبريالية لكنها «درع للسلام» لدى الجيش السوفيتي . وتعطى مواضيع مختلفة لمختلف المستمعين . وتعامل بعض المواضيع او العناوين بطريقة متقدمة جدا ، وخاصة عندما يواجه السوفيت المستمعين الامريكان مباشرة . وبعد غزو افغانستان ، اكدت نشراتهم او ارسالهم الاذاعي الى امريكا الشمالية على المساعدة الانسانية والاقتصادية المقدمة من قبل الاتحاد السوفيتي الى افغانستان وتجنبت اي اشارة الى الوجه القبيح للحرب .

وتصمم معظم الحملات الدعائية بخليط من الحقائق واشباه الحقائق والمبالغات والكذب المتعمد . وقد اسست عدة شركات المانية غربية الـ oOrbital launch and Rocket Corporation) (OTRAG ـ او شركة القذائف والصواريخ المدارية في عام ١٩٧٥ بهدف وضع اقمار صناعية في الفضاء لاغراض تجارية . وبعدَ سنة تم توقيع اتفاق مع ممثلين من زائير يمكن الـ OTRAG من بناء قاعدة اطلاق وتنفيذ الأختبارات في مقاطعة شابا في زائير . ولم توافق موسكو على المشروع وفي خريف ١٩٧٧ ، بدأت بحملة تصف المشروع بانه برنامج تسليح الماني غربي لانتاج صواريخ كروز . وقد شخصت الولايات المتحدة وخاصة وكالة المخابرات المركزية ووزارة الدفاع بأنهما تمولان عملية التجسس لمساعدة المانيا الغربية لأن تصبح قوة صاروخية نووية رئيسية . وقد بدأت تاس اولاً بارسال المقالات التي تعكس القصة ومن ثم اخذت وكالات الصحافة في الكتلة السوفيتية التضليل واعطته اهتماما خاصا وعمومية اكثر . وبأستخدام قنوات سرية في صحافة اوربا الشرقية ، اندفعت الـ KGB لنشر القصة وفي اوائل عام ١٩٧٨ ، وصلت عملية التلفيق الى مستوى بحيث انها كانت تنشر تلقائيا بواسطة صحفيين معروفين في الغرب

وبلدان العالم الثالث . واخيراً قررت الشركة الالمانية الغربية وقف المشروع .

اما الحملات الدعائية الاخرى فانها تبنىٰ على خيال محض واستخدام بلاغة خشنة . وكمثال على ذلك ، فقد نشرت تاس قصة هي بالاصل منشورة في الصحيفة الأفغانية (Hagigate Enguelable Sowr) تتهم مراسل اخبار الـ CBS دان راذر (Dan Rallar) باغتيال ثلاثة قرويين عندما كان يزور افغانستان في آذار عام ١٩٨٠ . واستنادا الى تاس فان عضويين من عصابة مسلحة تُدعىٰ (تور بادشا) Tor Padsha ، والتي كانت تقاتل الجنود الحكوميين في جنوب افغانستان قد سلموا انفسهم الى السلطات الافغانية المدعومة من قبل السوفيت . وقد صرحوا بان مجموعة من الناس يلبسون ملابس افغانية وطنية ويحملون اجهزة تصوير كانوا قد وصلوا من باكستان في نهاية آذار للألتحاق بعصابتهم المسلحة . وكان هؤلاء الناس صحفيين امريكان يرغبون باعداد فلم . وفيما يلي جزء مما اوردته وكالة تاس :

> في ذلك الوقت ، بالضبط ، هاجم السفاحون من تور بادشا (Tor Padsha) قرية فتح آباد (Fatehabad) ، واحتجزوا ثلاثة عمال كانوا ينظفون قناة ري . أُخذ العاملون الى ساحة القرية وهناك تولىٰ صحفيون امريكان المهمة ، حيث أمروا اللصوص اولا برمي الاسرىٰ بالحجارة ثم قطع ايديهم . وكل الاحداث الدموية كانت تصور في فيلم من قبل الامريكان .

وقد اعادت تاس استنتاج الصحيفة الافغانية هاجيجان انقلاب سوار بان «داذر المعلق التلفزيوني لمحطة CBS ، شارك في القتل الدموي لثلاثة عمال افغان» [٣٦] . وفي نيويورك ، قال السيد راذر بأن القصة كانت «محض خيال من اولها الى آخرها ولا معنىٰ لها بشكل خالص» .

وفي تموز عام ١٩٧٧ ، بدأ السوفيت حملة عالمية لحملة دعائيه منسقة ، وعمل سياسي سري وتحركات دبلوماسية ضد تطوير ترسانة الاسلحة العسكرية لحلف الناتو . وكانت واحدة حق اكثر العمليات كلفة لكنها تعتمد اجراءات دعائية ناجحة في التاريخ السوفيتي . وقد قدرت وكالة المخابرات المركزية بان لحملة كلفت السوفيت مايعادل حوالي ١٠٠ مليون دولار [٣٧] .

وبالنسبة للمرحلة الاولى من الحملة ، اختار السوفيت القنبلة النيوترونية الامريكية . ومن خلال وسائل اعلامهم الخاصة ومنظمات الواجهة وقنوات خاصة في الغرب ، فقد وصفوا القنبلة النيوترونية بانها اضافة مميتة لترسانة الاسلحة النووية الامريكية واستخدموها كرمز للامبريالية الامريكية . وكان هدفهم هو تحطيم الحلف العسكري الغربي وتقليل التطوير العلني لاسلحة سوفيتية جديدة وزيادة الانفاق التسليحي امام بلدان العالم .وكانت اوربا الغربية الهدف الرئيسي للحمله ، لكنها كانت ذات صدىٰ عالمي .

وقد افتتحوا الحملة بسلسلة من النشرات الأذاعية للمستمعين المحليين والعامليين ، ومابين ٤ تموز و ١٤ آب استهلكت القنبلة النيترونية ما يساوي ١٣٪ من وقت الاخبار ولم يحصل اي موضوع آخر على مثل هذا الحجم من الاهتمام . وبعد تصريحات واسعة من قبل تاس في ٣٠ تموز ١٩٧٧ والدعم الصاخب لاجهزة الاعلام في الكتلة السوفيتية ، حصلت القنبلة على اهتمام واسع من عدة منظمات جبهوية في اوربا الغربية والعالم الثالث .

وقد اعلن مجلس السلم العالمي باعتبار الاسبوع الثاني من آب ١٩٧٧ اسبوعا عالمياً من اجل التضامض ضد القنبلة النيوترونية ، وقد تلا الاعلان مئات الاجتماعات المكرسة للاحتجاج ، والتي رافقتها عادة رسائل احتجاج موجهة الى سفارات الولايات المتحدة المحلية ، في اوربا الغربية واميركا اللاتينية وافريقيا . وقد نشرت صحافة الأحزاب الشيوعية النمساوية والبلجيكية والهولندية والايطالية واليونانية بحماس الرسالة المضادة للامريكان ، وفي مطلع خريف عام ١٩٧٧ التقطت وسائل الاعلام غير الشيوعية القصة .

في معظم حملات التضليل الموجهة من قبل اوربا الشرقية ، عادة مايختفي المنفذون خلف الستار او خلف الاقنعة ، واعضاء الاحزاب الشيوعية الغربية وصحافتها لم تشارك بتعمد . وطالما ان الحملة المضادة للقنبلة النيوترونية كانت قد صممت كموضوع واسع وعام يشمل كلا من الدول الشيوعية وغير الشيوعية ، فأن المبادرة السوفيتية لم تكن عملية سرية . وعلى العكس من ذلك ، فان العديد من المسؤولين السوفيت اصبحوا معنيين علنا ومنهم الرئيس

ليونيد بريجينيف . وفي كانون الثاني ١٩٧٨ ، ارسل الرئيس بريجينيف رسالة الى الحكومات الغربية يحذر من ان انتاج ونشر القنبلة النيوترونية يشكل تهديداً خطيراً للانفراج ، واستلم اعضاء في البرلمانات الغربية وممثلي الاتحادات التجارية رسائل من نظائرهم السوفيت تحمل نفس المضمون .

وقد وصلت الحملة الى زخم ابعد . فبأستخدام الرعب من القنبلة النيوترونية كأرضية موحدة ، نجح السوفيت في جذب المنظمات غير الشيوعية والصحفيين والسياسيين وتحويل المبادرة الى حملة عالمية خارج حدود الأيديولوجية او الاراضي . واعلن وزير الدفاع الامريكي هارولد براون في ايلول ١٩٧٧ بان الرئيس كارتر لن يوافق على انتاج القنبلة النيوترونية حتى يوافق الحلفاء في الناتو على نشر السلاح في اراضيهم لكن الحملة السوفيتية استمرت . وعندما اوردت الصحافة الامريكية في ٤ نيسان ١٩٧٨ قرار الرئيس كارتر بتأخير وانتاج ونشر القنبلة النيوترونية ، وصفته الصحافة السوفيتية بمناورة تضليلية وطالبت بحركة احتجاج اقوى وقد كرم عدة مسؤولين سوفيت ومن بينهم السفير السوفيتي لدى هولندا عن مساهمتهم في الحملة . وقد صرح يانوش بيركس (Janos Berecz) ، رئيس الدائرة الدولية في الحزب الشيوعي الهنغاري في ايلول ١٩٧٩ بان «الحملة السياسية ضد القنبلة النووية كانت واحدة من اهم واكثر الحملات نجاحا منذ الحرب العالمية الثانية» [٣٨] .

وقد قرر اعضاء حلف الناتو في كانون اول ١٩٧٩ المضي قدما بانتاج ونشر القوة النووية المتطورة ذات المدى الواسع . وكان ذلك حافزاً للسوفيت لاعطاء الحملة اهداف جديدة تتمثل في منع او على الاقل تأخير الناتو من تطوير او تحديث قواته النووية على المدى البعيد . وكما في الحالة السابقة ، استخدمت موسكو انواع مختلفة من الدعاية ومطرق التضليل بدءاً بالتصريحات المخولة من قبل القادة السوفيت وانتهاءاً بالنشر السري للمقالات المتعاطفة في اجهزة الاعلام الغربية . وقد تلقى المستخدمون الغربيون سيلا من الرسائل او الاشارات بان القوات النووية المقترحة قد تؤدي الى «ابتزاز سياسي فظ» وتسبب تهديداً نوويا لأوربا وان لها تاثير على العلاقات الغربية الشرقية من

الصعب اصلاحة . ولكسب دعم الجيل السابق ذي الاحتكاك المباشر مع الوحشية النازية في الحرب العالمية الثانية ، اكدت موسكو بان المانيا الغربية يمكن ان تلعب دورا مهما في التخطيط الستراتيجي العسكري وتكون الزناد النووي للناتو . وقد أهملت ببساطة تصريحات القادة الالمان التي تنفي مثل هذه الأدعاءات .

ان الدائرة الدولية ودائرة الاعلام الدولي في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي وهما القسمان المشرفان على الحملة ، اعادا اللعب بالافكار من خلال القنوات الدبلوماسية والمنظمات الجبهوية واجهزة الاعلام المحلية والعالمية واعطياها ابعادا جديدا في صيف عام ١٩٨٠ . في ذلك الوقت ، كانت الولايات المتحدة تدرس ستراتيجية جديدة للدفاع النووي وصفت في الوثائق المعروفة في التوجية الرئاسي ٥٩ . والفكرة الاساسية هي تطوير انظمة صواريخ عابرة للقارات وعالية الدقة ولها القابلية على الوقوف بوجه هجوم سوفيتي مفاجئ بالاضافة الى تبديد النظرة السوفيتية بانها تستطيع ان تربح الحرب النووية . ولم تتضمن السياسة الجديدة للولايات المتحدة موضوع الهجمات المفاجئة ضد الاتحاد السوفيتي وكان هدفها توسيع خيارات الرئيس في الأزمات ، وتمكينة من اختيار ضربات منتخبة ضد الجيش السوفيتي والاهداف الاقتصادية بدلا من اجباره في حالة الهجوم السوفيتي ، على تدمير المراكز السكانية السوفيتية .

وقد اكدت الدعاية السوفيتية بان السياسة الامريكية الجديدة تضمنت علانية مبدأ الهجوم المفاجئ وافترضت بالخطأ بأنه في حالة الصراع النووي بين الشرق والغرب ، فأن الهجوم السوفيتي سوف يقتصر على اوربا ومما ذكرته في هذا الصدد :

> هؤلاء الموجودون في الغرب والذين يصدقون بشكل اعمى حتى الان شعارات الناتو حول تعزيز وتطوير تسليحه يجب عليهم التأمل في السؤال التالي : هل هذا يعني بان الاسلحة الامريكية التي سوف تظهر في بلدانهم هي من اجل تنفيذ الهجمات المفاجئة المذكورة في التوجية ٥٩ [٣٩] .

والضحايا الذين قبلوا بالفكرة السوفيتية بأن التوجيه الرئاسي ٥٩ كان «جنونا» و «ابتزازا نوويا» لم يبلغوا بان مبدأ العسكرية السوفيتية مبنّي اساسا على افتراض ان الاتحاد السوفيتي يستطيع كسب الحرب النووية .

لقد كثف العديد من رجال الـ KGB الموجودون في الولايات المتحدة في اوائل الثمانينات من جهودهم لاختراق حركة السلام الامريكية والتأثير عليها . وكان هدفهم الحصول على المعلومات والخطط لمختلف المؤتمرات والتظاهرات وتحليل العلاقات بين المجموعات الامريكية والاوربية المضادة للحرب . وبينما كانت الحملة السوفيتية في اوربا الغربية ناجحة تماما في لعبتها حول الخوف من الحرب الذرية ، فأن السوفيت في الولايات المتحدة ووفقا لتصريح رسمي لمكتب التحقيقات الفيدرالي في آذار ١٩٨٣ اخفقو في تحقيق دور بارز في حركات السلام وتجميد الاسلحة النووية [٤٠] . وحاول عدد من رجال الـ KGB الموجودون في الولايات المتحدة وبكل جهدهم التأثير على حركة السلام الامريكية واقامة اتصالات اوثق واقرب بين المجموعات الاوربية الغربية والامريكية المناهضة للحرب ، لكن مبادرتهم كانت قد باءت بالفشل .

الفصل الثامن

وطن المهاجرين

عاش الكولونيل رادولف ايفانوفتش ابيل (Rudolf Ivanovich Abel) وهو رجل نحيف البنية صعب الوصف وفي منتصف عمره ، عاش في الولايات المتحدة لمدة تسع سنوات تحت غطاء مصور طبي ورسام مولع بباخ (Bach) وفان كوخ (Van Gogh) . وقد اخفىٰ هويته المزدوجه بمهارة حتى القاء القبض عليه في حزيران ١٩٥٧ والتهمة الوحيدة التي اعترف بها في المحاكمة هي دخوله الولايات المتحدة بصورة غير شرعية . وتهمته الرئيسية كانت التآمر لنقل معلومات ذريه عسكرية الى الاتحاد السوفيتي . وقد حكمت عليه المحكمة بالحبس لمدة ثلاثين عاما فقط قضىٰ اربع سنوات منها . حيث اقترح الروس فيما بعد مبادلته مع فرانسيس غاري باورز (Francis Gary Powers) ، قائد طائره التجسس الامريكية (U 2) والذي انزل في روسيا عام ١٩٦٠ ومن ثم عاد الى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٦٢ . وقد كان احد العناصر «غير الشرعيين» في لغه التجسس السوفيتية [١] .

والجيل الاول من الشيوعيين غير الشرعيين والذين ارسلوا الى الخارج بعد

الحرب العالمية الثانية لم يكونوا من خريجي الجامعات . واغلب المرشحيين للعمل الخطر وغير المجزي جاءوا اساسا من مراتب اجهزة الامن ومن ضمنها جهاز المخابرات المضادة . وقد كانوا في العادة رجال مخابرات مجربين في اواخر العشرين واوائل الثلاثين من العمر وقد اختيروا بعناية لثقتهم السياسية واستقرارهم العاطفي وبعد الوصول الى البلدان المستهدفة وبهوياتهم الجديدة ، فانهم كانوا اعادة يستخدمون في عمليات استخبارية ثانوية وروتينية لممارسة مهاراتهم والمحافظة على يقظتهم لكنهم كانوا في الحقيقه عملاء للمستقبل وكانوا ينشطون في وقت المواجهة العسكرية بين الشرق والغرب عندما تقطع العلاقات الدبلوماسية العادية ويجبر الضباط تحت لغطاء الدبلوماسي على المغادرة . وكان يتوقع منهم قيادة المسؤوليات الادارية لشبكات التجسس المتواجدة وتنفيذ عمليات تخريب خلف خطوط الاعداء . وقد وسع الجهاز من منظور عملياته في السنوات الاخيره واستخدام الاشخاص غير الشرعيين في عدة حالات كضباط قضية مسؤولين عن وكلاء تجسس رئسيين لكن دورهم الاولي لم يتغير . فهم وكلاء للمستقبل .

لقد قبلت الولايات المتحدة اكثر من مليون لاجئ من البلدان الشيوعية في الربع الاخير من القرن وان العديد . والعديد منهم لم يكونوا لاجئيين حقيقيين . [٢] ويستطيع الاجانب الذين جاءوا الى الولايات المتحدة بسهولة اخفاء انفسهم عن السلطات الفيدرالية في احدىٰ المدة الكبيرة . وحتىٰ لو اكتشفوا فانهم يستطيعون ان يؤخروا عملية طردهم من البلاد ولعدة سنوات .

والصحافة الامريكية التي تعالج مسألة التخريب السوفيتي في الولايات المتحدة تتعامل في العادة مع عمليات الـ KGB الخاصة وتهمل الحقيقه القاتله بان اميركا هي الهدف الرئيسي لكل بلدان حلف وارشو والحركة الشيوعية العالمية . لكن الاهداف العامة والاهداف والستراتيجيات انما تنطلق من موسكو . وتعتبر كل من اجهزة المخابرات السوفيتية والاجهزة الدائرة في فلكها المجتمعات العرقية الاوربية الشرقية ومنظمات المنفيين في الولايات المتحدة اهداف لاجراءاتها الفعالة وادوات التغلغل العميق في الحكومة . وقد كتب جون دارنتون (John Darnton) في صحيفة الـ (New York Times) في تقرير

حول التقاليد والفخر القومي البولندي مايلي : -

ان الناس [في بولندا] فخورين بشكل غير عادي عندما يقوم شخص من اصل بولندي بشيٍ مافي العالم الخارجي . مناحيم بيغن (Menachem Begin) قد يكون رئيسا لوزراء اسرائيل لكنه لاينسىٰ ابدا جذورهِ في بولندا . وبريجنسكي (Zbighiew Brzezinski) مستشار كارتر للامن القومي ، قد يكون من المناوئين المتشددين في واشنطن لكن لابد من القول انه لايزال يتكلم لغة الام .

ان العلامة المميزة للتفاخر البولندي اتت بالطبع عندما اصبح الكاردينال كارول وجاتيلا من كراكاو (Karol Gardinal Wojtyla) البابا يوحنا بولص الثاني . وحتى المسؤوليين في الحكومة الشيوعيه تفاخروا به . وقد كان لاحد المسؤولين الحكوميين .

هذا التعليق المؤثر عام ١٩٨٠ في وكالة الاخبار والصحافة البولندية الانتربريس (Interpress) والان هناك علامة جديده في قلنسوة البولنديين وهو احد ذرية عائلة مارشيزو سكي (Marcis zewski) من بياليستوك (Biolystock) . انه ادمون اس موسكي (Admund S . Muskie) وزير الخارجية الجديد . وهذا كله جزء من خطتنا السرية .. نحن نمتلك الشرق الاوسط والفايتكان . ونملك مجلس الامن القومي ووزارة الخارجية . ونعمل الان في المراحل الاخيره لاكمال الدائرة (الحلقه) وهي اصعب قليلاً لكننا عازمون على وضع شخص ما في بكين [٣] !

وكل هذا قد لايبدو اكثر من نكته جيدة ، لكنها تعكس الستراتيجية الاساسية للمخابرات الشيوعية . والرسائل التي ترسل من المهاجرين واللاجئين الى اقربائهم واصدقائهم في بلدانهم الاصلية تفحص بانتظام من قبل رجال المخابرات للبحث عن اخطاء قد تسخدم كابتزاز وتجنيد لاحق . وفي خضم تمزقهم او انقسامهم بين ولائهم لبلدهم الجديد وسعادة عوائلهم في البدان الشيوعية ، قد سيتسلم المهاجرون لضغط الابتزاز .

ويعترف خبراء المخابرات الامريكية بان الطرق السوفيتية هي الان وبلا حدود اكثر تطوراً من طرق التجسس المتبعه في الماضي والعلاقات الحاليه بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة في السبعينات سهك عليهم دس اعداد من

الاشخاص غير الشرعيين وذوي الهوية غير المعروفة وهم رجال مخابرات بهويات كاذبه في الولايات المتحدة . او تشترك قصص القبض على الاشخاص غير الشرعيين من قبل مكتب التحقيقات الفدرالي او اجهزة الامن الاوربية الغربية بالعديد من نقاط التشابه . وهؤلاء الافراد كانوا يجندون عادة في اوربا الشرقية عندما كانوا يخدمون كضباط في الجيش او امن الدولة . وبعد ذلك يقضون من سنه الى ثلاث سنوات في دراسة التقنيات الجديدة في الاتصالات السرية وجمع المعلومات من العامة والمصادر السرية ويتعلمون لغة وتقاليد البلد المستهدف . وبالرغم من ان القليل منهم يستطيعون التحدث باللغة الجديده بدون لكنه ، فان هذه ليست بمعضلة في الولايات المتحدة .

وقبل وصولهم الى البلد المستهدف يمر الداخلون بشكل غير شرعي عبر عدة بلدان حتى انهم يغيرون احيانا اسمائهم في الطريق لاخفاء اثارهم . وكمثال على ذلك قدم مكتب التحقيقات الفيدرالي في اذار ١٩٨٠ للصحافة رادلف البرت هيرمان *(Rudolph Albert Herrmann)* وهو ضابط في الـ KGB برتبة عقيد والذي كان قد مُنح حق اللجوء السياسي مع زوجتة وابنه الكبير ، وهو جاسوس ايضا . وهيرمان هذا رجل مخابرات شيوعي لفترة طويلة وعميل مزدوج للولايات المتحدة في السنوات الاخيرة اتبع طريقا نموذجيا للعديد من الشيوعيين الداخلين الى الولايات المتحدة بصورة غير شرعية . وبالرغم من انه كان ضابط برتبة عقيد في الـ KGB فان رادلف البرت هيرمان كان في الحقيقة تشيكيا واسمة ليوديك زيمنيك (Ludek Zemenek) وقد جند من قبل الـ KGB عندما كان يخدم في الجيش التشيكي .

وبعد اكمال تدريبه المهني الاولي في تشيكوسلوفاكيا والمانيا الشرقية ، صدرت اليه الاوامر في عام ١٩٥٧ للتحرك كلاجئ محتال الى المانيا الغربية . ومن ثم الى كندا كمهاجر . وفي عام ١٩٦٨ ، دخل الولايات المتحدة واستقر في لونج أيلند (Long Island) في نيويورك واخيرا ليمثل دور مصور يعمل على حسابه الخاص . واعتماداً على تقاريهم ، فأن اكثر الصحفيين الذين غطوا المؤتمر الصحفي مع هيرمان بعد ارتداده كانوا خائبي الامل . لقد كانت مهمات هيرمان في الولايات المتحدة غير ملحمية في الواقع . فقد كان يسافر من

حين لاخر عبر البلاد كساعي لاعطاء الاوامر او جمع المواد من وكلاء اخرين . وقد ارسل عدة تقارير الى موسكو حول الاوضاع السياسية والاقتصادية الامريكية .

واحدىٰ المهمات الاولى كانت عملية تضليل استهدفت وقف برنامج الفضاء لرحلة ابولو الاولى الى القمر مع رجال الفضاء . وقد ارسل الروس اليه برنامجا اذاعيا مجفراً يحتوي على رمز لرسالة يبعثها الى مسؤولي الفضاء الامريكان . وقد زعمت الرسالة التي يفترض انها كانت مبنية على اخر المعلومات السوفيتية حول تقنية الولايات المتحدة الفضائية ، زعمت بان عربة الفضاء لرحلة ابولو ٨ الى القمر قد تعرضت للتخريب . وقد طبع هيرمان الرسالة وارسلها بالبريد من اطلنطا (Atlanta) لاعطاء الانطباع بانه علىٰ علاقة مع مركز الرحلات الفضائية المأهوله في هانتسفيل (Huntsville) في الباما ، لكن العملية اصيبت بالفشل . فقد وضعت الرسالة ضمن «الرسائل المزيفة» وفي ٢١ كانون الاول ١٩٦٨ نفذت مهمة ابولو ٨ كما هو مخطط لها .

وبعد بضع سنوات ، حاول هيرمان ان يطور معرفة وثيقه مع مرشحين غير متشخصين في الانتخابات الرئاسية بحيث يكون له نفوذ اذا ما انتخبوا . وكان على مسؤولي التحقيقات الفيدرالي ان يوقفوا اللعبة المزدوجة في خريف عام ١٩٧٩ عندما امرت الـ KGB ابن هيرمان ـ ٢١ سنة (ـــ) بالعودة الى موسكو من اجل تدريب خاص . وفي ذلك الوقت ربما انتاب الـ KGB الشك بان هيرمان قد نقل ولاءه الى المخابرات الاميركية .

وفي محاولة لفهم دوافع ومنطق رجل سوف يقضي ١٥ ـ ٢٠ سنة من حياته تحت تهديد مستمر والكشف والاعتقال فان المراسلين يبحثون عن رجل بصفات غير عادية وقد اصيبوا بخيبة امل عندما عرفوا بانه رجل عادي . وكان الميجر كارل بيتر (Karl petr) العميل الا شرعي التشيكي الشخص الاكثر نجاحا في الخمسينيات حيث كان قد عمل في المانيا الغربية وفرنسا وانه ، مثل هيرمان ، كان يستلم توصياته من الـ KGB . وقد قبل بيتر مهمة الـ KGB لسبب واحد غير بطولي هو التخلص من زوجتة الدونمائيه الثرثاره والمتسلطة .

المرتــدون واللاجئــون الحقيقيــون

يكون اللاجئون السياسيون الحقيقيون من البلدان الشيوعية اهداف دائمية للانتقام من قبل حكوماتهم السابقة وتشمل الاجراءات الفعالة كل اوجه العمليات وتبدأ بالاشاعات والتلفيقات وتنتهي بالخطف والاغتيالات . وموسم الصيد مفتوح طيلة السنة ، وهو غير محدد بالجو السياسي او الخوف من الانتقــام الشــديــد . وكــان اركــادي ن . تشيفتشينكــو (Arkady N Shevchenko) ، نائب السكرتير العام لقسم الشؤون السياسية والامنية التابع لمجلس الامن والمواطن السوفيتي ذي المرتبه الرفيعة في سكرتارية الامم المتحدة قد رفض الرجوع الى الوطن في نيسان ١٩٧٨ . ومثل هذا القرار من قبل اهم دبلوماسي سوفيتي للارتداد الى الغرب قد سبب تحذيرا كثيفا ومرعبا في موسكو . وكان من اتباع وزير الخارجية غروميكو (Gromyko) ومؤتمنا للعديد من اسرار السياسة السوفيتية الخارجية والطريق المعتاد في اجهزة المخابرات في الكتلة السوفتية هو الطلب رسميا ، ومن خلال القنوات الدبلوماسية للوصول الي المرتد . وهي تجلب بعناية رسائل ملفقة من عائلة المرتد وتستخدم التهديدات والتلميحات لاجباره على السكوت . والهدف الرئيسي بالطبع هو اعادته الى الاتحاد السوفيتي وعندما رفض تشيفتشنكو الرجوع حتى بعد اجتماعه مع السفير السوفيتي اناتولي دوبرانيين ادعت الصحافة السوفيتية بان الولايات المتحدة كانت تحتجز تشيفتشنكو «تحت التهديد» ، واصدرت البعثه السوفيتية في الولايات المتحدة تصريحا بانه ضحية «الاستفزاز المتعمد وفي اطار بغيض» . من قبل وكلاء المخابرات الامريكية . (٤)

واذا ماتولدت قناعة بان الاتصالات الشخصية والابتزاز لن تنجح ، فأن الـ KGB تتخذ اجراءات اشد . فقد وصل بطل العالم في تجذف الزوارق فلاداس سيزيوناس الى المانيا الغربية في منتصف آب ١٩٧٩ وطلب حق اللجوء السياسي وتكلم عن خططه لتأليف كتاب لكشف الوجة الحقيقي للرياضة السوفيتية . وقد اجبر الكشف المحرج والمحتمل قبل الالعاب الاولمبية لعام ١٩٨٠ في موسكو الـ KGB على العمل بسرعة . وفي السادس عشر من تشرين

الاول ١٩٧٩ نشرت (تاس) تصريحا بان فلاداس سيزوناس «والذي حُرض للبقاء في المانيا الغربية ضد رغبته قد نجح وبعدة حوادث في الوصول الى السفارة السوفيتية في بون طالبا العودة الى الوطن وبمساعدة المسؤولين السوفيت» ويزعم ان بطل التجديف قد اخبر المراسلين السوفيت بانه وبعد وصوله الى ديسبرج (Dursburg) للمشاركة في سباق بطولة الزوارق تناول شيئا في شرابه غير ارادته واربك افكاره ورغباته . (٥) وقد احتجز في الحقيقة من قبل المخابرات السوفيتية واجبر على مغادرة المانيا الغربية ضد رغبته . ان اختطاف سيزيوناس والتصريح العلني من قبل تاس كانا ايضا موجهين لتحذير المرتدين في المستقبل .

ان الانشقاقات والخلافات السياسية بين مجاميع المنفيين توفر محيطا خفيا للاعيب الخفية المختلفة واجيال اللاجئين الذين نشأوا في مجتمع اشتراكي بصورة خاصة غير محصنين الان الاشتراكية الاستبدادية تجردهم من الثقة بالنفس والمسؤولية تجاه حياتهم . فكل قرار مهم كدخول الكليه او اختبار الوظيفة او المكان المناسب للعيش مرتبط بشكل مباشر بادوات الحزب الشيوعي او الدولة وهذا يقتل روح المبادرة الانسانيه ويربي الشعور بالعجز بالاضافة الى فقدات القدرة الكلية على اتخاذ القرار .

يعاني الاجئ من صدمة اجتماعية وسياسية خلال السنوات الاولى من وجوده في مجتمع مفتوح لانه يجب ان يتطبع على ظروف البيئة الجديدة وكسب الثقه بالنفس وقبول قوانين جديدة في مجتمع متنافس الى حد بعيد وكذلك الاهتمام بنفسه . ان معظمهم ينجحون لكن البعض يفشل ، وتجد اجهزة المخابرات الشيوعية ضحاياها في المجموعة الثانية وتكتيكاتها ضد المنفيين السياسيين هي تكتيكات بسيطة جدا تقوم على مبدأ فرق تسد . فالاعيب التضليل تحطم وحدة المجتمع المنفي وتخلف الانشقاقات بين اعضاء القاعدة وقادتهم . وهي تصور المنفيين بانهم عصابات خارجة عن القانون يهتمون فقط بامورهم الماديه في محاولة لسلخهم او ابعادهم عن تعاطف ودعم الحكومات المعنية وعامة الناس .

وقد قام مركز المخابرات التشيكية لمكافحة الهجرة بمئات العمليات التضليلية منذ اوائل الخمسينات . وكمثال على ذلك فان سلسلة رسائل باسم منظمة خيالية تسمىٰ (HEPND) او (حركة المنفيين من اجل العودة الى الوطن) كانت ترسل الى عدة الاف من الاشخاص في أوربا الغربية وماوراء البحار في منتصف الخمسينيات وقد اقنعت عدة مئات من الاشخاص بالعودة الى تشيكوسلوفاكيا ومنهم محرر صحيفة (Ceskoslovenske Listy) التي تصدر في لندن . وقد اغرق التشيك والسلوفاك المنفيين بسيل من تزوير الوثائق الرسمية والرسائل الشخصية والصحف والمجلات والاعلانات من مختلف الانواع . وفي تموز ١٩٥٨ ، وزع المركز في الخارج بضعة الاف من نسخ (Ceske slovo) وهي صحيفةه شهرية تطبع في المانيا الغربية من قبل اعضاء في الحزب التشيكي الاشتراكي السابق . وقد تصدر صفحتها الاولى المقال التالي :

وداعاً ـ من هيئة التحرير

لايجب ان تندهش من العنوان الرئيسي فلا نحن ولا عدة اشخاص من المنفيين يقع عليهم اللوم . لم نكن نتصور ابداً باننا سوف نكتب لهذا النعي في يوم ما . هناك العديد من الاسباب لذلك ونرغب في توضيح البعض منها ... كان هدفنا الاساسي هو جعل هذه الصحيفة الخاصة بحزب سياسي مطبوعا لكل المنفيين . لكننا لم نجد الفهم والدعم الكافيين ... وكانت امالنا مثلما هي امال الاخرين وكنا نحارب تشاؤم الناس الذين فقدوا املهم بانه في يوم ماسيكون بوسعهم الرجوع الى تشيكوسلوفاكيا وكنا نعتقد ان ذلك مجرد مسألة وقت ووسائل . وصدقنا الرئيس ايزنهاور الذي قال ان احد الاهداف الاساسية للسياسة الخارجية الامريكية هو تحرير الامم المستعبده في وسط وشرق اوربا . وقد اعتقدنا بان وعود الامريكان كانت مهمة جداً بحيث لايمكن ان يتخلون عنها فيما بعد .... لم يستسلم الاتحاد السوفيتي في جنيف ـ لكن ايزنهاور ظل صامتا .... ولم يستسلم السوفيت في هنغاريا لكن الغرب هو الذي استسلم ذلك هي الحقيقة .

وهاجمت الصحيفة عدة قادة منفيين وانتهت ببعض وجهات النظر

التشاؤميه للمستقبل . قد سببت ارباكا ثانويا بين اللاجئين لكن القليل منهم كان خائفا بان ايدي براغ يمكن ان تصل الى هذا الحد .

لقد نفذ قسم التضليل سلسلة جديدة من الاعيبة بعد الغزو السوفيتي لتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ وكان الهدف الرئيسي هو المنفيين السياسيين الذين يُعتبرون الان اكثر خطراً من جيل اللاجئين بعد انقلاب عام ١٩٤٨ . ان فكرة الاشتراكية الديمقراطية التي دافع عنها اللاجئون الشيوعيون لها مؤيدون من بين اعضاء بعض الاحزاب الشيوعية في اوربا الغربية وقد اعتبرها السوفيت مرضا معديا يجب استئصالة . وبعد بضعة اشهر من الغزو السوفيتي ، انتشرت كراسة بعنوان تحول جوزيف سمركوفسكي (Josef smrkovsky) في تشيكوسلوفاكيا واوربا الغربية وكان غرضها تشوية اسحق جوزيف سمركوفسكي ـ احد قادة الربيع السياسي لعام ١٩٦٨ ـ كسياسي فارغ مهووس بالرغبة في السلطة وقد قدم المؤلفون انفسهم بانهم «شيوعيو براغ» ، وقالوا . ان سمركوفسكي هو رجل ذو وجهين ويتطلع الى ان يصبح رئيساً ، وانه مارس حركات رجل الدولة امام المرأة . وطبقاً للكراس ، فان سمركوفسكي حاول بعد فترة قصيرة من الحرب العالمية الثانية ان يقود هستريا مضادة للسوفيت ، لكنه غير رأيه ، ومن ثم اصبح شاهداً في المحاكمة ضد رادولف سلانسكي (Rudolf Slansky) ، السكرتير العام للحزب الشيوعي . وبعد بضع سنوات من الحكم على سلانسكي بالاعدام في ١٩٥٢ يزعم ان سمركوفسكي اتخذ موقفاً جديداً ودافع عن سلانسكي حيث وصفه بانه كان ضحية للعهد الستاليني .

وعندما يتعرض الامن الشخصي لاي وكيل سري يعمل في الغرب الى تهديد جدي ، فان اجهزة المخابرات تعمل مابوسعها لتهريبه وارجاعة الى اوربا الشرقية حيث يستخدم في مختلف حملات الدعاية والتضليل . وفي كانون الثاني ١٩٧٦ ، قدمت المخابرات التشيكية بافيل ميناريك (Pavel Minarik) الى الصحفيين في مؤتمر صحفي في براغ وكان ميناريك قد امضىٰ مايقارب سبع سنوات في المانيا الغربية كمذيع في راديو اوربا الحره وعمل بشكل سري للمخابرات التشيكية . وقد استخدم رجال المخابرات مينارك كعنصر رئيسي في

حملة التضليل لتشويه سمعة اذاعة صوت اوربا الحره وممثلي عملية احلال الديمقراطية عام ١٩٦٨ في تشيكوسلوفاكيا ، ومنهم الكسندر دوبتشك (Alexander Dubcek) وجيري هاجيك (Jiri Hajek) وزينك مليناز (Zdenek Mlynar) .

ان صوت اميركا وراديو اوربا الحره وراديو الحرية هي قنوات الاتصال الوحيدة بين ملايين الناس في اوربا الشرقية والعالم الخارجي . وطالما ان هذه المحطات توظف مئات من المهاجرين والمرتدين ، فان خرقها من قبل اجهزة مخابرات اوربا الشرقية يكون سهلاً نسبياً . ومن بين للاف القادمين الجدد الى الولايات المتحده من اوربا الشرقية ... هناك مجموعة صغيرة لكنها مهمة جداً من ضباط المخابرات والجيش السابقين وهؤلاء المرتدين يجلبون معهم بعض المعلومات الحساسة جداً ، بضمنها اسماء وتواريخ الوكلاء الشيوعيون الذين يعملون في الغرب . وطالما يمكن استخدام المرتد كرسول في هذه اللعبة المتطورة من التخفي والبحث ، فان مصداقيته يجب ان تقيم بعناية وقد تستغرق شهوراً بل اعواماً .

وقد انتابت المخابرات الاميركية الشكوك بان يوري نوزينكو (Yuri Nosenko) ، وهو ضابط الـ KGB الذي جاء الى الولايات المتحدة بعد فترة قصيرة من اغتيال كندي ، كان «مزروعاً» . وقد بقي لعدة سنوات في عزله تامة وكانت قضيته موضوعاً اوقع الشقاق بين افراد النخبة في وكالة المخابرات المركزية فمن جانب لم يثق جيمس انغلتون (James Angleton) ، رئيس الاستخبارات المضادة في وكالة المخابرات المركزية حتى عام ١٩٧٤ وريتشارد هيلمز (Richard Helms) لم يثقوا بنوزينكو (Nosenko) ومن جانب اخر اعتقد وليم كولبي (William Colby) وستانسفيلد تيرنر (Stansfirld Turner) بان رسالة نوزينكو كانت حقيقية وكان العديد من التقارير حول قضيته نوزينكو في الصحافة الاميركية خلال السنوات العشر الماضية مليئا بالعديد من التوقعات بالاضافة الى التفاصيل الحقيقية المدهشة التي تدل على ان كلا الجانبين المختلفين قد سربا معلومات سريه موثوقة لخدمة اغراض سياسية . وبدلاً من حل لغز نوزينكو ، فان المناقشه العامة قد ساعدت على زيادة حدة

الخلافات بين الجانبين المتعارضيين . لاتستطيع الصحافة ان تعطي جوابا واضحا واكيدا للمشكلة وان مجموعة فقط من المحققين المحترفين وذوي الاطلاع على المعلومات السريه والعامه تستطيع حل المشكله . ويجب على المحللين ان يفحصوا بشكل تام كلاً من تورط التضليل السوفيتي بالاضافه الى تلويثه الموضوع من قبل وكالة المخابرات المركزية اذا ما ارادوا تحديد شرعية نوزينكو وتعين احد ضباط KGB كمرتد زائف في الولايات المتحدة وبرسالة تضليل هي عملية غاية في المجازفة لاتتخذ الا تحت ظروف عالمية مهمة جداً فعلاً ، في الازمات التي تقود الى مواجهة عسكرية او ازمة جديه في النظام الشيوعي «والسبب بسيط جداً هو يجب على الـ KGB ان تدفع ثمنا عاليا جداً لانتاج التضليل الذي يمكن تصديقة .

وتعرف الـ KGB بان المرتد قد يعرض الى عدة اختيارات لمعرفة مصداقية وحتى لو نجح في اختبار الكشف عن الكذب ، فان الاستجواب هو عملية طويلة وشاملة لاستخلاص المعلومات المفصلة التي تهم الحياة الشخصية للمرتد وتجربتة الحرفية ، بضمنها اسماء وتوريخ حياة الوكلاء الشيوعيين الذين يعملون في الغرب ومعلومات حول الاصدقاء السابقين ورفاقة الذين كانوا معه في جهاز العمليات التي شارك فيها .... الخ ولكي يعتبر موضع ثقة ، فان ٩٥٪ من معلوماتة يجب ان تكون صحيحة والنتيجة هي ضرر خطير للشبكة السرية للـ KGB وخططها .

وبعد اكمال الاستجواب وقبولة في مجتمع المخابرات ، فان المرتد يواجة تحديات جديدة وربما اكثر صعوبة في محاولته لايجاد مكان في المجتمع الجديد . فهو لايستطيع الانضمام الى اي منظمة عرقية او مجموعة اجتماعية في الولايات المتحدة لان كشف ماضيه سوف يجعلة مرفوضاً اجتماعيا . ويجب عليه الاجابة على العديد من الاسئلة حول ماضيه الشخصي ووسائل معيشتهِ من قبل جيرانة الفضوليين في الوقت الذي لابد ان يحافظ على هويتة . واختصاصة هو المخابرات والحالات المرتبطة بها بشكل مباشر مثل الدبلوماسية والعسكرية والاعمال التجارية العالمية والسفر او الصحافة لكنة لايستطيع ان يامل بايجاد وظيفة دائمية في هذه المجالات بسبب عدم الثقه

التي يواجهها كونه كان مخلصا للشيوعية بالاضافة الى ذلك فان لكنته وخطورة اختطافة عندما يسافر الى الخارج تجعل هذا النوع من العمل امرا غير عملي . ويستطيع بعض المرتدين التكيف على نماذج النظام الرأسمالي ويرسخوا انفسهم كملتزمين ويحتاج اخرون الى تعليم اضافي ويرحلون في اعمال بعيدة عن اعمالهم الاصلية ويحاول البقية البقاء كمستشارين وباحثين في دائرة عمل الحكم في واشنطن لكنهم يعملون في محيط خطر .

وكما هو الحال مع نيقولاي ارتامونوف شادرن (Nikolai Artamoncv - Shadrin) الذي اختفىٰ في كانون الاول ١٩٧٥ فان بعض المرتدين يصبحون بشكل تدريجي ضحايا لاستمرار الحرب السرية بين الشرق والغرب . وكان نيقولاي ارتامونوف وهو ضابط برتبة عقيد في البحرية السوفيتية ، قد ارتد الى السويد في عام ١٩٥٩ . وبعد بضع سنوات ، حط الرحال في واشنطن وغير اسمة الى شادرن وعمل كمستشار في شؤون البحرية لوكالة مخابرات الدفاع . واتصلت الـ KGB به عام ١٩٦٦ وحاولت تجنيده وبعد استشارة وكالة المخابرات . المركزية ، تظاهر شادرن بالتعاون ومثل دور العميل المزدوج الذي يعطي معلومات مخادعة الى الـ KGB وقد شوهد لاخر مرة في فينا ، النمسا ، في العشرين من كانون الاول ١٩٧٥ ، حيث ارسل الى هناك من قبل وكالة المخابرات المركزية لمقابلة ضابطين من الـ KGB . وكل الدلائل تشير الى ان موسكو شكت فيه كعميل مزدوج ومن ثم اختطفتهُ .

وقد المحت جريدة ليتراتونايا غازيتا (Literaturnaya Gazeta) الاسبوعية بان وكالة المخابرات المركزية قتلت شادرن عندما علمت بانه اراد العودة الى الاتحاد السوفيتي وقد صرح الكاتب جينرك بوروفيك (Genrikh Borovik) بانه حصل على معلوماته من ايغور اي اورلوف (Igor A . Orlov) وهو احد رجال الـ KGB والذي قابل شادرن اولاً في واشنطن ومن ثم في فينا في كانون الاول ١٩٧٥ ، قبل يومين من اختفاته . وقد نقل عن اورلوف قوله مايلي :

من المحتمل ان شادرن قد ارتكب خطأ مفجعا بعد ١٨ كانون الثاني فوكالة المخابرات المركزية ، وبعد ان علمت برجوعة الوشيك الى الوطن ، علمت ان اللعبة قد

ضاعت وكان هذا فشلاً مريرا حثها على التخلص من شادرن ولتغطية اثارها فانها انحت باللائمه على الجانب الاخر . ولا اريد ان افكر بالاسوأ لكن لعلمي بوسائل CIA فانني اجد من الصعوبة الاشارة الى انه قد احتجز وبفضل شادرن فاننا تلقينا معلومات مهمة حول عدد من الناس الذين يعملون مع المخابرات المركزية وخاصة في تلك الفروع التي تتعامل مع المرتدين من الاتحاد السوفيتي [٦] .

ولاتعترف الـ KGB بشكل علني ابداً بانها اختطفت شادرن . وكان تصريح اورلوف جزءاً من مناورة تضليل سوفيتية والتي ننفي اي مسؤولية سوفيتية في اختفاء شادرن . لكن الرسالة كانت واضحة لكل المرتدين : «اذا لعبتم لعبة مزدوجة معنا ، فسوف تنتهون مثلما انتهىٰ شادرن» . ان السياسة المتصلبه نحو المرتدين ومنها الخطف والاغتيالات والتي تمارس في الوقت نفسه من قبل جميع مخابرات الكتلة السوفيتية ، افزعت اللاجئين والمنفيين من اوربا الشرقية ، وخاصة عندما عرفوا في تشرين الاول ١٩٧٨ بان جورجي ماركوف (Georgi Markov) وهو مرتد بلغاري بارز ، قد اغتيل في لندن .

رسالــة جديــرة بالثقــة

في اي وقت سمح نظام شيوعي ما وفي فترة مابعد الحرب العالمية الثانية ، بهجرة اعداد كبيرة من مواطنية الى بلدان اخرىٰ ، فان جهاز مخابراتة استخدم الحدث لخدمة اهدافة . وقد اندهش المكتب الفيدرالي لحماية الدستور في المانيا الغربية وهو مكتب يشبه مكتب التحقيقات الفدرالي في الولايات المتحدة ، اندهش عام ١٩٦٥ لما لاحظه من هجوم كبير وشامل للمخابرات التشيكية . وقد اعترف مئات المهاجرين الالمان من تشيكوسلوفاكيا بانهم كانوا قد جندوا ، وعددهم كان في حالة ازدياد مع كل عبور للحدود .

وبعد فترة قصيرة من الحرب العالمية الثانية ، وافق الحلفاء على مغادرة ثلاثة ملايين الماني من تتشيكوسلوفاكيا وقد عاد للاستقرار مايقارب ٢ مليون في المانيا الغربية والباقي في المنطقه السوفيتية . وقد سمح ما يقارب ١٧٠,٠٠٠ ـ ٢٠٠,٠٠٠ ألماني والذين استطاعوا ان ينبتوا معاداتهم للنازية ، البقاء في تشيكوسلوفاكيا لكنهم اصبحوا مواطنين من الدرجة الثانية وبحقوق

دستورية محدودة . وفي عام ١٩٦٥ ، قررت الحكومة التشيكية تخليص البلاد من العناصر غير الموثوق بها وسمحت بهجرة جميع الالمان الذين طالبوا بشمولهم بامتياز «عملية النقل» . وقد ادت ٧٠/٠٠٠ أستمارة قدمت الى وزارة الداخلية الى ان تؤدي المخابرات التشيكية لعبة جعلت الاستخبارات المضادة الالمانية الغربية مشغولة لعدة سنوات . وكان ذلك بالحقيقة هجوما لكن هدفة الرئسي هو التضليل .

وكانت براغ متأكدة تماما بان المهاجرين سوف يغربلون من قبل الحكومة الالمانية . وكان متوقعا ان عدة مئات من الوكلاء الكاذبين الذين جندوا من بين الالمان سوف يعلمون البوليس الالماني الغربي بتجنيدهم لاغراض التجسس بعد ان يعبروا الحدود الالمانية مباشرة . وكان هدف الخطة الرئيسي هو اشغال الاستخبارات المضادة الالمانية الغربية في اقصىٰ غربلة غير مثمره للبحث عن وكلاء تشيكيين وهميين . وكانت التعليمات والمهمات التي اعطيت للعملاء الوهميين ومصممة لكي تبدو صحيحة للالمان الغربيين وهكذا انصرف انتباههم عن الاهداف الحقيقيه للمخابرات التشيكية وكان الهدف الرئيسي الثاني لعملية النقل هو نشر العديد من الوكلاء القادرين الخاضعين للاختبار والموثوق بهم والذين سوف يفوتون فرصة اكتشافهم او التعرف عليهم من قبل الاستخبارات المضادة الالمانية الغربية . وكان على مكتب حماية الدستور ان يعطي اهتماما وثيقا لكل الافراد الذين يدعون بانهم مجندون كوكلاء تشيكيين لان شهادتهم يمكن ان تكون صحيحة او على الاقل قريبة منها . وفي الحقيقة شعر الالمان الغربيون بالضجر في تنفيذ تحقيقات عميقة لكل المهاجرين الاخرين ولهذا فقد كان الآلاف من الالمان المهاجرين يشكلون عبئا ثقيلا يتطلب تحقيقات طويله ومعقدة وغير مثمرة . واخيراً وفي عام ١٩٦٨ ، اصلحت حكومة بون القانون ووفرت الحماية للعملاء او الوكلاء الاجانب الذين يعترفون طوعاً بعملهم للمخابرات الاجنبية ، وفي عام ١٩٧٠ ناشد وزير الداخلية غنشر (Genscher) علنا استسلام كل الجواسيس . وقد اربكت عملية النقل قوىٰ الامن الالمانية الغربية وابقتهم مشغولين بتحقيقات غير مثمرة والتي شلت

فاعليتها وقد رضخ الالمان للخطط التي فرضتها المخابرات التشيكية وتركوها في خيارات جعلت منهم ضحايا [٧] .

وفي احدىٰ ليالي اذار ١٩٦٢ القت جهاز الأمن الأسرائيلي القبض على رجل يعرف في اسرائيل باسم عزرائيل بير (Israel Beer) وهو جاسوس للاتحاد السوفيتي . وقد جاء القرار بالقاء القبض عليه من رئيس الوزراء ديفيد بن غوريون نفسه . وبير هذا ولد في النمسا وهاجر الى فلسطين عام ١٩٣٨ وبرز كضابط شاب برتبة مقدم في الجيش الاسرائيلي . وخدم كمورخ عسكري ومستشار لكبار مستويات المؤسسة العسكرية الاسرائيلية . وقد تمت محاكمة بير واتهم لنقله معلومات سرية الى الاتحاد السوفيتي ومات في السجن الاسرائيلي عام ١٩٦٨ . لكن هويتة الحقيقية مشكوك فيها .

وقد وجد العملاء الاسرائيليون بان بير لم يلتحق ابداً بالاكاديمية العسكرية النمساوية كما ادعىٰ ، ولم يقاتل في اللواء العالمي خلال الحرب الاهلية الاسبانية . ولم تكن هناك اي سجلات عنه . ولم يكشف بير عن هويته الحقيقية ولم يعترف ابداً بعملة للـ KGB وبرغم انه اصبح نشيطا عام ١٩٥٦ ، وبعد ١٨ سنة من بناء الغطاء فان الموساد وهو جهاز المخابرات الاسرائيلي لم يكتشف بان هناك في الحقيقة شخص نمساوي اسمة عزرائيل بير الا بعد اعتقالة وادانتة وزجة في السجن «لقد كان طالباً يهودياً فقيراً يشبه بغموض الشخص الذي اصبح فيما بعد صديقا لبن غوريون .. لكن عزرائيل بير الحقيقي اختفى عام ١٩٣٨ ، وهي السنة التي هاجر فيها العميل الى فلسطين» [٨] .

وقد كان عزرائيل بير احد الوكلاء العديدين الذين ارسلوا من قبل السوفيت الى اسرائيل للتأثير على الوضع في الشرق الاوسط لصالحهم . وعندما اعترف ستالين باسرائيل الحديثة عام ١٩٤٨ ، كان يامل بتنظيم طابور خامس اسرائيلي للتعاون مع الجيش الاحمر في الغزو المدرع فوق جبال الاناضول ، عبر سوريا واسرائيل الى ضفاف قناة السويس [٩] . وعندما عرف بان العملية غير ممكنة التطبيق ، ابدل دعمه لصالح العرب . ان حملة ستالين المعادية للسامية في الاتحاد السوفيتي وصلت ذروتها في آب ١٩٥٢ بذبح الكتاب اليهود

البارزين في روسيا . وقد قادت مؤامرة الاطباء الى اضطهاد اكثر للساميه وخاصة ضد الاطباء والعلماء اليهود وقد توقفت عند وفاة ستالين . وحتى حرب الايام السته عام ١٩٦٧ ، اتبع السوفيت سياسة السيطرة على الاعصاب في الشرق الاوسط . ولكن منذ الحرب سعوا الى تدمير اسرائيل .

لقد بدأت الهجرة الجماعية لليهود ، وهو اصطلاح ملائم جداً ، على نطاق واسع في عام ١٩٧١ [١٠] وطالما ان الهجرة الجماعية تستخدم كاحدىٰ الاوراق في لعبة الشرق والغرب فقد كان هناك ارتفاع وانخفاض كبيرين في عدد اليهود الذين سمح لهم بالمغادرة . فقد انخفضت الهجرة من ٣٤,٩٣٣ في عام ١٩٧٣ الى ٢٠,٦٩٥ عام ١٩٧٤ وانخفضت بشكل اكثر عام ١٩٧٥ حتى وصلت الى ١٣,٤٥٩ . وقد سمحت السلطات السوفيتية لحوالي ٣٠,٠٠٠ يهودي بمغادرة الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٧٨ وازداد العدد الى اعلى مستوىٰ له هو ٥١,٣٢٠ عام ١٩٧٩ . وطبقا للارقام التي اصدرها المؤتمر القومي لليهود السوفيت ، فان الرقم انخفض مره اخرى الى ٢١,٤٧١ في نهاية عام ١٩٨٠ [١١] ومما لاشك فيه ان التخفيض كان انتقاما من الولايات المتحدة لتقليصها حجم التجاره مع الاتحاد السوفيتي في اعقاب غزو افغانستان . وبحلول شباط ١٩٨١ ارتفع بشكل مفاجيء عدد الاشخاص الذين سمح لهم بالمغادرة الى ٣,٠٠٠ شخص في الشهر . وقد بدأ العمل الانساني في متابعة الطلبات قبل فترة قصيرة من انعقاد مؤتمر الحزب الشيوعي كمناورة سياسية «تعكس انسانية الحزب» .

قد تجنبت السلطات السوفيتية مصطلح «التهجير» وتتكلم بدلاً عنه «اعادة التئام العوائل» . وهذه اشاره الى العوائل التي انفصلت عن بعضها في الحرب العالمية الثانية وماتلاها . وعلى كل يهودي يقدم طلباً لتأشيرة خروج لابد ان يبرز دعوة من احد اقاربة في اسرائيل وبالرغم من ان درجة قرابة العلاقة لم تكن مهمة حتى عام ١٩٨٠ ، فقد بدأ السوفيت مؤخراً باصدار تأثيرات بشكل رئيسي للاشخاص الذين لديهم دعوات من اقرباء الدرجة من الاولى وقد اهملو نوعما الدعوات من اقرباء بعيدين [١٢] . ومن الناحية الرسمية فان جميع المهاجرين اليهود من روسيا كانوا متوجهين الى اسرائيل ، لكن في عام ١٩٨٠

غادره ٦٥٪ منهم الى بلدان غربية اخرى وبشكل رئيسي الى الولايات المتحدة . وكانت دوافع المهاجرين الاوائل اما الشعور الديني القومي او الرغبه في الالتحاق باحبائهم الذين انفصلوا عنهم خلال الابادة الجماعية ، لكن سبب الهجرة الجماعية في السنوات الاخيرة هو تنامي الاضطهاد والفراغ الروحي الذي فرضه قادة الكرملين .

ان التكيف مع الحرية المكتسبه حدثاً قد يكون صعباً . وان الاف اليهود الروس الذين هاجروا الى اسرائيل او الولايات المتحدة بعد سنوات من القسوه وحتى الحرمان لم يدركوا بان عقود التلقين الماركسي اللينيني الثقيل قد تركت آثاراً اجتماعية وايديولوجية عميقة عليهم . وان العديد من القادمين الجدد اصيبوا بالصدمه عندما واجهوا فجأه مجتمعاً وكان الاخرون قلقين من حرية الصحافة وخائفين من رجال الشرطة الغربيين الذين يعتبرونهم مشابهين للـ KGB والمهاجر المثالي يحتاج عادة عدة سنين لتكوين امن داخلي وشعور بانه في وطنه والبعض لم يستطيع ابداً التكيف مع محيطة الجديد وطلب الرجوع الى الاتحاد السوفيتي وقد اعيد قبول البعض منهم واستخدم من قبل الـ KGB كعناصر اساسية في حملات الدعاية التي وضعت لتبين للناس داخل وخارج البلاد بان الحياة في بلد شيوعي هي احسن بكثير منها في الغرب .

وقد اطلع قراء الصحف السوفيتية خلال السبعينات على رسائل من العائدين تحت عناوين مثل نحن مخدوعون سمحوا لنا بالعودة ،» او «لقد عدنا من اسرائيل الى وطننا الاشتراكي» وقد نفذت اجهزة الاعلام السوفيتية حملات هستيرية دعائية ضد اسرائيل . وان مئات المقالات والمنشورات والكراريس والرسائل المعنونة الى المحررين ورسوم الكاريكاتير والنشريات وصفت اليهودية كسلف ايديولوجي للصهيونية وان الصهيونية هي الولادة الحديثة للنازية . وقد اجبر العديد من اليهود على العمل او المشاركة في حملة لتبيان ان اية رغبة للمغادرة الى اسرائيل هي خيانة للاشتراكية . وقد تضمنت الحملة ضد اسرائيل طبعتي ١٩٦٩ و ١٩٧٠ من كتاب احذر الصهيونية (Beware Zionism) وبروتوكلات حكماء صهيون . وفي كتاب (احذر الصهيونية) يثير يوري ايفانوف (Yuri Ivanov) الانتباه الى تآمر الصهيونية

العالمية ويؤكد بأنه حتى الفاتيكان تديرها وتسيطر عليها الصهيونية [١٣] . وقد نشرت البرافدا رسالة في نيسان ١٩٧١ من سبعين محارب بلشفي قديم من اليهود الذين انضموا الى الحزب الشيوعي ما بين العامين ١٩٠٣ و ١٩٠٧ وهم يتذكرون كفاحهم ضد القيصر والحرب الداخلية والكفاح ضد النازيين والفوائد المزعومة التي يتمتع بها المواطنون في ظل القيادة السوفيتية . وقد حذروا الصهاينة الاسرائليين بـ «وقف للاغراءات القذره» وذكروهم بان الاتحاد السوفيتي «قد منح جميع القوميات بضمنها اليهود كل الحق والفرص . [١٤]

ان استمرار مغادرة اليهود الروس قاد الاعلام السوفيتي الى تصوير اليهود كمتشككين ومجرمين ومستغلين ومتآمرين ومغتصبين لايسيطرون على انتاج الاسلحة في الولايات المتحدة فحسب بل ايضا على الصحافة .

لقد اوقع الصهاينة في شرك مؤامراتهم مايقارب الالف صحيفة من مجموع ١٨١١ صحيفة تطبع في الولايات المتحدة ، منها صحف مثل نيويورك تايمز (New York Times) وشيكاغو تربيون (Chicago Tribune) وغيرها . ويضغط الصهاينة على بعض المجلات المؤثره مثل فورتشن (Fortnue) والتايم (Time) ونيوزويك (Newsweek) يواس نيوز اند ورلد ريبورت (US . News and Wold Report) . [١٥]

وقد وصفت العديد من المقالات (النظرية) في الصحافة السوفيتية الصهيونية بانها شكل من اشكال العنصرية والتمييز العنصري . وطبقا للمقالات فان الصهاينة انفسهم يفضلون التحريض المضاد للسامية لخلق مزاج يهودي بين الوسط اليهودي يمكن ان يفلت من سيطرتهم . لماذا يسمح السوفيت بالهجرة الجماعية لليهود في حين انهم يحاولون رسميا منعها ويصفون الصهيونية بانها فرع من فروع العنصرية يصفون اسرائيل بانها ذراع الأمبرياليه ؟ ويفسر الصحفيون الامريكان هذا التناقض بشكل رئيسي في اطار الجو السياسي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي . كما ان العوامل الرئيسة في التنازلات السوفيتيه هي الرأي العام في الغرب واحتمال ان تمنح الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي تعويضات وشروط افضل لكن هناك

اسبابا اخرى . فسياسة هجرة متحرره بشكل اكثر تفيد كصمام امان لتخفيض الضغط المتذبذب داخل الاتحاد السوفيتي ومن خلال السماح لاكثر المنتقدين للنظام او اجبارهم على مغادرة البلاد ، فان الـ KGB تجرد حركة الديمقراطية من قادتها واعضائها . واخيراً ، فأن الـ KGB استخدمت الهجرة الجماعية كوسيلة لاختراق اكثر لاسرائيل والولايات المتحدة وباقي الدول الغربية .

ومع استمرار هجرة اليهود من روسيا عام ١٩٧١ ، فقد اسس الـ KGB قسما خاصا في مقراته في موسكو وشعبا فرعية في بعض مكاتب الـ KGB الكبيرة في انحاء البلاد وقد وجهت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي الـ KGB لاختراق مجموعات اليهود وعدم تشجيع هجرة اليهود المتعلمين واسكات المعارضين اليهود [١٦] . وفي العديد من الحالات ، استخدمت الـ KGB ضغطا نفسيا واشكالاً اخرىٰ من الضغط لاجبار المتقدمين لان يصبحوا وكلاء للـ KGB . وقد كتب بعض اليهود تعهدات للعمل لصالح الـ KGB املين الحصول على اهتمام اكبر بطلباتهم ، ولم يدركوا خطورة كتابة هذه العقود التي يمكن استخدامها في المستقبل كابتزاز ضدهم .

هناك مجموعة صغيرة ، لكنها خطره ، ضمن المهاجرين ومنهم ضباط في الـ KGB بغطاء غير شرعي تظاهروا بانهم قد ارسلوا الى الخارج تحت هويه جديدة . بما انهم في العاده متعلمين بشكل جيد ومدربين حرفيا ، فقد توقعت الـ KGB بانهم قد يحتلون خلال عدة سنوات مراكز في المؤسسات الامريكية الاقتصادية والعلمية والاكاديمية وبطرق غير محدده للوصول الى المعلومات القيمه . ولاتوجد احصائيات حول عدد اليهود المجندين كوكلاء للـ KGB . ولم تقم الاستخبارات المضادة الاسرائيلية او مكتب التحقيقات الفيدرالي باعداد اية تقارير رسميه متوفره عن الموضوع ، لكنهم اعترفوا وبشكل غير رسمي بانهم في الحقيقة اكتشفوا عملاء للـ KGB ضمن المهاجرين اليهود . وقصص عزرائيل بيل (Israel Beer) والفرد فزنزل (Alfred Frenzel) وغونتر غيلوم (Gunther Guillaume) هي تحذيرات يجب ان تؤخذ بجدية .

هديــة كاستــرو التــي اثــارت المتاعــب

في المؤتمر الاول للحزب الشيوعي في هافانا في كانون الاول ١٩٧٥ اعلن فيدل كاستور بان وزارة الداخلية الكوبية قد اخترقت تماما كل المجموعات المضادة للثورة في الولايات المتحدة ، وفي العديد من الحالات ، احتل رجالها بعض اعلى المناصب القيادية [١٧] . ومنذ اوائل السبعينات ، كشف جهاز المخابرات الكوبي بوضوح نشاطاتة ضد مجموعات المنفيين الكوبيين في فلوريدا ونيوريوك ونيوجرسي وقد استطاع العديد من الوكلاء اختراق مختلف جماعات المنفيين ومجموعات رجال الاعمال بالاضافة الى منظمات البحوث اليسارية والمنظمات الثقافية .

ان احدى المنظمات التي اسست للتعرف على الوكلاء المحتملين واغوائهم الى كوبا كانت تعرف بـ هافانا تيور (Havanatur) وهي شركة بنميه في ميامي متخصصة او مهتمه بالرحلات الجوية باسم المنفيين من الولايات المتحدة الى كوبا . ويراس الشركة كارلوس الفونسو (Carlos Alfonso) والمعروف لدىٰ وزارة الخارجية الاميركية بان رجل من جهاز المخابرات الكوبي . وقد نفذت الشركة اول عملية غربلة لعدد كبير من الاشخاص المسافرين الى كوبا وحذرت هافانا من الاشخاص الذين يحتاجون الى الاهتمام اكثر . واخيرا تدخلت الولايات المتحدة ، وفي ٣١ كانون الاول ١٩٧٦ ، طردت هافانا تيور من اراضي الولايات المتحدة [١٨] .

وتحت القيادة المباشرة لفيدل كاسترو نفذ جهاز المخابرات الكوبي عام ١٩٨٠ عملية مضادة للولايات المتحدة تستحق اهتماما خاصا لجرأتها فعندما دخل اكثر من ١٠٫٠٠٠ كوبي الى مباني سفارة بيرو في كوبا مطالبين بحق اللجوء السياسي في ٢١ نيسان ١٩٨٠ ، امر كاستروا بابعاد حرس السفارة مؤقتاً واعلن بانه سيمنح تأشيرات خروج للمنشقين وقد وافقت عدة بلدان في امريكا اللاتينية بالاضافة الى الولايات المتحدة على قبول ١٠٫٠٠٠ منفي وقد نظمت كوستاريكا رحلتين يوميا من هافانا الى سان خوزيه (San Jose) حيث يمكن هناك غربلة المهاجرين وارسالهم الى بلدان اخرى . لكن كاسترو اوقف الرحلات بعد ثلاثة ايام من العملية وامر بان على كل المهاجرين ان يذهبوا الى

البلدان التي خططوا للاستقرار فيها . وقد قامت الاف القوارب ، معظمها للنزهه ، برحلات من ميامي الى ميناء ماريل (Mariel) في كوبا لنقل المنفيين الى الشواطئ الامريكية . وكانوا مندهشين بالعملية المنظمة . فبعيداً عن الشاطئ كانت القوارب الامريكية تستقبل من قبل الزوارق الحربية الكوبية . وتُرافق الى الميناء . وعندما سلم طواقم القوارب الامريكان السلطات الكوبية قوائم بالاقرباء والاصدقاء الذين سوف يعودون الى الولايات المتحدة ابلغوا بانه مقابل كل مهاجر خارج السفارة ، يجب ان يسافر على كل زورق اربعة مهاجرين تم اختيارهم من قبل رجال كاسترو [١٩] .

وبعد فتره قصيره من وصول اوائل اللاجئين الكوبين الى فلوريدا ، اعلن الرئيس كارتر بان الولايات المتحدة سوف لسعلهم بقلب واذرع مفتوحه [٢٠] . لكن الحماسة بين المسؤولين في واشنطن والصحافة لم تدم طويلاً . وان مابدأ في اول الامر نصراً للولايات المتحدة اصبح فيما بعد مشكله خطيره والكثير من الربانيه عادوا من كوبا اعلنوا بانهم لم يستطيعوا ان يعثروا على الاقرباء ولم يستطيعوا ان يغادروا كوبا بدون حمل اعداد من الديدان (gusanos) وكان يتم قبول اللاجئين في الولايات المتحدة بشرط يطلبوا حق اللجوء السياسي خلال ستين يوما لكن هذه العملية قد فشلت ، وهذا ما اعطىٰ كاسترو فائدة تمرير حله للمشكلة . ومابين ٢١ نيسان ١٩٨٠ و ٢٦ ايلول ١٩٨٠ ، عند اغلقت كوبا ميناء ماريل (Port Mariel) بوجه اللاجئين ، وصل ميناء كي ويست في فلوريدا حوالي ١٢٤٠٠٠ لاجئ . ولم يكن اي منهم يمتلك الوثائق التي تؤهله شرعيا لدخول الولايات المتحده وكان معدل اعمارهم ٣١ سنة وكان ٧٠٪ منهم رجالاً وقد امضىٰ خمسهم بعض الوقت في السجن وخمسهم كانوا كوبيين سود صنفوا ضمن السود من قبل الامريكان [٢١] . وقد اطلق كاسترو سراح المجرمين المعروفين والمرضىٰ المعتوهين في المؤسسات الصحية (العقلية) وامرهم بركوب الزوارق .

وقد اجبر التدفق المفاجئ سلطات الولايات المتحدة على اتخاذ اجراءات خاصة . وقد اعلن حاكم فلوريدا (بوب غراهام) حالة الطوارى وفتحت الحكومة لفيدرالية عدة معسكرات حيث خضع اللاجئون لفحوصات طبية

واسعة وفحوصات مختبرية وتم غربلة كل مهاجر عن كثب من قبل دائرة الهجرة والتجسس الامريكية ومكتب التحقيقات الفيدرالي والبنتاغون ووكالة المخابرات المركزية . كان الافراد ذوي الخليفه الاجرامية يرسلون الى السجن الفيدرالي في تالاديجا (Talladega) ، الا باما ، لانتظار عمليات التسفير . وفي منتصف مايس ، القىٰ مكتب التحقيقات الفيدرالي القبض على ثلاثة اشخاص بتهمة القرصنه الجوية والخطف .

وقد قامت مجموعة مؤلفه من اكثر من ٣٠٠ كوبي بالتمرد على مركز ترحيل المهاجرين في فورت كافي *(Fort Chaffee)* في اركنساس في ١ حزيران ١٩٨٠ واندفعوا في الشوارع وهم يهتفون (بالحرية) ويشعلون النيران . وعندما فتش الجنود العسكريون المعسكر ، صادروا عدة سكاكين واسلحة محلية . وكانت هذه واحده من المصادمات العديدة بين مسؤولي القانون والمهاجرين الذين كانوا يتظاهرون ضد التأخير في اعادة لاستقرار . حتىٰ ان مصادمة اكثر عنفا كانت قد وقعت في معسكر اللاجئين في قاعدة إغلن الجوية في ساحل فورت والتون بيتش (Fort Waltloh Beach) في فلوريدا حيث قفز مائتا كوبي من السياج ورموا الحجارة والصخور على الشرطة العسكرية . وقد عزلت الشرطة ثمانية وستين محرضا مشتبه به بعد المعركة ووضعتهم في مجمع اكثر حصانة [٢٢] . وبالرغم من ان البيت الابيض قد اعلن بان المحرضين (او مثيري الشغب) ومئات المجرمين المتهمين سوف لايسمح لهم بالبقاء في الولايات المتحدة ، الا ان المسؤولين قد اعترفوا بصورة خاصة بانه من المحتمل ان لايقبل كاسترو رجوعهم الى وطنهم .

ومنذ مجيء كاسترو الى السلطة عام ١٩٥٩ ترك الجزيرة اكثر من مليون كوبي واستقر معظمهم في الولايات المتحدة . وقد جاءت اولاً النخبة المميزة ، ثم الطبقة الحرفية واخيراً في عام ١٩٨٠ جاء العمال المعدومون الذين يفترض ان الثورة قد جاءت لمساعدتهم . وقد كشفت تقارير موثوقة من داخل كوبا بان الحكومة الكوبية كانت قد ناقشت مسألة الهجرة بفترة طويلة قبل ان يحتل العشرة الاف كوبي سفارة بيرو . وفي تقرير اللجنة الفرعية للمخابرات التابعة لمجلس النواب في اواخر كانون الثاني ١٩٨٠ حذرت وكالة المخابرات المركزية

من ان نظام كاسترو (قد يلجأ مرة ثانية الى عملية هجرة واسعة لتقليص الاستياء الناتج عن وضع كوبا الاقتصادي المتردي [٢٣] ! ! وقد اعادت الوكالة التحذير لعدة مرات مابين كانون الثاني وآذار من عام ١٩٨٠ ، لكن ادارة كارتر اهملته لان وزارة الخارجية «لم تعتقد بان الهجرة قريبة الحدوث» .

وحتى لو ان وكالة المخابرات المركزية لم تعط التحذيرات ، فقد كانت هناك عدة اشارات حول مشاكل كوبا الداخلية . وكما هو شأن الهجرات الجماعية لحوالي ٢٧٠,٠٠٠ شخص في تشرين الاول ١٩٦٥ فأن الهجرة الجماعية لعام ١٩٨٠ قد جلبت لكاسترو راحة وان كانت طفيفه في مجال الطلبات على الغذاء والبضائع الاستهلاكية الاخرىٰ والحاجة الملحة الى السكن ان معظم محصول القصب كان قد تدهور عام ١٩٧٩ بسبب مرض صدأ الحبوب ، ومحصول التبغ كان قد اصيب كليا بالعفن الازرق . وان تدهور الاقتصاد وانحسار الحماس الثوري قد شجع كاسترو على فتح الباب وتخليص البلاد من العديد من المنشقين سياسيا ومثيري المشاكل الحقيقيين والمحتملين والمجرمين ولهذا فان الرحلات من كوبا كانت تبارك بشكل خفي ، وبدلا من السماح للمهاجرين بالاستقرار في عدة بلدان ، فقد ناورَ كاسترو حكومة الولايات المتحدة وزجها في وضع بحيث لم يكن لها خيار سوىٰ قبول كل المهاجرين ومنهم المجرمين والمرضىٰ عقليا والناس المعقدين العاجزين ذوي الامل القليل في اعالة انفسهم . وان العديد منهم لم يكن لديهم اي صلات عائلية مع المجتمع الكوبي واصبحوا عبئاً على حكومة الولايات المتحدة . بالطبع كان كاسترو يعلم بأن نسبة البطالة ضمن السود في ميامي قد وصلت الى ٩٪ عام ١٩٧٩ وان مرارتهم قد ازدادت عندما عرفوا بان الكوبيين كانوا يستحوذون على الاعمال التي كانت تخصهم من الناحيه التقليدية .

وبموجب قانون اللاجئين الذي اقر قبل خمسة اسابيع من التدفق كان على اللاجئين ان يظهروا بان لديهم «خوف حقيقي من الاضطهاد» اذا ماعادوا الى وطنهم . وبالرغم من ان القرارات قد صدرت بشكل محدود لبعض الحالات فأن الاجراءات كانت غير عملية للتعامل مع ١٢٤,٠٠٠ حالة مختلفة . وتشخيص ذلك كان امراً صعباً للغاية طالما ان اللاجئين كانوا قد وصلوا

الولايات المتحدة بدون تأشيرات دخول او اية وثيقة اخرىٰ . وكما هي الحالة بالنسبة للموجات الاولى من اللاجئين من كوبا ، فأن حوالي ٢٠,٠٠٠ رجل كانوا قد انفصلوا عن زوجاتهم لان معظم اللاجئين من ماريل لم يسمح لهم بجلب عوائلهم . وقد اشار تقرير للمكتب الفيدرالي لتوطين اللاجئين عام ١٩٨٢ بان ٢٤٠٠٠ لاجيء كوبي اعترفوا بانهم قضوا اكثر من ١٥ يوما في سجون كوبا ، لكن التقديرات الخاصة وصلت الى ٤٠,٠٠٠ [٢٤] .

وقد جمع العديد من الاشخاص الذين قضوا في سجون كوبا بسبب الجرائم ، من قبل الشرطة المحلية وهددوا بالسجن اذا لم يغادروا البلاد وبعد اجراءات في مراكز الشرطة المحلية ، نقلوا الى ساحل الموسكيتو (El Mosquito) في ماريل وكانت هناك مجموعة اخرى ومنهم المذنبين الذين قضوا اوقاتا في مختلف السجون وهؤلاء تم جمعهم في السجن ونقلوا الى ماريل ، وظلوا مفصولين عن باقي اللاجئين حتى مغادرتهم . وقد ساعدت الصدمة الحضارية والشعور بالعزلة بعد الوصول الى الولايات المتحدة على الارتباك وحدوث الجرائم بين اللاجئين . وكمثال على ذلك فان طائرة تجاريه كانت تختطف الى كوبا كل اسبوع مابين تموز وايلول من عام ١٩٨٠ من قبل اللاجئين المصابين بمرض الحنين الى الوطن والراغبين بالعودة الى وطنهم . وكان رد فعل كاسترو هو انه اعلن في ١٨ أيلول ١٩٨٠ بأنه سوف يعيد كل المختطفين الى الولايات المتحدة .

ومن بين الـ ١٢٤,٠٠٠ لاجيء الذين وصلوا الى فلوريدا احتجز ١,٧٠٠ منذ وصولهم بسبب تورطهم في جرائم خطره ، لكن تشخيص المجرمين في مجتمع الى يفتقر السجلات هو امر صعب جداً . [*] وبسب عدم وجود دليل قاطع عن ماضيهم الاجرامي ، فأن الحكومة اطلقت سراح اكثر المجرمين مع باقي . اللاجئين وهذا قد سبب الكوارث والقتل والاغتصاب والسرقة في المدن التي استقروا فيها وكقطاع طرق جدد في امريكا ، فقد اصبحوا معروفين

* بعض اللاجئين الكوبيين يحملون ، ماضيهم الاجرامي معهم بشكل اوشام والتي كان يتم بواسطتها تمييزهم في السجون الكوبيه والمكان الاكثر شيوعا لعلامة الوشم هي المساحة بين الابهام والسبابة .

باسلحتهم ذات العيار العالي والتظاهر بالشجاعة والفساد . وخلال فترة الاحد عشر شهراً من وصولهم ، فقد القي القبض على ٦٦ منهم في ميامي بسبب جرائم القتل وعلى ٧٢ منهم بسبب جرائم الاغتيال . وفي الواقع ، فأن معدل الجرائم بين اللاجئين هو اكثر من معدله ضمن التعداد العام بخمسة اضعاف [٢٥] .

وتشير تقارير الشرطة لمدينة نيويورك للعام ١٩٨١ بان حوالي ١٠٠٠ عملية اعتقال تمت على الكوبيين الذين وصلوا المدينة في اسطول عام ١٩٨٠ . وكان لاحد اللاجئين وهو غيلرمو فالديز (٣٢ سنة) سجل اعتقال وصل الى ٦ مرات بسبب السرقه والتهديد بالقتل مابين آب وكانون الاول ١٩٨٠ . وينطبق نفس الشئ على المناطق الاخرى المزدحمة بالكوبيين وبحلول ايلول ١٩٨١ نادراً ما كانت هناك مجموعة من اي مكان من البلاد ترغب في قبول المجموعة الاخيرة المكونة من ٧٢٠ لاجيء . وفي ذلك الحين انفقت الولايات المتحدة اكثر من ٦٠٠ مليون دولار على عملية التوطين وبطاقات التغذية والعناية الطبية للاجئين [٢٦] . وتنفق حوالي ٢٥,٠٠٠ دولار سنويا على ابقاء الشخص في السجن ، بالاضافة الى ملايين الدولارات الضرورية في المستقبل لتأمين الفصل المستمر للمجرمين الكوبيين المحترفين عن باقي المجتمع الامريكي .

إن ازدياد الدليل ومنها شهادة بعض اللاجئين وتصريحات رجال مكتب التحقيقات الفيدرالي تظهر وجود مجموعة صغيرة لكنها مهمة من الافراد الذين جندوا كوكلاء سريين من قبل جهاز المخابرات الكوبي وقد اختير بعضهم مع توقع انه بعد وصولهم الى الولايات المتحدة فانهم سوف يعلمون مكتب التحقيقات الفيدرالي عن مهامتهم . وكان القصد من توجيهاتهم ومنها إسماء بعض المؤتمنين في الولايات المتحدة ، هي ارباك المكتب .

وهناك مجموعة اخرىٰ من وكلاء ورجال جهاز المخابرات الكوبي كان يتوقع منها ان تبدأ العمل بمجرد مرورها من التفتيش الامني في الولايات المتحدة . ومن هؤلاء كان ماريو استبيز غونزالر (Mario Estebes Gonzales) والذي اعتقل في تشرين الثاني ١٩٨١ بتهم تهريب المخدرات . وفي شهادتة امام محكمة المقاطعة الفيدرالية في ميامي اعترف استبيز بانه كان واحداً من

(٣٠٠٠) عميل سري ارسلوا الى هذ البلد في الهجرة الجماعية لعام ١٩٨٠ ، وعندما القىٰ حرس السواحل القبض عليه ، كان ينقل حوالي ٢٥٠٠ رطل من الماريجوانا في احد القوارب بعيداً عن ساحل فلوريدا ، وأخبر المسؤولين الفيدراليين بان مهمته الاولى من المخابرات الكوبية كانت بالانضام الى مجموعة الفا ٦٦ (Alpha 66) وهي مجموعة متطرفه من المنفيين مناوئه لكاسترو تعمل في الولايات المتحدة ، وانه استلم فيما بعد اوامر للتورط في عملية تهريب المخدرات . وحتى القاء القبض عليه ، فأنه كان يسافر باستمرار الى كوبا ، وبصورة رئيسة في قارب سريع وانه كان يسلم للمسؤولين الكوبيين من ٢ الى ٣ مليون دولار عن قيمة المخدرات ، وكانت الموارد المجموعة من قبل الحكومة الكوبية تستخدم للحصول على العمله الصعبة لدعم الاقتصاد الكوبي ولدعم الحركات اليسارية في اميركا اللاتينية . وليس كل العملاء السريين الذين يقدر عددهم بـ ٣٠٠٠ عميل متورطون في عمليات تهريب المخدرات بالطبع وكان يتوقع لبعضهم زعزعة مجموعات المنفيين الكوبيين والمجموعات الاخرى لتنفيذ عمليات تجسس اقتصادية او علمية لكن ثمة مجموعة اخرى صغيرة مؤلفه من وكلاء موثوق بهم ومخلصين سوف يكون من الصعب الكشف عنهم . وانهم يخططون للبدء بعملياتهم فقط بعد ان كونوا سمعتهم كاميركان مخلصين ومحترفين .

ان ماظهر بالاساس بانه ارتباك لنظام كاسترو ، اصبح وجع رأس للامريكان . فمن خلال السماح لاكثر الفاشلين والمتهورين الكوبيين بمغادرة البلاد خفف كاسترو بصورة مؤقته على الاقل من بعض الضغط الداخلي الذي يواجههُ ، وخلص كوبا من العديد من المجرمين وجعلهم عبئاً على المدن الامريكية ودافعي الضرائب وفوض بجديه صورة المنفيين الكوبيين في الولايات المتحدة . ومن خلال زج عدد من الوكلاء السريين في الحجم الكبير من المنفيين البائسين فأنه خلق مشكلة لوكالات الامن الاميركية وهذا يتطلب العديد من السنوات ومقداراً كبيراً من الطاقة للسيطرة عليه .

الفصل التاسع

الصلة الغرامية مع الارهاب

في السابع والعشرين من شهر شباط ١٩٨٠ ، وفي وقت الظهيرة ، كان العديد من الشباب والشابات يلعبون كرة القدم خارج ابواب سفارة جمهورية الدومنيكان في بوغوتا ، كولومبيا . وفي داخل السفارة ، كان العديد من الدبلوماسيين يحتفلون بيوم الاستقلال الدومنيكاني ، وبعد مغادرة ممثلي خمسة بلدان شيوعية بضمنهم الاتحاد السوفيتي في سياراتهم الخاصة ، قام لاعبو كرة القدم باخراج الاسلحه من حقائبهم وسيطروا على السفارة . وقد احتجز الارهابيون ستة وخمسين دبلوماسيا بضمنهم السفير الامريكي دياغوسي . اسينكيو (Diego C Ascencio) وهددوا بقتلهم اذا لم تلبي الحكومة الكولومبية مطالبهم باطلاق سراح ٣١١ فدائي مسجون في كولومبيا ودفع فدية مقدارها ٥٠ مليون دولار ونشر بيان يخص تعذيب السجناء السياسيين في كولومبيا .

وكان الفدائيون الذين يرتدون البدلات الشتوية والقبعات ، يخاطبون بعضهم الآخر بالارقام بدلاً من الاسماء ، وكان قائدهم الكوماندنت يونو (Comandante Uno) شاب مؤثر في الثلاثين من عمرهِ . ويطلق على المجموعة اسم أم ـ ١٩ (M - 19) او حركة ١٩ نيسان ، وهي احدىٰ مجموعتين ارهابيتين رئيسيتين تمارسان نشاطهما في كولومبيا . وهذا المجموعة التي نظمت في عام ١٩٧٤ لتعمل اساسا في المناطق المدنية ، هي مجموعة ماركسية تنادي بتاسيس جمهورية اشتراكية . وكانت اول عملية رئيسية لمنظمة أم ـ ١٩ في كانون الثاني ١٩٧٤ قد اكتسبت شهرة واسعة وذلك عندما سرق اعضائها سيف سايمون بوليفار (Simon Bolivar) ، وهو احد الابطال الوطنيين في كولومبيا ، من احد المتاحف في بوغوتا . وقد تركوا ملاحظة تحتوي على هذه الكلمات : «ان سيفهُ بدأ الآن بمعارك جديدة . وهو يواجه الآن اليانكي والمستغلين الذين يُسلمون وطننا الى الاسىٰ والحزن والاقطاع والرأسماليين وحكم القلة» [١] .

وقد صرح فيما بعد السفير الامريكي اسينكيو بان «قابليته الشخصية في التعامل مع المختطفين وعلى مختلف المستويات كانت مهمة في انقاذ حياتهِ» . وخلال فترة الـ ٦١ يوما من الحجز ، عرف اسينكيو الكثير حول دوافع وتفكير مختطفيه : «كان بعضهم ليس اكثر من ادوات واكبر سنا وغير مرنين في تفكيرهم والبعض كانوا شبابا جذابين وممتعين وطلابا باحثين ومبدايين واكثر مرونة واخيرا هناك المغامرون الذين لو لم يكونوا فدائيين لكانوا في الخارج يسطون على البنوك او شئ آخر» [٢] .

وكان كل من الفدائيين والحكومة الكولومبيه قد ادعىٰ النصر عندما اطلق سراح الرهائن بعد شهرين من الاحتجاز . فالرئيس الكولومبي خوليو سيزار تاربي أيالا (Julio Cesar Turbay Ayala) قد اعتبر الحل «نصرا للبلاد» وادعىٰ الارهابيون النصر رغم ان مطلبهم الرئيس باطلاق سرح مئات الفدائيين من السجون الكولومبية لم يتحقق . وقد صرحوا بان عمليتهم جلبت انتباه العالم الى التعذيب وانتهاك حقوق الانسان التي يمارسها العسكر في كولومبيا [٣] وقد قبلوا بـ ٢,٥ مليون دولار كفدية ومغادرة آمنة من البلاد .

وعندما حطت طائرة الخطوط الجوية الكوبية وهي تحمل الرهائن والفدائيين في مطار هافانا ، حيّت مجموعة صغيرة من الكوبيين الفدائيين عندما غادروا الطائرة . وقد منح فيدل كاسترو حق اللجوء السياسي للفدائيين وعاد الرهائن لاوطانهم واصبحت المأساة الكولومبية ملاحظة صغيرة وهامشية في تاريخ الارهاب .

وكان لحصار سفارة الدومنيكان العناصر المثالية لعمل ارهابي حديث . «ابطال» مقنعون يطلق بعضهم على البعض الآخر الارقام ويعبرون عن الرغبة الكاملة بالقتل في حين يبدون الاحترام للنساء . وتقارير صحفية تسلط الضوء على الصور والحقائق السطحية بدلاً من جوهر الارهاب والقليل من الاشارات التي تربط العمليات الارهابية ببلد شيوعي .

ويوضح قاموس ويبستر العالمي الجديد للغة الامريكية (Webster , S , New World Dictionary of the American Language) الارهاب بانه «استخدام الرعب والعنف للتخويف والاخضاع .... الخ ، وخاصة كسلاح سياسي اوسياسة معينة» . وعادة ماتهدف الاعمال الارهابية الى نشر احداث او حالات معنية او اثارة الخلافات الاجتماعية في المجتمع . وتتضمن الاشكال الكلاسيكية للارهاب الحديث اختطاف الطائرات والتفجيرات واختطاف السياسيين والاغتيالات ، ولكن ليست القرارت الباردة للقتل والتورط في العنف فقط هي التي تميز الارهاب . ولاثارة الخوف وتحطيم دفاعات الاعداء ، فان الارهابيين يستغلون بمهارة اجهزة الاعلام ويلجاؤن الى العنف من اجل تأثير سياسي رمزي . وفي العديد من الاحيان ، يصدرون بيانات مطولة مملوءة بالشعارات الثورية ويهددون بقتل رهائنهم ما لم تنشر هذه البلاغات . وغالبا ماتجبر شبكات التلفزيون علىٰ نشر الافلام المصورة التي تظهر الارهابيين وهم يستجوبون رهائنهم او يقرأون تصريحات سياسية مطولة . ولهذا فان الدعاية او اعتراف العامة بفكرتهم او حركتهم هي الهدف الاساسي .

وقد احتلت عملية بوغوتا صدر الصفحات الاولى في الصحافة الامريكية . وقد غزا حوالي خمسين صحفيا ، بضمنهم طواقم كبيرة من شبكات

التلفزيون ، مدينة بوغوتا حيث عسكروا في خيم ملونة براقة على حدائق السفارة المزدحمة والتي خصصت لهم في باحة سفارة الدومنيكان . وقد كتب ستيفن كينزر (Stephen Kinzer) في جريدة البوسطن غلوب مايلي : «اصبح المراسلون الامريكان بملابسهم الملونة وعاداتهم المتحررة موضوعا للفضولية الواسعة سواءً بين زملائهم الكولومبيين او ، وبشكل ظاهرة ، بين العامة عموما . «انتم الامريكان كالنجوم في هذا المكان ، هذا ماقالهُ احد المراسلين المحليين ، محاولاً ان يوضح رغبته الشديدة . «نحن لم نرىٰ احتلالاً كهذا من قبل !» [٤] .

ولا توجد ارقام معتمدة للفترة ماقبل العام ١٩٦٨ ، لكن اعتباراً من العام ١٩٦٨ ، وخلال العالم ١٩٧٩ ، حصلت ٣٣٣٦ حادثة ارهاب اسفرت عن قتل ٢٦٨٩ شخص وجرح ٥٩٥٥ شخص . (لاحظ جدول ٩ ـ ١) [٥] .

الجدول ٩ ـ ١ . عدد الوفيات نتيجة الارهاب العالمي استناداً الى مجلة يواس نيوز اندورلد ريبورت USNWP (١٩٨٠/٦/١٦) .

١٩٦٨	٣٤	١٩٧٤	٣١٥
١٩٦٩	٢٩	١٩٧٥	٢٤٠
١٩٧٠	١١٠	١٩٧٦	٤٠٢
١٩٧١	٣٦	١٩٧٧	٢٣٥
١٩٧٢	١٤٥	١٩٧٨	٤٣٢
١٩٧٣	١٢٤	١٩٧٩	٥٨٧

وكان الدبلوماسيون او المسؤولون الامريكان ضحايا لـ ٢٠٨ عملية مسلحة اسفرت عن اغتيال ١٤ شخص بضمنهم خمسة سفراء وخطف ٣٨ وجرح ٣٢ بجروح بليغة [٦] . وقد وجهت نسبة ٤٠٪ من كل الهجمات الارهابية في العالم ضد الامريكان عام ١٩٨٠ .

ان اكثر من ٥٠٪ من الاعمال الارهابية في السنوات العشر الاخيرة قد حصلت في امريكا اللاتينية واوربا الغربية . وكانت منطقة اميركا الوسطىٰ الحيوية من الناحية الستراتيجية هدفا مركزيا لارهابيي امريكا اللاتينية ذوي الصلات الوثيقة بكوبا . وبعد حرب دموية طويلة اودت بحياة اكثر من ٣٠,٠٠٠ شخص ، سيطر فدائيو الساندنستا (Sandinista) الشيوعيون على نيكاراغوا في تموز ١٩٧٩ وقد قاد آلاف المستشارين الكوبيين النظام الجديد بشكل اقرب الى الكتلة السوفيتية . ومنذ انتصارهم ، نشر الساندنستا العدوىٰ الثورية الى السلفادور المجاورة وغواتيمالا .

والاوساط الطلابية الكبيرة تكون عرضة للهجوم بشكل خاص . والارهاب في هذه البلدان هو استجابة متطرفة للتخصص والبيروقراطية والاعتراف المتأصل في المجتمعات الصناعية المتطورة . ومجموعات الارهاب مثل الالوية الحمراء في ايطاليا والجيش الاحمر في المانيا الغربية هي مجموعات مناوئة للرأسمالية والامبريالية والديمقراطية ومعظمها يؤمن بالايديولوجية الماركسية ـ اللينينية . اما المجموعات الاخرىٰ مثل الجيش الجمهوري الآيرلندي فانها تقاتل من اجل قضايا قوميه بحته . ورغم ان الماركسيه هي ... السياسة السائدة ضمن المجموعات الأرهابية فان حماستها الثورية ليست مستلهمة من قبل الاتحاد السوفيتي . ويعتقدون بان برامجهم سوف تنجح من خلال الكفاح المسلح ويؤكدون بان الثورة لم توجه من قبل البروليتاريا في الاتحاد السوفيتي وكوبا والصين . وقد كانت من انجازات الثوريين المتمرسين وهي ترفض النقاش والاقناع والاصلاح . فالثورة هي ثورة اجيال من الرجال والنساء والشباب الذين يعتقدون بان العنف هو الاداة الحقيقية لتحقيق اهدافهم .

ان قضية مونيكا ايرتل (Monika Ertl) التي قُتلت في بوليفيا عام ١٩٧٢ ليست مثالاً على حماسة العنف النموذجية للارهابيين فحسب بل انها كانت ايضا ذات قدر كبير من السذاجة السياسية . وقد عاشت مونيكا ايرتل وهي ابنه لمصور الماني معروف جاء الى بوليفيا عام ١٩٥٣ وقرر البقاء هناك ، عاشت حياة مترفة نسبيا كعضو في مجتمع اوربا الراقي . وبعد زواج غير

ناجح في سن الـ ٣٢ ، غادرت ايرتل الى المانيا الغربية عام ١٩٦٩ وعاشت لفترة قصيرة مع مجموعة من الطلبه خائبي الامل والمتطرفين . وكانت المناقشات التي تستمر طوال الليل حول الوعي الطبقي وستراتيجية الثورة وتكتيكاتها وفلسفة تشي جيفار (Che Guevara) قد غيرت من حياة ايرتل . فقد اتصلت بممثل الثورة البوليفية ونالت ثقتهِ وعادت الى بوليفيا واصبحت امراه ذات وجهين فخلال النهار كانت تؤدي دور سيده الاعمال الناجحه التي تبيع ... وثائق (IOS) وخلال الليل تزرع القنابل . وقد هربت الاسلحة من البلدان المجاورة الى بوليفيا وشاركت في السطو على العديد من المصارف وساعدت على اخفاء معلمي الفدائيين الكوبيين . وقد اختفت من بوليفيا عام ١٩٧٠ وزارت عدة بلدان شيوعية بضمنها المانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا وكوبا . وعند توقفها الاخير في اوربا قابلت المليونير والارهابي الايطالي فلترنيلي (Feltrinelli) والذي كان على صلات وثيقة مع اوربا الشرقية . وبمساعدة العديد من البوليفيين والالمان الغربيين والاصدقاء الايطاليين ، خططت مونيكا ايرتل لاغتيال كوينتا نيلا (Guintanilla) ، القنصل البوليفي في هامبورج ، المانيا الغربية ، وهو الرئيس السابق لجهاز الامن البوليفي المسؤول عن مقتل تشي جيفارا . وبعد قتل كوينتا نيلا في مكتبهِ في ١ نيسان ١٩٧١ ، اختفت باعجوبة خلف اجنحة الظلام . وقد حاولت الشرطة العثور عليها في هامبورج الا انها اختفت . وعندما ظهرت في بوليفيا في آذار من عام ١٩٧٢ لم يكن امامها سوىٰ ثلاثة اشهر للعيش . فقد داهمتها الشرطة في احدىٰ الامسيات في احدىٰ الشقق في ضواحي لاباز (Lapas) وقتلتها [٧] .

وقد وفرت قصة مونيكا ايرتل ومغامراتها للصحافة الالمانية الغربية العديد من القصص المسرحية لبضع سنوات ، لكن هذه القصص لم تغير من النظام السياسي البوليفي او من معاناة الفقراء . فالنظام في الواقع اصبح اكثر تسلطا . وفي لقاء غير اعتيادي داخل احد السجون في المانيا الغربية عام ١٩٧٨ ، اعترف هورست ماهلر (Horst Mahler) وهو احد القادة الاصليين لمجموعة بادر / ماينهوف (Baader / Mainhof) المسلحة في المانيا ، بعدم جدوىٰ وغباء الارهاب . واعلن بان الطبقات العاملة لاتتغير او تستجيب لكل

المحاولات الرامية لتوحيدها ضد النظام . فقد قال بالحرف الواحد : «ثم التفتنا الى العالم الثالث كحلفاء لنا ضد بلادنا ولكن لم تكن هناك اية استجابة . واخيراً تحولنا ضد انفسنا وضد كل واحد حولنا الى العنف وتدمير النفس» [٨] . وعلى حد تعبير الصحيفة السياسية الاسبوعية في المانيا الغربية دي تسايت (Die Zeit) ، فان «الارهابيون هم اشخاص مثاليون ، والمثاليون يمكي ان يزعجوا الناس» .

والصفة البارزة لمجموعات الارهاب هي انتمائها المتعجرف او المتغطرس . فهي تدعي التكلم باسم الملايين وفي نفس الوقت تظهر ازدراء كلي للقانون وللحياة البشرية والكفاح اليومي للانسان . لم تحصل هنا تغييرات كبيرة في تكتيكات واهداف الارهابيين . فاهدافهم الرئيسية هم المدنيون والمؤسسات غير العسكرية ، وتكتيكاتهم هي اعمال عنف قاسية مترافقة مع حملات نفسية عنيفة . والتغيير الوحيد الذي حدث هو مستوىٰ قسوة عنفهم . فارها بيو الثمانينيات كانوا اكثر ميلاً الىٰ القتل وقبول الموت من اسلافهم . ولم يظهر ارهابيو العقد الماضي سوىٰ القليل من الميل نحو .. استخدام الاسلحة المتطورة . وحصولهم على التكنولوجيا المتطورة ، بضمنها الاسلحة الذرية هو منظر مؤلم ويحمل نتائج مفجعة للعالم اجمع .

الارهـــــاب اليســـاري والـ KGB

غالبا مايصف الاتحاد السوفيتي الارهاب العالمي بانه مكيده امبريالية او صينية ويرفض جملة وتفصيلاً انه يكون له اي تورط فيه . وتُعبّر المقالة المنشورة في الجريدة السوفيتية الازمنة الحديثة (New Times) الصادرة في شباط ١٩٨١ نوعا ما عن وجهة النظر السوفيتية الرسمية :

> اولاً هناك الارهاب اليميني ، وهوبالاساس نوع فاشستي من انواع الارهاب وهو نتيجة للنظام الرأسمالي . وثانيا هناك الارهاب اليساري . انه يعوق تطور الحركة الثورية والتحرر الوطني . وكما هي الحال بالنسبة لارهاب الجناح اليميني فان وحشية أو ارهاب اليسار هو اداة في ايدي الامبريالية .... ومن الطبيعي فان ارهاب اليسار يثير اشمئزاز الناس بعبثه ووحشيتهِ ، ويصرف ويحيد الجماهير عن كفاحها

الحقيقي من اجل حقوقها .... ولا حاجة بنا الى القول بانه ليس للاتحاد السوفيتي اية صلة بالالوية الحمراء . ان اعمال هؤلاء الثوريين الكاذبين تشير بشكل مضاد للافكار الشيوعية والنضال الحقيقي لمستقبل افضل للانسانية . وليس بخاف على احد بان الالوية الحمراء والمجموعات التابعة لها الموجودة في ايطاليا وتركيا واسبانيا تلقي الدعم المادي والمعنوي من الماويين» (٩) .

وما عدا بعض الاستثناءات فان الصحافة الغربية تميل الى تصديق وجهة النظر السوفيتية . وقد قالت النيويورك تايمز في مايس ١٩٧٨ بانهُ «بغض النظر عن حقيقة ان بعض مؤسسي الالوية الحمراء كانوا قد زاروا تشيكوسلوفاكيا في اوائل السبعينيات فليس هناك اي دليل ، كما يقول الاخصائيون الغربيون ، على علاقاتها مع اوربا الشرقية ولم يكتشف اي اثر للالمان والاميريكان اللاتينيين والفلسطينين او الايرلنديين في المنظمة» (١٠) . وحتى نهاية ايلول ١٩٨١ ، فان صحيفة البوسطن غلوب وفي سلسلتها المكونة من اربعة اجزاء حول الارهاب كانت تؤكد على مايلي : «بالرغم من وجود بعض الادلة على الارتباطات الدولية بعالم الارهاب السفلي فان المسح المكثف لم يجد اي اساس للادعاء بان موجة الارهاب التي اجتاحت اوربا هي محاولات منسقه لزعزعة استقرار الغرب .. نموذج الارهاب الاوربي هو نموذج وحشي وبدائي» . وغالبا مايؤكد الصحفيون الغربيون بان السوفيت رفضوا دوما عمليات الاغتيال ليس على اساس انها عمليات لا اخلاقيه بل على اساس ان الماركسيه السياسه ... ليست على اساس الافراد . ويؤكدون على النظرة الشيوعية التي تنظر الى قادة الافراد على انهم يمثلون نزعات المجتمع والتي عادة ماتستمر سواء ازيل هؤلاء القادة ام لا (١١) .

ولا توفر اجهزة الدعاية السوفيتية اي مفتاح ملائم لاختبار التورط السوفيتي في الأرهاب العالمي . وبالرغم من ان الصحافة السوفيتية تنادي بوجهة النظر الماركسية اللينينية بان الارهاب هو فوضوي ومدمر وغير مثمر فان الـ KGB تعتبره مرضا مفسداً يوهن جسم معارضي السوفيت ويساعد على تحقيق الهدف بعيد المدىٰ لتحطيم المؤسسة الغربية . وعندما تدرس ظاهرة الارهاب العالمي وارتباطاتها مع اوربا الشرقية ، فان العديد من المحللين

الغربيين يفصلون خطأ مابين الارهاب والاشكال الاخرىٰ للاجراءات الفعالة من قبل السوفيت . ويغطىٰ تورط الـ KGB بعدة طبقات وقائية من قوانين الامن المشددة وما يسمىٰ بمساعدة البرولوتاريا الاميه . وحتىٰ ان بعض اعضاء منظمات الارهاب لايعرفون الدور المناط بهم في الخطط .

ولاتستطيع المنظمات الارهابية ان تصمد لفترات طويلة بدون الدعم الخارجي . وقد قام الاتحاد السوفيتي وجمهورية المانيا الديمقراطية وتشيكوسلوفاكيا وبلغاريا وكوبا بتأمين انواع مختلفة من المساعدات للارهابيين ومنها الاسلحة والعتاد والمتفجرات والتدريب العسكري والمساعدات المالية والملاذ حيث يستطيعون ان يخططوا لعملياتهم بدون ازعاج ، او تأمين الاتصالات مع مجموعات ارهابية اخرىٰ .

وقد احتفظت مجموعة ويذر اندركراوند (Weather Underground) الموجودة في الولايات المتحدة ولعدة سنوات باتصالاتها مع المخابرات الشيوعية وخاصة الكوبية والالمانية الشرقية وكوريه الشمالية (*) . وقد دعموا هذه الحركة بالاموال والمعدات والملاجأ الامينة (١٢) . وقد اوضح لاري كراتوول (Larry Cratwohl) ، العضو السابق في المجموعة ، بان الاعضاء يستطيعون معرفة اماكن تواجد اعضاء آخرين عندما ينفصلون عن المجموعة عند الاختفاء وذلك باستخدام اسماء حركية في الاتصالات الهاتفية مع السفارة الكوبية في المكسيك أو كندا . ويقوم احد رجال المخابرات الكوبية الموجو في السفارة الكوبية بتسهيل اتصال الاعضاء المفقودين مع باقي الاعضاء في المنظمة (١٣) .

والمجموعة الماركسية اللينينية البورتريكية المعروفة باسم فالن FALN والمدعومة بشكل علني تقريباً من قبل كوبا ولعدة سنوات هي مثال آخر على

---

* واجهت الويذر اندرگراوند شقاقا مريرا في عام ١٩٧٧ . وكان للمنظمة آنذاك اعضاء قليلين بعدد اصابع اليد ، وقد حطم الصراع الداخلي المنظمة اكثر وحدّ من نشاطها . وكان استلام كل من بيرنادين دوهرين ووليم آيرز في شيكاغو في تشرين الثاني ١٩٨٠ قد انهىٰ نشاطات المجموعات .

دعم الكتلة السوفيتية لمجموعات الارهاب اليسارية التي تعمل في الولايات المتحدة . وفي بلاغ رقم ٦ صادر في ٢٧ تشرين اول ١٩٧٥ ، عبرت حركة فالن عن امتنانها للدعم بالكلمات التالية : «اننا نعبر بشكل خاص عن الدعم الممنوح لمنظمتنا من قبل الشعب والحكومة الكوبية في خطاب رئيس الوزراء فيدل كاسترو في آب (١٩٧٥) والذي قال فيه بان الحكومة الكوبية سوف تعمل مابوسعها لدعم منظمة فالن (FALN) .» [١٤]

لكن ليس هناك مايثبت بان الـ KGB او جهاز المخابرات الكوبي (DGI) توجهان او تديران العمليات التي تنفذ من قبل المجموعات الارهابية كمجموعة فالن (FALN) او الالوية الحمراء الايطالية . وفي الحقيقة ، فان السوفيت يتعمدون رفض اختيار الاهداف الارهابية او العمليات الفردية المباشرة ، والسبب واضح ، فحتىٰ المنظمات السرية المجهولة لاتستطيع تفادي الوقوع في الاخطاء في بعض الاحيان او انتهاك السرية . وكشف تورط الـ KGB في عمليات الارهاب الرئيسية سوف يؤثر على سياسة السوفيت الخارجية وبالتالي يحطم او يحد من عمليات التجسس الرئيسية . ولكن الـ KGB والوكالات الدائرة في فلكها توفر لبعض المنظمات الارهابية تدريباً خاصاً كالتعامل مع الاسلحة والمتفجرات على سبيل المثال . وتقوم منظمة التحرير الفلسطينية بارسال اعضائها بشكل مكشوف الى الاتحاد السوفيتي لاغراض التدريب . وقد صرح عدنان جبل ، وهو ارهابي فلسطيني القي عليه القبض من قبل الاسرائيليين ، قال في عام ١٩٨٠ بانه حصل على تدريب خاص في التكتيكات ، والاسلحة والمتفجرات في الاتحاد السوفيتي وتشيكوسلوفاكيا وكوبا وفيتنام . وان كوريا الشمالية قد وفرت تدريباً مشابهاً لمنظمات ارهابية اخرىٰ .

وتتسلح العديد من المجموعات الارهابية باسلحة مصنوعة في الاتحاد السوفيتي وتشيكوسلوفاكيا او المانيا الشرقية . وقد اكتشفت بعض شحنات الاسلحة من اوربا الشرقية كانت مرسلة الى الارهابيين الغربيين عندما لم تعالج بالشكل المضبوط . ففي عام ١٩٧١ ، على سبيل المثال ، قامت الشرطة الهولندية في أمستردام بمصادرة مجموعة كبيرة من الاسلحة التشيكية التي كان من المقرر تسليمها الى الجيش الجمهوري الايرلندي . وقد كانت الشحنات

اللاحقة من الاسلحة قد مرت من قبل العديد من الوسطاء بحيث كان من الصعب علىٰ الشرطه الغربيه ان تقتضي اثرها أو منشأها . وقد اعطيت اسلحة الى منظمة التحرير الفلسطينيه بشكل مكشوف وعلني ومباشر ، وقامت الشبكة السرية بدورها بتوزيعها على المجموعات الاخرىٰ كالالوية الحمراء . وقد عثرت الشرطة الغربية على بعض هذه الشحنات السرية . ففي كانون الثاني ، ١٩٨٣ ، على سبيل المثال ، القت الشرطة النمساوية القبض على مواطن تشيكوسلوفاكي يدعىٰ بيتر باردون (Peter Bardon) على الحدود وقد كشف التفتيش الدقيق لسيارته عن ٣٠٠ مسدس وسبع بنادق شبه آليه من تصميم سوفيتي (درا گانوف) مزودة ببعض اجهزة الكشف الليلية [١٥] .

وفي آذار ١٩٨٢ قدم مساعد وزير الخارجية الامريكي توماس اندرز (Thomas Enders) دليلاً على اشتراك كوبا في نقل الاسلحة والاموال الى منظمة فدائيي أم ـ١٩ الكولومبية (M - 19) وذلك من خلال مهربي المخدرات . وقد قام قائد الحلقة جيمي غيلوت (Jaime Guillot) وهو مهرب مخدرات كولومبي بزيارة كوبا مرتين خلال العام ١٩٨١ . وفي زيارتهِ الثانية استلم ٧٠٠,٠٠٠ دولار من الحكومة الكوبية لشراء اسلحة لغرض ارسالها الى فدائيي أم ـ ١٩ في كولومبيا . ومقابل خدماتهِ فقد وفر الكوبيين الملاجئ لسفن غيلوت المحمله بالماريجوانا حينما كانت تنتظر زوارق التفريغ لنقل البضائع الى فلوريدا وجزر البهاما (Bahamas) [١٦] .

منظمـــة التحريـــر الفلسطينيـــة

ينقسم الارهابيون الفلسطينيون الى اكثر من ٤٠ منظمة لكن المنظمة الوحيدة القويه هي بلاشك منظمة التحرير الفلسطينيه . وهي منظمة غطاء لعدد من المجموعات بضمنها حركة فتح التي يقودها ياسر عرفات والذي هو

ايضا زعيم لمنظمة التحرير الفلسطينيه (*) وبمقرها الموجود في تونس فان منظمة التحرير الفلسطينيه هي بمثابة حكومة لـ ٣,٥ مليون فلسطيني ينتشرون في ارجاء العالم .

وقد اصبحت منظمة التحرير الفلسطينية علامة رئيسية للارهاب العالمي بعد ذبح الرياضيين الاسرائيليين في دورة الالعاب الاولمبية عام ١٩٧٢ في ميونخ وكذلك بعد ذبح اطفال مدرسة اسرائيلية ابرياء في مالوت (Maalot) عام ١٩٧٤ . وفي اواخر السبعينيات ، وسعت منظمة التحرير الفلسطينية من اتصالاتها العالمية واستخدمتها كاسلحة سياسية الى حد ابعد من الارهابيين التقليديين . فقد اجتمع مستشار المانيا الغربية السابق فيلي براندت ومستشار النمسا برونو كرايسكي بياسر عرفات في فينا ، كما استقبل وزير الخارجية الفرنسي ، جان فرانسوا بونسيه وبشكل رسمي ، مع رئيس الدائرة السياسية للمنظمة فاروق قدومي . وفي عام ١٩٨٠ ، كان للمنظمة ممثليات في اكثر من خمسين بلداً في انحاء العالم واثبتت التكتيكات بانها كانت ناجحة وقد تحركت بعض البلدان الغربية نحو الاعتراف بالمنظمة على انها الممثل الرسمي لكل الشعب الفلسطيني . وقد صرح وزير الخارجية البريطاني في آذار ١٩٨٠ بأن منظمة التحرير الفلسطينية قد لاتكون منظمة ارهابية وهذا يوضح بأنه حتى بريطانيا كانت تريد الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية . وبالرغم من ان المنظمة اوقفت عمليات الارهاب ضد الاهداف غير اليهودية الا انها استمرت بالحرب الدموية ضد اسرائيل .

وتلقى المنظمة اساسا الدعم من الاقطار العربية الغنية بالبترول مثل العربية السعودية والعراق والكويت وقطر ، لكنها ايضا تحصل على الاموال من انحاء العالم ومن آلاف الفلسطينيين الذين يدفعون للمنظمة بما يساوي

(*) ان المنظمات الاكثر تطرفا من بين اعضاء منظمة التحرير الفلسطينية هي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين التي يرأسها الدكتور جورج حبش وهو الاكثر صلة بموسكو من الناحيتين السياسية والايديولوجية . وفي عام ١٩٧٢ قامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بابتزاز خمسة ملايين دولار من شركة لوفت هانزا الالمانية الغربية .

٣ ـ ٦٪ من دخلهم (١٧) . وتوفر الاقطار العربية للمنظمة بعض المساعدات العملياتيه . ولاعضاء المنظمة اتصالات بالمكاتب المهنية العربية والسفارات والملحقيات التي تساعدهم على تبادل سريع لجوازات السفر او التحرك تحت غطاء دبلوماسي . وسفارات كل من ليبيا والجزائر والعراق واليمن الجنوبي هي بشكل خاص اماكن مهمة في هذا المجال .

وفي ايلول ١٩٧٣ قام فدائيون من منظمة التحرير الفلسطينية بخطف مجموعة من اليهود السوفيت المسافرين الى اسرائيل على قطار قادم من تشيكوسلوفاكيا الى النمسا . وبعد فترة قصيره من مغادرة الاراضي التشيكية ، حاصرَ الفدائيون ثلاثة يهود ومسؤول نمساوي وهددوا بقتلهم مالم توافق النمسا على التخلي عن بعض الاجراءات التي كانت توفرها كغطاء لليهود السوفيت في طريقهم الى اسرائيل . وقد وافقت النمسا تحت هذا الضغط . وقد اوضح الحادث العلاقة المعقدة الصعبة بين منظمة التحرير الفلسطينية وبلدان الكتلة السوفيتية . فهي تدعم القضية الفلسطينية لكنها سمحت للعديد من اليهود السوفيت بالمغادرة الى اسرائيل . وهي لاتعطي الدعم المعنوي فحسب بل تعطي الاسلحة والعتاد والمتفجرات لعمليات كالتي حدثت على الحدود التشيكية ـ النمساوية .

ومن بين العديد من منظمات الارهاب التي تعمل في اوربا الغربية والشرق الاوسط وامريكا اللاتينية ، فان منظمة التحرير الفلسطينية هي الدليل الاكثر اقناعاً على تورط بلدان الكتلة السوفيتية . وقد زار ياسر عرفات موسكو اول مرة عام ١٩٦٨ ثم زارها في عام ١٩٧٧ وافتتحت المنظمة مكتبا لها في موسكو . لكن السوفيت عرضوا دعماً دبلوماسياً علنياً للمنظمة ووصفوها بمنظمة التحرير الوطني بعد ان وافقت على الاعتماد على الحل السياسي بدلاً من تكتيكات الارهاب .

وبالرغم من النفي السوفيتي الرسمي ، فان افراد منظمة التحرير الفلسطينية كانوا يسافرون الى الاتحاد السوفيتي منذ اوائل السبعينيات من اجل التدريب العسكري على استخدام الاسلحة الصغيرة والمتفجرات والتكتيكات العسكرية والفلسفة السياسية . وفي مقابلة مع محطة PBS (هيئة

الاذاعة العامة) في ايلول ١٩٧٩ ، اعترف زهدي لبيب الطرزي ، وهو مراقب فلسطيني في الامم المتحدة ، اعترف علانية بان الشباب الفلسطيني يتلقون تدريبهم في مدارس عسكرية في الاتحاد السوفيتي وبلدان اشتراكية اخرىٰ وان المنظمة تستلم اسلحة وعتاد ومتفجرات من السوفيت [١٨] . كما اعلن العميد محمد ابراهيم الشاعر ، مدير مكتب المنظمة في موسكو في شباط ١٩٨١ بان «المنظمة راضية بالدعم السوفيتي ... فعشرات ومئات الضباط الفلسطينيين القادرين على قيادة اقسام رئيسية كالالوية ، قد تخرجوا من الاكاديميات العسكرية السوفيتية» وصرح ايضا بان حوالي ٢٠٠٠ فلسطيني يدرسون في المدارس السوفيتية وان هذه المدارس تستقبل ٣٠٠ زماله مخصصة لمنظمة التحرير الفلسطينية سنويا [١٩] .

والدليل الذي حصل عليه الاسرائيليون يدعم تصريحات مسؤولي او ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية . وكمثال على ذلك فقد اعلن عدنان الجبل ، قائد المجموعة الارهابية الفلسطينية التي قتلت ستة يهود في اسرائيل في مايس ١٩٨٠ ، اعلن في مؤتمر صحفي في الخليل في تشرين الاول ١٩٨٠ بانه لمدة ٦ أشهر في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٧٤ . وقد اثبتت وثائق المنظمة التي حصل عليها الاسرائيليون خلال الغزو الاسرائيلي للبنان في صيف عام ١٩٨٢ والتي اطلعت عليها الصحافة ، اثبتت هذه الادلة السابقة [٢٠] .

ومن خلال شبكة من المتعاطفين مع السوفيت والعملاء المجندين من منظمة التحرير الفلسطينية ، ابقت الـ KGB علىٰ خط غير مباشر من الاتصالات مع منظمات ارهابيه اخرىٰ مثل الجيش الاحمر الالماني الغربي والالويه الحمراء الايطاليه ومنظمة .. ايتا في اقليم الباسك . وقد ارسلت هذه المجموعات وفي مناسبات مختلفة اعضائها الى معسكرات التدريب التابعة للمنظمة في سوريا ولبنان . وجزء من الدليل الذي اكتشف من قبل الاسرائيليين في لبنان كان مراسلات مع السلفادور وهايتي وتركيا فيما يتعلق بتدريب الفدائيين من قبل منظمة التحرير الفلسطينية . وقد اكدت الوثائق ايضا على ارتباطات المنظمة مع اكثر من ٣٣ منظمة ارهابية مختلفة . داش عشر منظمات من اوربا الغربية وسبع منظمات من امريكا الجنوبية ، وثلاث منظمات من الشرق الاقصىٰ

وخمس منظمات من شبه القارة الهندية وثمانية من الشرق الاوسط .

حركـــة الباســـك (إيتـــا)

ان منطقة الباسك (Basque) ، وهي احدى اغنىٰ المناطق الموجودة في اسبانيا ، ظلت لعدة عقود من السنين تعاني من التمزق السياسي والعنف . وهي تعطي ١٢٪ من ضرائب اسبانيا و ٧,٤٪ من الناتج القومي الاجمالي بالرغم من ان سكانها يشكلون فقط ٦٪ من مجموع سكان اسبانيا . والباسك بسكانها البالغ عددهم ٢,٧ مليون نسمة هم كاثوليك مؤمنين يفضلون الاستقلال ويتحدثون علىٰ مر السنين لغه فريدة . وكانت الباسك تريد دائما بناء دولة مستقلة تشمل المقاطعات الاربع الشمالية من اسبانيا وجزء من منطقة الباسك الذي يقع في جنوب فرنسا .

وحركة الباسك الانفصالية مجزأة الى حوالي ٢٠ منظمة ، لكن الايتا (ETA) (حرية ووطن الباسك) هي المنظمة الاكثر عنفا . وهي منظمة ماركسية ـ لينينية هدفها خلق دولة الباسك الاشتراكية المستقلة . وقد تاسست الايتا في الخمسينيات كمجموعة دراسية جامعية لدراسة آثار السيطرة الاسبانية على الباسك لكنها اصبحت فيما بعد منظمة متطرفة قامت بقتل اكثر من ٣٥٠ شخص وبالدرجة الرئيسية من ضباط الجيش والشرطة والسياسيين البارزين مثل الادميرال لويس كاريرو بلانكو (Luis Carrero Blanco) وهو الخليفة المسمىٰ لفرانكو (Franco) . وقد سببت تكتيكات الباسك رد الفعل الدموي من قبل السلطات الاسبانية لكن التأثير النهائي كان قد سبب زيادة في الاستياء العام والمناداة بدولة مستقلة [٢١] .

وتحصل المنظمة على الدعم المالي من شركات البنوك ومايسمىٰ بالضرائب الثورية التي تجمع من رجال الاعمال والصناعيين في الباسك . وفي مايس ١٩٧٩ وسعت المطالب المالية لتشمل الاطباء والمحامين والفنانين والمهنيين الآخرين . والاغتيالات هي العقوبة لمن لايدفع مثل ماحدث لكونت اريستي (Aresti) عندما رفض الدفع .

وتحتفظ الايتا باتصالات وثيقة مع اجهزة مخابرات الكتلة السوفيتية .

ومنذ العام ١٩٧٧ ، عدَما قامت علاقات دبلوماسية بين اسبانيا والاتحاد السوفيتي ، حتى العام ١٩٨٠ ، طُردَ ثمانية دبلوماسيين وممثلون سوفيت من ضمنهم اوليك سورانوف مدير مكتب الخطوط الجوية السوفيتية (ايروفلوت) من اسبانيا بسبب نشاطات التجسس المكثفة واتصالاتهم السرية مع الانفصاليين .

الالويـــة الحمـــراء الايطاليـــة

مما لاشك فيه ان هناك علاقة مباشرة بين نجاح الالوية الحمراء الايطالية وبين المناخ السياسي والاقتصادي السائد في ايطاليا خلال العقدين الاخيرين . والارهابيون هم فقط اشارات للازمة طويلة الامد التي تواجه المجتمع الايطالي . ولهذا فان احتجاجات الطلبة في الستينيات عكست نمو التطرف لدىٰ الشباب الايطاليين وعدم الثقة في الحزبين الديمقراطي المسيحي والشيوعي . ويرى الشباب بان ايطاليا هي فاشستية وخلصوا بان الجماهير سوف تثور قريبا لتحطيم النظام .

لقد تاسست منظمة الالوية الحمراء في عام ١٩٦٩ علىٰ يد ريناتو كورشيو (Renato Curcio) وهو كاثوليكي سابق وطالب اجتماع في جامعة ترينتو . وقد كان الغالب على اساتذة كلية ترينتو لعلم الاجتماع الفكر الماركسي وكان طلابها الـ ٥٠٠٠ طالب هم ارضية تجنيد ملائمة للافكار اليسارية المتطرفة والارهاب . وكان مئات من الاساتذة الذين يتركون المدرسة بدون اي امل للحصول على عمل قد ساهموا في تنمية التطرف بين طلاب ترينتو بتعاطفهم مع التكتيات الارهابية . وما بين العام ١٩٦٩ و ١٩٧٤ نفذت الالوية الحمراء عملياتها بشكل رئيسي ضد المتعاطفين مع الفاشستيه ومدراء المعامل الصناعية . وقد اطلق سراح مدير معمل ميلان (Milan) في عام ١٩٧٢ واطلق سراح مدير الافراد في شركة فيات في تورين (Turin) عام ١٩٧٤ بدون اي اذىٰ وبعد حملات دعائية كبيرة . وبعد ذلك تحولت الالوية الحمراء الى اهداف من الحزب الديمقراطي المسيحي والحزب الشيوعي الايطالي واصبحت تكتيكاتهم اكثر عنفا . وقد اختطف رئيس الوزراء السابق الدو مورو (Aldo Moro) في

آذار ١٩٧٨ وقتل بعد ٥٥ يوما بعد حملة دعائية اعطت الالوية الحمراء شهرة واسعة .

وتنتظم الالوية الحمراء في وحدات صغيرة ، وهذا ما ، يجعل من الصعوبة اختراقها من قبل الشرطة الايطالية . ويضم التنظيم الاساسي للالوية الحمراء من ٤٠٠ ـ ٥٠٠ ثائر محترف (اعتباراً من ١٩٨١) والذين يستلمون رواتب تساوي ٤٠٠ دولار في الشهر وهو الراتب التقريبي الذي يتقاضاه العامل الايطالي العادي . وهناك حوالي عدة آلاف من المتعاونين وهم في العادة اعضاء معروفين في المجتمع يسوقون السيارات الفخمة ويشغلون مناصب رفيعة المستوىٰ في الحكومة والمهن التجارية والاكاديميات والاحزاب السياسية وحتىٰ في الشرطة . ويقدمون الخدمات الاخبارية ويوفرون الحماية والنقل وتسهيلات الاتصالات لكنهم لا يعلمون او يعرفون شيئاً عن الطبيعة الخاصة للعمليات [٢٢] . وان معظم اعضاء الالوية الحمراء هم من عوائل الطبقات الوسطىٰ او الطبقات الوسطىٰ العليا على الاقل .

وخلال السنوات الاولىٰ ، حددت الالوية الحمراء نشاطاتها وافرادها بتوزيع المنشورات الثورية ذات الطبيعة الماركسية ـ اللينينية ونفذوا عدة عمليات سطو على البنوك وتفجيرات عشوائية . واشتملت النشاطات الاخرىٰ على عمليات اختطاف صغيرة لاغراض الدعاية ، لكنهم كانوا يحتفظون برهائنهم لفترة قصيرة ثمّ يطلون سراحهم . وقد بدأو اول موجة رئيسية من الارهاب في عام ١٩٧٦ وبعد القاء القبض على اعضائهم البارزين او قتلهم . وقد شهدت الفترة الدموية بين العام ١٩٧٦ والعام ١٩٨٠ سيطرة جيل جديد من الالوية والذين كانوا يفتقرون للاستخبارات المتطورة التي كان يمتلكها اسلافهم ويعتمدون على القتل كروتين يومي متعمد . وقد اثار منشور وزع في شباط ١٩٨٠ من قبل قيادة الالوية الحمراء بان هدف السلسلة الاخيرة من عمليات القتل هو «تجريد او تحطيم السلطة الشرعية وتحطيم الهيكل القيادي للبلد» [٢٣] .

وقد قاد انشقاق ايديولوجي داخل الحركة الى قيام احدىٰ المجموعات باصدار وثيقة مكونة من ٢٠ صفحة وذلك في عام ١٩٧٨ تعطي تصورا

لمستقبل المنظمة . وقد اكد المنشقون على الفلسفة الاساسية بان النظام الاجتماعي في ايطاليا يمكن ان يُغير فقط بالعنف المسلح ، لكنهم لم يتفقوا مع الوسائل المستخدمة من قبل القيادة في تنفيذ «الكفاح المسلح» . وقد استعرضت الوثيقة تاريخ الارهاب السياسي في ايطاليا واوضحت بانه لم يكن للحركة في اوائل السبعينيات اي تأثير لانها كانت تفتقر الى القيادة والتنظيم العسكري . وكان يُنظر الى مؤسسي المنظمة مثل ريناتو كورشيو Ranato Curcio بانهم قادة مؤثرون فهموا تعقيدات الثورة المسلحة ، لكن قادة الجيل الثاني اصبحوا متجرفين ومتعجرفين» [٢٤] .

ولم يكن للالوية الحمراء ايديولوجية علنية واضحة ، لكن تصريحاتهم في بعض الاحيان تؤكد على انحرافهم عن الستالينية والماركسية والماوية او التروتسكية واعجابهم بتشي جيفارا . وقد رفضوا سياسة الحزب الشيوعي الايطالي ووصفوها بانها بورجوازية امبريالية ، واصبحوا اكثر عداءً للحزب خلال اواخر السبعينيات . وفي عام ١٩٨٠ قتلوا جيدو روس (Guido Ross) عضو الحزب الشيوعي والقائد النقابي الذي شهد ضدهم . وقد صرح اوغو بيسكيولي (Ugo Pecchioli) وهو سناتور شيوعي قائلاً «نحن جزء من اهدافهم» [٢٥] . وكان هدفهم خلق فوضىٰ ثورية وخلق مجتمعهم الشيوعي بعد سقوط النظام الحالي .

وتعترف السلطات الايطالية بصعوبة اختراق الالوية الحمراء لان اعضائها نشطين جداً ، يتم اختيارهم بدقة ودائماً يهددون بالقتل اذا ما خالفوا القواعد الامنية المشدده . وبواسطة اجبار الاعضاء الجدد على ارتكاب القتل بعد انضمامهم ، فان المنظمة تحاول ان تسد الطريق في العودة الى الحياة الطبيعية . وطبقاً للسلطات الايطالية ، فان ١٣٠٠ من مرتكبي الجرائم والاعضاء المشتبه بهم من الاولوية الحمراء كانوا في السجون عام ١٩٨١ [٢٦] .

ولفترة طويلة ، لم تكن الحكومة الايطالية مهتمة بعلاقة الالوية الحمراء ببلدان الكتلة السوفيتية ، لكن موت المليونير والناشر اليساري جيانغيا كومو فلترنيلي عام ١٩٧٢ وفر الدليل الاول والجدي لتورط بلدان الكتلة السوفيتية في الارهاب الايطالي . وفلتر نيلي ، الذي كان شيوعياً سابقاً ، اصبح متورطاً مع

إرهابيي امريكا اللاتينية وفي عام ١٩٧٠ اسس مجموعة عمل الانصار (Partisan Action Group) في ميلان . وقد اتبعت هذه المنظمة فلسفة مشابهة جداً لفلسفة الالوية الحمراء . وقد قتل فلتر نيلي في آذار من عام ١٩٧٢ عندما كان يحاول تفجير خط الطاقة ذات الضغط العالي في حقل قرب ميلان [٢٧] . وقد عثرت الشرطة الايطالية ضمن ممتلكاتهِ على جواز سفر مزور يحمل اكثر من ٢٢ تأشيره دخول تشيكية . وكان واضحاً انه كان ضيفاً منتظماً على تشيكيوسلوفاكيا .

في اوائل السبعينيات ، احتفظ ريناتو كورشيو واعضاء آخرين من منظمته باتصالات مباشرة مع المخابرات التشيكية ، ومثل فلتر نيلي ، فقد زار كورشيو منطقة كارلوفي فاري (Karlovy Vary) في تشيكوسلوفاكيا ولعدة مرات . وعندما القي القبض عليه في عام ١٩٧٤ ، عثرت الشرطة الايطالية بحوزتهِ على عدة جواز سفر تشيكيه وبتأشيرات دخول تشيكية . والزيارات المتكررة الى اوربا الشرقية حققت العديد من الاهداف للارهابيين الايطاليين . فقد اغتنموا الفرصة واطلعوا على الاسلحة المصنعة في اوربا الشرقية ومقابلة الارهابيين من البلدان الاخرىٰ ومنهم اعضاء حركة الباسك الاسبانية والجيش الاحمر الالماني الغربي . وان كشف زيارات فلتر نيلي وكورشيو الى تشيكوسلوفاكيا اجبر المخابرات التشيكية على تغيير ستراتيجية عملها وعمدت الى تحديد علاقتها مع الاولية الحمراء .

وقد كانت عملية خطف وقتل رئيس الوزراء السابق الدو مورو في عام ١٩٧٨ بمثابة تعبير عن قابليات الالوية الحمراء . وقد احتجز الدو مورو في «سجن الشعب» لمدة خمسة وخمسين يوما قبل قتلهِ وقد عثر على جسمهِ الذي اصابتهُ احدىٰ عشرة اطلاقة في صدرهِ الايسر ، موجوداً في سيارة في احدىٰ الشوارع في مركز مدينة روما . وقد شخصَ خبراء الاسلحة الرصاصات بانها عتاد بندقية من صنع تشيكي [٢٨] .

ان اكثر من ٥٠٪ من الاسلحة التي صادرتها الشرطة الايطالية من الالوية الحمراء وخلال العقد الاخير قد جاء من اوربا الشرقية . وقد القي القبض على عدة اعضاء من الالوية الحمراء وبحوزتهم صواريخ مضادة للطائرات ومن

نوع سام ـ ٧ في تشرين الثاني ١٩٧٩ . وعندما القت الشرطة القبض على عضو آخر مشتبه به في كانون الثاني ١٩٨١ ، عثرت بحوزتهِ على عدة قاذفات قنابل من نوع (RPG 7 V) السوفيتية [٢٩] . والاسلحة من هذا النوع والحجم لايمكن ان تنقل من اوربا الشرقية بدون موافقة رسمية من قبل السلطات الشيوعية .

ولاتتعامل اجهزة اعلام اوربا الشرقية مع الالوية الحمراء بلطف ، وفي العديد من المناسبات ، صورتهم بانهم عملاء او من خلق وكالة المخابرات المركزية . وعندما ذكر الاعلام الايطالي احتمال تورط المخابرات التشيكية في عملية اختطاف الدو مورو ، نفت براغ بشدة اي علاقة واعادت التضليل بان وكالة المخابرات المركزية هي التي اسست الالوية الحمراء ، اذ قالت في هذا الصدد : «تحاول الامبريالية الامريكية ان تستخدم كل ادواتها ، ومنها وكالة المخابرات المركزية في حملتها المضادة لتشيكوسلوفاكيا ، وحتى الارهابيون وبضمنهم ماتدعى بالالوية الحمراء سيئة الصيت» [٣٠] . وقد استخدمت الصحيفة السوفيتية الازمنة الحديثه تلفيقا مضاداً للاميركان لاثبات التورط الاميركي . وطبقا للوثيقه المزوره والمؤرخة في كانون الثاني ١٩٧٠ والمعنونة : (FM - 30 - 31 B) فان الضباط الامريكان الموجودين في الخارج لديهم تعليمات لاختراق المجموعات اليسارية المتطرفة ودفعهم الى ارتكاب اعمال العنف . «لقد وجدت الاجهزة السرية الامريكية الوضع ملائم لاختراق مجموعات اليسار المتطرف ... وتحت عمليات سرية فقد هربت عدداً لابأس من عملائها الى داخل هذه المجموعات ، وبضمنها المنظمه سيئة الصيت المعروفة بالالوية الحمراء» [٣١] . (يحتوي الفصل الخامس على المزيد من المعلومات عن التلفيق المعروف بـ «FM 30 - 31 B») .

وقد حصلت الشرطة الايطالية على دليل حول العلاقة الاخيرة للالوية الحمراء مع اجهزة مخابرات اوربا الشرقية عندما درست قضية خطف دوزير (Dozier) في ٢٨ كانون الثاني ، ١٩٨٢ . وقد انقذ الجنرال جيمس ل . دوزير (James L . Dozier) من «سجن الشعب» في بودوا (Padua) حيث احتجز فيه لمدة ستة اسابيع بعد اختطافهِ من شقتهِ في فيرونا (Verona) . وفي

الاسابيع التالية القت الشرطة القبض على ٣٧٥ من اعضاء الالوية الحمراء المشتبه بهم بضمنهم انتونيو سافاستا (Antonio Savasta) قائد الوحدة التي اختطفت الجنرال دوزير . وقد اعترف سافاستا في ١٦ آذار ١٩٨٢ بان احد موظفي السفارة البلغارية في ايطاليا اعطاهم اموالاً واسلحة وتوجيهات بعد عملية اختطاف دوزير . قال سافاستا «لم نكن نريدهم ان يفعلوا اي شئ في عملية الاختطاف ، لكن اهتمامنا كان بالأموال» [٣٢] .

وقد توقعت دراسة لوكالة المخابرات المركزية حول الارهاب العالمي عام ١٩٨٠ باتساع نطاق الخسائر والمزيد من الهجمات المتطورة لان الارهابيين «يعتقدون بان خسائر اكبر حجما هي ضرورية الآن لتكوين الشهرة التي كان يتم اكتسابها سابقا بعمليات اقل دموية» [٣٣] . وتوقعت الدراسة ايضا بان الارهابيين سوف يحسنون من تخطيطهم ويزيدون من استخدام التكنولوجيا المتطورة في عملياتهم ويغيرون من اهدافهم . ولكن والى حين اعداد هذا الكتاب ، فان التوقع لم يصبح حقيقة ملموسة .

ان موسكو ليست مركزاً للتآمر الارهابي الممتد على نطاق العالم ، لكن السوفيت يدعمون ويدربون ويساعدون الارهابيين بشكل مباشر او غير مباشر ، طالما ان هذه الاعمال تتفق مع اهدافهم . ان الهجوم على هذا الخطر العالمي يحتاج الى الشدة والتصميم ، لكنهُ ايضا يحتاج الى الحكمة والقابلية للتمييز بين المجموعة المنتخبة من الارهابيين في اوربا الغربية ، والحركات ذات الطابع الاجتماعي التي نادراً ماتستخدم الطرق الارهابية في تحقيق العدالة الاقتصادية والاجتماعية في البلدان النامية .

الفصـــل العاشـــر

الهدف : وكالة المخابرات المركزية

شهد عقد السبعينات فترة استمرار الازمات بالنسبة لوكالة المخابرات المركزية . وقد عانت الوكالة التي كانت فيما مضى الاكثر سرية ، عانت من مشاكل داخلية خطيرة وهجوم مستمر من العامة . وقد هزت الوكالة وحتى اعماقها التحقيقات التي اجريت من قبل مجلسي النواب والشيوخ وفضح محالاوت الوكالة السابقة لاغتيال القادة الاجانب والتجسس على الامريكان والتورط في نشاطات مشكوك فيها . وبالرغم من ان كشف الاخفاقات قد ساعد على تهدئة بعض الانتقادات ، الا ان الوكالة اصبحت لعبة مكشوفة ، لم تجد الحماية لامن قبل الحكومة ولامن قبل اعضائها . وقد كان لتنامي العداء من الدبلوماسيين وضباط الوكالة والسفراء غير المتعاونين والانخفاض في ميزانية الاجراءات السرية وعدم رغبة عناصر الوكالة قبول المهمات السرية ، الدور

الكبير للتقليل من قابليات الوكالة . وقد تركت هذه التطورات عمليات الوكالة في حالة تدهور ومجتمع المخابرات في حالة اضطراب* .

هل كان هذا التدهور طبيعياً او ذاتي الحدوث ؟ والدليل الذي قدم من قبل وسائل الاعلام الامريكية يؤيد هذا الاتجاه لكنه يترك العديد من الاسئلة المزعجة . وعلى كل حال ، فأن اهداف الـ KGB الرئيسية هي ارباك وتحطيم المخابرات الامريكية .

وقد تمتع الاتحاد السوفيتي بالعديد من الفوائد الرئيسية في استمرار الصراع ضد وكالة المخابرات المركزية . ولايسمح للصحافة السوفيتية بنشر حتى ولو معلومات تافهة حول الـ KGB وبدون موافقتها ، في حين ان وكالة المخابرات المركزية تعمل في مجتمع وتحت سيطرة الكونغرس الذي يفضل التدخل وتحت سيطرة صحافة عدائية . وفي غمرة حماسة تحقيقاتها ، فأن الصحافة ترغب في بعض الاحيان حتى بنشر معلومات من مصادر غير موثوقة ومشكوك بها بدرجة عالية . في مايس ١٩٨٠ ، على سبيل المثال ، قامت هيئة الاذاعة العامة (Public Broadcasting Service) بتقديم برنامج استمر ساعات «حول اعمال الشركة» عرف بـ «قصة ثلاثين عاما من التدمير والقتل والرشوة والتعذيب من قبل وكالة المخابرات المركزية كما رواها احد المطلعين» . وكان المطلع هو فيليب آغي (Philip Agee) وهو مرشد ايديولوجي عمل ما في وسعه لتحطيم وكالته السابقة بواسطة التعريف بشكل علني برجالها في انحاء العالم . وقد حققت الصحافة في كل حدث عالمي يشك فيه على انه احد مشاريع الوكالة وناقشت بعلانية كل الاخطار الحقيقية او الملموسة .

---

* لتجميل صورة وكالة المخابرات المركزية ، اسس مديرها ستانسفيلد تيرنر (Stansfield Turner) مكتب الشؤون العامة في عام ١٩٧٧ ويتألف من ١٤ موظفا . وقد اعطيت مئات الوثائق غير السرية والتقارير للصحافة في كل سنة . وقد اثنى صحفيو الولايات المتحدة على هذا الاجراء لكنه اعتبر غير صحيحا من قبل اجهزة المخابرات في دول الحلف والوكالات السرية التي تعمل لوكالة المخابرات المركزية في الخارج لانها تنظر اليه كتهديد لامن افرادها .

وبفضل ادوين بي ولسون وفرانسيس اي تيربل وهما من رجال الوكالة السابقين ، فقد اصبحت الولايات المتحدة في اواخر السبعينات الممول الرئيسي الخاص للاسلحة والتكنلوجيا العسكرية للارهابيين العالميين . وقد تصدرت قصص هذين الامريكيين الصفحات الاولى للصحف في ارجاء العالم واذيعت من شبكات النشر لعدة بلدان وادى ذلك الى تحطيم جدي لصورة وكالة المخابرات المركزية ، حتى بدون اي تدخل من اجهزة المخابرات الشيوعية . وقد ساعد تدفق المذكرات من قبل رجال الوكالة السابقين على تزويد الـ KGB بمعلومات كثيرة حول المناخ السياسي والناس والضوابط الامنية والعمليات السرية . وقد ساعد ذلك السوفيت على تنفيذ عمليات اكثر واقعية ومصداقية ضد الوكالة .

وقد تم تقليص عدد منتسبي وكالة المخابرات المركزية وشمل التقليص عدة الآف منتسب خلال السبعينات ، فخلال ادارة ستانسفيلد تيرنر (Stansfield Turner) ، على سبيل المثال ، فأن ٢٨٠٠ ضابط تركوا الوكالة وهم غاضبون . وقد عاد القليل منهم الى اعمالهم الاصلية كمحامين او وجدوا اعمالاً اخرى كمختصين امن يدربون رجال الاعمال ضد المصائد الخطرة للارهاب العالمي . لكن معظم هؤلاء الرجال وجدوا انفسهم في فراغ سياسي وحرفي يكافحون من اجل البقاء . وقد وفرت هذه الحالة فرصة غير عادية للـ KGB لتجنيد العديد من موظفي الـ CIA كعملاء للسوفيت .

وقد امضى ديفد هنري بارنيت (David Henry Barnett) ١٢ سنة مع الوكالة سواء في المقر الرئيسي للوكالة او في المواقع في الخارج بضمنها رئيس محطة الوكالة في سارابيا في اندونوسيا . وقد ترك الوكالة عام ١٩٧٠ واسس شركة للاغذية المصنعة . لكنه وان كان مواطناً عادياً ، فانه كان في بعض الاحيان يعمل بموجب عقد مع الوكالة . وعندما اصيبت اعماله بالخسارة وكان يعاني من الديون التي تقدر بـ ١٠٠,٠٠٠ دولار ، فانه قرر بانه ربما يحصل على مساعدة من الـ KGB . وقد اعطى بارنيت خلال اربع سنوات معلومات حول هويات العديد من الوكلاء السريين والاندونوسيين الذين يعملون للوكالة وتفاصيل عن العمليات السرية في اندنوسيا . وقد كافأه السوفيت بحوالي

٩٢,٦٠٠ دولار لقاء خدماته . وتبعاً لتعليمات السوفيت ، فقد حاول بارنيت اختراق لجان المخابرات التابعة لمجلسي الشيوخ والنواب عامي ١٩٧٧ و ١٩٧٨ لكنه لم ينجح بسبب عدم وجود مجال في ذلك الوقت . وقد القي عليه القبض عام ١٩٨٠ وبعد سنة حكم عليه بالسجن لمدة ثماني عشرة سنة . وقد لاحظت زوجته بان ايغور كازمادزي (Igor Kazmadze) ، وهو ضابط الـ KGB الذي جّند بارنيت .

> كان رجلاً طيباً وذا شعر ابيض كثيف وكان هو وديفيد (David) يفهمان بعضهما البعض الاخر . لم يكن شيئاً ايديولوجيا ، لكنني اعتقد ان اسعد لحظاته كانت عندما يكون مع الشخص الروسي ... ويبدو ان عملاء المخابرات يتشابهون في كثير من الاوقات بعضهم مع البعض اكثر مما هو مع مواطنيهم . وهم متحررون من احقادهم الشخصية ، وفنيون منفصلون يحترم الواحد منهم الاخر . إنها شيء يشبه الاخوة[1] .

لقد حصل رجال المخابرات السوفيت على بعض من اعظم واكثر الاسرار النفيسة في امريكا خلال السبعينات ، بضمنها الاسرار التي تخص وكالة المخابرات المركزية . وقد اتهم ١٣ شخصاً بالتجسس في الولايات المتحدة من عام ١٩٧٥ وحتى عام ١٩٨٠ ، عشرة منهم يعملون لصالح الاتحاد السوفيتي ، وستة من المتهمين كانوا مرتبطين مع وكالة المخابرات المركزية او مع احد المتعاقدين معها . ونظام الامن الذي صمم في الوكالة لازاحة الجواسيس الذين يعملون في الخفاء والاعداء كان فشلاً واضحاً .

كتب التجسس والكشف

كان فيكتور ل . مارتشيتي (Victor L . Marchetti) المساعد التنفيذي السابق لنائب المدير الادميرال رافوس تيلور (Rufus Taylor) هو اول شخص يترك الوكالة ثم ينتقد نشاطاتها . فقد استقال من منصبه عام ١٩٦٩ واستخدم تجربته لاربع عشرة سنة في شن حملات عنيفة ضد مؤسسته

السابقة . وقد كان مقتنعاً بان الوكالة قد اصبحت باهضة التكاليف وكبيرة جداً وجامدة كثيراً في مواقف الحرب الباردة . وكان يطمح لان يصبح كاتباً . وقد اصبح كتابه المعنون «وكالة المخابرات المركزية وعبادة الاستخبار «The CIA and Cult of Intelligence» الذي الفه بالتعاون مع جون دي ماركس (John D . Marks) وهو موظف سابق في وزارة الخارجية ، الذي نشر عام ١٩٧٤ من قبل الفريد اي نوبف (Alfred A . Knopf) ، اصبح موضع جدل حتى قبل ظهوره الى الاسواق .

وبعد فترة قصيرة من قرار مارتشيتي كتابة سرد واقعي لتجربته في الوكالة عام ١٩٧٢ ، قدم له الوكلاء الفدراليون امراً مؤقتاً يمنعه من تقديم كتابه الى الناشر حتى يتم فحصه من قبل وكالة المخابرات المركزية . وقد استندت الوكالة في موقفها الى العقود التي تمنع الموظفين الحاليين والقدامى من كشف اي شيء يتعلق بعمليات الوكالة قبل موافقتها . وقد اوضح مارتشيتي بان الوكالة تمارس تقييداً بدائياً وتخرق قانون التعديل الاول . وقد استخدمت الوكالة ولعدة سنوات رجالاً كثيرين لمنع نشر اجزاء هامة من الكتاب . وفي المعركة القضائية كسبت شطب ١٦٨ فقرة من اصل ٣٣٩ فقرة كانت قد طلبت شطبها . وقد قال بعض الصحفيين ساخرين بان الكتاب كان اشبه بجبنة سويسرية بعد ان ازالت الوكالة المعلومات الحساسة .

وطبقاً لكبار المسؤولين في وكالة المخابرات المركزية ، فأن بعض ماجاء في الكتاب كان صحيحاً ، والبعض كان خاطئاً بشكل طفيف ، والقسم الاعظم كان مضللاً بالكامل . واكثر الحوادث التي ذكرت في الكتاب سبق وان نشرت ، مثل استخدام وكالة المخابرات المركزية للطيارين في الثورة ضد الرئيس الاندونيسي سوكارنو في اواخر الخمسينيات واطلاق بالونات الدعاية فوق جمهورية الصين الشعبية خلال فترة الثورة الثقافية ، وتدريب جنود الدالاي لاما (Dalai Lama) عام ١٩٥٩ بعد ان طردوا من التبت (Tibet)[٣] . وقد اشار الكتاب الى ان وكالة المخابرات المركزية انفقت مايقارب ثلثي ميزانيتها السنوية وحوالي ٧٥٠ مليون دولار على العمليات السرية و ١٠٪ فقط على جمع المعلومات الاستخبارية . وكان من المدهش ، على كل حال ، كيف ان فيكتور

مارتشيتي الذي امضى اربع عشرة سنة في خدمة الوكالة وخبير المساعدات السوفيتية لبلدان العالم الثالث كان يعتقد ببساطة بان التضليل كان من اختصاص وكالة المخابرات المركزية[٣] . كما ان السياق التاريخي واستمرار الهجوم الاستخباري الكبير من قبل الكتلة السوفيتية في انحاء العالم كان مفقوداً في رسالة مارتشيتي .

وكاتباعه ، فأن مارتشيتي لم يبدأ مستقبله كأحد المشاركين في الحملات العنيفة . فقد ظهر بالنسبة زملائه بعض الشيء وكانه من الاولاد الكشافة ، وكان من الملائم بان الاولاد الكشافة دفعوه في البداية الى الشك في وظيفته . «لقد حام حولي ملائكة الكشافة وبشعرهم الطويل ، يخبروني بأنهم غير ذاهبين الى فيتنام . وكنت اجد اوقاتاً صعبة في مناقشتهم . وقد بدا لي بان العالم بدأ يتغير بعض الشيء لكن لا الحكومة ولا وكالة المخابرات المركزية كانت تتغير معه»[٤] .

وقد كان كتاب نافذة على الشركة (Inside the Company) : مذكرات وكالة المخابرات المركزية الذي الفه فيليب آغي حتى اكثر ضرراً لسياسة الولايات المتحدة الخارجية من اعترافات مارتشيتي العلنية . فقد وصف آغي سياسة الولايات المتحدة الخارجية بانها قائمة على التآمر والخداع والتدمير وصورة مخيفة من التجسس والاغتيال والضغط ، وان مذكراته التي غطت اكثر من ١٢ سنة خدمة مع الوكالة ، قد كشفت اسماء حوالي ٢٥٠ ضابط وعميل ومؤتمن ومنظمة سرية استخدمت من قبل الوكالة خلال عملياته الاستخبارية في بلدان امريكا اللاتينية . ولتفادي تجربة مارتشيتي مع المحاكم الامريكية فقد نشر آغي كتابه في بريطانيا . وقد اصبح من افضل الكتب التي بيعت عام ١٩٧٥ واجبر وكالة المخابرات المركزية على اعادة تنظيم كل عملياتها في امريكا اللاتينية .

وقد اصابت قضية مذكرات فيليب آغي (Philip Agee) ضباط الوكالة الاخرين بالعدوى واصبحت كتابة المذكرات المضادة للوكالة مرضاً معدياً . وطالما ان كشف اسرار المسؤولين او الضباط لم تكن جريمة في هذا البلد فأن الوسيلة الشرعية هي قضية ضرر مدني من النوع الذي يقدم من قبل الناس

بعد حادثة سيارة . وبعد سنة ، نشر فرانك سنيب (Frank Snepp) والذي عمل مع الوكالة من عام ١٩٦٨ حتى كانون الثاني ١٩٧٦ ، كتاب (Decent Interval) وهو سرد شخصي للايام الاخيرة المحمومة قبل سقوط سايغون في نيسان ١٩٧٥ . وسنيب ، (٣١ سنة) وهو المحلل البارز لوكالة المخابرات المركزية في سايغون ، كان اخر امريكي انقذ من سطح السفارة الامريكية . قد قال مايلي عن تجربته :

> ليس هناك الكثير مما اقوله بانه في مجال الارواح المزهوقة والاسرار المكشوفة وخيانة الوكلاء والاصدقاء والمتعاونين ، فأن اجراءات الاخلاء كانت مهزلة حقيقية . ومنذ عملية غزو خليج الخنازير الفاشلة في عام ١٩٦١ ، فأن الوكالة لم تكشف الكثير ، وتفقده من خلال الغباء والادارة الفاشلة[٥] .

وكباقي المنضمين حديثا الى وكالة المخابرات المركزية ، فأن سنيب كان قد وقع اتفاقية السرية كشرط اساسي لقبوله العمل ، لكنه رفض عندما ارادت الوكالة الاطلاع على محتويات الكتاب . وقد اتضح مؤخراً بانه كان قد تفاوض بشأن اتفاقية مع راندم هاوس (Random House) لتأليف كتاب حتى قبل ان يترك وظيفته في الوكالة[٦] . وكباقي ضباط الوكالة السابقين الذين قرروا ان ينشروا معلوماتهم الاولية عن عمليات الوكالة ، فأن السيد سنيب ادعى في المحاكمة التي تبعت ذلك بان حقوقه الخاصة للتعبير الحر كانت محمية بموجب قانون التعديل الاول . ولفترة ، لم تفهم الصحافة التغيير المفاجيء في سلوكه . وقد قالت مجلة الازمنة الحديثة (New Times) بان فرانك سنيب احب وكالة المخابرات المركزية والشعور الكلي في ان يكون عميلاً للوكالة . «لقد كان يتكلم بفخر ... وان جفاءه مع الوكالة يمكن ان يعزى بوضوح الى غضبه من الكارثة القانونية [في فيتنام] .» وقد فاجأ كتاب سنيب العديد من الصحفيين الذين قاموا بتغطية الحرب الفيتنامية لابسبب محتوياته بل لان كاتبه كان فرانك سنيب (Frank Snepp) .

لم يكن سنيب الشخص المفضل لكل واحد كمصدر في الوكالة خلال جولتيه (٦٩ ـ ٧٠ ، ٧٢ ـ ٧٥) فحسب ، لكنه كان الوجه الحقيقي لما يجب ان يكون عليه الوكيل : انيقا ورياضيا وشديد الشك في الاخرين ورجل سلاح . ولم يشاهد ابدا بدون مسدسه عيار 45 . 0 الذي كان يضعه دائما في حقيبته ، وكان هناك بالطبع حدا لالتزامه بخياله . وكان سنيب يسعد اصدقائه برواياته عن اطلاقه الناري في احدى الحانات والتي قتل فيها ضابط فيتنامي . ثم كانت هناك ايضا صديقته الشقراء والتي يدعي انها عميلة للسوفيت . وعندما سئل عن كيفية التخلص من هذه المشكلة ، اوضح سنيب ذلك لاصدقائه بانه اخرجها من البلد باتهامها بالمخدرات ومن ثم جعل بعضا من اصدقائها يقتلون[٧] .

ان قرار المحكمة العليا في شباط ١٩٨٠ بعدم اعطاء الحق لموظفي الحكومة السابقين بالكتابة عن تجاربهم قد جعل فرانك سنيب غاضباً ومفلساً . فقد منعه ذلك وبشكل دائمي من ترويج كتاباته حول السنوات التي قضاها في وكالة المخابرات المركزية مالم يحصل على موافقة الوكالة ، كما انها امرته بدفع الارباح الحالية والمستقبلية من كتابه (Decent Interval) للحكومة والبالغة تقريباً ١٤٢,٠٠٠ دولار . وقد اوضحت المحكمة العليا بان اخفاق سنيب في توضيح كتاباته قد سبب للولايات المتحدة اضراراً «لايمكن اصلاحها» وهذا كان بمثابة خرق لعقوده مع وكالة المخابرات المركزية[٨] . بينما في حالة فيكتور مارتشيتي فأن المحكمة قررت بان للوكالة الحق في الحصول على امر قضائي ضد نشر اي كتاب يفشي معلومات سرية ويشكل خرقاً لاتفاقية السرية .

ويتناول «كتاب البحث عن الاعداء» ـ قصة وكالة المخابرات المركزية (In Search of Enemies - A CIA Story) وهو كتاب يقع في ٢٨٥ صفحة نشر من قبل جون ستوكويل (John Stockwell) يتناول عمليات الوكالة في انغولا . وستوكويل هذا هو ضابط بحري سابق وصديق لسنيب ، امضى ١٢ سنة مع الوكالة واستقال عام ١٩٧٧ ، ومثل سنيب فانه نشر كتابه بدون اذن من وكالة المخابرات المركزية . وكان اتهامه الرئيسي بان الولايات المتحدة هي المسؤولة عن تصعيد الحرب في انغولا وليس الاتحاد السوفيتي . وطبقاً لستوكويل ، فأن وكالة المخابرات المركزية حاولت ان توقف تقدم الحركة الشعبية لتحرير

انغولا (MPLA) الموالية لموسكو وساندت مجموعتين فدائيتين اخريين وهما الجبهة الوطنية لتحرير انغولا (FNLA) والاتحاد الوطني للاستقلال الكامل لانغولا (UNITA) . ويؤكد ستوكويل بان مامجموعه ٣١,٧ مليون دولار قد انفقت كمعونات عسكرية وارسلت من خلال زائير الى الاتحاد الوطني للاستقلال الكامل لانغولا (UNITA) والجبهة الوطنية لتحرير انغولا (FNLA) ، لكن بدلاً من ايقاف الحركة الشعبية لتحرير انغولا (MPLA) فأن هذه المحاولات قد حفزت السوفيت والكوبيين على المساعدة وساندت الحركة الشعبية في كسب الحرب[٩] . وقال ستوكويل بانه كان على الوكالة البقاء خارج انغولا تماما او التحرك بقوة اكثر من البداية .

وكما هو الحال مع مارتشيتي وسنيب فأن ستوكويل قدم رسالة سياسية محيرة . فقد نادى بتأثير اكثر للوكالة لكنه رفض السرية ، كأهم عنصر اساسي لاي جهاز مخابرات مؤثر . وطبقاً لستوكويل فأن «السرية ترعى العجرفة وعدم الكفاءة . وقد اصبحت الوكالة غير مهتمة حتى بسريتها الخاصة في الخارج واصبحت عملياتها السرية مضحكة في عدم اتقانها» . وقد شعر بالذنب لنشاطاته خلال سنواته مع وكالة المخابرات المركزية واعترف بانه كان سيحمل شعوراً مختلفاً لو كانت العمليات في انغولا او فيتنام ناجحة .

> خلال السنوات السبعين الاخيرة ، نسينا تراثنا الدستوري الفريد ، وانشأنا كلاً من مكتب التحقيقات الفيدرالي ووكالة المخابرات المركزية واعطيناهما حصانة عمياء للقيام باجراءات سرية في داخل وخارج البلاد . وقد حصلنا على مانستحق : ففي الوقت الذي قام كل من مكتب التحقيقات الفيدرالي ووكالة المخابرات المركزية بخرق حقوقنا وحرياتنا المدنية ، فأن ايا منهما لم يستطع التأثير بشكل ملحوظ ضد اعدائه النظريين المتمثلين بالمافيا والـ KGB[١٠] .

ولم تكن وكالة المخابرات المركزية «مؤثرة بشكل ملحوظ» ضد الـ KGB بسبب افتقارها للتدريب ضمن مسؤوليها واستمرار الخرق الكبير للقواعد الاساسية التي تسيطر على السرية الحرفية .

ان ظاهرة المذكرات المضادة لوكالة المخابرات المركزية هي مشكلة معقدة ، لكن انتقادات الضباط المذكورة اعلاه تشترك بصفات معينة والتي يمكن من خلالها التنبؤ بكتابات او مذكرات مضادة للوكالة من قبل كتّاب خائبي الامل .

- انهم من الطبقة الوسطى الامريكية .
- التحقوا بالوكالة على امل خدمة الوطن و
- انجذبوا من قبل وكالة المخابرات المركزية في الخداع والسرية والدراما كما صورتها لهم وسائل الاعلام و
- اصبحوا خائبي الامل وخائفين عندما فشلت مؤسسة المخابرات في تحقيق الصورة الرومانسية التي اوجدتها وسائل الاعلام و
- لجئوا وباسم قانون التعديل الاول الى وسائل الاعلام لمساعدتهم في حل مشاكلهم الشخصية .

ان كل منظمة تجسسية هي تركيب رفيع لمؤسسة اجتماعية وبمجموعة اجراءات وقوانين بيروقراطية لاتتطابق مع توقعات الافراد الرومانسيين والساذجين سياسياً . ان المتعاطفين بشدة والوطنيين المرشحين لايمكن ان يصبحوا بالضرورة رجال مخابرات قادرين على مواجهة الضغط اليومي لعملهم . والاجراءات الصارمة والصحافة المسيطر عليها في البلدان الشيوعية لاتترك الفرصة للضباط الخائبين لان يتصلوا بالعامة . والحوادث الكثيرة للادمان على الكحول والانتحار ، بالاضافة الى الارتداد ، هي اعراض لنفس المرض .

ان ظاهرة خيبة الامل ضمن مراتب وكالة المخابرات المركزية كانت قد تعززت بواسطة تنامي الشعور العام ضد تدخل الولايات المتحدة في فيتنام والكشف اللاحق الذي لم يسبق له مثيل لماضي وكالة المخابرات المركزية من قبل اجهزة الاعلام والذي جعل كل ضابط في الوكالة ان يصبح منبوذاً اجتماعياً ان لم يكن مجرماً سياسياً . وكتب التجسس والكشف التي صدرت من قبل رجال المخابرات السابقين اصبحت مصدراً عاماً في السبعينات وساهمت مباشرة في شل عمليات المخابرات الامريكية . وكل حالة او قضية اعطت الفرد المولع بالجدل ، والذي كان عادة يعيش في محيط معروف

بالحيطة ، كشفا كبيرا للاعلام وشهرة ، وشجعت الافراد الاخرين ذوي المشاكل العاطفية المشابهة على اتباع امثلة من سبقوهم . بالاضافة الى ذلك ، فأن الوضع العام شجع المشرفين على الدعاية على الوقوف والمساهمة بمهاراتهم ومواردهم في الحملات المضادة لوكالة المخابرات . وهم يعلمون بالطبع بان تورطهم في عملية طويلة المدى بمثل هذه الضخامة يجب اخفاءه عن عامة الامريكان . والرجل الذي ساعدهم في حل مشكلة العمليات كان فيليب آغي .

بدأ فيليب آغي حياته في بيت تقليدي من بيوت الطبقة الوسطى ، في تامبا (Tampa) (فلوريدا) حيث كان المحيط ، حسبما ذكره آغي «ذا رد فعل سياسي ان لم نقل تقليدياً» . وقد التحق بوكالة المخابرات المركزية عام ١٩٥٧ وبحس وطني وخدمة عامة ولسنتين كان يعتبر عمله منشط للذكاء ويتسم بالتحدي . وقد كانت فترة الركود الايديولوجي مع الوكالة والسياسة الامريكية الخارجية قد بدأت من عام ١٩٦٣ الى عام ١٩٦٦ خلال تنسيبه في اورغواي حيث كانت مسؤوليته تنحصر في ادارة العمليات المضادة للكوبيين وبناء قوات امن محلية[١١] . وبعد ان اصيب بخيبة الامل والاحباط عام ١٩٦٩ ، ترك الوكالة بحثا عن سبب وفلسفة قد تجيب عن اسئلة حامية حول وجوده . وقد وجد الفلسفة والسبب في الفكر الماركسي ـ اللينيني . واعلن عن نيته في تعريض رجال الوكالة وفضحهم واتخاذ الاجراءات الضرورية لاخراجهم من البلدان التي يعملون فيها . «انني اطمح ان اكون شيوعيا وثوريا» . هذا مايقوله[١٢] . وبخلاف العديد من رجال الوكالة خائبي الامل ، الذين تركوا الوكالة والذين ارادوا كشف وتصحيح اخطاء الوكالة السابقة ، فأن فيليب آغي اصبح مرتداً لسبب او لآخر ايديولوجيا وتعاون عن رغبة مع مخابرات الكتلة السوفيتية في الحملة المضادة لوكالة المخابرات المركزية .

بعد النجاح التجاري والسياسي لكتاب ، «نافذة على الشركة : مذكرات وكالة المخابرات المركزية» ، جمع آغي ولويس ولف (Louis Wolf) مجموعة من المقالات تتضمن دليلاً لتشخيص ضباط وكالة المخابرات المركزية ، وبالدرجة الاولى من قوائم وزارة الخارجية وافراد الجيش . وقد ظهر ذلك تحت عنوان :

(العمل القذر[١] : وكالة المخابرات المركزية في اوربا الغربية) وقد تضمن دليلاً بـ ٣٨٦ صفحة لقوائم تتضمن الاسماء وتاريخ سيرتهم المهنية وفي العديد من الحالات المواقع الحالية لـ ٨٤١ رجل وامرأة ممن كانوا حسبما يزعم ضباطاً لوكالة المخابرات المركزية يعملون تحت غطاء في اوربا الغربية .

وعندما نشر الكتاب ، ضمنه آغي التعليقات التالية :

> ان هذا الكتاب بالطبع سوف يثير الصراخ بأننا نحاول ان نقتل شخص ما . لكن وكما يحدث ، فاننا لانحتاج في الحقيقة الى العنف . وازاحة القناع عن ضباط وكالة المخابرات المجهولين ، سوف يجعل من الصعب عليهم البقاء في مواقع في الخارج . ونأمل بان الوكالة سوف تملك حسا في نقل هؤلاء الاشخاص الى الاعداد الصغيرة من المواقع الامنية ، ويُفضل الى مكاتب داخل مقرات الوكالة في لانغلي (Langley) في فرجينيا (Virginia) وبهذه الطريقة ، سوف تحافظ الوكالة على رجال المخابرات المعروفين وكذلك ايضا على حياة ضحاياهم المحتملين[١٣] .

في المهرجان العالمي الحادي العشر للشبيبة والطلبة الذي انعقد في هافانا في آب ١٩٧٨ ، قام الكوبيون بحملة دعائية مفرطة ضد الولايات المتحدة بشكل عام ووكالة المخابرات الامريكية بصورة خاصة تحت عنوان «الشباب يحاكمون الامبريالية العالمية امام كرسي القضاء» . حيث قام ثمانية قضاة برئاسة طبيب من اورغواي اسمه هوغو ڤلر (Hugo Villar) ، بالاستماع الى العديد من الشهود بضمنهم فيليب آغي «Philip Agee» والذي ادلى بشهادات دعائية وبشعارات ايديولوجية ضد «جرائم وكالة المخابرات المركزية»[١٤] .

وتضمن كتاب : العمل القذر[٣] : وكالة المخابرات المركزية في افريقيا (Dirty Work : The CIA in Africa) والذي نشر في كانون الثاني ١٩٨٠ تضمن تحليلين كتبت من قبل آغي . وقد هاجم النشاطات السرية لوكالة المخابرات المركزية في افريقيا واكد بان الوكالة كانت تقف ضد استقلال افريقيا . وقد اورد الكتاب اسماء ٧٠٠ ضابط مزعوم للوكالة في افريقيا وجعلهم عرضة للارهابيين . واعطت الصحافة ، في بحثها عن الدراما الانسانية والتشويق ،

اعطت آغي شهرة واسعة . هذا هو الرجل الذي تحدى اكبر مؤسسة في العالم ، وكالة المخابرات المركزية . انه احد الضحايا الذي يتحدى عملاقا ، والصحافة تقف الى جانب الضحية او المظلوم . ولعدة سنوات كانت وكالة المخابرات المركزية عاجزة تماما . وكانت التهم المدنية ضد آغي لاخلاله بالعقد غير مؤثرة بسبب تواجده في الخارج . والعديد من البلدان الاوربية ومنها بريطانيا ، فرنسا ، وهولندة امرت بمغادرته على اساس انه كان يقيم اتصالات منتظمة مع وكلاء المخابرات الاجنبية وقد ابطلت وزارة الخارجية الامريكية جواز سفره في كانون الثاني ١٩٨٠ ، لكن هذا الاجراء لم يكن له اي تأثير على حماسه ونشاطه المعادي لوكالة المخابرات المركزية .

هل كان فيليب آغي عميلاً للـ KGB ؟ ان تصريحات ونشاطات آغي كانت في الاساس نتيجة تحول الايديولوجية من امريكي وطني محافظ الى اشتراكي ثائر يعتبر وكالة المخابرات المركزية اداة للقتل في الصراع العالمي بين الطبقات . وقد اصبح ماركسياً حديث الولادة يريد من قرائه انه يفهموا فلسفته السياسية حيث يقول «الحلول الحقيقية الوحيدة هي تلك التي اتبعها الشيوعيون والعناصر الاخرى من اليسار المتطرف» .

وهو لاينتمي الى مجموعة ضباط الوكالة خائبي الامل والذين ارادوا لسبب او لآخر ان يصححوا مايرونه من اجراءات غير شرعية وغير اخلاقية لممارسات وكالة المخابرات المركزية في السابق . فقد تعاون عن رغبة مع اجهزة مخابرات الكتلة السوفيتية وقبل المعلومات منهم واستخدمها في حملات دعائية ضد الوكالة على نطاق العالم . وكمحترف في الاستخبارات ، فقد كان آغي يعلم بان اي دليل على ارتباطه مع السوفيت يكون خطراً وبالتالي سوف يحطم ثأره السياسي والشخصي . ولهذا ، فقد صرح بشكل واضح عدة مرات بانه قبل عدة اتصالات مع ماسماه بـ «المسؤولين الشيوعيون» . وفي مقابلة مع الواشنطن بوست في تموز ١٩٧٤ ، صرح آغي بانه زار كوبا ثلاث مرات منذ العام ١٩٧١ «لاجراء بحث» لكتابة (نافذة على الشركة) و «لمشاهدة نتائج الثورة الاشتراكية الناجحة»[١٥] .

وقد اعترف في نفس الكتاب بانه «عندما كان في هافانا وفرت له مؤسسة

(Biblioteca National Jose Marti and Casa de Las Americas) المساعدة للبحث وساعدته في ايجاد معلومات موجودة في الوثائق الحكومية فقط» . والمؤسسة الوحيدة التي يمكن ان تساعده في البحث عن وكالة المخابرات المركزية هي فقط جهاز المخابرات الكوبي (DGI) .

وآغي لايعارض التضليل العالمي بحد ذاته ، لكنه ينظر الى الاجراءات السرية والتضليل والالاعيب العالمية القذرة كاسلحة نبيلة اذا مااستخدمت من قبل الشخص المناسب ومن اجل قضية مشروعة «انا لااعارضها اذا كانت لصالح حركة التحرر الوطنية» هذا مايقوله آغي[١٦] . ان الغاية تبرر الوسيلة ، وفي معركته ضد الطبقة الرأسمالية في الولايات المتحدة ، فأن فيليب آغي سيكون مستعداً لاستخدام نفس الاسلحة القذرة والالاعيب التي يقف ضدها في وكالة المخابرات المركزية . وهو لايعتبر نفسه عميلاً سرياً للـ KGB لكن بغض النظر عن تصريحاته العامة ، فأن نشاطاته في السنوات العشر الماضية تضعه في مصاف اكثر المتعاونين ورجال الدعاية المضادة لاميركا تأثيراً ومن الذين عملوا لحساب جهاز التضليل السوفيتي في اي وقت مضى .

المجلات المضادة لوكالة المخابرات المركزية

ان مبادرة الحملة العالمية والمنسقة بأتقان ضد وكالة المخابرات المركزية قد نشأت في عام ١٩٦٥ في قسم التضليل الالماني الشرقي[١٧] . وبالتعاون مع الـ KGB وقسم الاجراءات الفعالة التشيكي ، نشر الالمان الشرقيون كتاب «دليل الشخصيات في وكالة المخابرات المركزية» (Who is Who in CIA) من تأليف جوليوس مادر (Julius Mader) ، وهو كاتب معروف في اوربا بهجماته الدعائية المضادة للمخابرات الغربية . وهذا الكتاب يحتوي على مواد من ارشيفات اجهزة المخابرات الشيوعية ومختلف كتب الدليل والقوائم الهاتفية والدبلوماسية . ويتضمن خليط من ضباط الوكالة الاصليين واسماء الدبلوماسيين والمسؤولين العموميين الامريكان وحتى موظفي وكالة المخابرات الامريكية الـ (USIA) الذين لم تكن لديهم اتصالات بوكالة المخابرات المركزية . ومن ضمن مايسمى برجال الوكالة اشخاص معروفين مثل رئيس

المحكمة العليا في الولايات المتحدة السابق آرثر غولدبيرغ (Arthur Goldberg) والسناتور فرانك تشيرش (Frank Church) . وكان الهدف من الكتاب هو تحطيم وكالة المخابرات المركزية وبقية المؤسسات الخاصة والحكومية المعنية بالسياسة الخارجية .

وقد اقتبست المنشورات اليسارية الكثير من هذا الكتاب ، حيث الهب الكتاب الحركة المضادة للمخابرات في الولايات المتحدة لتأسيس المنشورات الخاصة بها . واعتباراً من كانون الثاني ١٩٨١ كشفت مجلتان بشكل منتظم اسماء وكلاء المخابرات المركزية المتعاونين والموجودين في الخارج وهما : نشرة معلومات الاعمال السرية (Covert Action Information Bulletin) ومكافحة التجسس (Counterspy) ، وقد نشرت كلا المجلتين في واشنطن دي سي . وبالنسبة للقصص الداخلية العديدة وهويات رجال وكالة المخابرات المركزية التي تحويها ، فقد استخدمت المجلتان ثلاثة مصادر رئيسية : (١) اعترافات رجال المخابرات السابقين الذين تركوا الوكالة في اواخر الستينات والسبعينات بسبب خيبة الامل والشعور بالذنب او التحولات في الفلسفة السياسية و (٢) الوثائق والمصادر من مكتبة الكونغرس ، مثل النسخ القديمة لسجلات الحياة الشخصية لوزارة الخارجية والتي كانت حتى العام ١٩٧٥ ، وثيقة عامة . وكانت عناوين الوظائف المزيفة التي تعطي لضباط وكالة المخابرات المركزية سهلة التمييز* . وقد اعترفت نشرة معلومات الاعمال السرية (CAIB) بانها كانت تمثل شبكة عالمية من المتعاونين الذين انجزوا البحث او اكدوا المعلومات حول رجال وكالة المخابرات المركزية من الكتب والمجلات ودليل الهواتف وقوائم الدبلوماسيين ... الخ . او ببساطة الاتصال تلفونياً بسفارة الولايات المتحدة والسؤال عن (جو سمث) مثلاً والذي يشكون فيه بانه احد ضباط الوكالة و

* تميز وكالة المخابرات المركزية بين نوعين من الغطاء : الغطاء السطحي للدبلوماسيين والمسؤولين الحكوميين الذين يمثلون الولايات المتحدة والغطاء العميق لرجال الاعمال والصحفيين والذين يكونون بدون حصانة ، ومنذ وجودها عام ١٩٧٨ ، ركزت مجلة الـCAIB بشكل رئيسي على اسماء ضباط الوكالة ذوي الغطاء السطحي .

(٣) المواد التي كانت تؤخذ من ارشيف المخابرات الكوبية او الاوربية الشرقية والتي كانت تذاع من قبل عدد من الاشخاص «الموثوق بهم» ، مثل فيليب آغي (Philip Agee) والذي كان يكتب لمجلتي (CAIB) ومكافحة الجاسوسية . ومعظم هذه الشخصيات كانت دقيقة . وبوجود فيليب كقوة روحية زودت مجلة (CAIB) حوالي ٤٠٠٠ قاريء مشترك بمقالات حول اجراءات الوكالة السرية وحتى آذار من ١٩٨٢ بمقالة عنوانها التعرف على الاسماء (Naming Mames)* . وقد اثار لويس ولف (Louis Wolf) وهو محرر مجلة (CAIB) في عام ١٩٨٠ بانه ساعد على كشف هويات او شخصيات اكثر من ٢٠٠٠ وكيل للمخابرات الامريكية منتشرين في كل ارجاء العالم . وقد كان هدف مجلة (CAIB) التي كانت تطبع ست مرات في السنة هو معالجة الثغرات والمحاسبة واستمرار الاصلاح للمجتمع الامريكي ، وقد استخدمت التحقيقات الصحفية «بهدف فضح اللاشرعية» ، «واعطاء الدروس الاخلاقية للحكومة» . وفي شهادة امام لجنة المخابرات الدائمية المنتخبة في مجلس النواب في ٣١ كانون الثاني ١٩٨٠ اشار ممثل مجلة (CAIB) الى مايلي :

> ان نشرتنا ... مخصصة لكشف مانعتقد بانه تعسفات وكالات المخابرات الغربية . بصورة عامة والمخابرات المركزية بصورة خاصة وكذلك الكشف عن الاشخاص المسؤولين عن هذه التعسفات . ونحن نعتقد بان نشاطات مخابراتنا يجب ان تنحصر في مسألة جمع المعلومات الاستخبارية ، في معناها الاول[١٨] .

وقد اشار الممثل ايضا الى كتاب التضليل الموسوم (دليل الشخصيات في وكالة المخابرات المركزية) كمصدر بحث مشروع .

وعندما وصف عضو الكونغرس ماكلوري (Mc Clory) الـ KGB بانها تهديد رئيسي لحقوق التعديل الاول ، قال محرر مجلة الـ CAIB مايلي :

* في آذار ١٩٨٢ ، قرر محرر مجلة الـ(CAIB) ايقاف عملية تسمية الوكلاء السريين التابعين لوكالة المخابرات المركزية .

> نحن لانعرف الكثير عن الـ KGB ولكن يجب ان تفهم بانه اذا كانوا يفعلون نفس الاشياء التي لانرغب ان تفعلها وكالة المخابرات ، فأننا لانريدها ان تتبعها ايضاً . ونحن بدأنا نحاول جاهدين ان نجلعها حكومة افضل . واننا بلاشك نأمل ان يكون هناك اناس في الاتحاد السوفيتي يحاولون ان يجعلوا من حكومتهم الحكومة الافضل . ونأمل ان يكون هناك اناس آخرون يفعلون الشيء نفسه في كل مكان[١٩] .

ويعكس هذا التصريح سذاجة سياسية كبيرة او اهمالاً لانه من غير المسموح للصحفيين في الاتحاد السوفيتي الدخول في انتقادات علنية للـ KGB او الكشف العلني لوكلائها وحتى في الغرب ، فأن العديد من محاولات الصحفيين موازنة الصورة العامة للـ KGB والـ CIA قد باءت بالفشل .

وقد اشار المراسل اليوناني ، تاكي تيودور اكابولز (Taki Theadoracopulos) الى انه يقال ان «ثلاث صحف من كل ١٢ صحيفة يوميه في اثينا تستلم اموالاً من الاحزاب الشيوعية السوفيتية او الاوربية الشرقية . وقد رفض ناشر الصحيفة التي نشرت اسماء افراد وكالة المخابرات المركزية في اليونان ان ينشر قائمة بأسماء الـ KGB»[٢٠] .

وبالرغم من حقيقة ان ريتشارد ويلج (Richard Welch) ، رئيس محطة وكالة المخابرات المركزية في اثينا ، قد اغتيل عام ١٩٧٥ من قبل ارهابيين مجهولين بعد فترة قصيرة من نشر اسمه ، فأن تسمية رجال الوكالة قد انتشر الى درجة انه اصبح امراً تقليدياً في المنشورات اليسارية . وقد نشرت الصحيفة الفرنسية المتطرفة ليبراسيون (Liberation) في ١٣ كانون الثاني ١٩٧٦ اسماء ٣٢ من رجال مخابرات الوكالة الموجودين في فرنسا . وقد قالت الصحيفة بان المقالة كانت ثمرة لبحوث استغرقت عدة اسابيع في باريس ولندن وواشنطن . وقد نشرت مقالات مشابهة في المكسيك وبريطانيا العظمى واليونان والبرتغال والسويد واسبانيا . وفي حزيران من عام ١٩٨٠ ، تعرض بيت احد المسؤولين الامريكان في جامايكا لاطلاقات نارية بعد ان قال احد موظفي مجلة الـ CAIB (نشرة معلومات الاعمال السرية) بان هذا المسؤول هو في الحقيقة عميلاً للمخابرات[٢١] .

وكانت صحيفة الـ (Counterspy) (مكافحة التجسس) هي المجلة الاخرى المتخصصة في مهاجمة وكالات المخابرات الامريكية ونشر اسماء رجالها . وقد كشف تحليل في العدد الاول من السلسلة ٤ الصادرة عام ١٩٨٠ تحيزاً سياسياً كبيراً وتجاهلاً لعدل وتوازن الصحفيين . وقد احتوى العدد على القصص الرئيسية التالية : «التدخل الامريكي في افغانستان» (لتبرير الغزو السوفيتي لافغانستان) ، «جوان بيز (Juan Baez) ، او توم دوولي في الثمانينات» (تسخر من المغنية لاهتمامها بمآسي فيتنام وكمبوديا) و «برنستون Princeton» ـ وكالة المخابرات المركزية ـ الشرق الاوسط» (مهاجمة مجتمع علماء الولايات المتحدة ويقارن وكالة المخابرات المركزية مع النازية المتعصبة) . ان مقالة بيتر غريبين Peter Gribben حول «وكالة المخابرات المركزية في اندونسيا عام ١٩٦٥» . والتي نشرت في نفس العدد هي مثال نموذجي للصحافة المتميزة او الغير موضوعية . وربما يكون غريبين (Gribben) محقاً عندما يقول بان وكالة المخابرات المركزية لم تعترض ابداً على «قتل مليون عامل وطالب وفلاح اندونيسي بريء» بعد الانقلاب الشيوعي الفاشل في ايلول ١٩٦٥ . ولايعترض الكاتب على القتل السياسي بحد ذاته ، فهو يعتقد في الحقيقة بان الشيوعيين الاندنوسيين كانوا انسانيين جداً وانتقائيين في اختيار ضحاياهم :

> في الساعات المبكرة من صباح الاول من تشرين الاول [١٩٦٥] اقتيد ستة اعضاء من المجلس [مجلس الاجنرالات] من بيوتهم الى مقرات المتمردين خارج جاكارتا ثم قتلوا فيما بعد . والاخطاء التي ارتكبها الضباط الصغار هي السماح للجنرال نازوشن بالهروب واغفال جنرال آخر هو ساهارتو من القائمة الامر الذي اثبت خطأهم[٢٢] .

وبدلاً من التعامل بصورة خاصة مع تدخل وكالة المخابرات المركزية في اندونيسيا قبل واثناء وبعد المحاولة الشيوعية الفاشلة ، فقد قدمت المقالة اقتباسات منتخبة من منشورات مختلفة ودراسات وصحف يومية . وقد اتهمت

المقالة الولايات المتحدة وبصورة خاصة وكالة المخابرات المركزية «باقامة دولة في جنوب شرق آسيا من خلال ايجاد مجموعات عسكرية ذات تدريب غربي والمساعدات العسكرية الى القوات المسلحة الاندونيسية ، واستغلال الاقتصاد الاندونيسي من قبل الشركات الامريكية والتأثير على الحركة العمالية الاندونيسية من خلال اتحاد العمل الامريكي وسوء استخدام برامج التبادل الثقافي للطلاب . وقد كان للكاتب هذا القول حول المناخ السياسي في اندونسيا قبل الانقلاب :

> ان الغرض من محاولات وكالة المخابرات المركزية في هذا الصدد هو لمواجهة الحركة المضادة للامريكان لدى جزء من الشعب الاندونيسي والتي تمثلت بسلب واغلاق مكاتب الاعلام الامريكي في اواخر عام ١٩٦٤ وبداية عام ١٩٦٥ . وهذه الهجمات على مراكز اجهزة الدعاية الامريكية عكست الوعي المتنامي للاندونيسيين وخصوصا العمال ...

وقد احتل الطلبة سفارة الولايات المتحدة في جاكارتا في آذار ١٩٦٥ احتجاجا ضد قتل مالكولم (Malcolm X) في مدينة نيويورك ، وقرأوا طلبا يطالب بطرد السفير هاوارد جونز (Haward Jones) وغلق جميع مكتبات وكالة الاعلام الامريكي المتبقية وسحب كل متطوعي فيالق السلام من اندونيسيا . واخيراً ، فأن المقالة تؤكد بان الصحافة الامريكية لم تذكر شيئاً عن حمام الدم الذي تبع الانقلاب الشيوعي الفاشل وانها لعبت دور المدافع عن وكالة المخابرات المركزية[٢٣] .

ان مقالة غريبين (Gribben) مثيرة للانتباه فقط لانها نقد لاذع وكلاسيكي لوكالة المخابرات المركزية وتتجنب تماما مسألة التدخل من قبل الكتلة السوفيتية في احداث اندونيسيا خلال العامين ١٩٦٤ و ١٩٦٥ . ولم تكن التظاهرات المضادة للامريكان احداث متزامنة تماما اذ كانت نتائج لخطة محكمة من قبل وكالات المخابرات في الكتلة السوفيتية . ان العملية ذات الاسم المستعار المعروف بـ (Palmer) بالمر ، وهي الحملة التي كانت تهدف الى

تخفيف الهستريا المضادة لامريكا ، كانت في الحقيقة عملاً من اعمال قسم التضليل في المخابرات التشيكية . وقد وضعت الخطة عام ١٩٦٤ من قبل حركة جديدة في اندونيسيا تطالب بمقاطعة الافلام الامريكية . ان المجموعة التي تعرف بلجنة العمل لمقاطعة الافلام الامريكية ، كانت مقتنعة بأن الافلام الامريكية كانت تحطم معنويات الشعب الاندونيسي وحكومته ، ولهذا فقد بدأ جهاز المخابرات التشيكي في جمع ملف حول وليم بالمر (Wiliam Palmer) مدير استيرادات الافلام الامريكية في اندونيسيا . وباتصالاته مع اعلى الدوائر السياسية والحكومية الاندونيسية ومصادره المادية غير المحدودة ، فقد بدأ بالمر (Palmer) مرشحا جيداً لوصفه بـ (الامريكي القبيح) وقد اريد ان يكون مثالاً للامبريالية الامريكية «وموضع تفكيرها» وكالة المخابرات المركزية .

وباستخدام نتف تافهة لكنها معلومات حقيقية ، استطاع قسم التضليل التشيكي ان يجمع اضبارة تبين ان بالمر هو رجل وكالة المخابرات المركزية الاول في اندونيسيا وقد استخدمت عدة قنوات تضليل في بداية العملية ، ومن ضمنها السيد آريت (Mr . Arit) ، وهو احد سفراء اندونوسيا الى اوربا . وكان السيد آريت ، وهذا ليس اسمه الحقيقي ، احد اتباع رئيس الوزراء الاندونوسي ساباندريو (Subandrio) ، قد خدم في الخارج في مهام دبلوماسية واستخبارية ، وقد حافظت براغ على علاقات شخصية وثيقة معه . وكان من المنادين الاقوياء بالقومية ومتعاطف سياسيا مع النهج الشيوعي الصيني وقد شارك عن دراية كقناة لايصال الرسائل المضادة للامريكان الى الحكومة الاندنوسية . والاكثر اهمية هو ان العديد من الصحفيين الاندونوسيين وهم عملاء لتشيكوسلوفاكيا كانوا قد زودوا بالخطوط العامة لقصص اخبارية مناسبة كرست لتكثيف الحملات المضادة للامريكان . وكان عملهم وضع التفاصيل بأسلوب صحفي وديباجة اندونوسية . وقد اشتركت ايضا عدة قنوات وكانت العديد من الوثائق المزيفة وغير الموفقة ترسل الى الساسة والصحافة الاندونوسية .

وقد بدأت عملية بالمر خارج اندونسيا . حيث ظهرت في صحيفة سيلان تربيون بعض المواد التي تتهم بالمر بنشاطات تخريبية في الثاني عشر من ايلول عام ١٩٦٤ ثم اعيد طبعها في ٣ ايلول في النشرة السنغافورية التي تنشر من قبل (Barisan Sosiadsis) حيث قالت :

> تستخدم حلقة التجسس منظمة هي اتحاد مستوردي الافلام الامريكية ، كغطاء لها . وقد قيل بان هذه المنظمة تمثل تسع شركات افلام امريكية وتصل وارداتها الى مالايقل عن (٢) مليون دولار . وهذه الاموال تستخدم لتمويل الاحزاب السياسية المعارضة والمنظمات بالاضافة الى رشوة القادة السياسيين والمسؤولين المهمين والنشاطات السرية الاخرى ... ان وليم بالمر (William Palmer) هو مدير هذا الاتحاد . وهو عمل بارز للولايات المتحدة في اندونيسيا . وكان يتعاون مع الثوار الاندونوسيين وحزب الماسجيومي (Masjumi) وهو [منظمة اسلامية] وكل التأثيرات المعارضة المضادة للحكومة وسوكارنو (Sukarno) .. وقد رتب وليم بالمر وضع خلاياه في الاحزاب السياسية والدوائر الحكومية والقوات المسلحة لمساعدته في جمع المعلومات والتجسس ... وبالرغم من نشاطاته البعيدة المدى فانه يستطيع ان يبقى في السر ، وهدفه بشأن المزيد من التخريب لايمكن ان يستمر . فعليه ان يغادر اندونيسيا . ان مايحير السلطات البريطانية في سنغافورة هو ان لندن سمحت بالعمل في ماليزيا . ويظهر من الواضح ان هذا الامر له علاقة بالعملية ككل وهي سيطرة وتأثير الولايات المتحدة على ماليزيا .

وقد جذبت المقالات التي تناولت بالمر الانتباه في سنغافورة وماليزيا واندونيسيا واعطت دوافع للجنة العمل والتي دعت الى عقد مؤتمر لفترة خمسة ايام في نهاية عام ١٩٦٤ . وقد قررت اللجنة الاستمرار في مقاطعة الافلام الامريكية والحت باصرار على وقف فوري لكل نشاطات جمعية الافلام الامريكية (American Motion Picture Association) في اندونيسيا .

وكانت اندونيسيا التي مزقتها الفوضى الاقتصادية والتضخم والصراع الداخلي والحقد على ماليزيا ناضجة للتأثير الشيوعي . وكان الشعب مهيئا لجعل الامبريالية الامريكية كبش الفداء للامراض التي تعاني منها الامة وهو مابداه بالفعل .

وخلال شهر كانون الاول ١٩٦٤ ، حطمت التظاهرات الطلابية مكتبات وكالة المعلومات الامريكية (USIA) وصادر عمال البريد والاتصالات منشورات الوكالة (USIA) في جاكارتا ومدن اخرى . وفي الثامن والعشرين من شباط عام ١٩٦٥ ، هاجم الطلاب منزل السفير الامريكي وبعد اسبوع ، ارسلت حركة نساء اندونيسيا (GERWANI) الى قادة البلاد ومنهم الرئيس سوكارنو البرقية التالية والتي تطالب :

> طرد بيل بالمر (Bill Palmar) من جمعية الافلام الامريكية من اندونيسيا وذلك باعتباره شخصاً غير مرغوب فيه ... وقد تم هذا الطلب اعتماداً على النشاطات التخريبية لبالمر بصفته عضواً في وكالة المخابرات المركزية والتي تعمل لحساب المسالح الامريكية الامبريالية والتي توجه عناصر الثورة المضادة ومشاريع المستعمرين الجدد في ماليزيا[٢٤] .

وعندما وصل ايفان اغايانتس (Ivan Agayants) مدير قسم التضليل السوفيتي الى جاكارتا في نيسان ١٩٦٥ لتقييم الوضع كانت الولايات المتحدة قد قلصت من وجودها في البلاد . فمعظم مكتبات وكالة المعلومات الامريكية قد اغلقت واتهم جميع متطوعي فيالق السلام بانهم جواسيس لوكالة المخابرات المركزية . واستلم كل من وزير الخارجية ساباندريو (Subandrio) والرئيس سوكارنو (Sukarno) تقارير من خلال قنوات التضليل التشيكي مفادها ان بالمر قد عرض للخطر الحركات السرية الاندونيسية وفضح اكثر من شخص للسلطات الماليزية . وقد صمم «الدليل» بان وكالة المخابرات المركزية وبالمر قد تآمروا شخصيا لأغتيال سوكارنو ووزير الخارجية ساباندريو وقائد الجيش الجنرال ياني (Yani) . وقد بدت امريكا اكثر فأكثر كحليف لماليزيا العدوة .

وقد انتشرت الاخبار كالقنبلة في الاجتماع السنوي لقادة الجيش الاندونوسيين في ٢٨ مايس ١٩٦٥ وذلك عندما اعلن سوكارنو بان الامبرياليين خططوا لقتله وتحطيم الثورة الاندونيسية . وقد وصف في خطته وليم بالمر بانه

عميل لوكالة المخابرات المركزية وصرح بان الدليل الحيوي كان قد تم العثور عليه في مسكن بالمر بعد ان فتشه المتظاهرون المعادون لامريكا . وبعد فترة قصيرة من خطبة سوكارنو ، طالب اتحاد الطلبة الاندونيسي تنفيذ عقوبة الموت بـ (بالمر) وقام المدعي العام في جاكارتا بفتح تحقيق رسمي .

وكان المشهد الاخير في الدراما هو ماسمي بالخطة الامريكية البريطانية المشتركة لغزو اندونيسيا . وقد جرت بريطانيا العظمى الى الحملة لاعطاء الخطة ثقة ومصداقية اكثر . وبما ان ماليزيا ، وهي نقطة الهجوم لغزو اندونيسيا ، كانت تؤي القواعد البريطانية فمن غير المحتمل ان تستطيع الولايات المتحدة تنفيذ عملية واسعة او التحشد في الاراضي الماليزية بدون موافقة بريطانيا . وقد تم اعداد تلفيق كدليل يفترض انه تقرير مرسل من سفير المملكة في جاكارتا الى وزارة الخارجية البريطانية وقد احتوت الوثيقة في ١٢ آذار ١٩٦٥ ، الفقرات التالية :-

لقد اجريت محادثات مع سفير الولايات المتحدة جونز (Johes) حول المواضيع التي جاءت في الرسالة المرقمة ٦٥ ـ ٦٧٧٨٥ . وقد وافق سفير الولايات المتحدة جونز من حيث المبدأ على موقفنا . وعلى اية حال فقد طلب المزيد من الوقت لدراسة المواضيع من عدة زوايا اخرى .

وفي معرض الاجابة على سؤال حول التأثير المحتمل للزيارة التي قام بها بانكر (Bunker) ، المبعوث الشخصي للرئيس الامريكي جونسون الى جاكارتا لتحسين الوضع ، وهذا سوف لن يغير الخطة ، بل على العكس ، فأن ذلك سوف يوفر الوقت لاستكمال التحضيرات وقد اكد السفير جونز ايضا على ضرورة البدء بخطوات جديدة نحو تعاون اكثر فعالية وقال بانه لاتوجد حاجة للتاكيد على ضرورة نجاح الخطة . وقد وعد باتخاذ الاجراءات الضرورية ، وسوف اوفيكم بوجهات نظري حول الموضوع في وقت لاحق .

لقد سربت العديد من قنوات التضليل التشيكية التلفيق الى وزارة الخارجية الاندونيسية ، وكان متوقعا ان تظهر في مؤتمر قادة آسيا وافريقيا في الجزائر . وبالرغم من تأجيل المؤتمر ، فقد اجرى وزير الخارجية الاندونيسي ساباندريو

(Subandrio) مقابلة مع الصحيفة المصرية شبه الرسمية (الاهرام) وكشفت عن المؤامرة . وقد نشرت القصة الدرامية للخطة الامريكية لغزو اندونيسيا ونسخة من التلفيق في عدد الخامس من تموز ١٩٦٥ . وقد نفى المسؤولين الامريكان والبريطانيين صحة الوثيقة جملة وتفضيلاً لكن نيتهم لم تكن سوى وقود للنار المتأججة ضد الامريكان في اندونيسيا وفي آب ١٩٦٥ ، اوردت صحيفة نيويورك تايمز ملاحظة احد الدبلوماسيين الغربيين في جاكارتا والتي قال فيها (في الحقيقة لايستطيع الامريكان ان يفعلوا شيئا . فهو فقط شيء مشابه لمجيء الفيضان) .

وقد بدت عملية بالمر في البداية بانها نجاح تام في دفع العلاقات الامريكية ـ الاندونيسية الى اوطأ مستوى شهده تاريخها فقد نجح السوفيت في مهاجمة وكالة المخابرات المركزية وباكثر مما توقعوا . وقد اثروا بمهارة على سوكارنو وفي هذه الحالة استغل الشيوعيون الاندونيسيون الذين لم يدركوا لعبة تضليل الكتلة السوفيتية استغلوا الامور لصالحهم وفي ٣٠ ايلول ١٩٦٥ ، قاموا بانقلاب انتهى بقتل الجنرالات الذين وصفهم غربين (Gribben) ومن ثم خسروا .

ولقد خرجت المخابرات الشيوعية عام ١٩٧٨ بنشرة اخرى مضادة لوكالة المخابرات المركزية سميت بـ (مطلع من وكالة المخابرات المركزية (CIA Insider) ويفترض ان القضية الاولى الوحيدة حتى هي تلك التي اعدها سبعة من الصحافيين ـ المتطوعين (الذين يعتقدون ان واجبهم يقضي وضع نهاية للتسلط التخريبي لوكالة المخابرات المركزية على الصحافة وحرية المعلومات) . وقد كان كل العدد مخصصا لقائمة من وكلاء المخابرات المركزية المأجورين في الاعلام العالمي وقائمة باجهزة الاعلام التي تستخدم كغطاء من قبل وكالة المخابرات المركزية . ومن ضمن الاشخاص الذين اوردوا كوكلاء لوكالة المخابرات المركزية اريك بورن (Eric Boarne) من مجلة الكريستيان سانيس مونتر وسيمور هيرش (Saymour Hersh) وهاريسون اي سالزبري (Harrison E . Salisbury) وتاد سزلك (Tad Szulc) وهم مراسلون سابقون لصحيفة نيويورك تايمز معروفون بعدائهم لوكالة المخابرات المركزية . وقد

ارسل (مطلع من وكالة المخابرات المركزية (CIA Insider) الى عدة اشخاص وممثلي الصحافة في انحاء العالم ، ولكن الاستجابة لمْ تكن مشجعة . وقد تضمنت القائمة اسم كارل بيرن (Karel Bern) وهو مراسل سابق للمجلة الالمانية الغربية دير شبيغل في النمسا وحقيقة ان كارل Karel كان مراسلاً لوكالة الصحافة التشيكوسلوفاكية (CTK) في النمسا وعميلاً للمخابرات التشيكية حتى ارتداده عام ١٩٦٨ تشير الى ان الناشر الحقيقي لـ (مطلع من وكالة المخابرات المركزية) كانت المخابرات التشيكوسلوفاكية وليست السوفيتية .

وقد انهى الكونغرس الامريكي اخيراً الكشف العلني لرجال مخابرات الوكالة في الولايات المتحدة عام ١٩٨٢ عندما وافق على اصدار قانون حماية هويات المخابرات . وبموجب هذا القانون فأن جميع الموظفين الحكوميين الذين يكشفون الجواسيس الامريكان الذين يعملون تحت غطاء في البلدان الاجنبية هم عرضة للسجن لفترة عشر سنوات او بغرامة تبلغ ٥٠,٠٠٠ دولار ، اما بالنسبة للاشخاص الذين هم خارج الحكومة ومنهم الصحفيون والموفدون فأن اي تحقق منهم يمكن ان يسجنوا بفترات تصل الى ٤ سنوات وبغرامة تصل الى ١٥,٠٠٠ دولار . بموجب القانون فأن اي شخص يمكن ان يعاقب بسبب نشره المعلومات من هذا النوع حتى وان كانت منشورة سابقا .

وقد ادين هذا القانون بسرعة من قبل الصحافة وعدد من المجموعات المهنية مثل اتحاد الحريات المدنية الامريكية ومن قبل اللجنة الصحفية لحرية الصحافة . وقد اعتبرت الصحافة هذا القانون على انه تحديد حقيقي للحقوق الممنوحة بموجب قانون التعديل الاول ولم يدركوا حقيقة ان الـ (KGB) هي الهدف الحقيقي لهذا التشريع وعلى كل حال ، فأن عملية كشف رجال الـ CIA مستمرة خارج الولايات المتحدة .

استخدام القنوات الدبلوماسية

ثمة طريقة اخرى غالبا ماتستخدم من قبل السوفيت في حملتهم المعادية لوكالة المخابرات المركزية وهو اعلام الحكومات الاجنبية حول رجال مخابرات

الوكالة الموجودين ضمن اراضيهم وهذه الاتصالات الرسمية هي مزيج من الحقائق (اسماء وبيانات اساسية حول رجال الوكالة الموجودين بصفة دبلوماسية) والروايات (خطط لاغتيال رئيس وزراء ما او تنظيم انقلاب عسكري) . وطالما ان هذه الاتصالات تحتوي على بعض البيانات الصحيحة ومن المفروض انها تحذيرات خطرة ، فانها عادة ماتؤخذ بجدية .

ان الحملة مكرسة لاثارة الخلاف بين البلد المستهدف (هو في العادة بلد نامي) والولايات المتحدة وكذلك منع حصول العلاقات الوثيقة . وتختار الـ KGB ديبلوماسي او رجل اعمال امريكي متواجد في البلد المستهدف ويصوره كرجل مخابرات خطير . وكانت الحملة التي شهدها العامان ١٩٨٠ و ١٩٨١ ضد جورج جي . بي . غريفين (George G . B . Griffin) وهو دبلوماسي امريكي يعمل في السفارة الامريكية في العاصمة الافغانية كابل وهو نموذج لمثل هذه التكتيات .

وغريفين وهو موظف في الخارجية ولديه تجربة طويلة في بلدان شبه القارة الهندية سبق وانه خدم في الهند وسريلانكا والباكستان . وبعد الغزو السوفيتي لافغانستان في كانون الاول ١٩٧٩ قام غريفين بعدة جولات الى الهند لزيارة زوجته وفي بعض الاحيان جمع التقارير حول الوضع في البلد المحتل . وقد ازعجت اتصالاته مع الصحافة الغربية السوفيت الذي ارادوا عدم ظهور قضية افغانستان على صدور الصفحات الاولى للصحف باسرع مايمكن . وكما في بقية الحملات فأن قصة التضليل وضعت اولاً في الصحافة الهندية المحلية ثم وزعتها فيها بعد وكالة تاس (TASS) في انحاء العالم واذيعت مرة اخرى الى الهند من خلال اذاعة موسكو تحت اشراف من مديرية التضليل KGB .

وقد ظهر اول اتهام لغريفين بنشر الاكاذيب في افغانستان في احدى الصحف التي تسمى باتريوت (Patriot) في كانون الاول ١٩٨٠ . وبعد خمسة اشهر (٤ مايس ١٩٨١) ، اطلقت عليه الصحيفة الاسبوعية بلتز (Blitz) صفة رجل وكالة المخابرات المركزية المتهم بعمليات ضد الحكومة الافغانية . وفي كلتا الحالتين ، التقطت وكالة تاس القصة ووزعتها في انحاء العالم .

وعندما قررت وزارة الخارجية نقل غريفين الى الهند ، كثف السوفيت من حملتهم ، التي جاء فيها :

ان غريفين وهو شخص متخصص في وكالة المخابرات المركزية ، والذي قاد من اراضي باكستان عمليات سرية لقسم التجسس الامريكي ضد افغانستان قد نقل الان من باكستان الى نيودلهي ... والآن ، فأن رؤوسائه يرسلونه الى نوع جديد من العمل والذي سوف يوسع من اهمية النشاطات التجسسية لوكالة المخابرات المركزية في الهند[٢٥] .

وكان رفض الحكومة الهندية لقبوله في تموز ١٩٨١ مبنياً بشكل رئيسي على التضليل السوفيتي . وقد حصلت حادثة مشابهة في موزمبيق في شباط ١٩٨١ عندما اتهم اربعة دبلوماسيين امريكان بتهمة التجسس لوكالة المخابرات المركزية وصدرت اليهم الاوامر بترك البلاد . وقد اتهمت الحكومة سفارة الولايات المتحدة بجمع المعلومات حول الرئيس سامورا ميشيل (Samora Machel) من اجل اغتياله . وقبل عدة ايام من الطرد ، قامت مجموعة مكونة من ١٢ ضابط كوبي بقيادة اثنين من وكلاء المخابرات المعروفين وبمساعدة مسؤولين موزمبيقيين بحجز دبلوماسي امريكي عنوة لاكثر من اربع ساعات في محاولة لتجنيده للتجسس لكوبا[٢٦] . وعندما رفض ، نصح الكوبيين الحكومة الموزمبيقية باتخاذ اجراء صارم ضدما اسموه بالوكر التجسسي الامريكي .

وقد سجلت الحملة الدعائية السوفيتية المضادة لوكالة المخابرات المركزية نجاحات رئيسية في اواخر السبعينات واثناء الفترة التي تلت الحرب الفيتنامية والتغيير الذي حصل في الوضع السياسي في الولايات المتحدة والذي خلق ظروفا مناسبة لمثل هذه المناورات . وقد قللت الولايات المتحدة بحدة من برنامج عملياتها السرية في ذلك الوقت ، اذ استقال او طرد من الخدمة المئات من رجال المخابرات المركزية بعد كشف اسمهم للعامة وتم تحديد الاتصالات بين المخابرات الغربية ووكالة المخابرات المركزية . لكن العدوان السوفيتي في افغانستان والضغط الكبير على حركة المنشقين في الاتحاد السوفيتي وازدياد التضليل السوفيتي في امريكا الوسطى احدث تغيرات في الجو السياسي الامريكي وادراك مفاده ان الدفاع الفعال ضد التهديد السوفيتي يتطلب جهاز مخابرات مخلص وموثوق به ، ومع ذلك فأن الحملة السوفيتية المضادة لوكالة

المخابرات المركزية سوف تستمر بدون شك لانها احد المعارك الدائمية في الحرب غير المرئية بين الشرق والغرب . لكن دروس العقد الماضي يجب ان توفر خطوط عامة كافية للمستقبل .

الفصل الحادي عشر
المشاريع التجارية والعلوم والتكنولوجيا

رجاءً ، انحني الى اليسار قليلاً

غالباً ماتستخدم KGB معهد الولايات المتحدة الامريكية وكندا في موسكو كمظهر كاذب للاتصالات الشخصية مع العلماء والباحثين المتخصصين الغربيين المستهدفين للتجنيد . والهدف الرسمي لمعهد الولايات المتحدة الامريكية وكندا هو تزويد المعلومات والخبرة حول المعارضين لوزارة الشؤون الخارجية السوفيتية والـ KGB واللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي . واهم مصادر دراسات المعهد هي الصحافة الغربية وتقارير الدبلوماسيين السوفيت ورسائل تاس الاخبارية والمعلومات الشفهية من الموفدين الامريكان والكنديين .

«العلاقات الدستورية المتبادلة بين الرئيس والكونغرس في الولايات المتحدة الامريكية في مجال السياسية الخارجية» هي دراسة قدمت من قبل ياري اي . نايبورنيكو (Yari I . Nyporenko) ، وهو اكاديمي اوكراني مرتبط بالمعهد ،

وهذه الدراسة هي تحليل للصراع بين فروع الحكومة الامريكية والتناقضات التي يمكن ان تستغل في السياسات الخارجية المتطورة والموالية للاتحاد السوفيتي . وبالرغم من ان الكتاب الف بلغة دراسية فانه كان صادقاً وواقعياً في مناقشته لفرص المناورات التي تجري خلف الكواليس في واشنطن ويتعامل الكتاب ايضاً مع الفوائد النسبية لمختلف التحالفات الحزبية بين البيت الابيض والكونغرس لصالح «القوى التقدمية» وكأحسن توافق محتمل ، كما قال الكاتب وهو وجود رئيس جمهوري «يعُارض» عن قبل كونغرس ديمقراطي ، واقل توافق ملائم هو وجود رئيس جمهوري مع كونغرس جمهوري[١] !

لكن كتاب نايبورنيكو لم يكن نتاجاً مثالياً للمعهد . وطبقاً لما قالته غالينا اوريونوفا (Galina Orionova) الزميلة الباحثة السابقة في المعهد والتي ارتدت الى بريطانيا العظمى خلال زيارة قامت بها اليها في نيسان ١٩٧٩ ، فأن الزمالات في المعهد محصورة في اعداد التقارير من المصادر المنشورة كالصحف والمجلات والكتب الامريكية «وقد قدمنا صوره مضبوطة لاننا وجهنا بتقديم صورة دقيقة مبنية على حقائق امريكية وتحليلات وافكار امريكية ولم يطلب منا اعطاء اية توصيات سياسية»[٢] . وبدلاً من العمل كمصدر لافكار جديدة ومثيرة ومفاهيم وتوصيات للتعامل مع الولايات المتحدة ، فأن المعروف عن المعهد البالغ عدد اعضائه ٣٥٠ عضواً بانه دعاية لتوضيح السياسة السوفيتية للاكاديميات الامريكية والصحافة والحكومة وكغطاء للعمليات العديدة للـ KGB والتي استخدمته لتحسين الاتصالات مع الطلاب الموفدين والصحفيين والساسة الامريكان . ويمتلك المعهد ثلاثة اقسام رئيسية : الاول لدراسة السياسات الامريكية الداخلية والخارجية والثاني يتعامل مع الاقتصاد الامريكي والثالث مصنف رسمياً كقسم للايديولوجيا وادارة المكتبة وتنفيذ النشاطات السرية واستضافة الزوار الامريكان والكنديين وللقسم شعبة خاصة لشؤون الولايات المتحدة العسكرية يترأسه الجنرال ميخائيل ملشتاين (Mikhail Milshteyn) احد رجال الاستخبارات العسكرية[٣] . وقد علقت غالينا اوريونوفا بما يلي :

غالباً ماحضرت حفلات او اجتماعات مع الامريكان حيث كان كبار الاعضاء [من المعهد] يتصنعون التعليقات والتي يعلمون بانها كاذبة ولكنهم يعلمون ايضا ونتيجة لالمامهم بكتابات الامريكان ، بانها سوف تبهج زوارهم . وكمثال على ذلك فانهم يتأسفون لتصرف كاسترو العسكري في افريقيا ويأسفون ايضا لان موسكو لم تستطع السيطرة عليه[1] .

وبعد مغادرة الزوار يملأ اعضاء الهيئة وثيقتين ، الاولى تحتوي على معلومات تخص رحلات الزائريين ونشاطاتهم واي تعليق مهم عنهم والاخرى تحتوي على معلومات حول حياة الزوار الخاصة وفلسفتهم السياسية ونقاط الضعف الشخصية لديهم .

وجورجي ارباتوف (Georgi Arbatov) مدير معهد الولايات المتحدة وكندا هو عنصراً ذكي واسع الاطلاع . ويعتبر روسيا قوميته بالرغم من ان زملائه في المعهد يقولون بانه يهودي . وارباتوف رجل دعاية ماهر وصاحب مقالات ومحاضرات ذات خليط متوازن من التصريحات المنطقية والمصممة بذكاء اعتماداً على انصاف الحقائق والتحريضات التي تقدم بلغة هادئة ومقبولة سياسياً . ولكونه احد الخبراء القياديين في شؤون الولايات المتحدة وعضو اللجنة المركزية صاحبة القرار السياسي في الحزب الشيوعي ، فأن ارباتوف كان قد زار الولايات المتحد لعدة مرات . وقد ساعدته الطلبات العديدة لاجراء المقابلات وقبول الدعوات للمناقشات التلفزيونية على نشر الرسالة السوفيتية ، لكن نظرائه الامريكان لايمتلكون حرية الوصول لاجهزة الاعلام السوفيتية الا بعد موافقتهم على اعطاء تصريحات تدعم سياسة السوفيت* .

وكانت تحقيقات مجلس الشيوخ والنواب لوكالة المخابرات المركزية والجو المعادي للوكالة في المجتمع الاكاديمي الامريكي قد حال دون استخدام المواقع الاكاديمية المحلية كاغطية لنشاطات وكالة المخابرات المركزية ، في حين ان

* ردت ادارة ريغان في نيسان ١٩٨١ برفض تمديد تأشيرة ارباتوف ومساعده ميخائيل اي ميلشتين ومنعت ظهورهما في مجلة بيل موير جورنال (Bill Moyers' Journal) .

السوفيت لايعانون من هذه المشاكل وان الموقع الوظيفي المهم لارباتوف وتصريحاته الهادئة حول السياسية الخارجية وسلوكه المتحضر ساعد على فتح الباب للعديد من الجامعات الامريكية ومعاهد او مؤسسات السياسية الخارجية والوكالات ورجال الـ KGB المتنكرين كمبعوثين او باحثين في معهد ارباتوف على عمل ماتبقى .

وتعلم الـ KGB جيداً بان العديد من مؤسسات الابحاث والجمعيات الفكرية والمؤسسات في الولايات المتحدة تمارس تأثيراً ملحوظاً على الاجراءات الحكومية والاجراءات التشريعية بالاضافة الى الصحافة والرأي العام . ويهتم السوفيت بشكل خاص بالجمعيات الفكرية الليبرالية مثل معهد الدراسات السياسية في الولايات المتحدة والمعهد الدولي لبحوث السلام في السويد وقد ساعد تحيز هذه المنظمات واتجاهاتها السياسية المعادية للحكومة لان تكون اهداف محتملة وسهلة . ويقوم معهد الدراسات السياسية بهيئته المؤلفة من ٨٠ عضواً بابحاث في مجالات الاقتصاد والامن القومي ونزع السلاح وان نواة المعهد هم باحثون ودارسون ذوي مفاهيم ماركسية تشير الى ان سياسة السوفيت الخارجية العسكرية لاتشكل اي تهديد للديمقراطية الغربية وكمثال على ذلك ففي عام ١٩٨٢ ، نظمت حلقة دراسية من قبل المعهد والاكاديمية السوفيتية للعلوم حول نزع السلاح كانت ذات طابع دعائي قيم للسوفيت لكنها لم تحقق اي شيء للاهداف الامريكية[٥] . ويستخدم كل من معهد الدراسات السياسية والمعهد الدولي لبحوث السلام معياراً مختلفاً كلياً لتقييم انجازات الحكومتين الامريكية والسوفيتية . فهما يصفان اتصالات وكالة المخابرات المركزية مع المعاهد الاكاديمية ومعاهد البحوث الامريكية بانها انتهاكات رئيسية للحرية الاكاديمية في حين انهما يتجاهلان اختراق الـ KGB المنظم لنفس المعاهد .

وهناك نظرة خاطئة لان المنظمات الجبهوية السوفيتية والمراكز الاكاديمية الخارجية يجب ان تدعم مادياً وبشكل مباشر من موسكو لتحقيق المصالح السوفيتية الاساسية وبالرغم من صحة ذلك في بعض الحالات الا ان العديد من المراكز الاكاديمية ذات الاتجاهات اليسارية المتطرفة تتلقى معظم دعمها

المادي من متبرعين ومن مؤسسات غربية حقيقية . وفي الخمسينات كان هناك عدد من المنظمات الجبهوية كاتحاد الطلبة العالمي ومجلس السلم العالمي تعمل تحت توجيه صارم من المخابرات السوفيتية ، لكن السوفيت اتبعوا ستراتيجية اكثر مرونة خلال العقدين الماضيين . وتعتمد الـ KGB على البنية التقليدية المعتدلة للمنظمات الجبهوية وخاصة في البلدان النامية ، اما في الولايات المتحدة وكندا واوربا الغربية ، فانها تفضل التغلغل والتأثير في المؤسسات والمنظمات اليسارية المتطورة لان هذا التكنيك اقل خطورة من الناحيتين السياسية والمادية .

ان معهد بحوث السلام الدولي الذي تأسس في عام ١٩٦٦ هو من الناحية الرسمية منظمة توفر تحليلات مستقلة للتسلح وتوازن القوى العالمي انه يتلقى الدعم المادي من الحكومة السويدية ويديره مجلس حكام مؤلف من رئيس سويدي واعضاء من المانيا الغربية والنرويج وفنلندا والمانيا الشرقية ويوغسلافيا لكن تقييماته بعيدة عن الموضوعية وفي تقريره السنوي لعام ١٩٨١ على سبيل المثال فقد تطرق الى النفقات العسكرية لاوربا الشرقية في فقرة واحدة واستنتج بانه «لاتوجد معلومات حقيقية حول المواد العسكرية في حقل العموميات»[٦] . وقد كشفت بعض حالات تحيز المعهد المعادي الناتو . كمثال على ذلك فقد عبرت احدى الباحثات السابقات في المعهد بان مستشار جيكوسلوفاكي يعمل لدى المعهد قد راقب عملها عن القواعد العسكرية السوفيتية وان المعهد مهتم بشكل رئيسي بنشاطات الناتو . وفي حزيران ١٩٨١ اعتقل اون أر . ولكز (Owen R . Wilkes) وهو باحث استأجره المعهد لمشروع يتعلق بالقواعد العسكرية الاجنبية في العالم اعتقل في النرويج وحكم عليه بالسجن لستة اشهر مع وقف التنفيذ وذلك بسبب تعريض امن النرويج للخطر . وفي آذار ١٩٨٢ القي القبض على نفس الشخص في السويد بتهمة جمع معلومات غير مشروعة حول شبكة الدفاعات الجوية السويدية وحكم عليه بالسجن لمدة ستة اشهر ومن ثم ابعد من السويد[٧] .

ومعهد الدراسات السياسية هو اكثر اثارة للانتباه من معهد بحوث السلام الدولي . وهو منظمة بحوث وصفت من قبل ريل جين اسحق (Rael Jean

Isaac) بانه «عملية استخبارية كبيرة تمارس كلاً من العمل السري والتخريب وهو نفسه عبارة عن تحوير لهيئة متعددة الجنسيات ، ويخدم كمركز عصب امبريالي لعمليات تخريب مستمرة والذي يؤثر بدوره على سلسلة كبيرة من المجموعات المستقالة ظاهرياً»[٨] ! وقد اكد اسحق بان المعهد لايميز بين عمليات الابحاث والسياسة «فقد كانت الاهداف الرئيسية لمعهد الدراسات السياسية هي وكالات مخابرات حكومة الولايات المتحدة بسبب عمليات التجسس التي تمارسها والاعمال السرية والتخريب والهيئة وخصوصاً الهيئة المتعددة الجنسيات والامبريالية الامريكية» . وهذه الاهداف والغايات بعيدة المدى كانت تتفق بوضوح مع اهداف الاجراءات الفعالة التي تنفذ من قبل الكتلة السوفيتية ضد الولايات المتحدة .

وقد تأسس المعهد عام ١٩٦٣ كنتاج حقيقي لليساريين ومنظري السياسة الخارجية الليبرالية مثل ماركوس راسكن (Marcus Raskin) الذي كان عضواً في مجلس الامن القومي . والذي ابتعد فيما بعد واصبح ذا اتجاه معادي للمؤسسة العسكرية الصناعية ورتشارد بارنيت (Richard Barnet) الذي كان يشغل منصب نائب مدير وكالة الابحاث السياسية لوكالة الحد من التسليح الامريكي ونزع السلاح ويقول اسحق بان «اتباع معهد الدراسات السياسية متحمسون حول الحركات الثورية والارهابية في العالم الثالث والدول التي تحتضنها وبينما لايدافع دوماً عن الاتحاد السوفيتي بانه خالي من العيوب فأن الولايات المتحدة توصف بانها عدائية في العلاقات السوفيتية ـ الامريكية» . ويؤكد بان امريكا توفر الحريات الاجرائية (الكلام والصحافة والبرلمانات) ، لكن السوفيت يوفرون الحريات المادية (العناية الصحية والعمل والسكن) ومن هذا المنظار فأن سياسة الاتحاد السوفيتي هي دفاعية وان النزعة العسكرية السوفيتية لاتهدد الولايات المتحدة[٩] .

وقد شارك معهد الدراسات السياسية بنشاط في الحملة العالمية المعادية لوكالات المخابرات الامريكية وساهم في تأسيس مجلة «مكافحة التجسس» . وهي منشور يكشف بانتظام هويات رجال وكالة المخابرات المركزية في العالم . وكان ماركوس راسكن مساعد مدير معهد الدراسات السياسية ، من بين

اعضاء الهيئة الاستشارية التي اصدرت «مكافحة التجسس»[١٠] . وقد ساعد المعهد مرتدي وكالة المخابرات المركزية بواسطة تزويدهم بمواد بحوث لكتبهم المعادية للوكالة وخاصة كتاب فيليب آغي «نافذة على الشركة : مذكرات وكالة المخابرات المركزية (« CIA diary : Inside the Company) . وكذلك فانها ساهمت في اخراج العديد من الافلام حول المرتدين من الوكالة . وبتشجيع الهمس في الحكومة الفيدرالية والتحري عن الجواسيس القدامى والذين اصبحوا فيما بعد مسؤولين حكوميين وفي مختلف المستويات فقد اصبح المعهد هيئة سياسية متعددة الجنسيات ذات تأثير متميز على العملية الديمقراطية الامريكية .

هل يوجد هناك دليل مقنع على الارتباط بين المخابرات الشيوعية والمعهد ، فالتمييز المتطرف لايعني بالطبع ، بان معظم الاعضاء يخدمون في جدول مدفوعات الـ KGB وان كل بحث للمعهد يجب ان يمحص وتصادق عليه الـ KGB وقضية وزير الخارجية التشيلي اورلاندو ليتلر الذي خدم ابان حكومة الهندي والذي عاش كسياسي منفي في الولايات المتحدة وعمل مديراً للمعهد العالمي (الفرع العالمي لمعهد الدراسات السياسية) هي افضل مثال على ذلك . فقد اغتيل ليتلر مع عضو هيئة المعهد روني موفت (Roni Moffitt) في واشنطن دي . سي في ايلول ١٩٧٦ من قبل عملاء تشيلي السريين وكشف الوثائق التي عثر عليها في حقيبته وشقته بانه كان قد استلم هدايا ورواتب منتظمة بلغت (١٠٠٠ دولار في شهر) من كوبا عن طريق بيترز اليندي فيرناندز (Beatriz Allende Fernardez) وهي زوجة احد ضباط المخابرات الكوبيين وقد بنيت مذكرة داخلية مؤرخة في ٩ ايلول ١٩٧٦ من قبل المعهد العالمي (Transnationa Institue) بان هذه الحقيقة الحساسة يجب ان لاتدخل حيز الكتب . وبالرغم من ان المعهد اوضح فيما بعد بان هذه المدفوعات كانت قد جمعت من قبل الحزب الاشتراكي الشيلي في اوربا الغربية واودعت في هافانا فأن هذا التوضيح لم يكن مقنعاً . ومن خلال الوثائق التي نشرت بموجب حرية المعلومات تعطي الوثيقة المعنونة (Accuracy in Media Report) الدقة في التقارير الاعلامية ـ هذا التحليل عن قضية ليتلر .

لقد كشف المحادثات التلفونية المراقبة بين ليتلر وجوليان ريزو (Julian Rizo) الذي كان وقتها اكبر رجل مخابرات لكاسترو في الولايات المتحدة والتي التقطت من قبل مكتب التحقيقات الفيدرالي بانه كان قد طلب من ليتلر ترتيب لقاءات لريزو (Rizo) مع اشخاص من معهد الدراسات السياسية واضافة الى ذلك فأن ليتلر كان في الوقت الذي قتل على وشك المغادرة في رحلة الى كوبا وانه كان حاملاً في حقيبته رسالة من احد زملائه في المعهد هو سول لاندو (Saul Landau) على ان تسلم الى صديق في كوبا[١١] .

ان تحليل موضوع «الدقة في التقارير الاعلامية» حول الارتباط بين معهد الدراسات السياسية والمخابرات الكوبية قد اهمل من قبل معظم اجهزة الاعلام الامريكية واعتبر بانه احد النتاجات المكارثية (Macarthysim) .

العلـــم بـــدون حـــــدود

عندما ارتد ويرنر ستلر (Werner Stiller) (٣١ سنة) وهو ضابط في جهاز المخابرات الالماني الشرقي الى المانيا الغربية عام ١٩٧٨ ، وبدأت الشرطة الالمانية الغربية باستجواب المشتبه بهم والذين كشف عنهم ستلر كجواسيس ، فأن اكثرهم كانوا من العلماء والباحثين ومنهم الفرد باهر (Alfred Bahr) وهو فيزيائي في قسم الطاقة الشمسية في مصنع (Messer Schmitt Bolkow - Blohm) الفضائي في ميونخ وكارل هاوفة (Karl Hauffe) رئيس قسم الكيمياء العضوية في جامعة كوتنجن (Gottingen) وغونتر سانغر (Gunther Sanger) وهو مهندس في شركة سيمنس (Siemens) الالكترونية وجيرهارد ارنولد (Gerhard Arnold) مدير في احدى شركات ميونخ للكومبيوتر ، وجوناس كوب (Johannes Koppe) وهو فيزيائي نووي[١٢] . وقد اعطت المخابرات السوفيتية الاولوية الى المعلومات العلمية والتكنولوجية بعد المعلومات العسكرية .

وتعتبر المديرية العلمية والتكنولوجية (المديرية T) التابعة للمديرية الرئيسية الاولى في الـ KGB اكبر تشكيل مفيد في مؤسسة التجسس السوفيتية . ويدعي رجال الـ KGB بانه ومن الناحية المادية فأن مساهمة

المديرية العلمية والتكنولوجية في الاقتصاد السوفيتي تزيد كثيراً على تكاليف ادامة جهاز المخابرات السوفيتية . باكمله ويناط بهذه المديرية سرقة اسرار الصناعة والعلوم والتكنولوجيا والاقتصاد الغربي بضمنها بيانات حول ابحاث الذرة والفضاء . وهذه المديرية التي تتألف من اكثر من ٥٠٠ عضو متخرجين بشكل رئيسي من الجامعات والمعاهد التكنولوجية السوفيتية مع عدد كبير من المستشارين والمشرفين والعملاء في المراكز الصناعية ومراكز الابحاث الرئيسية تعكس التطور الاسرع لاي عنصر من عناصر العمليات في المخابرات السوفيتية الخارجية خلال السنوات الخمس والعشرين الماضية . ومهمة هذه المديرية هي تزويد الاقتصاد والجيش السوفيتي ببيانات علمية وتكنولوجية تكلف ملايين الدولارات لتطويرها في الوطن . وهي تتعاون عن كثب مع لجنة الدولة للعلوم والتكنولوجيا والتي تقوم بتنسيق وتنظيم الابحاث العلمية الاساسية وتختار الاولويات العلمية حسب توجيهات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي .

وخلال الفترة من اواخر السبعينات وحتى الغزو السوفيتي لافغانستان في كانون الاول ١٩٧٩ فأن كل رحلة جوية من موسكو كانت تحمل عدداً من العلماء السوفيت في كل مرة تهبط في مطار دالاس بالقرب من واشنطن . وان التعاون العلمي الامريكي ـ السوفيتي فتح العديد من الاختصاصات العلمية الامريكية التي اصبحت مثار فضول السوفيت . وطبقاً لما قاله مايكل تاكسر (Michael Taksar) عالم الرياضيات السوفيتي والذي هاجر عام ١٩٧٧ فأن معظم العلماء السوفيت المرسلين الى الولايات المتحدة في زيارات متبادلة يكونون في العادة اما موثوق بهم فكرياً او اداريين بدون اساس علمي او جواسيس[١٣] .

وكانت العلاقات العلمية الامريكية السوفيتية غير موجودة تماماً حتى عام ١٩٥٥ عندما وافق البلدان على تبادل المعلومات الطبية . وفي عام ١٩٥٨ تم توقيع اتفاقية التبادل الثنائي والتي تضمنت امكانية قيام العلماء الراغبين في تبادل البرامج العلمية بقضاء شهر او اكثر في مختبرات البلد الاخر وفي ١٩٧٠ و ١٩٧١ ناقش المسؤولون الامريكان احتمال توسيع هذا التعاون الى مشاريع مشتركة تتركز على ايجاد حلول لمشاكل معينة . وقد فتح اجتماع القمة بين

نيكسون وبريجينيف في مايس ١٩٧٢ اعترافاً رسمياً بالفكرة وفتح الباب للعلماء الامريكان والسوفيت للتعاون على حل مشاكل وتطوير التقدم العلمي والتكنولوجي لمصلحة البلدين والبشرية جمعاء . وقد وفرت اربع اتفاقيات تنفيذية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي التعاول لحل المشاكل في العلوم والتكنولوجيا وحماية البيئة واستكشافات الفضاء وعلوم الطب والصحة العامة . وبموجب هذه البرامج فأن عدد المشاركين الذين زاروا البلدين ارتفع من ٥٠٨ عام ١٩٧٢ الى ٢٢٨٤ عام ١٩٧٥[١٤] . لكن التقييم الحقيقي لفوائد تبادل الناتج من هذه البرامج في السنوات الاخيرة قاد الى تخفيض في عدد المشاركين .

ومنذ بداية برامج التبادل ، لم تتوقع الولايات المتحدة على مايتضح الكثير في الحصول على العوائد العلمية الصعبة من هذه المشاريع وكانت مهتمة بشكل اكثر في توثيق الصلات وعلاقات الصداقة مع السوفيت . وبالرغم من ان الكثير من العلماء الامريكان فضلوا البرنامج بصورة عامة الا انهم عبروا عن خشيتهم من ان هذه البرامج وفرت تبادلاً غير متوازن للتكنولوجيا يصب في صالح الاتحاد السوفيتي . وقد عبروا عن شكواهم ايضاً من انهم وخلال زياراتهم للاتحاد السوفيتي امضوا وقتاً كثيراً في سفرات غير مثمرة بين مدن الاتحاد السوفيتي ومعاهد الابحاث ووقتاً محدوداً فقط في العمل العلمي .

وقد تمتع السوفيت ايضاً بفوائد اخرى لم تكن متوفرة للامريكان حيث كانوا قادرين على اختيار اما قنوات حكومية او خاصة في بحثهم عن التكنولوجيا الامريكية لكن المسؤولين الاميركان الرسميين الباحثين عن حرية الحصول على التكنولوجيا السوفيتية كان مسموح لهم استخدام القنوات الحكومية فقط . على سبيل المثال فأن السوفيت طلبوا رسمياً زيارة سد غراند كاولي (Grand Coulee) وهو اكبر سد في الولايات المتحدة . لكن الحكومة الامريكية رفضت الطلب لان المسؤولين السوفيت كانوا قد رفضوا ثلاث طلبات امريكية مماثلة لزيارة سد مشابه . في الاتحاد السوفيتي . وعلى كل حال فأن السوفيت اتصلوا بشركة صناعية اميركية رئيسية كانت قد وفرت الآلآت لسد (Grand Coulee) وحصلوا على سفرة لمدة يومين للاطلاع على المنشأت ونتيجة

لذلك فأن الولايات المتحدة فقدت قوة المساومة في طلبها للسماح لزيارة العلماء السوفيتي .

ومما لاشك فيه ان العلماء الامريكان كانوا قد تعلموا شيئاً من العلم السوفيتي في بعض المجالات وقد استثمر السوفيت الكثير من المصادر البشرية في العلوم واكثر من اية دولة في الارض . وفي نيسان ١٩٨١ اوردت دراسة احصائية اجريت من قبل لوفان اي نولتنغ (Louvan E Nolting) وماري فشباك (Murray Feshbach) من مكتب الاحصاء السكاني الامريكي بان عدد العلماء السوفيت توسع مابين العامين ١٩٥٠ و ١٩٨٠ . ففي عام ١٩٧٨ كان لدى السوفيت ٨٢٨١٠٠ عالم بالمقارنة مع ٥٩٥٠٠٠ عالم في الولايات المتحدة والنظام السوفيتي يدعم بسخاء البحث العلمي في مجالات الفضاء والدفاع والزراعة . وفي عام ١٩٨٠ انفق السوفيت مايقارب ٣,٤٪ من دخلهم القومي الاجمالي على الابحاث في حين انفقت الولايات المتحدة ٢,٢٪ فقط وهم متقدمون على الولايات المتحدة في بعض المجالات مثل فيزياء التحام النواة واستخراج المعادن والرياضيات . وفي الواقع ان البحث في مجال التحام النواة في معهد (Massachusetts) للتكنولوجيا وفي جامعة (Princeton) مبني تقريبا بشكل كلي على المفاهيم السوفيتية . والعلماء السوفيت يتقدمون في العلوم التطبيقية كابحاث المناخ والانواء الجوية وعالم المحيطات وابحاث القطب ويشير مالكولم براون (Malcolm E . Browne) بان «من بين نقاط قوة العلوم السوفيتية في علوم (Blackborad Sciences) وهي تلك التي تتطلب جهداً فكريا وليس تجارب مختبرية . وهذه تتضمن الفروع النظرية للرياضيات والفيزياء والفضاء والكيمياء الالكترونية وحركة السوائل ، وبقية العلوم الاساسية[١٥] . وان كلا البلدين متساويين تقريبا في تكنولوجيا السلاح . وطبقا لاحد المختصين في الحكومة الامريكية .

فأن معظم اسلحتنا مبنية على بحث علمي انجز في الاربعينات والخمسينات ولنفترض ان السوفيت لم يكن لديهم بحث خاص بهم ولكن كان عليهم الاعتماد على البحث الغربي المنشور بشكل علني في مجلاتنا المهنية وقد يعني ذلك بانهم سوف

يكونون متأخرين عنا في العلوم الاساسية بحوالي ٣ سنوات لكن في تكنولوجيا السلاح . فأن تأخر ثلاث سنوات ليس تأخراً عن الاطلاق[١٦] .

وكانت المبادلات العلمية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي مكثفة للفترة ١٩٧٢ ـ ١٩٧٩ لكن الاجراءات القاسية السوفيتية لكبث منشقين مثل اندريه زاخاروف (Andrei Shakharov) والغزو السوفيتي لافغانستان في كانون الاول ١٩٧٩ كان له اثر ملموس على التعاون العلمي بين البلدين . وبحلول ايلول ١٩٨٠ قطع اكثر من ٧٩٠٠ باحث وعالم وخبير تكنولوجي علاقاتهم مع الاتحاد السوفيتي وفي نهاية ١٩٨٠ وصلت الاتصالات العلمية الرسمية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الى ٢٥٪ فقط من مستواها عام ١٩٧٩ .

واكثر العلماء الامريكان الذين تم الاتصال بهم خلال هذه الدراسة اتفقوا بان السوفيت كانوا قد كسبوا فوائد علمية اكثر من الولايات المتحدة من هذه الاتصالات لكنهم فضلوا استمرار التعاون وقد اعترفوا بان كلاً من حكومتي الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي كانتا مذنبتين في بعض المحاولات في الاستغلال العلمي ، لكنهم كانوا متأكدين بأن الحقيقة العلمية سوف تكشف بسرعة اي تحريف في بيانات البحث . وقد كشفت المقابلات ايضا سذاجة سياسية واضحة وتجاهلاً ازاء تدخل الـ KGB في الاتصالات العلمية العالمية وكانت الفكرة القائلة بان السوفيت يحاولون تجنيد العلماء الامريكان او تضليلهم بتعمد قد رفضت بصفتها احد رواسب موضوع الحرب الباردة او الخيال السياسي .

وقد اوضحت لجنة المخابرات التابعة لمجلس الشيوخ عام ١٩٧٦ بان ١/٤ عدد الطلاب السوفيت الذين جاءوا الى الولايات المتحدة بين العامين ١٩٦٥ و ١٩٧٥ كانوا ضباط مخابرات او عملاء . وقد ازدادت محاولات الكتلة السوفيتية لاختراق مراكز الولايات المتحدة العلمية شدة منذ السبعينات سواء من حيث العدد او المغامرات وكان يدخل الولايات المتحدة كل سنة حوالي

٥٠٠٠ طالب وعالم وفنان وطالب بعثة سوفيتي بالاضافة الى الممثلين التجاريين وكان العديد منهم قد جاءوا بمهات سرية[١٧] .

وقد اعترف مهندس سوفيتي سابق (تحت اسم مزعوم هو جوزيف اركوف) امام محققي مجلس الشيوخ في ربيع عام ١٩٨٢ بان الـ KGB ترسل العلماء والطلبة والمسؤولين التجاريين الى الولايات المتحدة وهم يحملون قوائم تسويقية مفصلة لاجهزة حساسة تحتاج اليها وترغب بها موسكو بضمنها ارقام الصنع والطراز . ومن ضمن الاولويات الكبرى اشعة الليزر وتكنولوجيا توجيه الصواريخ والطائرات والغواصات والدفاع الصاروخي وتكنولوجيا الطائرات كالعناصر الخفيفة والتصميم المؤازر بالكومبيوتر واسلحة ومعدات مكافحة الغواصات ومعدات اسكات الغواصات واجهزة الكومبيوتر والقنابل القادرة على ضرب الاهداف المتحركة[١٨] . ان الطلاب الامريكان الذي يذهبون الى روسيا غالبا مايكونون شبابا في سن العشرين ويحملون درجات علمية في العلوم الانسانية لكن الطلاب السوفيت القادمين الى الولايات المتحدة هم في الثلاثين من العمر ويحملون درجات متقدمة في الهندسة الالكترونية او الفيزياء وقد وصل عدد كبير من الطلبة والاساتذة والمندوبين التجاريين السوفيت الى الولايات المتحدة في العامين ١٩٧٦ و ١٩٧٧ وجميعهم كانوا مهتمين في موضوع واحد هو اشعة الليزر .

وقد صعد كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي من نشاطهما فيما يسمى بالاسلحة الشعاعية كالليزر والليزر ذي الطاقة العالية والاشعة ذات الجزئيات المشحونة* . وهما يعلمان بان تطوير الاشعة الفعالة لاي منهما يعني التفوق الستراتيجي السريع . وبمساعدة التكنولوجيا الغربية ، استطاع السوفيت ان يحققوا تقدماً مهماً في المعدات العسكرية وخصوصاً في مجالات الكومبيوتر والالكترونات الدقيقة ومعالجة الاشارات والاتصالات والتوجيه والملاحة والرادار واجهزة التجسس في مختلف انواعها . واستناداً الى وزير

* الليزر اشعة قوية جداً بحيث تستطيع اختراق حديد الصلب . اما اشعة الجزئيات المشحونة فانها اجهزة لا تذوب السطح كما تفعل الليزر وانما تقطعه .

الدفاع كاسبر واينبرغر (Casper Weinberger) فأن التقدم العسكري السوفيتي الاخير والمرتبط باسرار التكنولوجيا الغربية المسروقة يشتمل على «الغواصة الهجومية العملاقة تايفون كلاس (Typhoon Calss) والغواصة الفا كلاس (Alpha - Class) الاسرع وذات الغوص الاعمق من اية غواصة امريكية منافسة ومعدات الليزر للاستخدام الممكن في حرب النجوم وبيانات حول الاسحلة المضادة للدبابات»[١٩] .

ويوجد في الولايات المتحدة مايقرب من ١١,٠٠٠ رجل اعمال امريكي له حرية الاطلاع على معلومات دفاعية ومايقارب ١٢٠,٠٠٠ من موظيفهم يحملون ترخيص سري[٢٠] . وهؤلاء يساعدون السوفيت بشكل غير مقصود باهمالهم في معالجة المعلومات . ومنذ سنوات اهملت الولايات المتحدة وبشكل كبير السرقات الكبيرة للتكنولوجيا من قبل بلدان الكتلة السوفيتية ، وحتى انها التزمت بصمت ازاء انتهاكات خطيرة للعلماء والفنيين والطلبة من الكتلة السوفيتية حسب نظرية ان الزوار لايبقون في البلاد الا لفترة قصيرة وان انتهاكاتهم تكون عديمة الجدوى . وقال وليم وبستر (William Webster) مدير مكتب التحقيقات الفيدرالي في كانون الاول ١٩٨٠ بان رجال مخابرات الكتلة السوفيتية قد قاموا بما يقارب ٢٥,٠٠٠ اتصال كل سنة في الولايات المتحدة ، وعبر عن قلقه ازاء ازدياد المحاولات لسرقة الاسرار التكنولوجية والعلمية الامريكية .

> انني اعتقد بانها من اكثر المشاكل خطورة لانها تسبب اضراراً لامننا القومي .. وفي مجال القوة البشرية ، فأننا اقل قدرة بشرية عما في العالم بسبب منافستنا ، لكننا في مجال التكنولوجيا نحتفظ بتفوقنا والذي يمكن ان يختفي اذا ما انتهى[٢١] .

ويصطاد رجال الـ KGB بانتظام الضحايا وخصوصاً من بين موظفي وممثلي الاعمال التجارية في الشركات والذين يواجهون صعوبات مالية . وهؤلاء الاشخاص يقبلون احياناً بعقود مربحة من شركات اجنبية صغيرة مشكوك فيها وبدون اي سؤال . وكمثال على ذلك فقط طرد السكرتير الاول في شعبة

المصالح الكوبية في واشنطن ، ريكاردو اسكارتن (Ricardo Escartin) من الولايات المتحدة في شباط ١٩٨١ لمحاولته توريط رجال اعمال امريكان في تجارة غير مشروعة واقناعهم بمخالفة القانون الخاص بالحظر التجاري الاميركي وقد سافر اسكارتن في عموم الولايات المتحدة وعمل عن كثب مع رجال الكونغرس ونظم زياراتهم الى كوبا ورتب مصائد تجنيدهم[٢٢] .

وتعتبر اجهزة الكومبيوتر مصدراً مهماً اخر لعمليات جمع بيانات للـ KGB وان استخدامها للخزن والمعالجة ونقل البيانات والمعلومات الحساسة حول الافراد في القطاعات الخاصة كالمصارف والطب وقطاعات الدخل الحكومي او الفيدرالي يساعد على فتح ميادين جديدة لاجهزة المخابرات الشيوعية . وان رجال الـ KGB في الولايات المتحدة مهتمون جداً في حل رموز الكومبيوتر العسكرية والمدنية وان معرفة الطريق لهذا المفتاح سوف يساعد الـ KGB على اختراق خصوصيات كل امريكي وبدون التورط في عمليات مغامرة تستهلك وقتاً طويلاً . والاهم من هذا ، فأن الـ KGB ستكون لها القدرة على تلويث نظام الكومبيوتر بالتضليل حول الاشخاص والشركات وتحطيم حياتهم وشل قدراتهم .

وتعتبر الشبكة الواسعة لاجهزة استراق السمع التي تتنصت على الاتصالات السلكية واللاسلكية الامريكية مصدراً رئيساً اخر للمعلومات القيمة التي تستخدم في الفعاليات الاقتصادية النشطة . ولم تدرك الولايات المتحدة رسمياً هذه المشكلة حتى العام ١٩٧٤ . بسبب اتفاقية ودية اتاحت للـ KGB التنصت على الشركات الامريكية في حين ان وكالة الامن القومي تتنصت وبلا ازعاج تقريباً على الاتصالات السوفيتية . وقد طرحت المشكلة لاول مرة بشكل علني في تقرير نيلسون روكفلر (Nelson Rokefeller) عام ١٩٧٥ حول سوء معاملة وكالة المخابرات المركزية اذ قال «ان للامريكان كل الحق ان ينزعجوا ان لم يكن انزعاجهم جدياً في حقيقة قيام عملاء القوى الاجنبية بتسجيل وتحليل محادثاتهم ونشاطاتهم المهنية التي تناقش على الهاتف»[٢٣] . وبعد فترة قصيرة قامت الحكومة باعادة ربط نظام اجهزة

الاتصالات التلفونية وحذرت رجال الاعمال الامريكان من خطر استراق السمع السوفيتي .

ان مركز لاوردز Lourdes للتنصت الالكتروني في كوبا يستطيع التقاط كل الاصوات العالمية ورسائل المعلومات التي تصل الولايات المتحدة بواسطة الاقمار الصناعية او عن طريق قسم كبير من النداءات الهاتفية الداخلية بعيدة المدى التي ترحل من الاقمار الصناعية ، وذلك من خلال القسم الاكبر من اجهزة التنصت السوفيتية التي تشتمل على الاف الهوائيات واجهزة المراقبة الموجهة الى الولايات المتحدة والموجودة في مدينة لاوردز . وتعطي هذه المعلومات الملتقطة للسوفيت الفرصة ليس للاستماع فحسب بل للسيطرة على الاسواق والبضائع . ويقول ريموند تيت (Raymond Tate) نائب المدير السابق لوكالة الامن القومي ، بان السوفيت «يديرون نظام مخابراتهم ببساطة ويستخدمونه للحصول على كل انواع المعلومات التي يمكن استغلالها بالفعل في القنوات التجارية» وفي اي وقت تكون لديهم مشكلة خطيرة في السيولة النقدية[٢٤] .

اللعـــب بالذهـــــب

على ضفاف نهر الكاما (KAMA) الواقع بمسافة ٦٠٠ ميلاً الى الشرق من موسكو ، تقع اكبر منشأة سوفيتية صناعية حديثة . وان مصنع الشاحنات الذي بلغت تكاليفه ٥ بلايين دولار والذي يشمل مساحة ٤٠ ميل مربع ومدينة جديدة يسكنها ٥٠٠,٠٠٠ نسمة هو اكبر مجمع صناعي في العالم وقادر على انتاج ١٥٠,٠٠٠ شاحنة ذات ثلاثة محاور و ٢٥٠,٠٠٠ محرك ديزل سنوياً ويشمل مجمع كاما ايضاً ماقيمته ٥٠٠ مليون دولار من التكنولوجيا الامريكية المتمثلة بمسبوكات معدنية وادوات وعدد حاسبات الكترونية علامة IBM . وقد شاركت اكثر من ٨٠ شركة امريكية في المشروع وكثيراً ماتتنافس مع شركات الاعمال الاجنبية للحصول على اجزاء من المجمع وقد ضاعف مصنع نهر الكاما من انتاج الادوات الاحتياطية والشاحنات في الاتحاد السوفيتي ومكن السوفيت من اعادة تصميم شاحنات Gaz - 51 القياسية لاول مرة خلال ٢٤

ساعة . وقد سمحت الولايات المتحدة لشركات الاعمال الامريكية بالمساهمة في المجمع بسبب الادعاءات السوفيتية بان المجمع كان قد انشأ كليا للاغراض السلمية . ويقوم المصنع بالفعل بانتاج العربات الزراعية لكن بفضل الاجهزة المتطورة ، فقد حدث السوفيت الشاحنات التي استخدمتها كتائب الجيش على حدود المانيا الغربية ونقل الجنود الذين دخلوا افغانستان بشاحنات ثقيلة تعمل بالديزل والتي ساعدت التكنولوجيا الامريكية على صمودها في صعود الجبال . وهكذا فأن الستراتيجية السوفيتية في التضليل قد اتت ثمارها .

ان المناورة في الاسواق هي واحدة من طرق التكنولوجيا الرأسمالية القديمة التي تستخدم بشكل واسع من قبل العديد من الشركات ومن مختلف الجنسيات . لكن بالمقارنة مع نظيراتها فأن الاعمال المهنية السوفيتية تتمتع بحليف قوي هو الـ KGB . ان الهدف بعيد المدى للاجراءات الاقتصادية السوفيتية هو تضليل المحللين الغربيين حول الاهداف الحقيقية وحاجات الاقتصاد السوفيتي وازاحة الولايات المتحدة خطوة فخطوة من العالم الثالث وتحطيم العمليات التجارية الامريكية في اي مكان وكلما سنحت الفرصة . وهكذا فأن ممثلي الاعمال الامريكية في الخارج غالبا مايوصفون بانهم رجال مخابرات يعملون لوكالة المخابرات المركزية وان العديد من الحملات التضليلية يشجع على اعمال الارهاب ضد الممتلكات الامريكية . وفي تحليل لوكالة المخابرات المركزية صدر في عام ١٩٨٠ حول الحرب الاقتصادية السوفيتية اوردت الوكالة اجراءات استباقية في السوق العالمية لتحقيق اهداف سياسية واقتصادية محدودة . وكمثال على ذلك ففي عام ١٩٧٩ ، عرض الاتحاد السوفيتي بيع الفحم الى عدة بلدان غربية باسعار اقل من السوق في اوربا لكسب تأثير سياسي .

والجزء لاكبر من الاجراءات الاقتصادية السوفيتية مصمم لمساعدة الاقتصاد السوفيتي على كسر طوق الحظر الغربي على المنتجات الستراتيجية والمواد الاولية وتتراوح هذه الاجراءات بين تغيير اتجاه المعدات الستراتيجية من خلال نقل البضاعة من قبل وسيط يبدو شرعيا الى سارقين معروفين . واذا

لم يتم شراء انتاج تكنولوجي جديد بشكل شرعي فأن الـ KGB تتولى الشراء اضافة الى الشحن .

وان اداة تنفيذ هذه الاجراءات تتم عن طريق مجموعة من شركات الكتلة الشرقية متعددة الجنسيات او كما يسمى احيانا بالشركات الحمر متعددة الجنسيات وهذه الشركات الصناعية والمالية والتجارية يوجد مقرها بشكل رئيسي في موسكو وبرلين الشرقية وبراغ وبودابست ولها فروع في كل انحاء العالم . الا ان منطقة عملها الرئيسية هي اوربا الغربية . وتهدف الشبكة المتنامية للشركات الحمر متعددة الجنسيات الى تحقيق عدة اغراض منها :

- قنوات لنقل معلومات اقتصادية ومالية مفيدة و .
- صفقات اقتصادية علنية او سرية يستفيد منها اقتصاد اوربا الشرقية و
- وسائل لاختراق المخابرات والمناورة على الشركات الغربية و
- قنوات سرية للدعم المالي لمختلف الحركات والمنظمات والمؤسسات السياسية .

وقد سيطرت الشركات الحمر متعددة الجنسيات في اوائل الثمانينات على حوالي ٥٤٤ شركة في العالم . ففي جنوة ، ايطاليا ، على سبيل المثال فأن شركة (دالفين) السوفيتية متعددة الجنسيات اسست وكالة شحن سيطرت على مايقارب ٣٠ سفينة في البحر المتوسط في عام ١٩٨٢[٢٥] . وبالاضافة الى الشحن فأن الشركات السوفيتية متعددة الجنسيات في ايطاليا تدير عمليات صناعات البترول والبناء والاخشاب والصيد وقطع الغيار والمكائن والسمسرة . وتضم ايضا ٢١ مؤسسة للتمويل والمصارف مثل مصرف شمال اوربا في باريس ، ومصرف (Moscow Narodny Bank) في لندن (Ost - West Handelsbank) في فرانكفورت .

وللحصول على منفذ الى المعلومات الحساسة التي تخص الموظفين العاملين في وادي السلكون (Silicon Valley) في كاليفورنيا ، فأن السوفيت حاولوا بشكل سري شراء احد البنوك المحلية هو (The Peninsula National Bank Burlingame) وقد ارسلت الـ KGB سبعين مليون دولار بشكل كتب اعتماد ومن خلال مصرف (Moscow Narodny Bank) الى رجل اعمال في هونغ كونغ

لشراء البنك . وقد ساعد شراء البنك الـ KGB للحصول على منفذ لمعلومات غاية في الاهمية حول الاشخاص الذين يقعون في مشاكل مادية والذين هم عرضة للابتزاز . وقد فشلت هذه العملية لكنها قد تكون ناجحة في حالات اخرى[٢٦] .

وتستخدم الشركات الحمر متعددة الجنسيات ايضا في عمليات التمويل التي تشمل منتجات تكنولوجية حساسة جدا والتي لايمكن بيعها بشكل قانوني الى البلدان الشيوعية . وتنفذ هذه الصفقات عادة من خلال العديد من الشركات الوهمية الموجودة في كندا واسرائيل والنمسا وهولندا والسويد وجدت لهذه الشحنات غير القانونية فقط . وعلى سبيل المثال ، فأن بضائع تحمل علامات كاذبة ترسل من الولايات المتحدة الى كندا او اوربا الغربية ومن ثم الى الاتحاد السوفيتي . وعدد رجال الاعمال المقبوض عليهم في الولايات المتحدة خلال السنوات الاخيرة يوضح خطورة هذه المشاكل . ففي عام ١٩٧٩ تمت مقاضاة شركة (I . I . Industries) في المحكمة الفيدرالية في سان فرانسسكو وقد اتهم اصحاب الشركة بشحنهم معدات الى السوفيت بدون ترخيص حكومي . وقد وضعت الشركة على هذه المعدات الستراتيجية علامات (ماكنات غسيل تجارية) و (افران صناعية) وشحنت في البداية الى كندا وثم الى سويسرا واخيراً الى ورسيا[٢٧] . وقد عرف الوسيط بانه ريتشارد مولر (Richard Mueller) وهو مواطن الماني لديه علاقات مع وزارة التجارة السوفيتية* .

وفي مايس ١٩٨٠ ، القي القبض على رجل الاعمال البلجيكي مارك اندريه ديغتير (Marc Andre Degeyter) في مطار كندي في نيويورك بعد محاولته رشو الصناعة الامريكية للحصول على اسرارها في تكنولوجيا الكومبيوتر .

---

* عندما اكتشفت العملية السوفيتية فأن رجال الكمارك الامريكية قرروا تنفيذ لعبة خاصة بهم فقد اخرجوا المعدات الالكترونية من الشحنة وابدلوها بستة اطنان من الرمل شحنت بعدها عبر كندا وسويسرا الى موسكو .

ولاكثر من سنة ، لاحق وكلاء مكتب التحقيق الفيدرالي ديغتر في كافة انحاء الولايات المتحدة ورصدوا اتصالاته وتعامله المهني وقد بينت الوثائق التي عثر عليها في حقائبه بانه كان يبحث على نوع جديد من تكنولوجيا الكومبيوتر باسم رمز المصدر (Sourcecode) والتي تحسب الطرق التي يتم فيها خزن بلايين البيانات حتى يمكن وضع دليل للمعلومات ثم اعادة ترميزها بطريقة بحيث لايمكن لاي شخص خارجي قراءتها[٢٨] . وقد حاول الحصول على معلومات بشكل رئيسي من موظفي سوفتوير اي جي (Software Ag) وحتى انه رفع الرشوة من ١٥٠,٠٠٠ الى ٥٠٠,٠٠٠ دولار . كان السيد ديغيتير قد وقع عقدا بين شركة (Computers Engineering and Services Accounting) وهي شركة يديرها في بروكسل وشركة (Techmashimport) وهي شركة سوفيتية عالمية . وقد حكم عليه بالسجن لمدة اربعة اشهر بعد اعترافه بالجريمة لمحاولته اخراج تصميم الحاسبة من البلاد .

وقد ارسل ماريان زخاريسكي (Marian Zacharski) وهو رجل مخابرات بولوني الى كالفورينا عام ١٩٧٧ كممثل في الساحل الغربي (West Coast) للشركة الامريكية ـ البولونية للمكائن . وبعد فترة قصيرة ، اجتمع مع وليم هولدن بيل (William Holden Bell) في شركة هيوز للطائرات (Hughes Aircraft) في ضواحي كالفورنيا . وكان بيل وهو خبير رادار يعمل في الشركة في حاجة الى نقود لتغطية نفقات الطلاق والزواج مرة اخرى . ومن عام ١٩٧٨ وحتى نيسان ١٩٨١ ، سلم بيل عدداً من الوثائق المهمة الى زخاريسكي من ضمنها منظومة رادار صامت B . I وقاذفات Stealth ومنظومة رادار للمسح وتوجيه القذائف اثناء الطيران ومنظومة رادار لجميع الاجواء للدبابات ومنظومة رادار للمراقبة محمول على السفن . ومقابل هذه المعلومات استلم مايقارب ١١٠,٠٠٠ دولار نقداً او على شكل مسكوكات ذهبية وقد حكم عليه في تشرين الثاني ١٩٨١ لمدة ثماني سنوات وبغرامة ١٠,٠٠٠ دولار لكن زخاريسكي حكم عليه بالسجن مدة الحياة[٢٩] .

وقد طرد ميخائيل ن . ابراموف (Mikhail N . Abramov) وهو ممثل تجاري سوفيتي من كندا في ١ مايس ١٩٨٢ لمحاولته شراء منتجات محظور

بيعها وارسالها الى الاتحاد السوفيتي . وقد القت الشرطة الملكية الكندية القبض عليه عندما كان يدفع كمية كبيرة من المال لرئيس شركة (Northumberland) للقابلوات في (New Brunswick) ثمنا لالياف بصرية* ومنتجات اخرى[٣٠] . وتستلم الشركات التجارية السوفيتية مساعدات منتظمة من الـ KGB على شكل معلومات موثوقة حول الاعمال التجارية الخارجية التي تتعامل معها . وفي بعض الحالات ، فأن هذه المساعدات تشمل تأليب شركة اجنبية ضد اخرى او اعطاء معلومات مضللة حول الشريك التجاري .

وتشتمل بعض الاجراءات الاقتصادية الفعالة على تحريف او تضليل المحللين الغربيين ومديري الاعمال حول مصادر الاقتصاد السوفيتي والخطط والعمليات كاللعبة طويلة الامد مع النفط . ويعتبر الاتحاد السوفيتي من اكبر منتجي العالم من النفط بالرغم من انه يستخدم كل النفط المنتج محليا او بيعه الى حلفاءه الشرقيين . ولايعتبر النفط وسطا مهما للتبادل فحسب بل ايضا اداة سياسية رئيسة وكعنصر في علاقات الشرق والغرب . وبتأثيره المهم على المستقبل السياسي لاوربا ، فأن النفط السوفيتي يتعرض دائما للتدقيق المنتظم من قبل العديد من معاهد الابحاث والمحللين الاستخباريين . وقد قال السناتور وليم بروكسماير (William Proxmire) ذات مرة بان توقعات الانتاج السوفيتي للنفط له «مضامين سياسية بالنسبة للولايات المتحدة والغرب والتقديرات الخاطئة تؤثر بلا شك على مواقف الولايات المتحدة وسياساتها ازاء السوفيت والشرق الاوسط»[٣١] .

وقد اوردت اجهزة الاعلام الامريكية والاوربية الغربية في كانون الثاني ١٩٨١ بان الاتحاد السوفيتي قد عثر على اكبر اكتشاف نفطي في التاريخ وباحتياطي يصل في سيبريا الى ٤,٥ ترليون برميل . ولعدة ايام احتلت الاخبار حول الحقل النفطي الجديد واحتياطيه والذي يعتبر اكبر من تلك الموجودة في الشرق الاوسط ، الصفحات الاولى من الصحف اذ قالت صحيفة الوول

* الالياف البصرية تشمل خيوطا زجاجية مرنة يمكنها نقل عدد كبير من الاصوات او البيانات في آن واحد وباستخدام الضوء .

ستريت جورنال (Wall Street Journal) بان الروايات حول الحقل الروسي الجديد جعل اسعار النفط وباقي اسعار البورصة تصاب بحالة من النكوص» حيث انخفظت اسعار النفط مؤقتا وقام العديد من السائرين في ركب السوفيت بشراء النفط من السوق الفورية . وقد نشأت القصة اصلاً في مالمو(Malmo) في السويد حيث توجد شركة استشارات صغيرة تعرف باسم (Petro Studies) وهي شركة متخصصة في تحليلات في صناعة الغاز والنفط . وطبقا لبعض المصادر فأن هذه الشركة ليست اكثر من مجموعة مؤلفة من رجلين وبدون جيولوجيين وقد تأسست في سنة ١٩٧٦ ويرأسها ام . ام جيرمول (M . M . Jermol) وهو احد المنفيين من يوغسلافيا الشيوعية[٣٢] . وتحتفظ الشركة بعلاقات وثيقة مع السفارة السوفيتية في ستوكهولم .

ولم تكن هذه هي المرة الاولى التي يصدر فيها عن شركة (Petro Studies) مثل هذا التقرير الحساس حول النفط السوفيتي . فقد ادعت الشركة في ايلول ١٩٧٨ بان السوفيت يستطيعون مضاعفة انتاجهم من النفط الخام بحلول عام ١٩٩٠ وحتى بدون اكتشافات جديدة ، وبعد عدة سنوات ، كثفت من الاشاعات قائلة ان احتياطي النفط السوفيتي اكبر من احتياطي العربية السعودية وقد تبعت ذلك تكهنات اخرى وعلى نفس المنوال* . وفي دراسة مؤلفة من ٢٦٠ صفحة اعتمدت على مايظهر على وثائق سوفيتية ، قالت (Petor Studies) ان الأتحاد السوفيتي سوف يستطيع في نهاية هذا العقد الاستمرار

* في عام ١٩٧٧ ، اوضحت وكالة المخابرات المركزية بان الاتحاد السوفيتي سوف يبقى مكتفيا ذاتيا من النفط حتى عام ١٩٨٥ وفي السنوات التالية سوف يحتاج الى استيراد ٣,٥ مليون برميل في اليوم . وبعد اربع سنوات لاحقة اوضحت الوكالة قائلة «ان المشاكل التى نراها تواجه الاتحاد السوفيتي هي مشاكل بارزة بالرغم من ان الانتاج في المدى القريب سوف يكون اعلى مماتوقعنا في ١٩٧٧ . بالرغم من المحاولات المكلفة جداً فأن انتاج السوفيت سوف يبقى على ماهو عليه الان وهو ١٢ مليون برميل في يوم من سنة الى ٣ سنين ثم يبدأ بالانخفاض ... والاكتشاف السريع لكميات كبيرة من النفط الجديد سوف يغطي الانتاج» دراسات اخرى مثل تقرير شركة اكسون (Exxon Corp) لاتشارك في استنتاجات وكالة المخابرات المركزية . فقد توقعت بان انتاج السوفيت «سوف يكون مستقراً نسبياً بين ١١ ـ ١٢ مليون برميل في اليوم حتى سنة ٢٠٠٠»[٣٤] .

في انتاج ١٢ مليون برميل يوميا وربما يستطيع زيادته الى ١٦ مليون برميل في اليوم[٣٣] . وتشير بعض المصادر بان (Petro Studies) قد تكون احدى قنوات التضليل السوفيتية حيث ان الـ KGB تستخدم بين الحين والآخر مجموعة بحوث صغيرة وشركات استشارية في الغرب كقنوات تضليل لارباك المحللين والتأثير على السوق . وفي بعض الحالات ، فأن هؤلاء لايدركون الدور المسند اليهم من قبل الـ KGB .

وفائدة السوفيت قصيرة الامد من تضليل (Petro Studies) واضحة . فالتقارير الحساسة في هذا النوع تخفض من سوق النفط لعدة ايام لفترة كافية بما يتيح للدول الحليفة شراء النفط من السوق العالمي باسعار منخفضة . والاشاعات الدورية حول تنامي مصادر النفط السوفيتية هي جزء من اجراء بعيد المدى لطمس الشعور المعادي للسوفيت في اوربا الغربية . ويعتقد السوفيت بانه لاجل تأمين جريان النفط لاقتصادهم العالمي وباسعار معقولة ، فأن على هذه البلدان في اخر الامر وضع تسويات سياسية مهمة مع الاتحاد السوفيتي .

ان كل بلد شيوعي في امس الحاجة الى العملة الغربية . وتجهز شبكات التجسس اقتصاديات اوربا الشرقية بالعديد من اسرار العلوم والتجارة والصناعة والتي تكلف ملايين الدولارات والعديد من سني العمل المهني لاجل تطويرها داخل البلاد لكن هذه المنظمات تستهلك مقداراً كبير من العملة الاجنبية في كل سنة . ولتحقيق هذا العبء فأن موسكو تشجع منظماتها الاستخبارية على توريط نفسها في صفقات عالمية مثل تهريب العقاقير والمارجوانا والسيكاير حتى تتمكن من دعم نفسها ماديا[٣٥] . وهذه الاجراءات الاقتصادية ليست مربحة فحسب بل انها ادوات مفيدة في تحطيم المؤسسات الرأسمالية .

خاتمـــة

ماذا يتعين علينا ان نفعله ؟

التجسس لعبة عالمية وفي حالة توسع . وفي السنوات الاخيرة توسع التضليل وبقية الاجراءات الفعالة ايضا . وبتجربة اكثر من ستين سنة وبكادرها المؤلف من اكثر من ٢٠,٠٠٠ رجل مخابرات متواجدين في موسكو وفي كل عاصمة من عواصم العالم تقريبا ، فأن المديرية الرئيسية الاولى في الـ KGB هي اليوم اكبر جهاز مخابرات في العالم واكثر عدوانيةً . وعندما اصبح يوري اندروبوف رئيسا للـ KGB عام ١٩٦٧ ، وسعت الـ KGB نشاطاتها الداخلية والخارجية واسست مديرية جديدة للتعامل مع المنشقين اليهود والصحافة السرية ، ورسخت الاستخدام السيء لعلم النفس للاغراض السياسية وزادت بشكل ملحوظ من الاجراءات الفعّالة . حتى ان خزين ادوارها قد تغير واصبح الارهاب مرة اخرى اسلوبا قياسيا لها .

وقد تعلم الغرب الكثير حول الهجوم الجديد في الاجراءات الفعالة التي تنفذ من قبل الكتلة السوفيتية بعد ارتداد العديد من الوكلاء الشيوعيين ، ومن ضمنهم ستانسلاف ليفتشنكو Stanislav Levchenko وهو ضابط سابق في الـ KGB برتبة رائد والذي نسق الاجراءات الفعالة السوفيتية في اليابان من عام ١٩٧٥ الى عام ١٩٧٩ . وتكشف تجاربه بان العمليات السوفيتية هي اكثر توسعا واعمق تأثيرا مما كان متوقعا لها اصلاً . ومن بين عملائهم ذووي التأثير في اليابان ، على سبيل المثال ، كان العديد من السياسيين والصحفيين اليابانيين البارزين .

وتنفذ الاجراءات الفعالة تحت اشراف الدائرة الدولية في الحزب الشيوعي . وان الـ KGB ، وهي المشارك الرئيسي ، مسؤولة عن الاعمال التي

لايمكن ان ترتبط بشكل صريح مع صورة الشيوعية الام مثل اعمال الارهاب والتلفيق . وتشمل الاجراءات الفعالة بعض المجازفات السياسية بالطبع . ويواجه منفذ العملية غير الناجحة والمكشوفة للعامة بالاحتقار والرد النهائي من قبل البلد الضحية . ومع ذلك ، فأن السوفيت مقتنعين بان تراكم التأثير لعمليات التضليل الناجح تبرر مجازفة الاحراج السياسي في بعض الاحيان .

وقد اصبحت الاجراءات الفعالة السوفيتية اكثر طموحاً واوسع تأثيراً في العقد السابق . فقد استثمروا بمهارة التناقضات الاجتماعية والاقتصادية في الغرب واثاروا عدم الاستقرار المزمن في العديد من البلدان النامية واستغلوا الرأي العام العالمي ووفروا المال والتدريب والمعدات العسكرية لمختلف المنظمات الارهابية والبرلمانية وفي العديد من الحالات خدعوا العديد من الاخصائيين العسكريين الغربيين حول نواياهم وقوتهم العسكرية .

وتعتبر البلدان الشيوعية التضليل ، كالدعاية ، اداة سياسية قوية . والتضليل الدعائي للكتلة السوفيتية يلوث بانتظام العلاقات الدولية بجرعات كبيرة من الرسائل المضللة او الكاذبة للتأثير على الرأي العام . وتستغل هذه الرسائل الصراعات السياسية والتناقضات الاجتماعية الموجودة بالفعل وتحاول ان تقنع العامة بان الولايات المتحدة هي المسؤولة بشكل مباشر او غير مباشر وطالما ان هذه الاجراءات هي جزء لايتجزأ من السياسة السوفيتية الخارجية ، فأن تأثيراتها تقاس فقط بالارتباط مع نجاح او اخفاق الحملات السياسية السوفيتية الرئيسية .

فبينما يبارك ويشجع السوفيت رسمياً روح الانفراج في العلاقات الدولية ، فانهم استخدموه لعمليات تجسس هجومية لم يسبق لها مثيل ضد الغرب ، وخاصة الولايات المتحدة . وكانت الظروف مواتية تماما : فاليسار في اوربا كالحزب الديمقراطي الاشتراكي في المانيا الغربية ، وحزب العمال البريطاني والحزب الاشتراكي في فرنسا تتبنى المواقف المتطرفة المعادية للولايات المتحدة ، وازدياد وجهات النظر السياسية المتناقضة وعدم الاتفاق حول ستراتيجية الدفاع ضد الكتلة السوفيتية قد اضعف من حلف الناتو ، واصبحت بلدان العالم الثالث اكثر جرأة في مطالبتها بنظام اقتصادي واعلامي

جديد ، والتدخل العسكري الامريكي في فيتنام وقضية ووترغيت وسقوط نظام فيتنام الجنوبية ونتائج تحقيق مجلس الشيوخ مع وكالة المخابرات المركزية ، جميعها كان لها تأثير مربك على السياسة الخارجية الامريكية والرأي العام . وفي العديد من الحالات ، كان السوفيت قادرين على زيادة التوتر بين البلدان النامية والغرب واثارة الاستياء العام من الولايات المتحدة . وكنتيجة لذلك ، فأن بلدان العالم الثالث صوتت مع الاتحاد السوفيتي بمعدل ٨٣,٤٪ من وقتها في الجمعية العمومية للامم المتحدة في عام ١٩٨٢ و ٢٠,٤٪ فقط من وقتها مع الولايات المتحدة .

وتحاول الصحافة اعتبار الاجراءات الفعالة السوفيتية تلفيقات سهلة التشخيص او الاعيب سياسية لاتترك اثراً ملحوظاً على الرأي العام او العمليات السياسية . لكن المؤكد ان بعض حملات التضليل المضادة للامريكان والموجهة لاثبات التدخل الامريكي في الشؤون الداخلية لمختلف البلدان هي عادة مكشوفة ووسائل غير مقنعة . والتلفيات عادة هي نسخ «محسّنة» قليلاً لوثائق امريكية اصلية توزع بين الامريكان والاوربيين الغربيين او صحفيي العالم الثالث . ومع بعض الاستثناءات ، فأن هذه العمليات السرية المضللة تنشر لوقت قصير فقط ولها تأثيرات محدودة .

وكما تبين من دليل هذه الدراسة ، فأن مدى الاجراءات الفعالة السوفيتية وتأثيرها هو اوسع بكثير . وبمساعدة منظمات مثل مجلس السلم العالمي ، فأن السوفيت استطاعوا ان ينفذوا عدداً من الحملات الكبيرة دون ان يجازفوا بانهم هم منفذو هذه العمليات . وحملة السلام المضادة للقنبلة النيوترونية في اوربا الغربية والولايات المتحدة كمثال ، ظهرت كرد فعل عام وبشكل غير مقصود للسياسة الخارجية الامريكية ذات النزعة العسكرية . وقد شاركت الـ KGB كمنفذ صامت وغير مرئي يربط بسرية خطوط الاتصالات المقطوعة «يستخدم عملاء التأثير لتكثيف الحملة . وفي هذه الحالات ، فأن السوفيت ماهرون جداً في توظيف القنوات والتكنلوجيا السرية والمعلنة . ويعتبر كل من محللي المخابرات الغربيين والسوفيت بان الحملة من اجل السلام هي احدى الحملات الاكثر نجاحاً في العقد الماضي .

وبالرغم من ذلك ، فأن دعاية الـ KGB المضادة للأمريكان سجلت نجاحات رئيسية في العالم الثالث عن طريق الاستفادة من التناقضات وحالات الاجحاف الموجودة واستغلال كل خطأ في السياسة الخارجية الامريكية . ونتيجة لذلك ، فأن السوفيت وسعوا من دائرة تأثيرهم وساعدوا في انشاء حكومات تعمل تحت سيطرتهم العسكرية والسياسية المباشرة في بلدان منها ، انغولا واثيوبيا وافغانستان .

ويكون عملاء التأثير اكثر صعوبة من ناحية الاكتشاف واخطر من التضليل الدعائي . وقضايا غونتر غيلوم (Gunther Guillaume) المساعد والمستشار والصديق الحميم لمستشار المانيا الغربية فيلي براندت (Willy Brandt) وتشارلس باثيه (Charles Pathe) ، الصحفي الفرنسي واحد افراد المجتمع الفرنسي الراقي والجنرال السويسري جان لويس جينمير (Jean Lauis Jeanmaire) هي ادلة واضحة بان تأثير مخابرات الكتلة السوفيتية على العمليات السياسية الغربية والقرارات العسكرية هو الاكثر خطراً مما كان العديد من المصادر يعتقد في البداية . وقد كشفت عن العيوب الخطرة ونقاط الضعف والاجراءات الامنية في المجتمع الغربي . وقد استفاد السوفيت العديد من الفوائد في معركتهم مع الغرب . وكلما ارادت الـ KGB ان تستخدم وزارة الشؤون الخارجية السوفيتية ووكالة تاس او اي فرع حكومي اخر او قناة اتصال ، فأن النظام المركزي يوفر التنسيق والتعاون . وانهم في الغرب يعملون في مجتمعات مفتوحة تتحمل بل تحترم الاتجاهات ووجهات النظر السياسية المختلفة . وعلاقة الخصومة بين الصحافة والحكومة تسمح لهم بالاختفاء خلف قناع المعارضة السياسية الشرعية . ومن الناحية القانونية ، فأن الصحافة تؤدي دور كلب الحراسة لكشف وتحليل واعلان اخطاء ونقاط ضعف الحكومة . ويمكن للصحفي ان يعمل كعميل سري بشكل غير مكشوف ولعدة سنوات خلف هذا الجدار الوقائي .

والارتداد ، هو نقطة الضعف الرئيسية في نظام المخابرات السوفيتي . وعلى الرغم من الغربلة الامنية والايديولوجية الحذرة والتدقيق المنتظم لكل افراد المخابرات الشيوعية ، فأن معدل الارتداد هو معدل مذهل . وقد حمل العديد

من المرتدين البارزين معهم سلسلة كاملة من المعلومات السرية حول الهيكل الداخلي للـ KGB ، والطرق والعملاء بالاضافة الى الاجراءات التضليلية الفعالة . وفيما يخص الاجراءات الفعالة ، فأن نقطة ضعفها الرئيسية هي تماثلها وتشابهها في التنفيذ . فكلما نجحت عملية ، فأن طريقة التنفيذ تتكرر بالنسبة لعدد اخر من الحالات وتصبح نفس الطريقة مفتاحا لتشخيصها وكشفها للعامة في اخر الامر .

وقد كشفت وزارة الخارجية ووكالة المخابرات المركزية ووكالة المخابرات الامريكية ومنذ عام ١٩٨٠ عدداً كبيراً من حالات التضليل السوفيتية للعامة والتي سبق وان لوثت المناخ العالمي . ويبدو ان القصد من التكتيكات هي تحذير الصحفيين وتوعية العامة في هذا المجال . وفي التحليل النهائي ، فأن هذه التكتيكات سوف تحدد من اختيارات وتكتيكات المنفذين ، لكن التسابق سوف يستمر . والدفاع الناجح ضد تضليل الكتلة السوفيتية واجراءاتها الفعالة يعتمد بشكل كبير على جمع المعلومات الواسعة عن طرقها واسلحتها وتكتيكاتها . ويأمل المؤلف ان يكون هذا الكتاب مساهمة مفيدة في ذلك الجهد .

نبذة عن حياة المؤلف

تخرج لادسلاف بتمان (Ladislav Bittman) من جامعة تشارلس (Charles) في براغ حيث حصل على درجة الماجستير في الصحافة وشهادة جي . دي (J . D) في القانون الدولي . ومن عام ١٩٥٤ وحتى عام ١٩٦٨ ، عمل بتمان كرجل مخابرات تشيكي ودبلوماسي وصحفي في آسيا واوربا الغربية وامريكا اللاتينية . وامضى سنتين في منصب مساعد رئيس قسم التضليل في جهاز المخابرات التشيكي . وبعد الغزو السوفيتي لتشيكوسلوفاكيا في عام ١٩٦٨ ، طلب بتمان حق اللجوء السياسي في الولايات المتحدة وبدأ عمله الاكاديمي . وهو مؤلف للعديد من الكتب التي تتعامل مع المخابرات والدعاية السوداء والتضليل .

مراجـــع الكتـــاب

مراجع الفصل الثانـــي

١ ـ بوسطن غلوب ، ٢ كانون الثاني ١٩٨٢ ، ص ٦ .

٢ ـ كما أورده جون بارون (John Barron) في كتابه الـ «KGB : العمل السري للعملاء السوفيت (نيويورك دار بنتام ، ١٩٧٤) ص ٨٨ .

٣ ـ التايم ، ٢٣ حزيران ١٩٨٠ ، ص ٣٩ .

٤ ـ التايم ، ٦ شباط ١٩٧٨ ، ص ٢٥ .

٥ ـ بوسطن غلوب ١٨ كانون الأول ١٩٨٢ ، ص ٢ .

٦ ـ كما ورد عن برنارد نيومان (Bernard Newman) (عالم التجسس) لندن مطابع سوفنير ، ١٩٦٢ ، ص ١٢٥ .

٧ ـ التايم ، ٦ شباط ١٩٧٨ ، ص ٢٥ .

٨ ـ هيربرت رومستين (Herbert Romestein) «المخابرات السوفيتية في الولايات المتحدة» في كتاب المتطلبات الاستخبارية في الثمانينات : الاستخبارات المضادة بقلم روي غودسن (Roy Godson) جمعية دراسة المخابرات ، المركز القومي للمعلومات الستراتيجية (١٩٨٠) ص ١٦٥ ، المؤتمر الوطني الرابع لحزب العمال الشيوعي ، شيكاغو : شركة المنشورات اليومية العمالية ، ١٩٢٥ ، الصفحات ٢٧ ، ٣٧ .

٩ ـ بوسطن غلوب ، ١ آب ١٩٨٠ ، ص ٤١ .

١٠ ـ بوسطن غلوب ، ٢٣ كانون الثاني ١٩٨٣ ، ص ٦١ .

١١ ـ نيويورك تايمز ، ١٧ تشرين الأول ١٩٨١ ، ص ٧ .

١٢ ـ بي هيوتوفار (B . Hugh Tovar) «نقاط القوة والضعف في العمليات السرية الامريكية السابقة» في المتطلبات الاستخبارية في الثمانينات : العمل السري بقلم روي غودسن (Roy Godson) ، جمعية دراسة المخابرات ، المركز القومي للمعلومات الستراتيجية ، ١٩٨١ ، ص ٢٠١ .

١٣ ـ يواس نيوز اند ورلد ريبورت ، تشرين الاول ١٩٧٧ ، ص ٨٩ .

١٤ ـ نيويورك تايمز ، ٧ كانون الأول ١٩٨١ ، ص ٣٢ .

١٥ ـ اذاعة ABC ، ٣ كانون الثاني ١٩٨٢ ، يواس نيوز اند ورلد ريبورت ١٨ كانون الثاني ١٩٨٢ ، ص ٣٠ و ٣١ .
١٦ ـ نيويورك تايمز ، ٦ نيسان ١٩٨٣ ، ص ١ .
١٧ ـ يواس نيوز اند ورلد ريبورت ، ٢٣ شباط ١٩٧٦ ، ص ١٨ .
١٨ ـ التايمز ، لندن ، ٢٣ مايس ١٩٨٠ ، ص ٨ .
١٩ ـ التايم ، ٦ شباط ١٩٧٨ ، ص ٢٥ .
٢٠ ـ دونالد جيمسون (Donald Jameson) ، «الاتجاهات في العمل السري السوفيتي» في المتطلبات الاستخبارية في الثمانينات ، المركز القومي للمعلومات الستراتيجية ، ١٩٨١ ، ص ١٧٢ .
٢١ ـ وول ستريت جورنال ، ٢١ كانون الاول ١٩٧٩ ، ص ١ .
٢٢ ـ نيويورك تايمز ، ٢٥ أيلول ١٩٨٠ ، ص ١٨ .
٢٣ ـ بارون (Barron) «KGB» الصفحات ٢٠٣ و ٢٠٤ .

مراجع الفصل الثالث

١ ـ يواس نيوز اندورلد ريبورت ، ١٠ آذار ١٩٨٠ ، ص ٣٣ .
٢ ـ بوسطن غلوب ، ٢٧ نيسان ١٩٨٠ .
٣ ـ كما جاء في كتاب الحرب النفسية الذي نشر من قبل وليم اي . دوفرتي William E - Dougherty ، بالتيمور ، مكتب بحوث العمليات ، جامعة جونز هوبكنز ١٩٥٨ ، ص ١٩٨١ .
٤ ـ الجنرال جي . كي تسنيف J . K . Tsinev «حماية مصالح القوات المسلحة السوفيتية»: التجسس العسكري السوفيتي المضاد خلال ستين عاماً ، العدد ٢٤ ، كانون الاول ١٩٧٨ ، ص ٢٦ ـ ٣١ .
٥ ـ «التلفيقات الشيوعية» الاستماع الى شهادات امام اللجنة الفرعية للتحقيق في ادارة قانون الامن الداخلي وبقية قوانين الامن الداخلية للجنة النظام القضائي ، مجلس الشيوخ الامريكي ، اعترافات ريتشارد هيلمز (Richard Helms) في حزيران ١٩٦١ ، ص ٨ ـ ٩ .
٦ ـ نيو تايمز ، العدد ٩ ، ١٩٨٠ ، ص ٥ .
٧ ـ التايم ، ٢٣ حزيران ١٩٨٠ ، ص ٢٢ .
٨ ـ نيويورك تايمز ، ٢٦ تشرين الاول ١٩٨٠ ، ص ١ .
٩ ـ اندرو ام . سكوت (Andrew M . Scott) التطور في ادارة امن الدولة ـ التدخل في عصر الاستقلال (ديورهام N . C) مطبوعات Duke Press ، ١٩٨٢ ، ص ٦ .
١٠ ـ جون ار . مارستون . العلاقات العامة الحديثة (نيويورك : ماكغرو هيل ، ١٩٧١) ص ٣ .
١١ ـ نيويورك تايمز ، ٢١ تموز ١٩٨٢ ، ص أ ـ ١٠ .
١٢ ـ كما جاء في دراسة (CIA) «العمليات السرية والدعاية» .
١٣ ـ صحيفة نيويورك تايمز ، ٢٨ ايلول ١٩٨٠ ، ص ١٠٤ .
١٤ ـ مجلة امريكان اوبنين ، نيسان ١٩٧٥ ، ص ٣٥ .
١٥ ـ مجل امريكان اوبنين ، حزيران ١٩٧٦ ، ص ٦ .

١٦ ـ صاندي تايمز (لندن) ، ٧ تشرين ثاني ١٩٧٦ ، ص ١ .
١٧ ـ نيويورك تايمز ، ٢٤ ايلول ١٩٨٠ ، ص ١ .
١٨ ـ نيويورك تايمز ، ١١ ايلول ١٩٨٠ ، ص ٩ .
١٩ ـ نيويورك تايمز ، ٣ ايلول ١٩٧٩ ص ب ـ ١ .
٢٠ ـ بوسطن غلوب ، ٢٨ تشرين الثاني ١٩٨٣ ، ص ٢ .
٢١ ـ نيويورك تايمز ، ٢٩ كانون الاول ١٩٨٣ ، ص ٧ .
٢٢ ـ لوس انجلس تايمز ، ٧ ايلول ١٩٨٠ ، ص ٤
٢٣ ـ نيويورك تايمز ، ١٨ ايلول ١٩٨٠ ، ص ١٩ .
٢٤ ـ نيويورك تايمز ، ٧ تشرين الثاني ١٩٨٢ القسم ٢ ، ص ١ و ٢٨ و ٢٩ .
٢٥ ـ نيويورك تايمز ، ٧ آب ١٩٨٠ ، ص ب ـ٩ .
٢٦ ـ نيويورك تايمز ، ٥ آب ١٩٨٠ ، ص أ ـ ١٠ .
٢٧ ـ نيويورك تايمز ، ٨ نيسان ١٩٧٦ ، ص ١١ .
٢٨ ـ التايم ، ٢٨ تشرين الثاني ١٩٨٣ ، ص ٣٤ .
٢٩ ـ نيويورك تايمز ، ٢٣ آذار ١٩٨٣ ، ص أ ـ ١٢ .

مراجع الفصل الرابع

١ ـ بوسطن غلوب ، ٣٠ تشرين الثاني ١٩٧٨ ، ص ٢ .
٢ ـ بوسطن غلوب ، ١٤ آذار ١٩٧٩ ، ص ٧ .
٣ ـ نيويورك تايمز ، ٦ نيسان ١٩٧٨ ، ص ب ـ ١١ .
٤ ـ نيويورك تايمز ، ٢٥ كانون الاول ١٩٧٧ ، ص ١ و ص ١٢ .
٥ ـ واشنطن ستار ، ٢٦ نيسان ١٩٨١ ، ص د ـ ٣ .
٦ ـ نيويورك تايمز ، ٣ تشرين الاول ١٩٧٩ ، ص أ ـ ٢٥ .
٧ ـ نيويورك تايمز ، ٤ مايس ١٩٨١ ، ص ١ .
٨ ـ نيويورك تايمز ماكازين ، ١٠ حزيران ، ١٩٧٩ ، ص ٧٤ .
٩ ـ نيويورك تايمز ، ٢٥ ايلول ١٩٨١ ، ص أ ـ ٢٤ .
١٠ ـ نشرة البرنامج التلفزيوني TV Guide ، ١٢ حزيران ١٩٨٢ ، ص ٥ .
١١ ـ نفس المصدر السابق .
١٢ ـ نيويورك تايمز ، ٧ تشرين الاول ١٩٨٢ ، ص أ ـ ١٥ .
١٣ ـ مجلة المحرر والناشر «إدتر أند ببلشر» ، ١١ تشرين الاول ١٩٨٠ ، ص ٤٨ .
١٤ ـ نيويورك تايمز ، ٢١ تموز ١٩٨١ ، ص أ ـ ١٥ .
١٥ ـ نيويورك تايمز ، ١٥ حزيران ١٩٧٧ ؛ نيويورك تايمز ، ١٣ تموز ١٩٧٧ ، ص أ ـ ١٢ .
١٦ ـ كريستيان ساينس مونتير ، ٢٤ أيلول ١٩٨٠ ، ص ـ ١٢ .
١٧ ـ التايم ، ٦ تشرين الاول ١٩٨٠ ، ص ٦٠ .
١٨ ـ نفس المصدر السابق .
١٩ ـ ورلد بريس رفيو ، اذار ١٩٨١ ، ص ٣١ .
٢٠ ـ التايم ، ٢٩ تشرين الاول ١٩٧٩ .
٢١ ـ نيويورك تايمز ، ٥ كانون الاول ١٩٧٩ و ٦ كانون الاول ١٩٧٩ .

٢٢ ـ التايم ، ٢٩ تشرين الاول ١٩٧٩ ، ص ٩٩ .
٢٣ ـ نيويورك تايمز ، ٦ كانون الاول ، ص ١٠ .
٢٤ . اللوماتان ، ٢٧ ـ ٢٨ تشرين الاول ١٩٧٩ .
٢٥ ـ كما جاء في «Australian Lord Haw - Haw» لـ دينس وارنر في مجلة ناشيونال ريفو ، (١١ نيسان ١٩٧٥) ص ٣٩٥ و ٣٩٧ و ٤١٠ .
٢٦ ـ كما جاء في (Poor Wilfred Burchett) لـ . ف . بوكلي في مجلة ناشيونال ريفيو ٢٣ حزيران ١٩٧٧ ، ص ٦٦٨ .
٢٧ ـ «الاجراءات السوفيتية الفعالة» شهادات امام اللجنة الدائمية المنتخبة للمخابرات ، ١٣ ـ ١٤ تموز ١٩٨٢ ، ص ٦١ ـ ٦٦ .
٢٨ ـ جون مارتن «فاعلية الدعاية الدولية» في مجلة الاتصالات الدولية ومابين الثقافات لـ هينز ـ ديتريش فشر وجون س مريل ، (نيويورك : هاستنك هاوس) ، ١٩٧٦» ، ص ٢٦٤ .

مراجع الفصل الخامس

١ ـ نيويورك تايمز ، ٢٧ شباط ١٩٨١ ص أ ـ ٨ .
٢ ـ نيويورك تايمز ، ٢٠ شباط ١٩٨١ ، ص ١ .
٣ ـ تقرير AIM Peport ، المجلد ١٠ ، ١ كانون الثاني ١٩٨١ ، العدد ١ .
٤ ـ بوسطن غلوب ، ٢٨ تشرين الثاني ١٩٨٠ ، ص ١ .
٥ ـ نيويورك تايمز ، ٦ آذار ١٩٨١ ، ص أ ـ ٢٧ .
٦ ـ نيويورك تايمز ، ٧ آذار ١٩٨١ ، نيويورك تايمز ، ٩ آذار ١٩٨١ .
٧ ـ «العمل السري السوفيتي ، الهجوم التضليلي» شهادات امام اللجنة الفرعية التابعة للجنة الدائمية المنتخبة حول المخابرات ، مجلس النواب ، جلسة ٩٦ للكونغرس ، شباط ١٩٨٠ ، ص ٦٣ .
٨ ـ نفس المصدر السابق ، ص ٦١ .
٩ ـ نفس المصدر السابق ، ص ٦٨ .
١٠ ـ مجلة التايم ، ٢٧ مايس ١٩٧٤ ، ص ٥١ .
١١ ـ مجلة التايم ، ١٨ شباط ١٩٧٤ ، ص ٤٦ .
١٢ ـ نيويورك تايمز ، ٢١ كانون الثاني ١٩٧١ ، ص ٢ .
١٣ ـ كما جاء في الواشنطن بوست ، ٢٥ تشرين الثاني ١٩٧٠ ، ص أ ـ ١٠ ، واشنطن بوست ، ١٧ تشرين الثاني ١٩٧٠ ، ص أ ـ ١ .
١٤ ـ اطلس ، كانون الثاني ١٩٧١ ، ص ٤٢ .
١٥ ـ «العمل السري السوفيتي ، الهجوم التضليلي» شهادات امام اللجنة الفرعية التابعة للجنة الدائمية المنتخبة حول المخابرات ، مجلس النواب ، جلسة ٩٦ للكونغرس ، ٦ و ١٩ شباط ١٩٨٠ ، مكتب الطباعة الحكومي الاميركي ، ص ١٣٨ ـ ١٤٤ .
١٦ ـ نفس المصدر السابق ، ص ١٤٧ ـ ١٥٣ .
١٧ ـ نفس المصدر السابق ، ص ٦٨ و ١٤٥ ـ ١٤٦ .

١٨ ـ نفس المصدر السابق ، ص ١٥٤ ـ ١٥٧ .
١٩ ـ نفس المصدر السابق ، ص١٦٨ ـ ١٧١ .
٢٠ ـ نفس المصدر السابق ، ص ١٦١ ـ ١٦٥ .
٢١ ـ الدعوة ، شباط ١٩٧٩ ، عدد ٤٠٦ .
٢٢ ـ نيويورك تايمز ، ٢١ حزيران ١٩٧٠ ، ص ٥٠ .
٢٣ ـ «العمل السري السوفيتي ، الهجوم التضليلي» ص ١١٧ ـ ١٢١ .
٢٤ ـ نفس المصدر السابق ، ص ٦٦ و ٨٦ ـ ١٠١ .
٢٥ ـ EL Triunfo ، ٢٣ ايلول ١٩٧٨ .
٢٦ ـ مجلة قضايا السلم والاشتراكية ، كانون الاول ١٩٧٨ .
٢٧ ـ انتر برايز ، ٩ تموز ١٩٨٢ ، ص ١ .
٢٨ ـ نفس المصدر السابق .

مراجع الفصل السادس

١ . نيوزويك ، ٣ اذار ١٩٨٠ ، ص ٢٣ .
٢ . يواس نيوز اند ورلد ريبورت ، ٢٦ حزيران ١٩٧٨ .
٣ . نيوزويك ، ٢٨ نيسان ١٩٨٠ ، ص ٢٤ .
٤ . «ايران : تقييم اداء المخابرات الامريكية قبل تشرين الثاني ١٩٧٨» تقرير اعدته اللجنة الفرعية للتقييم التابعة للجنة الدائمية المنتخبة حول المخابرات ، مجلس النواب الامريكي ، مكتب الطباعة الحكومي الامريكي ، ١٩٧٩ .
٥ . وول ستريت جورنال ، ٦ تشرين الثاني ١٩٧٩ ، ص ١ .
٦ . وول ستريت جورنال ، ١٩ تشرين الاول ١٩٧٩ ، ص ١ و ٤١ .
٧ . مجلة التايم ، ١ ايلول ١٩٨٠ ، ص ٣٩ .
٨ . بينتهاوس ، تموز ١٩٨٠ ، ص ١٠٦ .
٩ . نفس المصدر السابق ص ١٠٧ .
١٠ . نيوزويك ، ٦ اذار ١٩٧٨ ، ص ٣٧ .
١١ . نيويورك تايمز ، ٦ نيسان ١٩٨٠ ، ص ١٦ .
١٢ . نيويورك تايمز ، كانون الاول ١٩٧٨ ، ص ١٣ .
١٣ . نيويورك تايمز ، ٦ كانون الثاني ١٩٧٩ ، ص ٥ .
١٤ . نيويورك تايمز ، ٢ تشرين الثاني ١٩٨٠ ، ص هـ ـ ٥ .
١٥ . بوسطن غلوب ، ١٨ تموز ١٩٨٠ ، ص ٥ .
١٦ . نيويورك تايمز ، ٦ كانون الاول ١٩٧٩ .
١٧ . الازمنه الحديثة ، عدد ١٥ ، ١٩٨٠ ، ص ١٥ .
١٨ . نيويورك تايمز ، ٧ شباط ١٩٨٠ ، ص ١ ونيويورك تايمز ، ١٢ اذار ١٩٨٠ ، ص أ ـ ٦ .
١٩ . بوسطن غلوب ، ١٨ تشرين الثاني ١٩٧٩ ، ص ١٩ .
٢٠ . العمل السري السوفيتي : «الهجوم التضليلي» شهادات أمام اللجنة الفرعية التابعة للجنة الدائمية المنتخبة حول المخابرات ، مجلس

النواب ، ٦ و ١٩ شباط ١٩٨٠ ، مكتب الطباعة الحكومي الامريكي ، ص ٧٨ ـ ٧٩ .
٢١ . الازمة الحديثة ، العدد ٩ ، ١٩٨٠ ، ص ٥ .
٢٢ . نيويورك تايمز ، ١٨ كانون الثاني ١٩٨٠ ، ص أ ـ ٦ .
٢٣ . ازفستيا ، كما جاء في بوسطن غلوب ، ٢٤ أيلول ١٩٨٠ ، ص ٩ .
٢٤ . بوسطن غلوب ، ١٨ كانون الثاني ١٩٨١ ، ص ١ .
٢٥ . كما جاء في شيكاغو تربيون ، ٢٢ كانون الثاني ١٩٨١ .
٢٦ . نيويورك تايمز ، ١٣ كانون الاول ١٩٧٩ ، ص ١ .
٢٧ . نفس المصدر السابق .
٢٨ . نفس المصدر السابق .
٢٩ . مجلة التايم ، ٣ كانون الاول ١٩٧٩ ، ص ٢٥ .
٣٠ . نيوزويك ، ٧ كانون الثاني ١٩٨٠ ، ص ٢٧ .
٣١ . نيويورك تايمز ، ١٠ شباط ١٩٨٠ ص ١٠ ، بوسطن غلوب ١٤ آذار ١٩٨٠ ، نيويورك تايمز ، ١٠ اذار ١٩٨٠ ص أ ـ ١٤ .
٣٢ . بوسطن غلوب ، ٢٧ شباط ١٩٨٠ ، ص ٨ ونيويورك تايمز ١٩ كانون الاول ١٩٨٠ ، ص أ ـ ١٢ .
٣٣ . بوسطن غلوب ، ١٧ آب ١٩٨٠ ، ص ٢٢ .
٣٤ . بوسطن غلوب ، ٢ شباط ١٩٨٢ ، ص ١ ـ ٢ .
٣٥ . نيويورك تايمز ، ٢٠ شباط ١٩٨١ ، ص أ ـ ٣ .
٣٦ . نيويورك تايمز ، ٢٤ شباط ١٩٨١ ، ص أ ـ ٣ .
٣٧ . نيويورك تايمز ، ٢٢ نيسان ١٩٨١ ، ص أ ـ ١٣ .
٣٨ . نيويورك تايمز ، ٢٩ مايس ١٩٨٠ ، ص أ ـ ١ .
٣٩ . مجلة التايم ، ١٠ كانون الاول ١٩٧٩ ، ص ٢٥ .
٤٠ . مجلة التايم ، ١ أيلول ١٩٨٠ ، ص ٣٩ .
٤١ . نيويورك تايمز ، ١٤ ايلول ١٩٨٠ ص ١ و ص ٢٠ .
٤٢ . مجلة التايم ، ١٦ شباط ١٩٨٠ ، ص ٢٤ و ٢٥ .
٤٣ . كما جاء في ورلد بريس رفيو ، شباط ١٩٨١ ، ص ١٨ .

٤٤ . مجلة التايم ، ١ أيلول ١٩٨٠ ، ص ٣٩ .
٤٥ . مجلة التايم ، ١٨ كانون الثاني ١٩٨٢ ، ص ٣٠ .
٤٦ . نيويورك تايمز ، ٢٥ شباط ١٩٨٢ ، ص أ ـ ٢ .
٤٧ . نيويورك تايمز ، ٧ اذار ١٩٨٢ ، ص ١ .
٤٨ . مجلة التايم ، ٢٣ تشرين الثاني ١٩٨١ ، ص ٤٤ .
٤٩ . نيويورك تايمز ، ٢٤ تشرين الاول ١٩٨٢ ، ص ١٤ .
٥٠ . بوسطن غلوب ، ١١ مايس ١٩٨٣ ، ص ٤ ، مجلة التايم ، ١٦ مايس ١٩٨٣ ، ص ٢٧ .
٥١ . نيويورك تايمز ، ١٦ كانون الثاني ١٩٨٠ ، ص ١ و ٨ .
٥٢ . نيويورك تايمز ، ٩ تموز ١٩٨١ ، ص أ ـ ٨ .
٥٣ . واشنطن جورنالزم رڤيو ، نيسان ١٩٨٠ ، ص ٣٩ .

مراجـــع الفصـــل السابـــع

١ . روبرت فلاتسغراف ويوري رانان ووارن ملبرغ ، «السياسة الاستخبارية والامن القومي» ١٩٨١ ، ص ٣٠٣ .
٢ . التايم ، ٢٣ حزيران ١٩٨٠ ، ص ٣٠ .
٣ . نيويورك تايمز ، ٢٠ كانون الثاني ١٩٨١ ، ص أ ـ ٢٤ .
٤ . كلارنس أ . وروبنسون جي آر . «التكنولوجيا والزمن الريادي : التكنولوجيا التجريبية السوفيتية» مجلة اڤييشن ويك آند سبيس تكنولوجي ، ص ٣ .
٥ . غلوسستر تايمز ، ٢٠ آب ١٩٨٠ ، ص ١١ .
٦ . يواس نيوز اندورلد ريبورت ، ١٦ تشرين الثاني ١٩٨١ ، ص ٢٩ .
٧ . التايم ، ١٧ مايس ١٩٨٢ ، ص ٢٥ .
٨ . نيويورك تايمز ، ٦ آب ١٩٨١ ، ص أ ـ ٢٣ .
٩ . بوسطن صاندي غلوب ، ١٠ مايس ١٩٨١ ، ص أ ـ ٢٠ .
١٠ . بوسطن غلوب ، ١٢ شباط ١٩٨١ ، ص ٩
١١ . نيويورك تايمز ، ١٩ مايس ١٩٨٣ ، ص أ ـ ٥
١٢ . ستراتيجك رفيو ، شتاء ١٩٧٩ .
١٣ . نيويورك تايمز ، ٩ نيسان ١٩٧٩ ، ص أ ـ ٧ .
١٤ . نيويورك تايمز ، ٢٩ نيسان ١٩٧٩ ، ص ١ .
١٥ . بوسطن غلوب ، ٢١ آذار ١٩٨٠ ، ص ١٩ .
١٦ . بوسطن غلوب ، ١٩ آذار ١٩٨٠ ، ص ٩ .
١٧ . «نشاطات الحرب الجرثومية السوفيتية» تقرير اللجنة الفرعية ، اللجنة الدائمية المنتخبة حول المخابرات ، ٢٩ مايس ١٩٨٠ ، ص ٤ .
١٨ . نيويورك تايمز ، ٢٩ حزيران ١٩٨٠ ، ص ٣ .
١٩ . بوسطن غلوب ، ١٩ حزيران ١٩٨٠ ، ص ١ .
٢٠ . بوسطن غلوب ، ٩ آذار ١٩٨٢ ، ص ١ .
٢١ . نيويورك تايمز ، ٢٣ آذار ١٩٨٢ ، ص أ ـ ١٤ .
٢٢ . نيويورك تايمز ، ٣٠ آذار ١٩٨٠ ، ص ٦ .

٢٢ . مجلة نيويورك تايمز ، ٢٦ تشرين الاول ١٩٨٠ ، ص ١٣٧ .
٢٤ . نيويورك تايمز ، ١١ كانون الثاني ١٩٨٠ ، ص ١ .
٢٥ . نيويورك تايمز ، ٢ حزيران ١٩٧٨ ، ص أ ـ ١٣ .
٢٦ . بوسطن غلوب ، ٤ آذار ١٩٨٢ ، ص ٨ .
٢٧ . بوسطن غلوب ، ٣ أيلول ١٩٨١ ، ص ١ .
٢٨ . يواس نيوز أند ورلد ريبورت ، ٢ تشرين الثاني ١٩٨١ ، ص ٤٥ .
٢٩ . البرنامج التلفزيوني ، TV GUIDE ٣٠ حزيران ١٩٧٩ ، الصفحات ١٤ ـ ١٨ .
٣٠ . نيويورك تايمز ، ٦ شباط ١٩٨١ ، ص ١ .
٣١ . بوسطن غلوب ، ٢ نيسان ١٩٨١ ، ص ١ .
٣٢ . نيويورك تايمز ، ٢٥ نيسان ١٩٨١ ، ص ٢ .
٣٣ . نيويورك تايمز ، ٢٥ نيسان ١٩٨١ ، ص ١٠ .
٣٤ . وول ستريت جورنال ، ١٤ حزيران ١٩٨٢ ، ص ١ .
٣٥ . نيويورك تايمز ، ٢ تشرين الثاني ١٩٨٢ ، ص أ ـ ٣ .
٣٦ . نيويورك تايمز ، ٥ آب ١٩٨٠ ، ص أ ـ ٣ .
٣٧ . «العمل السري السوفيتي ـ الهجوم التضليلي» شهادات أمام اللجنة الفرعية التابعة للجنة الدائمية المنتخبة حول المخابرات ، مجلس النواب ، جلسة ٩٦ ، ٦ و ١٩ شباط ١٩٨٠ ، مكتب الطباعة الحكومي الامريكي ، الصفحات ٧٠ ـ ٧٤ .
٣٨ . نفس المصدر السابق ، ص ٧٥ .
٣٩ . نيويورك تايمز ، ١٨ آب ١٩٨٠ ، ص أ ـ ١٦ .
٤٠ . «الاجراءات السوفيتية الفعالة» شهادات أمام اللجنة الدائمية المنتخبة حول المخابرات ، ١٣ و ١٤ تموز ١٩٨٢ ، مكتب الطباعة الحكومي الامريكي ، ص ٢٣٢ ، نيويورك تايمز ، ٢٦ آذار ١٩٨٣ ، ص ١ .

مراجع الفصـــل الثـامن

١ ـ لويس بيرنكوف ، أبل (كتاب الجيب نيويورك ، ١٩٧١) .
٢ ـ يواس ينوز أند ورلد ريبورت ، ١٤ كانون الثاني ١٩٨٠ ، ص ٤٦ .
٣ ـ نيويورك تايمز ، ٧ حزيران ١٩٨٠ ، ص ٤ .
٤ ـ مجلة التايم ، ٢٤ نيسان ١٩٧٨ ، ص ٣٧ .
٥ ـ نيويورك تايمز ، ١٧ تشرين الاول ١٩٧٩ ، ص أ ـ ٨ .
٦ ـ نيويورك تايمز ، ٢٥ مايس ١٩٧٨ ، ص ١٨ .
٧ ـ لادسلاف بتمان لعبة التضليل (The Deception Game) ، ١٩٧٢ ، ص ٧٢ ـ ٧٧ .
٨ ـ دنيز ايسنبرغ ، يوري دان وايلي لاندو ، الموساد ، (نيويورك : سكنت ، ١٩٧٩) ، ص ٢١٦ ـ ٢٢٦ .
٩ ـ لستر صاموئيل ايكمان ، «السياسة السوفيتية تجاه اليهود واسرائيل خلال الاعوام ١٩١٧ ـ ١٩٧٤»ص ٧٧ .
١٠ ـ بوفيل فلور شايم «الاهميه الديموغرافيه لهجرة اليهود من الاتحاد السوفيتي» . مجلة الشؤون السوفيتية ـ اليهودية ، شباط ١٩٨٠ ، ص ٥ .
١١ ـ نيويورك تايمز ، ١٧ كانون الثاني ١٩٨٠ ونيويورك تايمز ١٤ شباط ١٩٨١ ص ٢٤ .
١٢ ـ نيويورك تايمز ، ٤ كانون الثاني ١٩٨١ ، ص ١٥ .
١٣ ـ شهادة امام اللجنة الفرعية لاوربا التابعة للجنة لشؤون الخارجية ، ١٠,٩ تشرين الثاني ١٩٧١ ، ص ١٤٤ .
١٤ ـ البرافدا ، ١٠ نيسان ١٩٧١ .
١٥ ـ نفس المصدر .
١٦ ـ نيويورك تايمز ماكازين ، ٤ كانون الثاني ١٩٨١ ، ص ٣٢ .
١٧ ـ نفس المصدر .
١٨ ـ مجلة التايم ، ٥ مايس ١٩٨٠ ، ص ٤٣ .

١٩ ـ نيويورك تايمز ، ٨ نيسان ١٩٨٠ ، ص أ ـ ١٢ .
٢٠ ـ دراسة من قبل وكالة ادارة الطوارئ الفيدرالية نشرت في بوسطن غلوب ٤ حزيران ١٩٨٠ ، ص٧٣ .
٢١ ـ نيويورك تايمز ، ٢ حزيران ١٩٨٠ ، ص ١ .
٢٢ ـ مجلة التايم ، ٩ حزيران ١٩٨٠ ، ص ٢٣ ، نيويورك تايمز ، ٢ حزيران ١٩٨٠ ، ص أ ـ ٩ .
٢٣ ـ دراسة ديموغرافيه بقلم جون كلارك من جامعة ميامي نشرت في تقرير في نيويورك تايمز ١٧ مايس ١٩٨٣ .
٢٤ ـ مجلة واشنطن الشهرية اذار ١٩٨٢ ، ص ٣٩ وبوسطن غلوب ١٠ كانون الاول ١٩٨١ ، ص ٢ .
٢٥ ـ بوسطن غلوب ، ١ حزيران ١٩٨١ ، ص ٩ وبوسطن غلوب ، ١٠ كانون الاول ١٩٨١ ، ص ٢ .
٢٦ ـ نيويورك تايمز ، ١٩ نيسان ١٩٨١ ، ص ١ و ٣٢ ونيويورك تايمز ، ٤ نيسان ١٩٨٣ ، ص ب ـ ١ .

مراجـــع الفصـــل التاســـع

١ ـ نيويورك تايمز . ١٠ آذار ١٩٨٠ ، ص أ ـ ٢
٢ ـ بوسطن غلوب ، ١٠ مايس ١٩٨٠ ، ص ـ ٢
٣ ـ نيويورك تايمز . ٣٠ نيسان ١٩٨٠ ، ص أ ـ ٤
٤ ـ بوسطن غلوب ، ٧ آذار ١٩٨٠ ، ص ٦
٥ ـ نيويورك تايمز ، ٢٤ نيسان ١٩٨١ ، ص أ ـ ١٧
٦ ـ يواس نيوز اند ورلد ريبورت ، ٢٩ ايلول ١٩٨٠ ، ص ٣٨
٧ ـ شتيرن ، العدد ٢٢ ، ١٩٧٣ ، ص ٥٤ و ٦٠ و ١٦٣
٨ ـ الازمنة الحديثة ، ٦ كانون الاول ١٩٧٨ ، ص ٣٣
٩ ـ الازمنة الحديثة ، عدد ٨ ، شباط ١٩٨١
١٠ ـ نيويورك تايمز ، ١٧ مايس ١٩٧٨ ، ص أ ـ ١٤
١١ ـ كريستيان ساينس مويتر ، ٨ تموز ١٩٧٥ ، ص ٢٦
١٢ ـ نيويورك تايمز ، ٢٥ أيلول ١٩٨٠ ، ص ب ـ ١٨
١٣ ـ كما جاء في «ارتباط الـ KGB : تحقيق في العمليات السوفيتية في امريكا الشمالية» ، توثيق تلفزيوني إنتج من قبل شبكة نورفولك في تورنتو ، كندا ، ١٩٨١ .
١٤ ـ AIM Report ، العدد ٦ أيلول ١٩٧٧ ، الجزء الثاني ، عدد ١٨
١٥ ـ نيويورك تايمز ، ١٥ كانون الثاني ١٩٨٣ ، ص ٢
١٦ ـ غلوسستر ديلي تايمز ، ١٣ آذار ١٩٨٢ ، ص أ ـ ٥
١٧ ـ وول ستريت جورنال ، ٢٢ تشرين الاول ١٩٧٩ ، ص ١
١٨ ـ شبكة الاذاعة العامة ، ١ أيلول ١٩٧٩
١٩ ـ نيويورك تايمز ، ١٨ شباط ١٩٨١ ، ص أ ـ ٩
٢٠ ـ نيويورك تايمز ، ٣١ تشرين الاول ١٩٨٠ ص ١ ، بوسطن غلوب ٢١ تموز ١٩٨٢ ، ص ٥
٢١ ـ مجلة التايم ، ١٠ آب ١٩٨١ ، ص ٤٢
٢٢ ـ نيويورك تايمز ، ١٧ مايس ١٩٧٨ ، ص ١

٢٣ ـ بوسطن غلوب ، ٢١ أيلول ١٩٨١ ، ص ٢
٢٤ ـ نيويورك تايمز ، ٢٨ تموز ١٩٧٩ ، ص ١
٢٥ ـ بوسطن غلوب ، ٢١ أيلول ١٩٨١ ، ص ٢
٢٦ ـ بوسطن غلوب ، ٢١ أيلول ١٩٨١ ، ص ٢
٢٧ ـ نيويورك تايمز ، ٢٠ آذار ١٩٧٢
٢٨ ـ نيويورك تايمز ، ١٩ آذار ١٩٨٠ ، ص آ ـ ٩ ونيويورك تايمز ، ١١ مايس ١٩٧٨ ، ص ١
٢٩ ـ بوسطن غلوب ، ٣ شباط ١٩٨٢ ، ص ١٣
٣٠ ـ كما جاء في نيويورك تايمز ، ٢٣ تشرين الثاني ١٩٧٩ ، ص٢٨
٣١ ـ الازمنة الحديثة ، عدد ٤ ، ١٩٧٩ ص ٢٨
٣٢ ـ بوسطن غلوب ، ١٧ آذار ١٩٨٢ ، ص ٢٠
٣٣ ـ نيويورك تايمز ، ١١ مايس ١٩٨٠ ، ص ١٤

مراجع الفصل العاشر

١ ـ نيويورك تايمز ، ١٦ حزيران ١٩٨٢ ، ص أ ـ ٢٨ .
٢ ـ مجلة التايم ، ٢٢ نيسان ١٩٧٤ ، ص ٢٢ .
٣ ـ بوسطن فونيكس ، ٢٣ تموز ١٩٧٤ ، ص ٣ .
٤ ـ مجلة التايم ، ٢٢ نيسان ١٩٧٤ ، ص ٢٧ .
٥ ـ نيويورك تايمز ، ١٨ تشرين الثاني ١٩٧٧ ، ص أ ـ ٢٢ .
٦ ـ بوسطن صاندي غلوب ، ١٦ آذار ١٩٨٠ ، ص أ ـ ٢
٧ ـ الازمنة الحديثة ، ٩ كانون الاول ١٩٧٧ ، ص ٢١ .
٨ ـ نيويورك تايمز ، ١١ آذار ١٩٨٠ ، ص جـ ـ ٥
٩ ـ مجلة التايم ، ٢٢ مايس ١٩٧٨ ، ص ٥١ .
١٠ ـ بوسطن صاندي غلوب ، ١٤ مايس ١٩٧٨ ، ص ٤٤ .
١١ ـ نيويورك تايمز ، ١١ تموز ١٩٧٤ ، ص أ ـ ٣ .
١٢ ـ نيويورك تايمز ، ١٧ مايس ١٩٧٨ ، ص أ ـ ٢٣ .
١٣ ـ بوسطن فونيكس ، ١٢ ايلول ١٩٧٨ ، ص ٢٠ .
١٤ ـ مجلة التايم ، ١٤ آب ١٩٧٨ ، ص ٣٠ .
١٥ ـ نيويورك تايمز ، ١١ تموز ١٩٧٤ وواشنطن بوست ، ١١ تموز ١٩٧٤ ، ص أ ـ ٣ .
١٦ ـ ناشيونال اوبزرفر ، ٢٦ تموز ١٩٧٥ ، ص ٧ .
١٧ ـ لادسلاف بتمان لعبة التضليل (The Deception Game) ١٩٧٢ ، الصفحات ١٥٥ ـ ١٥٦ .
١٨ ـ نشرة معلومات النشاط السري ، العدد ٨ ، آذار / نيسان ١٩٨٠ ، ص ١١ .
١٩ ـ نفس المصدر ، ص ١٤ .
٢٠ ـ نيويورك تايمز ، ٢٣ كانون الثاني ١٩٧٦ ، ص ٣١ .
٢١ ـ نيويورك تايمز ، ٦ شباط ١٩٨١ ، ص أ ـ ١٠ .

٢٢ ـ مجلة مكافحة التجسس ، الجزء الرابع ، عدد ١ ، ص ٢٣ .
٢٣ ـ نفس المصدر ، ص ٣ و ٢٩ .
٢٤ ـ انتارا ، ٦ آذار ١٩٦٥ .
٢٥ ـ نيويورك تايمز ، ٢ ايلول ١٩٨١ ، ص أ ـ ١٠ .
٢٦ ـ نيويورك تايمز ، ٥ آذار ١٩٨١ ، ص أ ـ ١٤ .

مراجع الفصل الحادي عشر

١ ـ بوسطن غلوب ، ٢٨ ايلول ١٩٨١ ، ص ١٥ .
٢ ـ نفس المصدر السابق .
٣ ـ اطلانطك ، تشرين الثاني ١٩٨٠ ، الصفحات ٤٢ ، ٥٠ .
٤ ـ نفس المصدر السابق ص ٤٦ .
٥ ـ نيويورك تايمز ، ٢٢ نيسان ١٩٨٣ ، ص أ ـ ١٦ .
٦ ـ نيويورك تايمز ، ٢٣ مايس ١٩٨٢ ، ص ٤ .
٧ ـ نيويورك تايمز ، ٢٣ مايس ١٩٨٢ ، ص ٤ .
٨ ـ ريل جون اسحق «معهد الدراسات السياسية : امبراطورية على اليسار» حزيران / تموز ١٩٨٠ ، ص ٣ .
٩ ـ نفس المصدر ، ص ٢ و ٦ .
١٠ ـ نفس المصدر ، ص ٤ .
١١ ـ AIM Report ، آذار ١٩٨١ ، عدد ٥ ، ص ٢ .
١٢ ـ مجلة التايم ، ٥ شباط ١٩٧٩ ، ص ١١٥ .
١٣ ـ نيويورك تايمز ، ١٧ مايس ١٩٨٣ ، ص جـ ـ ١ .
١٤ ـ ساينس ، ٢٧ تشرين الاول ١٩٧٨ ، الصفحات ٣٨٣ ـ ٣٨٩ .
١٥ ـ نيويورك تايمز ، ١٦ ومايس ١٩٨٠ص أ ـ ٢٠ مايس ١٩٨٠ ، ص جـ ـ ١ ، جـ ـ ٣ .
١٦ ـ نفس المصدر ، ص جـ ـ ١ .
١٧ ـ لوس انجلس تايمز ، ١٢ كانون الاول ١٩٧٨ ، ص ١ .
١٨ ـ نيوزويك ، ٢٦ نيسان ١٩٨٢ ، ص ١٩ ، يواس نيوز اند ورلد ريبورت ٣ مايس ١٩٨٢ ، ص ٤٤ .
١٩ ـ يواس نيوز آند ورلد ريبورت ، ٨ شباط ١٩٨٢ ، ص ٣٩ .
٢٠ ـ نيوزويك ، ١٢ تشرين الثاني ١٩٧٩ ، ص ٤٣ .
٢١ ـ بوسطن غلوب ، ١٧ كانون الاول ١٩٨٠ ، ص ٣٣ .
٢٢ ـ نيويورك تايمز ، ١٢ شباط ١٩٨١ ، ص أ ـ ٩ .

٢٣ ـ بوسطن غلوب ، ٥ نيسان ١٩٨٣ ، ص ٤٠ .
٢٤ ـ نفس المصدر السابق .
٢٥ ـ بانوراما ، ١٠ كانون الثاني ١٩٨٣ ، اعيد طبعه في ورلد بريس ريفيو ، نيسان ١٩٨٣ ، ص ٥٢ .
٢٦ ـ يواس نيوز اند ورلد ريبورت ، ٢٥ مايس ١٩٨١ ، الصفحات ٣٩ ـ ٤١ .
٢٧ ـ وول ستريت جورنال ، ٢٨ نيسان ١٩٨١ . ص ١ .
٢٨ ـ نيويورك تايمز ، ٢٣ تموز ١٩٨٠ ، ص ١ .
٢٩ ـ نيويورك تايمز ، ٢٩ نيسان ١٩٨٢ ، ص ب ـ ١٤ .
٣٠ ـ نيويورك تايمز ، ٢ نيسان ١٩٨٢ ، ص أ ـ ٦ .
٣١ ـ بوسطن غلوب ، ٢٩ مايس ١٩٨١ ، ص ٣ .
٣٢ ـ AIM Report ، آذار ١٩٨١ ، العدد ٥ .
٣٣ ـ نفس المصدر السابق .
٣٤ ـ بوسطن غلوب ، ٢٠ مايس ١٩٨١ ، ص ٣ ونيويورك تايمز ١٣ تموز ١٩٨١ ، ص أ ـ ١٥ .
٣٥ ـ بوسطن غلوب ، ٣ نيسان ١٩٨٣ ، ص ١٥ .

الفهرست

الفصل الاول : مذكرات عميل سابق ..... ١١ ـ ٣١

الفصل الثاني : عملاق الجاسوسية ..... ٣٢ ـ ٦٠

الفصل الثالث : مصانع التضليل ..... ٦١ ـ ١٠٩

الفصل الرابع : الساعي ..... ١١٠ ـ ١٤٠

الفصل الخامس : فن التلفيق ..... ١٤١ ـ ١٦٦

الفصل السادس : ازمة الرهائن الايرانية : العلاقة
السـوفيتية ..... ١٦٧ ـ ١٩٦

الفصل السابع : اللعب بالحرب ..... ١٩٧ ـ ٢٢٦

الفصل الثامن : وطن المهاجرين ..... ٢٢٧ ـ ٢٥٢

الفصل التاسع : الصلة الغرامية بالارهاب ..... ٢٥٣ ـ ٢٧٣

الفصل العاشر : الهدف : وكالة المخابرات
المركزية ..... ٢٧٤ ـ ٣٠١

الفصل الحادي عشر : المشاريع الصناعية
والعلم والتكنلوجيا ..... ٣٠٢ ـ ٣٢٤

الخاتمة ..... ٣٢٥ ـ ٣٢٩

المراجع ..... ٣٣٣ ـ ٣٥٥

هذا

(KGB) ... لل السوفيتي» ... كتاب وا... مدير قسم ... ين
... سلاف بتمان، حيث يروي فيه تجاربه الشخصية
... والاسد ... (KGB) ... في عملية التضليل الذي
... افرادا ... ات اجنبية

... المؤلف في هذا ... ف ان المخابرات السوفيتية تعمل بشكل
... من ... سرة ووكالات ومنظمات دائرة ... لكها وتحاول استغلال
... الجديد من خلال اختلاق وقائع ... معلومات تستوعب فيما بعد من قبل
وسائل الاعلام العالمي ويشير المؤلف ايضا الى استخدام الـ (KGB)
لمنظمات واتحادات اكاديمية وعلمية واندية كمنظمات واجهة لتنفيذ
مآرب منفذي التضليل في موسكو.

ويتناول الكتاب ايضا «الاجراءات الفعالة» التي تنفذها الـ (KGB)
كجزء من الستراتيجية السوفيتية من خلال استخدام الوسائل العلنية
والسرية، ومحاولات موسكو سرقة الاسرار العلمية والتقنية الامريكية
واخيرا ... كرات ... لمية من اجل الاستفادة منها في تطوير انشطتها العلمية.

إصدار لجنة ...

الـ KGB والتضليل السياسي

تأليف : لازسلاف بتمان